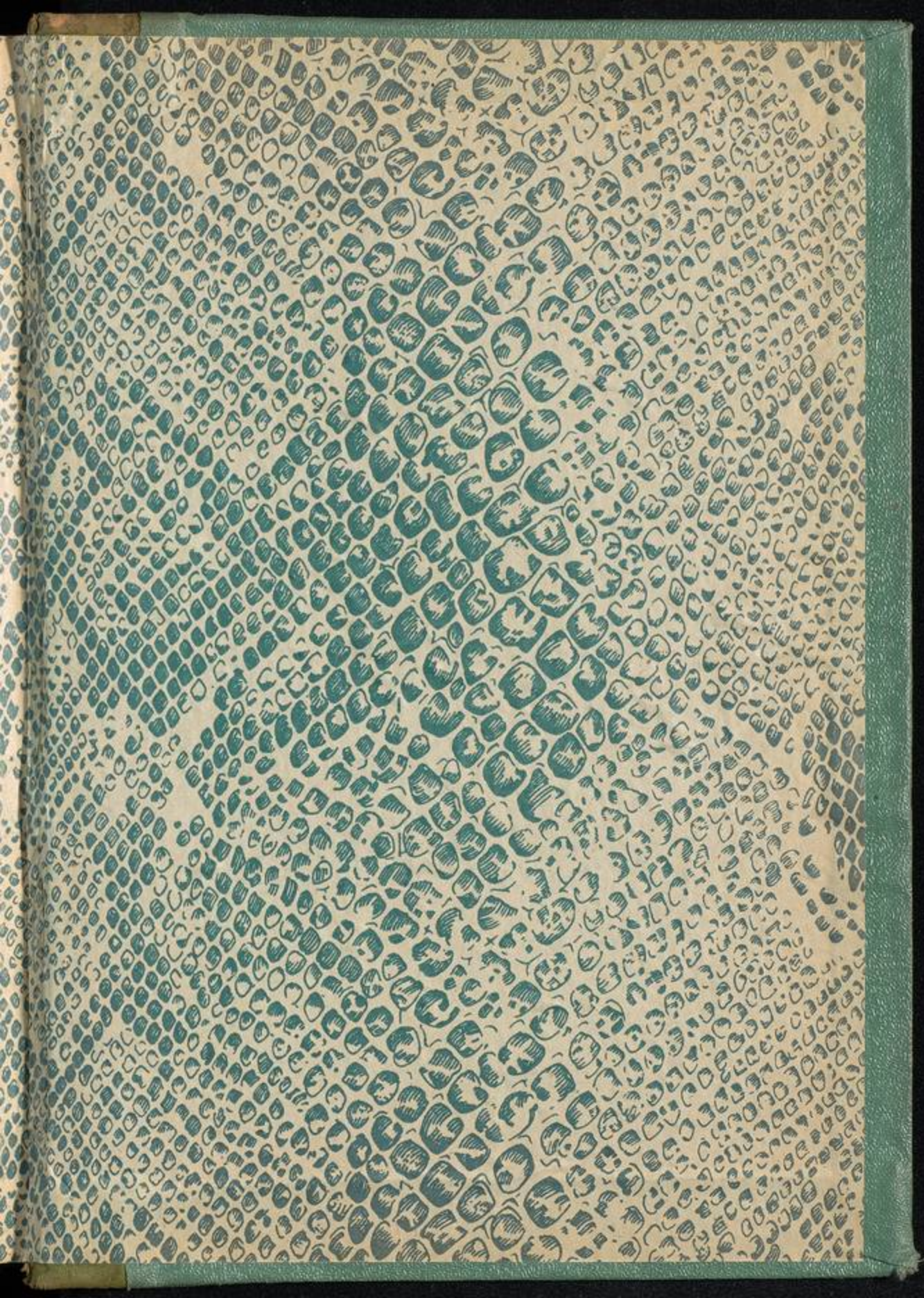
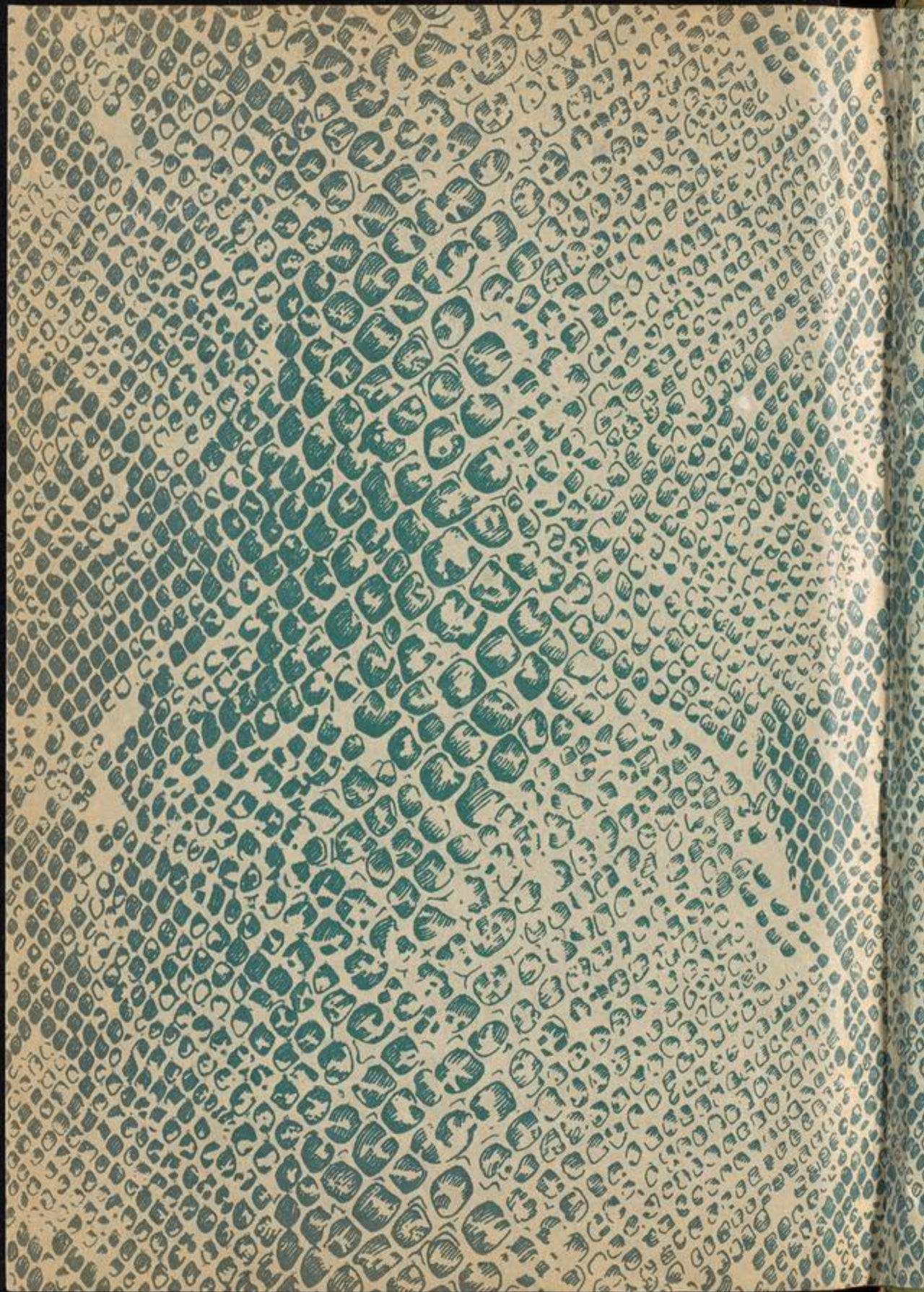
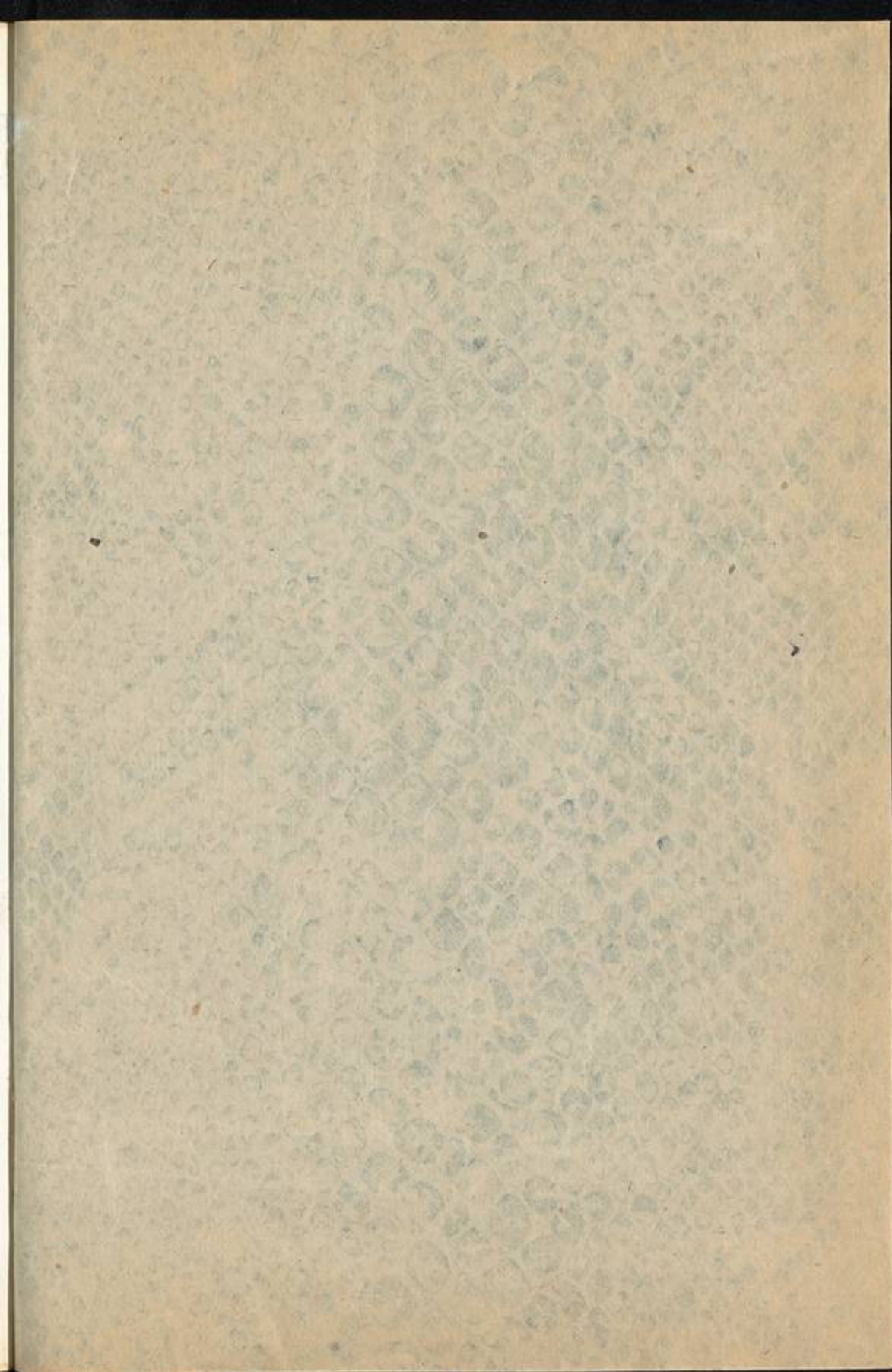


RE







Col 800/424

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

# الجامع الكبير

في

صناعة المنظوم من الكلام والمنثور

تأليف

ضياء الدين بن الأثير الجزري

قام بتحقيقه والتعليق عليه

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور جميل سعيد

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٩٥٦ م - ١٣٧٥ هـ

893.741

N18633

57957C

# تصدير عصر نصر الله بن الأثير

كلُّ أديب هو نتيجة لثقافته وموهبته وبيئته وعصره ، ولاختلاف هذه المؤثرات الاربعة تختلف درجات الأدب وتختلف أحياناً ظروفه وأنواعه ، وعصر نصر الله بن الأثير هو النصف الثاني من القرن السادس من الهجرة ، والنصف الأول من القرن السابع ، وهذا العصر يتميز بانتفائي الحربي بين الدول الاسلامية والامارات الافرنجية بالشام المعروفة بمستعمرات الصليبيين ، وابتعاش الدولة العربية العباسية واستعادتها استقلالها منذ عهد الخليفة المقتفي لأمر الله سنة « ٥٤٧ » ونهوض دولة الأدب في حكم العرب ، فالحروب الصليبية منذ نشوبها أخذت تلهب العواطف ، وتفيض القرائح ، وتحرق القلوب ، وتهمج النفوس ، فأخذ النثر منها سبيلاً سياسياً حماسياً رائعاً ، وأخذ الشعر منها طريقةً حماسية لاذعة ، وكثرت المراسلات المستنفرة والأناشيد الحافزة وأقبل الناس على القصيد يلبون داعيه ، وحفدوا الى المستغيث بالنصر المؤزر .

وانتهاض الدولة العربية من كبوتها أقام للأدب سوقاً دارّة ، واستفاض القرائح ، وبعث جماعات كثيرة من الأديباء على خدمة دولة العرب ، بعد أن كانوا لا يصدقون بانتعاشها ، ويستعجزون القدر في انتياشها ، وألف جماعة من الأديباء كتباً في البلاغة والبيان .

وذكر نصر الله بن الأثير نفسه من المؤلفين في البلاغة ممن سبق عصرهم عصره « ابن أفلح البغدادي قال : « ووقفت على كتاب يقال له « مقدمة ابن أفلح <sup>(١)</sup> البغدادي » وقد قصرها على

(١) هو جمال الملك أبو القاسم علي بن أفلح الحلبي البغدادي الكاتب الشاعر المتوفى سنة « ٥٣٥ » في أشهر الأقوال ، كان ذا فضل وأدب وله شعر مليح ونثر جيد بليغ إلا أنه كان كثير الهجاء ، لقبه المسترشد جمال الملك ثم قم عليه لخامرته ديبس بن صدقة الزبيدي عليه ، ترجمه ابن الجوزي وذكره في المنتظم « ٢٤٣ : ٩ » و « ١٠ : ٨٠ » والعماد الأصفهاني في خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية . باريس ٣٣٢٦ =

تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة ، وللمعاقبين بها عناية وهم واصفون لها ومكبون عليها ولما تأملتها وجدتها قشوراً لآلب تحتمها لأن غاية ما عند الرجل أن يقول : وأما الفصاحة فأنها كقول النابغة مثلاً أو كقول الأعشى أو غيرهما . ثم يذكر بيتاً من الشعر أو أبياتاً ، وما بهذا تعرف حقيقة الفصاحة حتى إذا وردت في كلام عرفنا من حقيقةها الموجودة فيه وكذلك يقول في غير الفصاحة ... »

وذكر منهم الكافي محمد بن الحسن بن حمدون البغدادي مؤلف التذكرة كما في « ص ١٥٦ ، ٢٢٢ » من المثل السائر قال : « ورأيت ابن حمدون البغدادي صاحب التذكرة قد أورد هذين البيتين في كتابه ... » ثم قال : « ووجدت في كتاب التذكرة لابن حمدون البغدادي وكان مشاراً إليه عندهم بفضيلة ومعرفة لاسيما فن الكتابة فوجدت في كتابه ذلك باباً متصوفاً على ذكر الكناية والتعريض ... » . فقدمة ابن أفلح وكتاب التذكرة العظيم من كتب البلاغة والأدب إذ ذاك ، وقد ألفت فيها بعد ذلك أبو المعالي الحظيري المتوفى سنة « ٥٦٨ هـ » .  
وبعد هذه الحقبة ظهرت براعة نصر الله بن الأثير في الترسل والتأليف في البيان فألف كتاب « الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور » الذي فاق ما تقدمه في الزمان من التأليف الخاصة بهذا الفن ثم ألفت على غراره « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وسارت بفضلها الركبان ، وعكف على درسه طلاب الأدب في مختلف البلدان ، ولما وصل إلى بغداد تصدى له عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد ، المدائني فألف نقداً له ، ولكنه لم يستطع الخط من قيمته قط فقد سار كالمثل السائر ، والبدر الباهر في فلك البلاغة والبيان . وسنشير إلى ذلك أيضاً في أثناء الكلام على سيرة نصر الله الأدبية .

= الورقة ٢٤ « . وابن النجار « المستفاد في الورقة ٥٣ من نسخة دار الكتب المصرية » وابن خلكان « ١٥ : ٢٤٩ ، ٣٩٦ ، ٤٥٨ » من طبعة بلاد العجم ، وله ترجمة وذكر في الكامل في حوادث سنة ٥١٧ وسنة ٥٣٥ ومرآة الزمان « ٨ : ١٦٩ ، ٢٩٧ » وصيد الخاطر لأبي الفرج بن الجوزي « ص ٣٠٨ » وعيون الأنباء في طبقات الأطباء « ١ : ٢٧٤ - ٥ » ومختصر الدول « ص ٣٦٥ » وتجارب السلف « ص ٢٩٧ » والنجوم الزاهرة « ٥ : ٢٦٤ » ونصرة الفترة للهاد السكاتب « نسخة دار الكتب بيلزيس ٢١٤٥ الورقة ٩٧ ، ١١١ » والقسم الأول من الجزء الأول من خريدة العراق « ص ١٤٢ » .



## ترجمة مؤلف الكتاب

هو ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بأبن الأثير .

والجزري نسبة الى « جزيرة ابن عمر » قال ياقوت الحموي : « جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل بينها ثلاثة أيام ولها رستاق <sup>(١)</sup> مخصب واسع الخيرات ، وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وكانت له إمرة بالجزيرة وذكُر قرابة سنة ( ٢٥٠ ) <sup>(٢)</sup> . وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء ، ونصبت عليه رحي ، فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق . وينسب اليها جماعة كثيرة منهم ... وبنو الأثير العلماء الأدياء وهم مجد الدين المبارك <sup>(٣)</sup> وضياء الدين نصر الله وعز الدين أبو الحسن علي بنو محمد بن عبد الكريم الجزري ، كل منهم إمام . مات مجد الدين والآخران حيان سنة ٦٢٦ » .

وقال ابن خلكان : « الجزيرة المذكورة أكثر الناس يقولون : جزيرة ابن عمر . ولا أدري من ابن عمر ؟ وقيل إنها منسوبة الى يوسف بن عمر الثقفي أمير المراقين ، وسبباني ذكره إن شاء الله - تعالى - ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابني عمر أوس وكامل ، ولا أدري أيضاً من ها ؟ ثم رأيت تأريخ ابن المستوفي في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد ...

(١) الرستاق والرزداق : القرى وما يحيط بها من الأرضين .

(٢) في الطبعة الأوربية والطبعة المصرية بعدها من معجم البلدان « وكانت له امرأة بالجزيرة وذكُر قرابة سنة ٢٥٠ » وهو تصحيف شنيع لما قوامه .

(٣) ترجمه ياقوت في معجم الأدياء « ج ٦ ص ٢٣٨ - ٢٤١ » طبعة مرغليوث ، ولم يترجم أخاه علياً لأنه لم يعد من الأدياء ، ولا نشك في أنه ترجم أخاه نصر الله وضاعت ترجمته من الجزء السابع .

أُنها جزيرة أوس وكامل ابني عمر بن أوس التغلبي والله أعلم » ، ثم إني ظفرت بالصواب في ذلك ، وهو أن رجلاً من أهل برقعيد من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر ، فأضيفت إليه <sup>(١)</sup> « والجزيرة اليوم من بلاد تركية .

وقال جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن الصابوني في كتابه « تكملة إكمال السكّال » في مشتبته النسب : « وذكر في باب الأثير : بفتح الهمزة وكسر التاء المثناة وبعدها ياء معجمة باثنتين من تحتها وآخره راء مهملة جماعة ، منهم الأخوان الفاضلان أبو السعادات المبارك وأبو الحسن علي ابنا محمد بن عبد الكريم الجزري وأغفل ذكر أخيها الوزير الفاضل أبي الفتح نصر الله <sup>(٢)</sup> ... »

وقال زكي الدين عبد العظيم المنذري : « الأثير : بفتح الهمزة وكسر التاء المثناة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها راء مهملة <sup>(٣)</sup> » .

قال ياقوت الحموي : « والأثير هو أبوه محمد بن محمد بن عبد الكريم <sup>(٤)</sup> » .

والأثير في اللغة : الخليص والمكرم ، وقد جاء في الأخبار أن روح بن زنباع الجذامي كان يقري الأضياف وكان مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً عنده <sup>(٥)</sup> . ومؤنثه « الأثيرة » قال أبو الفرج الاصفهاني في أخبار « فريدة » صاحبة الواثق بالله « وكانت فريدة أثيرة عند الواثق وحظية لديه جداً <sup>(٦)</sup> » .

وإذ كان كل من الإخوة الثلاثة ابناً للأثير لزم أن يكون « الأثير » لقب أبيهم « محمد بن

(١) وفيات الأعيان في « ترجمة » علي بن محمد بن الأثير « ج ١ ص ٣٧٩ » من طبعة بلاد العجم .

(٢) نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة في « الأثير » .

(٣) « التكملة لوفيات النقلة » نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية « تحت الأرقام ١٩٨٢ ج ٢

ص ١٣٢ » .

(٤) معجم الأدباء « ج ٦ ص ٢٣٨ » من الطبعة المذكورة .

(٥) السكامل للمبرد « ج ٣ ص ٩٤ » طبعة الدلجموني الأزهرية وقد صحت الجملة في شرح ابن أبي

الحديد ١ : ٤٥١ الى « كان مسامراً ... أميراً » .

(٦) الأغاني « ج ٤ ص ١١٤ » طبعة دار الكتب المصرية .

محمد » وقد قاله ياقوت ، فعند من كان أثيراً ؟ يظهر لنا أنه كان أثيراً عند الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الاصفهاني الملقب بالجواد وزير عماد الدين زنكي بن آقسنقر ملك الموصل في آخر عهده ، ووزير ابنه سيف الدين غازي الأول ابن زنكي وقطب الدين مودود ابن زنكي ، وقد توفي الجواد سنة ٥٥٩ (١) . استدلنا على ذلك بما ذكره ابن الأثير عز الدين في سيرة الجواد قال : « حكى لي والدي عنه قال : كثيراً ما كنت أرى جمال الدين إذا قدم اليه الطعام يأخذ منه ومن الحلوى ويتركه في خبز بين يديه فكنت أنا ومن يراه نظنُّ أنه يحمله الى أم ولده عني فاتفق أنه في بعض السنين جاء الى الجزيرة مع قطب الدين وكنت أتولى ديوانها وحمل جاريتة أم ولده الى داري لتدخل الحمام فبقيت في الدار أياماً فبينما أنا عنده في الخيام وقد أكل الطعام فعل كما كان يفعل ثم تفرَّق الناس ، فقامت فقال : أقعد . فقعدت فلما خلا المسكان قال لي : قد آثرتك اليوم على نفسي فاني في الخيام ما يمكنني أن أفعل ما كنت أفعله ، خذ هذا الخبز واحمله أنت في كمك في هذا المنديل ، وارك الحماقة من رأسك ، وعد الى بيتك فاذا رأيت في طريقك فقيراً يقع في نفسك أنه مستحق فاقعد أنت بنفسك وأطعمه هذا الطعام . قال : ففعلت ذلك ، وكان معي جمع كثير ففرقتهم في الطريق لئلا يروني أفعل ذلك ، وبقيت في علماني ، فرأيت في موضع إنساناً أعمى وعنده أولاده وزوجته وهم من الفقر في حال شديد ، فنزلت عن دابتي اليهم وأخرجت الطعام وأطعمتهم أياه وقلت للرجل : تجيء غداً بكرة الى دار فلان — أعني داري ولم أعرفه نفسي — فاني آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئاً . ثم ركبت اليه العصر فلما رأيته قال : ما الذي فعلت في الذي قلت لك ؟ فأخذت أذكر شيئاً يتعلق بدولتهم . فقال : ليس عن هذا أسألك ، إنما أسألك عن الطعام الذي سلمته اليك . فذكرت له الحال . ففرح ثم قال : بقي أنك لو قلت للرجل يجيء إليك هو وأهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجري لهم كل شهر دنانير . قال : فقلت له قد قلت للرجل حتى يجيء إلي . فزاد فرحاً . وفعلت بالرجل ما قال . ولم يزل يصل اليه ربه حتى قبض (٢) .

(١) الوفيات « ج ٢ ص ١٨٦ » من الطبعة المذكورة . والسكامل في حوادث سنة « ٥٥٩ » .

(٢) السكامل في حوادث سنة « ٥٥٩ » .

وهذه الحكاية تدل على أن الرجل كان أثيراً جداً عند جمال الدين الوزير الجواد وأنه تولى له ديوان جزيرة ابن عمر، ويؤكد هذه الولاية ما قاله ابن الأثير أيضاً في حوادث سنة ٥٦٥ قال : « حدثني والدي - رحمه الله - قال : كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين كما علمتم فلما كان قبل (١) موته يبسير أنا كتاب من الديوان بالموصل يأمرهم بمساحة جميع بساتين العقيمة ، وهذه العقيمة هي قرية تحاذي الجزيرة بينهما دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يسمح فيؤخذ منه على كل جريب شيء معلوم وبعضها مطلق عن الجميع . قال : وكان لي فيها ملك كثير فكنت أقول : إن المصلحة أن لا يغير على الناس شيء . وما أقول هذا لأجل ملكي فإني أسمح ملكي ، وإنما أريد أن يدوم الدعاء من الناس للدولة . فجاءني كتاب النائب يقول : لا بد من المساحة . فظهرت الأمر وكان بالعقيمة قوم صالحون لي بهم أنس وبيننا مودة ، فجاءني الناس كاهم وأولئك معهم يطلبون المراجعة فأعلمتهم أنني راجعت وما أحببت إلى ذلك . فجاءني منهم رجلان أعرف صلاحهما وطلباني مني المعاودة والمخاطبة ثانية . ففعلت . فأصروا على المساحة ، فمرفتهما الحال . فما مضى إلا عدة أيام وإذ قد جاءني الرجلان فلما رأيتهما ظننت أنهما جاءا يطلبان المعاودة ، فمجبت منهما وأخذت أعتذر إليهما ، فقالا : ما جئنا إليك في هذا وإنما جئنا نعرفك أن حاجتنا قضيت . فظننت أنهما قد أرسلنا إلى الموصل من يشفع لهما . فقلت : من الذي خاطب في هذا بالموصل ؟ فقالا : إن حاجتنا قد قضيت من السماء ولكافة أهل العقيمة . فظننت أن هذا مما قد حدثنا به نفوسهما . ثم قاما عني . فلم يمض عشرة أيام وإذا قد جانا كتاب من الموصل يأمرهم بإطلاق المساجين والمحبوسين والمكوس ويأمرهم بالصدقة ويقال : إن السلطان - يعني قطب الدين - مريض على حالة شديدة ثم بعد يومين أو ثلاثة جاءنا الكتاب بوفاته ، فمجبت من قولهما وأعتقدته كرامة لهما .

قال ابن الأثير : فصار والدي بعد ذلك يكثر إكرامهما واحترامهما ويزورها (٢) .

وبهذه القصة نعلم أن الأثير والدي بني الأثير كان حسن السيرة غنياً وأنه بقي إلى ما بعد

(١) توفي سنة « ٥٦٥ » . (٢) الكامل في حوادث سنة « ٥٦٥ » هـ .

سنة ٥٦٥ هـ وهي سنة وفاة قطب الدين مودود بن زنكي ، ولم يذكر ابن الأثير المؤرخ وفاة والده ، ولكنه ذكر وفاة أخيه مجد الدين المبارك في حوادث سنة « ٦٠٦ هـ » قال : « وفيها في سلخ ذي الحجة توفي أخي مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الكاتب . مولده في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين [ وخمسمائة ] وكان عالماً في عدة علوم منها الفقه والأصولان والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث وله رسائل مدونة وكان كاتباً مفلحاً يضرب به المثل ، ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم - رحمه الله ورضي عنه - فلقد كان من محاسن الزمان . ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنني مقصّر (١) » .

ويفهم من خبر أورده ياقوت الحموي أنّ « الأثير » كان حياً في بعض عهد نور الدين أرسلان شاه الأول ابن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر « ٥٨٩-٦٠٧ » (٢) . ويثبت ذلك إن لم يكن في الخبر تصحيف .

وكانت ولادة ابنه نصر الله مؤلف هذا الكتاب في العشرين من شعبان سنة « ٥٥٨ » (٣) بالجزيرة وبها نشأ ثم انتقل إلى الموصل مع والده في رجب سنة « ٥٧٩ » ودرس بها الأدب والنحو واللغة وعلم البيان ، وحفظ القرآن وكثيراً من الأحاديث النبوية ، واشتغل بالعلوم ، وتزوج قبل سنة « ٥٨٥ » ، وقد عرفنا في التاريخ له من الولد شرف الدين أبا عبد الله محمد بن نصر الله ، وكانت ولادته في شهر رمضان سنة « ٥٨٥ » ووفاته في سنة « ٦٢٢ » قبل وفاة أبيه . والظاهر أنه درس على أبيه وأتقن علم الأدب . وألف كتاباً منها « غرّة الصباح في أوصاف الاصطباح » وكتاب « الأنوار في نعت الفواكه والثمار » (٤) وكتاب « روضة النديم » قال الصفدي :

(١) الكامل في حوادث سنة « ٦٠٦ » هـ . (٢) معجم الأدباء « ٦ : ٢٣٩ » .

(٣) يفهم من الكامل أن أخاه علياً كان بجزيرة ابن عمر سنة « ٥٧١ » ثم كان بالموصل سنة « ٥٧٦ » فهل كان قدومه إليها حاجة ؟

(٤) قال الصلاح الصفدي : هو عندي بخطه .

« له اليد الطولى فى الترسل والشعر ومن نظمه يصف الخمر... » (١) وقال ابن خلكان : رأيت له مجموعاً جمعه الملك الأشرف أحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه (٢) .  
والظاهر لنا أن نصر الله بن الأثير درس علوم الأدب على أساتذة أخويه ثم عليها ولا سيما المبارك الكاتب الأديب المحدث الاصولي ، ولما كملت له آلات الكتابة وأدوات الخدمة قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب فى شهر ربيع الأول سنة « ٥٨٧ » وتوسل الى ذلك بالقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، فوصله الفاضل بخدمة الملك فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وهو شهر تكثر فيه الحوادث الجسام ، وقاموا يخلو أمر ابتدئ به فيه من سوء خاتمة . وجعل صلاح الدين له معلوماً أي جناية مالية ، فأقام عنده الى شوال من السنة فطلبه منه ابنه نور الدين علي الملقب بالملك الأفضل ، فخيره صلاح الدين بين الإقامة فى خدمته والانتقال الى ابنه المذكور ، وتكون الجناية المالية التي قررها له باقية على صلاح الدين ، فاختر نصر الله نور الدين ومضى إليه فاستوزره وحسنت حاله عنده .

ولما توفي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ واستقل ابنه الملك الأفضل نور الدين بمملكة دمشق استقل نصر الله بن الأثير بالوزارة وردت الأمور اليه ، وصار الاعتماد عليه فى الأحوال (٣) ، وكان نصر الله جاهلاً بالسياسة ، قليل الحظ من الكياسة ، فحسن الملك الأفضل إبعاد أمراء أبيه عنه وأكابر أصحابه ، وأن يستخدم أمراء غيرهم ، ففارقه جماعة منهم الأمير نجر الدين چهاركس وفارس الدين ميمون القصري وشمس الدين سنقر الكبير وسيف الدين سنقر المشطوب وكانوا عطاء الدولة وأهل القول المسموع فيها ، وصاروا الى أخيه الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين بالقاهرة وهو ملك مصر فأحسن لقاءهم وأكرمهم وجاد عليهم بمئات دنانير ، وولى نجر الدين أستاذية داره وفوض إليه أموره وجعل فارس الدين وشمس الدين على صيدا

(١) تاريخ الصفدي على السنين نسخة مكتبة الأوقاف بحلب برقم ١٢١٦ ،

(٢) الوفيات « ج ٢ ص ٢٩٠ » من طبعة بلاد العجم .

(٣) الوفيات « ٢ : ٢٨٨ » من الطبعة المذكورة والسلوك لمعرفة دول الملوك « ١ : ١١٥ » .

وأعمالها وكان ذلك لها وزادها نابلس وأعمالها ، ولم يقابل ضياء الدين بن الأثير إحسان القاضي  
الفاضل بالاحسان ، فان الفاضل ترك دمشق أيضاً وعاف مملكة نور الدين الأفضل ولحق  
بالقاهرة فخرج الملك العزيز الى لقائه وأجلّ قدومه إجلالاً ، وأكرمه إكراماً .

وكانت مدينة القدس مضافة للملك الأفضل ، فحمله ضياء الدين بن الأثير على أن يتخلى  
عنها لأخيه العزيز ملك مصر ، تنصلاً من النهوض بأعباء ولايتها ، لأنها كانت تحتاج حينئذ  
الى أموال ورجال لمداومة الفرنج عنها ، فكتب الأفضل الى أخيه العزيز بذلك أخذاً برأي  
الضياء ابن الأثير ، فسّر العزيز بذلك وجهز عشرة آلاف دينار الى عز الدين جرديك النوري  
متولي القدس لينفقها في عسكر القدس ، فخطب جرديك بها للملك العزيز وقطع اسم الملك  
الأفضل . وخشي العزيز من أن ينقض الفرنج الهدنة التي عقدها معهم أبوه صلاح الدين ،  
فأرسل جنداً الى القدس احترازاً من الفرنج ، ثم بدا للأفضل أن يسترد ما وهب لأخيه وهو  
القدس ، ورجع عن ذلك التخلي ، فتغير العزيز من هذا ، وأخذ الأمراء في التحريش والتضريب  
بينهما وحسنوا للعزيز الاستبداد بالملك ، والقيام مقام أبيه ودفع أخيه الأكبر وهو الملك الأفضل  
عن الملك ، فبلغ ذلك أخاه فساءه .

وكانت نابلس وأعمالها قد وقف السلطان صلاح الدين ثلثها على مصالح القدس وبقيةها على  
ابن الأمير علي بن أحمد المشطوب فشاركه فيه أحد الأمراء الأكراد فدوا أيديهم الى الوقف  
وساءت سيرتهم وتخوفوا من إنكار الملك العزيز عليهم فلجؤوا الى الملك الأفضل ، فأفضل عليهم  
وسكن اليهم ، فتأثر الملك العزيز بذلك ، وكان من جملة الأسباب الداعية الى الاضطراب أن  
الفرنج تسلموا ثغر جبيل من مستحفظيه بيمعاً ، وضعف الملك الأفضل عن استخلاصه ، فقيل  
للعزيز : إن توانيت استولت الفرنج على البلاد فخرج العزيز بعسكره من الصلاحية والأسدية  
والاكراد ، وبلغ خبره أخاه الأفضل فضاق صدره واجتمع مع من في خدمته من الأمراء  
بموضع يعرف برأس الماء وأراد أن يستعطف أميراً اسمه صارم الدين قايمار النجمي أحد أبناء  
الأمراء عند صلاح الدين وكان مقيماً في إقطاعه وكان بينه وبين الأفضل شقاق وعناد ، فأرسل

اليه الأفضل في ذلك فلم يجب واستوحش من الأفضل وخرج من إقطاعه ورحل الى عسكر العزيز وأظهر العزيز أنه يريد قتال الفرنج وفي الباطن كان يريد الاستيلاء على دمشق وانتزاعها من أخيه . ورأى الأفضل أن يكتب الى أخيه بكل ما يجب من إعلاء كلمته والاجتماع عليه ، ويكون هو من القائمين بين يديه ، طلباً منه لتسكين الفتن ورغبة في ذهاب الإحن ، فأشير عليه بغير الصواب قال القرظي : « منعه من ذلك وزيره ابن الأثير وعدة من أصحابه وحسنوا له محاربة أخيه فال إليهم » . وقيل له : أنت الكبير ، وإليك التدبير ، فجد وأجهد ولا يعلم أصحابك بهذا الخور الذي داخلك ، والجبن الذي نازلك ، ونحن بين يديك ، وكلنا عاقدون الخناصر عليك . فبعث الأفضل يستنجد عمه العادل بالبلاد الجزرية وأخاه الظاهر بحلب والملك المنصور بحماة والأبجد صاحب بعلبك والمجاهد شيركوه بحمص .

ووصل في جمادى الآخرة من سنة ( ٥٩٠ ) هـ رسول الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الى الملك الأفضل ، ووصلت كتب جماعة من الملوك الأكبر بالأنجاد المتظاهر للأفضل . وسير الأفضل الى عمه العادل وهو بمرجان والرها من الجزيرة رسلاً يستنجده ، فلما أبطأ عليه سير اليه أميراً اسمه عز الدين عثمان الزنجبيلي على نجيب ليسرع ويأتي به عن قريب ، وكانت كتب الملك العادل قد وصلت تحمل نبأ عزمه على نجدة الأفضل ونصرته .

ووصل العزيز في جيشه الى ظاهر دمشق وجاء العادل في عساكره نجدة للأفضل فنزل بمرج عذراء<sup>(١)</sup> من الغوطة وأرسل اليه العزيز يريد الاجتماع معه ، فاجتمعا على ظهور افراسهما وتفاوضا فقال له العادل فيما قال :

« لا تخرب البيت - يعني البيت الأيوبي - ولا تدخل عليه الآفة ، والعدو وراءنا - يعني الافرنج - من كل جانب وقد أخذوا جبيلاً فارجع الى مصر واحفظ عهد أبيك ، وأيضاً فلا

(١) جاء في النجوم الزاهرة « ٦ : ١٢١ » طبعة دار الكتب « مرجع عدواء » وقال المصححون المصريون في الحاشية « كذا في الأصل وفي ابن الأثير ( بمرج الرمان ) وقد بحثنا عن كليهما في الكتب التي تحت أيدينا فلم نوفق اليها » . قلنا : عدواء هو تصحيف « عذراء » قال ياقوت في معجم البلدان . « عذراء ... وهي قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة واليها ينسب مرج ... » .



تُكسر حرمة دمشق وتطعم فيها كل أحد<sup>(١)</sup>». وتحدث معه في الصلح وأن ينفس الخناق عن دمشق وكان قد اشتد الحصار وقطعت الأنهار ونهبت الثمار ، فوافق العزيز عمه العادل على فض النزاع وتراجع الى قرية داريا من قرى غوطة دمشق ونزل على الأعوج ، وأرسل الأمير نجر الدين جهاركس أستاذ الدار ، وهو يومئذ أجل الأعمراء الصلاحية - الى العادل فقررروا الصلح على شروط ، وعاد الى العزيز فرحل العزيز ونزل مرج الصفر ، فحدث له مرض شديد وأرجف بموته منه وأيس منه ثم أفرق وأبل منها وأفاق ، وقيل إن العادل بعث اليه يقول : ارحل الى مرج الصفر. فرحل وهو مريض ، وكان قصد العادل أن يُبعده عن دمشق . ووصل الملوک المقدم ذكرهم في جنودهم نجدة للأفضل ، فقال لهم العادل : قد تقرر أن العزيز يرحل الى مصر ، قال ابن تغري بردي : واشتد مرض العزيز فاحتاج الى المصالحة ولولا المرض ما صلح . وأمر العزيز بعمل نسخة اليمين أي المعاهدة وهي جامعة لمقترحات جميع الملوك وحسم مواد الخلاف ، وأن الملك الأجد بهرامشاه بن عز الدين فرخشاه الأيوبي صاحب بعلبك والملك المجاهد شيركوه الصغير صاحب حمص يسكونان مؤازرين للملك الأفضل وتابعين له ، وأن الملك المنصور صاحب حماة يسكون في حيز الملك الظاهر غازي صاحب حلب ومؤازراً له . وبث كل من الملوك أميراً من أمرائه ليحضر الحلف والتحالف ، فاجتمعوا يوم السبت الثاني عشر من رجب من السنة « ٥٩٠ » المذكورة ، وجرت أمور آلت إلى الحلف على دخن ، وطلب العزيز إلى عمه أن يزوجه إحدى بناته فزوجه إياها ، وكتب الهاد الأصفهاني كتاب العقد في ثوب أطلس ، وقرئ بين يدي الملك الظاهر وعقد العقد عنده .

وخرج الملوک لتوديع الملك العزيز واحداً واحداً ، وأول من خرج اليه أخوه الملك الظاهر غازي والتقى في أول شعبان بمرج الصفر وبات عنده ليلة وعاد بعد أن أهدى كل الى أخيه هدية ، وخرج بعده عمه العادل في خواصه ثم أخوه الملك الأفضل ، فتلقاها واعتنقا وبكيا ، وكان قد فارقه منذ تسع سنين ثم إن الأفضل نظم أبياتاً في استعطاف أخيه واستأتمته وبث بها اليه ،

(١) قابل هذا السلام الذي نقله ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة « ٦ : ١٢١ » بما اتهم به ابن الأمير الملك العادل من سعيه في فساد البيت الأيوبي .

ورحل العزيز من مرج الصفر في ثالث شعبان يُريد مصر ، فلما كان ثالث عشره عمل الأفضل  
لعمه وسائر الملوك دعوة عظيمة وودعهم ، ثم رحلوا من الغد الى بلادهم إلا العادل فإنه أقام الى  
تاسع شهر رمضان ثم رحل إلى بلاده بالجزيرة .

وهم الأفضل بمكاتبة العزيز بما يؤكد أسباب الصلح فأماله عن ذلك خواصه وأغروه بأخيه  
ورموا جماعته من أمرائه بأنهم يسكتون العزيز ، فأستوحش منهم وفطنوا لذلك فتفرقوا عنه ،  
فالأمر عز الدين سامة صاحب كوكب وعجلون ترك الأفضل والتحق بالعزيز بمصر فآكرمه  
غاية الأكرام ، وأخذ يجرسه على الأفضل ويحثه على المسير الى دمشق وانتزاعها منه ويقول له :  
« إن الأفضل قد غلب على اختياره وحكم عليه وزيره ضياء الدين نصر الله بن الأثير  
الجزري وقد أفسد أحوال دولته برأيه الفاسد وهو يحمل أخاك على مقاطعتك ويحسن له تقض  
اليمن ، فإن من شرطها صفو الوداد وحمّة النية — ولم يوجد ذلك ، فحنثهم في اليمن قد تحقق  
وبرئت أنت من العهدة ، فاقصد البلاد فلنأبى في يدك قبل أن يحصل في الدولة من الفساد  
ما لا يمكن تلافيه ، إن الله يسألك عن الرعية وهذا الرجل — يعني الأفضل — قد غرق في  
اللهو وشربه واستولى عليه الجزري وابن العجمي » .

وكان الأفضل لما انفصلت العساكر عن دمشق شرع ، على عادته ، يلهو ويلعب وتظاهر  
بلذاته واحتجب عن الرعية فسموه « الملك النوام » وفوض الأمر الى وزيره ضياء الدين  
نصر الله ابن الأثير وحاجبه جمال الدين محاسن بن العجمي فأفسدا الأحوال وكانا السبب في  
زوال دولته .

وبينما كان الأمر على ذلك فارق الأفضل شمس الدين أيدير بن السلار أحد أمرائه ووصل  
الى العزيز فساعد الأمير سامة على قصده ، ثم وصل الى العزيز أيضاً القاضي محيي الدين أبو  
حامد محمد بن عبد الله بن أبي عصرون فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية وضم إليه النظر في  
الأوقاف ، وحرضه القاضي <sup>(١)</sup> أيضاً وقال له : أنت لا تسلم يوم القيامة — يعني من الحساب

(١) ظنه مصححو النجوم الزاهرة ٦ : ١٢٢ « شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون ، بدلالة إدخاله  
في الفهرست مع موارد اسمه ، والصحيح أنه ابنه لأن شرف الدين كان قد توفي سنة ٥٨٥ .

والعقاب - وبلغ الأفضل ما قال سامة ومحيي الدين ابن أبي عصرون للعزير فأقنع عما كان عليه وتاب وندم على تفریطه وعاشر العلماء والصلحاء وشرع يكتب مصحفاً بخطه ولبس الخشن من الثياب وأخذ لنفسه مسجداً يخلو فيه بعبادة ربه وواظب على الصيام وبالغ في التقشف حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل .

وأما العزير فانه قطع خبز الفقيه السكّال الكردي من مصر ، فأفسد السكّال عليه جماعته وخرج الى العرب فجمع ونهب الاسكندرية ، فسار اليه العسكر فلم يظفروا به ، وقطع العزير أيضاً خبز جماعة من الأمراء والفقهاء ، فتركوه الى دمشق والتجؤوا الى الأفضل فأقطعهم إقطاعات . وتجدد الخلاف بين العزير والأفضل . وفي سنة « ٥٩١ » عزم العزير على السير الى دمشق والاستيلاء عليها ، فاستشار الأفضل أصحابه فيما يجب أن يفعله ، ففهم من أشار عليه بمكاتبة أخيه العزير واسترضائه . وأشار الوزير ضياء الدين نصر الله الأثير عليه بأن يمتصر بعمه العادل ويعتصم بقوته ويستنجد به على أخيه . فأصغى اليه الأفضل وخرج من دمشق في رابع عشر جمادى الأولى وسار جريده الى عمه العادل فلقبه بصّفين ، فلما نزل الحلف الأفضل في السؤال له أن ينزل عنده بدمشق ليحيره من أخيه العزير ، فأجابه وأنزله بقلعة جبر ثم سار الى دمشق أول جمادى الآخرة فوصل اليها في تاسعه . وكان قد دخل الأفضل حلب على البرية مستصرخاً أخاه الملك الظاهر غازياً ، فتلقاها وحلف له على المساعدة . وقيل إنه لما اجتاز بحلب اتفق مع أخيه الظاهر غازي وتحالفا ، ثم رحل عنها الى حماة فتلقاها ابن عمه الملك المنصور محمد بن المظفر وحلف له على المساعدة ، ثم سار عنه الى دمشق فدخلها في ثالث عشر جمادى الآخرة وبها العادل ، فأفضى اليه بأسراره وعلم العادل اختلال احوال الأفضل وسوء تدييره وقبح سيرته فأنحرف عنه ونهاه فلم ينته ، وأشار عليه بعزل ضياء الدين ابن الأثير عن الوزارة وقال له : هذا يخرب بيتك . فصار لا يلتفت إليه ، فحنق عليه ، ثم إن العادل سأل الظاهر غازياً في شيء فلم يجبه اليه ، فغضب لذلك العادل وانفرد عنهم .

وكان الملك الأفضل مع اختلافه في الرأي مع عمه العادل يباليغ في اكرامه وإزاحة علتته

حتى ترك له سنجقه وصار يركب في خدمته . وضاق صدر أخيه الظاهر غازي بهذه الحال ، وكان الظاهر قد نفر منه جماعة من الملوك والأمراء ومن هم في طاعته ، منهم صاحب حماة الملك المنصور ، وصاحب بارين عز الدين بن المقدم ، فراسلا الملك العادل في الاعتصام به ، وكان من جماعتهم بدر الدين دلدرم بن بهاء الدولة بن ياروق صاحب « تل باشر » فاعتقله الظاهر هو وبني عمه وطلب منه تسليم حصنه ، فشفع العادل فيهم وكفل بأن يكف أذاهم واستصحبهم الى دمشق فطلب منه الظاهر الوفاء بكفالاته فتمتدّر عليه ردّهم ، وتيسّر له ودّهم ، فغضب الظاهر لذلك وراسل العزيز يحثه على الاسراع في الفدوم ، فأقبل العزيز وخيم بالفوار .

وشرع العادل في تدبير أمور الأفاضل وكاتب الأمراء الأُسديّة من أصحاب العزيز سرّاً يحثهم على تركه والانتقال الى حزب الأفاضل واستمالهم ووعدهم الأموال والاقطاعات الصلاحية ، وكان الأمراء الصلاحيّون قد وقع بينهم وبين الأمراء الأُسديين تنافس لتقدم الصلاحية على الأُسديّة ، وكان الملك العزيز قد قدم الصلاحية ممالك أبيه على الأُسديّة ممالك عمه أسد الدين شيركوه وحواشيه الأكراد ، ثمّ دسّ العادل الأموال الى الأُسديّة وكان مقدم الأُسديّة وأمير أمراء الأكراد حسام الدين أبو الهيجاء السمين ، وكان العزيز قد عزله عن ولاية القدس ، فاجتمعت الأكراد اليه وراسل العادل الملك العزيز يخوفه من الأُسديّة ، ويعرفه ما انطوت عليه قلوبهم من الغل إتماماً للحيلة ، فكانوا إذا تقيهم عرفوا في وجهه التغير عليهم ، فرغبوا عنه وحسّنوا للأكراد موافقتهم في الانصراف عنه . ودارت الأكراد حول أبي الهيجاء السمين كما قدمنا ذكره وقالوا له : لا نأمن عليك من الناصرية . فأرموا أمرهم ومجّلوا رحيلهم ، فرحل أبو الهيجاء والمهرانية والأُسديّة عشية الاثنين رابع شوال من السنة ، ومعه « أزكش » وقصدوا دمشق ولحقوا بالملك العادل وهم في أمة الحرب ، فسّرّ بهم لأنهم معظم الجيش ، فأصبح العزيز فلم ير في انخيام من الأُسديّة أحداً ، وقيل : بل علم العزيز برحيلهم فما بالي بانصرافهم وقال « صفونا من أكرادهم » ولم يأمر أصحابه باتباعهم وردّهم ، وبقي في خواصه مقيماً في تلك الليلة ثمّ رحل عائداً الى مصر ، فجاء رسول أبي الهيجاء السمين الى العادل يعلمه برحيل العزيز خائفاً ويسدعوه الى

القدوم ليلحتموا العزيز ويأخذوه ويتسلموا ملك الديار المصرية ، وكان الأُسدية يكرهون العادل وانما دعيتهم الضرورة الى اتباعه . واتفق العادل مع ابن أخيه الأفضل على انتزاع مصر من العزيز ، على أن يكون للعادل الثلث وللأفضل الثلثان ، ورحلا من دمشق في جنودها وخرج معها الملك المنصور صاحب حماة وعز الدين بن المقدم وسابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وانضم اليهم عز الدين جرديك النوري نائب القدس ، وأعيد أبو الهيجا السمين الى نيابة القدس . وأما الملك العزيز فانه سار على طريق اللجون والرملة وخاف من الأُسدية الذين بقوا بالقاهرة أن يفعلوا فعل إخوانهم فيمنعوه من دخول القاهرة ، وكان مقدمهم الأمير بهاء الدين قراقوش نائباً عنه في الديار المصرية فلم يتغير ، وأقام على الطاعة والصفاء والمودة ، ودخل العزيز القاهرة واستقر في سلطنة مصر ، ولما وصل العادل والأفضل ومن معها الى تل العجول خلع الأفضل على جميع الأُسدية ، وعلى الأكراد الأفضلية وأعطاهم الصنوج المعروفة باسم الكوسات وساروا حتى نزلوا بلبس ، وبها جموع من الصلاحية والعزيزية . ومقدم الصلاحية نجر الدين جهاركس ، والأمير هكدرى بن يعلى الحميدي على طائفة الأكراد ، فنازلهم جيش العادل وجيش الأفضل ، واشتد الحصار على بلبس حتى كادت تؤخذ وضاق العزيز بالقاهرة وقلت الأموال عنده . وكان محبباً الى الرعية لما فيه من حسن السيرة وكثرة الكرم والرفق ، واحتاج الى استخدام الرجال فلم يجد مالاً فبذل له الأغنياء جملة أموال فلم يقبلها .

وتوقف الملك العادل عن القتال ولم ير انتزاع مصر من يد العزيز صواباً ، وظهرت منه قرائن تدل على أنه لا يؤثر سلطنة الأفضل على سلطنة العزيز فأرسل الى العزيز يطلب منه أن يبعث القاضي الفاضل ، وكان الفاضل قد تنزه عن ملابسة الدولة ومخالطة أهلها واعتزل في داره لما رأى من اختلال الأحوال ، فأرسل اليه العزيز يسأله السعي في الأمر فأبى وامتنع ، فتضرع اليه العزيز وأقسم عليه ، فخرج حينئذ الى العادل ، فاحترمه العادل وأكرمه وتحدثت معه في الأمر وعاد الى العزيز وتحدث معه فيه . فأرسل العزيز ابنيه الصغيرين مع مملوك له برسالة ظاهرة الى العادل مضمونها « البلاد بلادك وأنت السلطان ونحن رعيتهك ، لا تقاتلوا المسلمين ولا تسفكوا

دماءهم وقد أنفذت ولديّ يكونان تحت كفالة عمي العادل ، وأنا أنزل لكم عن البلاد وأمضي الى الغرب » . وكان ذلك بمشهد من الأمراء ، فرقّ العادل له وبكى الحاضرون وقل العادل متأثراً « معاذ الله ، وصل الأمر الى هذا الحد ! » .

وكان العادل قد قرّر مع القاضي الفاضل رد خبز<sup>(١)</sup> الأسديّة والاكراد وإقطاعهم وأملأهم وأن يقيم العادل بمصر عند العزيز ليقرّر قواعد مملكة وأن يصطلح الأفضل والعزيز ، وأن يبقى أبو الهيجاء على ولاية القدس ، ثم قال العادل للأفضل . « المصلحة أن تمضي الى أخيك العزيز وتصلحه ، ما عذرنا عند الله وعند الناس إذا فعلنا بآبن أخينا ما لا يليق ؟ » ففهم الأفضل أن العادل ندم على يمينه ورجع عنها ، وأنه اتفق مع العزيز على أخذ البلاد منه لكنه لم يمكنه إذ ذلك الكلام ومضى الى أخيه العزيز فاصطلحا ، وخرج العزيز من القاهرة الى بلبس فالتقاه عمه العادل وأخوه الأفضل ووقع الصلح .

ثم دخل العزيز والعادل والأسديّة الى القاهرة يوم الخميس رابع ذي الحجة من السنة وأنزل العزيز عمه العادل في القصر وأخذ العادل في اصلاح أمور مصر والنظر في ضياعها ورباعها وأظهر من محبة العزيز شيئاً زائداً ، وصار اليه الأمر والنهي والحكم والتصرف في سائر أمور الدولة جليلها وحقيرها .

وسلطن العادل ابن أخيه العزيز ومشى بين يديه بالفاشية وهي سرج من أديم مخروز بالذهب يخالها الناظر مصنوعة كلها من الذهب تحمل بين يدي السلطان في الاحتفالات . ولو أراد العادل مصر هذه المرّة لأخذها وإنما كان قصده الاصلاح بين الإخوة . وضبط العادل أمور مملكة مصر وغير الاقطاعات ووفّر الارتفاعات أي الواردات وثمر الأموال وقرب الى العزيز عز الدين سامة فصار صاحب سره وحاجبه .

ورحل الأفضل يريد الشام ومعه أبو الهيجاء السمين فوصل اليها في أول سنة ٥٩٢ وصار

(١) في النجوم الزاهرة > ٦ : ١٢٤ « طبعة القاهرة » رد خبز الأسديّة . والمصطلح للعماش والراتب إذ ذلك « الخبز » والجمع « الأخباز » .

الساحل جميعه مع الأفضل وفي حكمه ، ولزم هو العبادة وأقبل على الزهد ، وصارت أمور الدولة بأسرها مفوضة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير فاختلفت به الأحوال غاية الاختلال وقبحت أفعاله وكثر شاكوه . ولم ينتفع بالتجارب .

ثم حدث اختلاف ثالث بين العزيز والأفضل وهو أنه لما عاد الأفضل الى دمشق ازداد وزيره ضياء الدين الجزري من الأفعال القبيحة كما ذكرنا وأذى الأكار من الدولة وبلي الناس منه ببلايا والأفضل في غفلة عن تلك القضايا ، ونفر منه العماد الأصفهاني فارتحل الى مصر ، وكان الأفضل يقبل منه ولا يخالفه ولا يعدي أحداً عليه فكتب قيباز النجمي وأعيان الدولة الى العادل يشكونه ، فارسل العادل الى الأفضل يقول له : « ارفع يد هذا الأحمق السيء التدبير ، القليل التوفيق » فلم يلتفت الى قول عمه ، فاتفق العادل وابن أخيه العزيز على المسير الى الشام لازالة الوزير ضياء الدين بن الاثير من الوزارة وتدبير حكم الشام ووقع الرحيل من بركة الجب ثامن شهر ربيع الآخر من سنة ٥٩٢ بعد أن لم يسكن العزيز يريد السفر ، ولكن عمه أشار عليه بأن يوافقه على المسير ويرافقه فيه ، فرآه عين التدبير وكان معها جميع الأسدية والمهاليك .

ووصل العادل والعزيز الى الداروم<sup>(١)</sup> وأمر العادل باخرا ب حصنها فقسم بين الجاندارية والأمراء ، فشق على الناس إخرا به لما كان به من المرفق للمسافرين وانتهى الملكان الى دمشق . وكان الملك الزاهر مجير الدين داود بن صلاح الدين قدم رسولا من حلب الى أخيه العزيز من قبل أخيه الظاهر غازي لتسكين هذا الريح الثائر ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر والقاضي بهاء الدين يوسف ابن شداد ثم انصرفوا من مصر بما طلبوا فمروا بدمشق فأعلموا الملك الأفضل بما أبرم من الأمر ، فضاق صدره وطال فكره واستشار أصحابه فأشار عليه شيوخ الدولة بأن يستقبل عمه وأخاه ويسلم لهما حكمهما وأشار عليه وزيره ضياء الدين بن الاثير وأصحابه بالتصميم على المخالفة ، وترك الجملة والملاطفة ، ثم دخل عليه أخوه الملك الظاهر خضر ، فشجعه وصبره وتولى أسباب الدفاع ،

(١) في معجم البلدان أن الداروم قلعة بعد غزة للقاصد الى مصر خربها صلاح الدين لما ملك الساحل سنة ٥٨٤ والخير يدل على أنها عمرت ثم أخرب حصنها .

ثم حلفوا الأمراء والمقدمين ، وأعدوا مواضع الدفاع ورتبوا رجالاً حوالي دمشق يتناوبون حراستها بكرة وأصيلاً ، وتفرق الأمراء على الأسوار والأبراج وجاءت رسل الملك الظاهر لأظهار مظاهره الأفضل ، وندب الأفضل فلك الدين أخا العادل إليه منه رسولاً فوصل فلك الدين الى المعسكر العزيزي بالداروم وغزة فلم يلق عند العزيز غير الإباء والامتناع ، فبقي فلك الدين هناك أياماً لإصلاح ذات البين ، ولاشك أنهم اشترطوا على الأفضل شروطاً وأعادوا الرسول الى صاحبه ، وأقاموا ينتظرون الجواب ، فجاءهم من أنبأهم بامتناع الأفضل من الإجابة إلى ما اشترطوا .

ولما رأى الأكبر وشيوخ الدولة أن الأفضل لا يسمع من رأيهم وأنه عازم على المحاربة ولا يعدل عن رأي وزيره ضياء الدين بن الأثير مع ما قد عرفه وألفه من شؤم تدبيره شرعوا في إصلاح أمورهم في الباطن ، فراسلوا العادل والعزيز ، واستظهر كل لنفسه ، واتفق العادل مع عز الدين بن المحصي على فتح الباب الشرقي من دمشق وكان مسلماً إليه ، فلما كان يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب ركب العادل والعزيز وجاءا إلى الباب الشرقي ففتحه ابن المحصي فدخل دمشق من غير قتال وقال العماد الأصفهاني الكاتب : « فكتب الأولياء من البلد الى العزيز والعادل بانتهاز الفرصة فركبوا ونأهبوا يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب فما صدقهم عن قصد البلد أحد ، وما كان في طريقهم إلا الملك الظاهر ومعه عسكر حلب فقاتل على ظن قتال الجماعة ، وما عنده علم بما دبروه من الخامرة ، فحادوا ولم يكثرثوا ، ووصل العزيز الى الميدان الأخضر ووصل العادل الى باب توما وكان الأمير الأمين به قد استنهضه اليه بكتبه ، ففتحه له فدخل العادل وأصحابه من باب توما والباب الشرقي ، وبات العادل في الدار الأسدية ، ودخل العزيز من باب الفرج وبات في دار عمته الحسامية » وقال ابن تغري بردي : « فنزل العزيز دار عمته ست الشام ونزل العادل دار العقيقي ، ونزل الأفضل اليهما وهما بدار العقيقي فدخل عليهما وبكى بكاءً شديداً ، فأمره العزيز بالانتقال من دمشق الى صرخد ، فأخرج وزيره ضياء الدين ابن الأثير بالليل في جملة الصناديق خوفاً عليه من القتل ، فأخذ ضياء الدين أموالاً عظيمة وهرب الى بلاده » . وقال العماد الأصفهاني « وخرج الأفضل الى العزيز ولقيه ، وتجرع من



ثم زوال ملكه ما ستميه ، فلما ملك العزيز دمشق أقام بالميدان الأخضر الكبير الى أن انتقل  
الأفضل من القلعة بأهله وأصحابه ، وأخرج وزيره الجزري مخفياً في صناديقه ، إشفافاً عليه من  
قتله وتحريقه ، وتحول الأفضل تلك الأيام الى مسجد خاتون وما يجاوره ، ومعه وزيره فهرب  
ليلاً الى بلاده وقد ادّخر فيها أموال دمشق وأعمالها ثلاث سنين .

وقال المقرئ : « فلما أخذ العادل والعزيز دمشق نزل الأفضل من القلعة اليها فاستحيا  
العادل منه . لانه ( هو ) الذي حمل العزيز على ذلك ليوطي ، لنفسه ، كما يأتي ، وأمره أن يعود الى  
القلعة فلم يزل بها أربعة أيام حتى بعث اليه العزيز أيبك فطيس أمير جاندار وصارم الدين  
خطلخ أستاذ الدار ، فأخرجاه وأخرجوا عياله وعيال أبيه وأنزل في مكان ، وأوفى ما كان عليه من  
دين وما للحواشي من الجوامك ، فبلغ ذلك نيفاً وعشرين ألف دينار ، فبيع بركة (١) وجماله  
وبغاله وكتبه ومما ليك وسائر ماله ، فلم توف بما عليه ، وقسا عليه أخوه وعمه لسوء حظه ، ثم  
بعث اليه عمه العادل يأمره أن يسير الى صرخد فلم يجد عنده من يسيره بأهله حتى بعث اليه  
جمال الدين محاسن عشرة أوصوله الى صرخد ، وأخذت من الملك الظافر مظفر الدين خضر  
« بُصرى » وأعطيت للملك العادل ، وأمر الظافر أن يسير الى حلب فلحق بأخيه الظاهر . وفي  
هذه الحادثة يقول ابن خلكان في ترجمة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين « والأفضل شعر فن  
المنسوب أنه كتب الى الامام الناصر يشكو من عمه العادل وأخيه العزيز لما أخذاه منه دمشق :  
مولاي إن أبا بكر وصاحبه (٢) ...

وهي أبيات ولدت عليه ووَلد جوابها على الخليفة الناصر لدين الله ، قال أبو المظفر سبط ابن  
الجوزي : « ومما يعزى اليه من الشعر أنه كتب الى الخليفة لما أخرج من دمشق واتفق عليه  
العادل والعزيز : مولاي إن أبا بكر وصاحبه ... وبلغني أنه كان ينكر هذا الشعر أنه له (٣) .

(١) البرك : المتاع الحاس من ثياب وقماش .

(٢) تراجم الأبيات في الوفيات ١ : ٤٠٨ من طبعة بلاد العجم .

(٣) المرأة « مختصر ج ٨ ص ٦٣٨ » من طبعة حيدر آباد الدكن .

قال المقرئزي : ويقال إن العادل كان قد قرّر مع الملك العزيز وهو بالقاهرة أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ويعود العادل الى مصر نائباً عن العزيز ، فلما ملك العزيز دمشق وأخرج أخاه الأفضل منها انكشفت مستورات مكايده معه فندم على ما قرّره معه وبعث الى أخيه الأفضل سرّاً يعتذر اليه ويقول له : لا تنزل عن ملك دمشق « فظنّ الأفضل هذا من أخيه خديعة وأعلم العادل به فقامت قيامته وعتب العزيز وأنبهه ، فأنكر أن يكون صدر منه هذا وحنق على أخيه الأفضل وأخرجه الى صرخد على أقبح صورة . واختفى الوزير ضياء الدين الجزري خوفاً من القتل ثم لحق بالموصل (١) » .

وبما قدمنا من أخبار مفصلة يظهر أن نصر الله بن الأثير كان عقيم السياسة ، عنيداً خالياً من الحكمة ، وأنه أفسد على مخدمه الملك الأفضل مملكته واحتجج أموالها وهرب بها الى الموصل ، ومن هنا يظهر نوع من نفسية الكتاب الذين إذا تولوا أمراً من أمور الدولة وشأناً من شؤونها ، فعلوا الأفاعيل المنكرة ، وهذا وإن أعظم أسباب انحراف العادل عن ابن أخيه الأفضل هو إقراره لابن الأثير على الوزارة مع شدة رغبة العادل وأكثر الأعمراء في عزله عنها ، وإنما كان العادل يبغض نصر الله بن الأثير لفساد رأيه وشدة قله في مراسلته ، فن ذلك كتاب كتبه عن الأفضل الى عمه العادل وفيه يظهر أسلوبه الجليل ، ونصه :

« ندمت على أمر مضى لم يُشر به نصيح ولم يجمع قواه نظامٌ

ربّ وثوق يقود الى الندم ، وتودّد يدعو الى التهم ، وقد يدلّ الحلم على صاحبه ، ويُطمع في جانبه ، ولولا ذلك لما استلّين عودي فعُجم ، واستضعف ركني فهُدم ، ولا اشكو ما أشكوه إلا الى عمي ، وصنو أبي الذي نفره نفرى ، وهو الذي قلب فؤاقي على وري ، وعلمي التظلم من الأيام ، وأراني ضوء النهار بعين الاظلام ، ولقد أضع في إحسانه ، وخالف في قطع رحمي

(١) راجع في جميع هذه الأخبار « الروضتين ٢ : ٢٢٨ — ٢٣١ » والسلك « ١ : ١١٦ — ١٣٥ » والنجوم الزاهرة « ٦ : ١٢٠ — ٥ » والمرآة « ٨ : ٤٣٥ ، ٤٤١ » . ولم نقل من الكامل لعز الدين بن الأثير لأنه طوى ذكر أخيه نصر الله تعصّباً له مع أنه رأس الفتنة .

سنة الله وكتابه ، وجمل أيامي منه كيوم البعث الذي يتناكر الناس في انسابه واسبابه . هذا وقد علم أنني اتخذته أباً أرجو برّه ، ومولى أطيع أمره ، وكنت له كنانة لا يطيش لها سهم ، ولا يؤسى منها كلم ، ولم أزل ساعياً في تقديم أوده ، وإعلاء كلمته وبده ، وانتهى بي الجد في ذلك إلى أنني شافقت بني أبي لمواصلته ، وقابحتهم لمجاملته ، وشققت في توخي إثارة عصام ، وجعلت أدناهم إلى أقصاهم ، حتى أصبحت من إخوانهم عربياً ، وكنت تميمياً فصرت بكربياً ، هذا ولم يزل يحذرنى منه النصاح ذوو السرائر ، وأولو الأبصار والبصائر ، ويقولون : هذا يخذعك بكبيده ، ويجعلك حباً لشبكة صيده ، فما فتحت لأقوالهم سمماً ، ولا وجدت لها مني موقماً ولا وقماً ، بل مضيت على ما أنا عليه من شدّ يدي بمآلاته ، وعقد قلبي على موالاته ، وقات : هذا العضد وهذا الساعد ، وهذا العم الذي إذا مضى الوالد فهو الوالد ، وقد بدأت بالاحسان الذي أظن أنه أهله ، وليس جزاؤه عند الأحرار مثله ، ولم أعلم أنه خمر بواديه ، ونصب لي أشراك عواديه ، فليشد ما نبذ ذمة الرحم خلفه ظهرياً ، واتخذ العهد الذي في عنقه شيئاً قريباً ، وانقلب ما كان يظهره من طيب الأقوال ، إلى ما كان يضمه من خبيث الأفعال ، فلقيت منه ما لقي مجير أم عامر ، وكافأني مكافأة التمساح للطائر ، وأنا راج أن يقاتله إحساني الذي كفره وما شكره ، ونسيه متعمداً وما ذكره ، فإن للاحسان جنوداً ترمي في غير سهام ، وتقاتل في كل معترك بحسام ، وتؤيد بالنصر في كل مقام ، ومن شأنها أنها تناضل ولا يشعر بنضالها ، وتسري فتحول بين الظلمة وآمالها ، فكم ثنت من يد قبضت على سيفها ، ودعت إلى حيفها ، وما أمسكت يد جود ، وعنان ججود ، إلا غدا صاحبها صريعاً ، ولم يجد له من دون الله تبعاً ، فينبغي له أن يراجع نظره فيما أتاه ، وأن يجتنب قول موسى لفتاه ، ولا يكن ممن اطمأن إلى مسألة زمانه ، واطراد أمر سلطانه ، فإنها الأيام التي ما سالت الا حارِب ، ولا واصلت إلا جانب ، ولا تأتي هومها إلا من جهة أفرانها ، كما لاتأتي ظلمة ليلها إلا من مطلع صباحها ، ولطالما أعجزت قديراً ، وزعزعت سريراً ، وأذهبت نعيماً وملسكاً كبيراً « وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونأ بين ذلك كثيراً » فإن كان يُبعد العهد بهؤلاء أنساء الاعتبار ، وأوجب له

الاعتزاز فليُنظر الى ما رآه عياناً ، وكان له سلطاناً ، وهو أخوه الذي خفت في الآفاق ذؤابة  
علمه ، واستجابات الدول لأمر سيفه وقلمه ، وكان أثبت منه ملكاً ، وأوسع بلاداً ، وأكثر  
أموالاً وأولاداً ، فشت الأيام على دولته فعفت آثارها ، واختفت أخبارها . هذا ولم يزل يجبل  
قلوب الناس على الحسنى ، ويفرس فيها ما يرجو منه طيب المجنى ، وقد رأيت ما فعلوه بينه  
وما بالمهد من قدم ، وما بالقوم عن ذلك الاحسان عمى ولا صمم ، فكيف ترجو أنت مع الاساءة  
أن يستمسكوا بسبيك ، أو يحسنوا الخلافة عنك في عقبك ، هيهات تلك أما في النفس المائنة ،  
ودواعي الهوى الخائنة ، وأنا أعظك أن تكون ممن تولى فقطع رحمة ، وخفر ذممه ، فإن كل  
دنيا ستنصرم ، وكل من حكم عليه ظلماً سيحتكم . « والذين أصابهم البني هم ينتصرون » .  
وقد بلغني أنه يتوعدني بنكره ، ويوقد علي أحناء صدره ، وأنه تآلى على الله ليأخذني على يدي ،  
ويلبسني يومي بندي ، ويوشك أنه أخذ من الله موثقاً بالخلود ، وتابعته الأقدار على اقتسار  
الجدود ، ومع اليوم وغد ، وما من يد إلا والله فوقها يد ، وكم بغي في هذه الأرض من باغ  
ففوجي ، بالتدفيع والتدمير ، وحالت الأيام بينه وبين ما يقدره من المقادير « وكأين من قرية  
أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير » ولئن هزنتي منه هذه النبوة التي طاشت لها  
الأحلام ، وزلزلت فيها الأقدام ، فما خف لها الآن جبلي ، ولا تصرفت فيها بحولي ولا بحيلي ،  
لكنتي قد مدت الجبل معه الى آخره ، وارتقت ما تصير اليه عقبي مصايره ، وأنا أدعوه الى  
كلمة سواء بيني وبينه أن يعني أحدنا على صاحبه ، ولا يذهب غير مذهب .

فان تدعني للشرّ أسرع وإن نهب بصلحي فقد أبقيت للصلح موضعاً

ويعز عليّ أن أعصد شجرة أنا من أصلها ، أو أوفر داراً أنا من أهلها ، فأكون في ذلك  
كن فدى بمهجته الدامية عن يده الرامية ، ولولا ذلك لا ترمتها فتنة تخشى مراكبها ، وتحمر  
غواربها ، وتنبج عواقبها ، وتكون دخاناً ينفث الناس منه عذاب أليم ، ولا ينجو منه بر ولا أئيم ،  
ولا بري ، ولا سقيم ، ولكنتي وضعت له جنبي ، وكففت عنه غربي ، وفارقت الأحداث وطلقتها  
ولزمت الدعة وتعلقتها ، فلا يعمثني على مراجعة الحال المطلقة ، ولا يحملني بعد سبيل الطاعة

على السبل المتفرقة ، فلقد أبيض للمضطر أن يركب كل محذور محذور ، ويستخلص حقه بالحق والزور ، ويدفع ظلامته بما وجد من السبيل وهو معذور ، وإذا أخرج الحلیم خرج من شيمه ، وانتضيت النار من وارق سَلَمِهِ ، فلا يظنُّ أنَّ قد حي لباريه ، ولا لبلي لساربه ، وقد طالما بُلي عزمي فوجد نفاذاً في الأُسداد ، طلاعاً للأُنجاد ، فما قدح إلا أسرج ، ولا كوى (١) إلا أنضج ، ولا جهز بمثماً من بعوثة إلا غنيت آراؤه عن جنود شهّد ، أو عصفت سيوف من رؤوس ركد ، وذلك العزم باق لم يبن ولم يهن ، ومتى استطارت ناره ملأت الاقطار ، وسبقت الحذار ، وقلبت القلوب والأبصار ، والتجربة تنصحك (٢) أن توقظ شراً قد استدام مكانه ومنامه ، وكره الله والناس أن تستعاد أيامه . فإنَّ ذلك السيف في يد القاتل ، وربما زاد الآجل على ما تقدم من العاجل والسلام (٣) .

وبمثل هذا الكتاب الملائن من السبب ، المحشور بزخرف القول ألب نصر الله بن الأثير الناس على الملك الأفضل وخصوصاً عمه ، فإن مثل هذا الكلام لا يخاطب به رجل كان العضد الأيمن للدولة الأيوبية والسيف الحسام لصالح الدين الأيوبي ، الذي خاض الحروب وكابد الكروب في المعارك الاسلامية والوقائع الصليبية ، حتى شاب فيها ، وليست الأفعال تسطير السطور ، ولا تهويلاً بأمانى الغرور كما في هذا الكتاب .

أجل هرب نصر الله بن الأثير بالأموال التي احتجتها من مملكة الأفضل الى الموصل ، ولما توصل الأفضل الى الاتابكية أي الوصاية التربوية على الملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان بمصر بعد وفاة العزيز سنة ٥٩٥ بقليل التحق به نصر الله بن الأثير وقيل : بل صار اليه قبل ذلك وصحبه الى مصر . وينقض هذا القول ما ذكره هو في المثل السائر « ص ١٠٧ » من أنه كتب الى الأفضل سنة ٥٩٥ كتاباً يهنئه فيه بملك مصر ، ولحقه شؤمه أيضاً فإن الملك العادل الذي ناله من

(١) ليته قال « وما شوى إلا انضج » فأما السكي فيستعمل معه « الاحراق » .

(٢) أي تمنحك .

(٣) الجزء الثاني من رسائل ضياء الدين بن الأثير « نسخة الجامعة الأميركية بيروت P ٦٢ T. A

W. S. ٨٩٢ . ٧٦ ص ٣٩ — ٤٧ » .

قوارص ابن الأثير ما ناله انتزع مصر من الملك الأفضل لاستحكام العداوة بينها ، وعوضه منها بلاداً من بلدان الجزيرة ، ولم يبق بيده منها إلا سميساط<sup>(١)</sup> . وكيف جرؤ على كتب هذا الكتاب من كان يمتدّر إلى عمه بمثل قوله في كتاب آخر يستعطفه ويتصل إليه : « من شيمة الأقدار أن تذهب ببصائر ذوي الألباب ، ويمثل لهم الخطأ في مثال الصواب ، ولولا ذلك لما زل الحكيم ، واعوج المستقيم . والملوك تقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العادلية لا زال عرفها مأمولاً ، واحسانها عند الله مقبولاً ، وفعلها في المكرمات مبتدعاً ، إذا كان فعل الأيادي مفعولاً ، وتستغيث الى عفوها ، الذي يكفي فيه لفضلة الاعتذار ، ولا ينفد بمواظبة الأصار ، ولو عرف ذنبه باديا لقرع له سنّ الندامة ، وعاد على نفسه بالملامة ، ولما كان عجيباً أن يكون مليماً ، وأن يكون مولانا كريماً ، ولكنه حمل إصرة الذنب وهو بريء من حملها ، وخاف أن تكون هذه كأخواتها التي سلفت من قبلها ، والأمر التشابهة يقاس البعض منها على البعض ، والموسع لا يستطيع أن يرى بحر جبل على الأرض ، ولم يجترم المملوك الآن جريمة سوى أن فر الى الاعتصام ، وألقى بيده الى أقوام لم يكونوا له بأقوام ، وإذا ضاق على المرء أقربه كان الأبعد له من ذوي الأرحام ، وليس بأول من ذهب هذا المذهب ، ولا بأول من حمل نفسه على ركوب هذا المركب ، ولئن قال بعض الناس إنه مجل في اعتصامه وفراره وأنه لو صبر لجد مغبة اصطباره فهذا قول من لم يعرف حال المملوك فيقيم له عذراً ، ولا ابتلي بما ابتلي به من قوارص مولانا مرة بعد أخرى ، ولقد تكاثرت عليه هذه الأقوال المؤنبه حتى ملأت طرفه كحل السهاد ، وجنبه شوك القتاد ، وأصبح وهو يرى أنه زلق في خطيئته زلقاً ، وغصّ بنومه من أجلمها شرقاً ، وبدت له سوائه حتى طفق يخصف عليها ورقاً ، ومع هذا فإنه واثق أن حلم مولانا لا يؤتى من الزلل ، وأن حصاة الذنوب لا تخف بوزن ذلك الجبل ، وها هو قد جاء نازعاً وللنازع العتي ، وعاد مستشفعاً ولا شفيع اكرم من القربى<sup>(٢)</sup> ... »

(١) مدينة كانت على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم أي تركية الحديثة غربي الفرات ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن قال ياقوت : ومالكها في هذا الزمان الملك الأفضل علي ابن الملك الناصر يوسف ابن أيوب صلاح الدين .

(٢) المثل السائر « ص ٤٧ » طبعة المطبعة البهية بمصر سنة ١٣١٢ .

وخرج الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين من مصر ولم يخرج نصر الله بن الاثير في خدمته لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يريدون الفتك به ، فخرج منها مستتراً . وله في كيفية خروجه مستتراً رسالة طويلة شرح فيها حاله وهي في ديوان رسائله ، وغاب عن خدمته الأفضل برهة قصيرة ولما استقر الأفضل في سبساط عاد نصر الله الى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة سنة ٦٠٧ . واتصل بخدمته أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره ، وخرج من حلب مغاضباً وعاد الى بلده الموصل فلم تستقم حاله فيها ، فذهب الى إربل فدخلها في شهر ربيع الأول سنة « ٦١١ » فلم يجد فيها منغى ، فسافر الى سنجار ولم يجدها قراراً ثم عاد الى الموصل وصمم الإقامة فيها وصار كاتب الانشاء للملكها القاهر عز الدين مسعود الثاني وابنه ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني بن نور الدين ارسلان شاه وأتابكه يومئذ بدر الدين لؤلؤ النوري وذلك في سنة « ٦١٨ » قال ابن خلكان : « ولقد ترددت من إربل الى الموصل أكثر من عشر مرات ونصر الله بن الاثير مقيم بها وكنت أود الاجتماع به ، لآخذ عنه شيئاً لما كان بينه وبين الوالد - رحمه الله تعالى - من المودة فلم يتفق لي ذلك ، ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت الى الشام وأقت به بمقدار عشر سنين ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة ... وتوفي في إحدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد وقد توجه اليها رسولاً من جهة صاحب الموصل ، وصلي عليه من الغد بجامع القصر<sup>(١)</sup> ودفن بمقابر قریش<sup>(٢)</sup> في مشهد موسى ابن جعفر - سلام الله عليهما - قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في تاريخ بغداد : توفي نصر الله بن الاثير يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة . وهو أخبر لأنه صاحب هذا الفن وكان عندهم » . ونقل القول الثاني جمال الدين محمد بن علي

(١) من بقاياها جامع سوق الغزل الجديد المشيد أيام الحكم العثماني بالعراق وكان جامع القصر يسمى أيضاً « جامع الخليفة » ، ثم سمي في العهد العثماني « جامع الخلفاء » وكان يصلى فيه على جنازة كل كبير من أرباب الدولة والعلماء والفضلاء والفقهاء ، وهو تشریف رسمي للتوفى ، ويصدر الأمر أو الاجازة من ديوان الخلافة .  
(٢) أى السكاظية الحالية .

المعروف بابن الصابوني في كتابه المؤلف في الانساب المعروف بتكملة إكمال السكّال وقد قدمنا نقلاً منه .

وقال مؤرخ آخر « دفن في صحن مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام<sup>(١)</sup> - . وجاء في ذيل الروضتين لأبي شامة أنه « توفي بالمورقة من بغداد وهو مرسل اليها » هكذا جاء الاسم في نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٥٢ ورقة ١٨٦ والنسخة المطبوعة على يد عزت العطار الحسيني وهي مشوهة « ص ١٦٩ » ولعل الأصل « المزرفة » وكانت على دجلة فوق بغداد .  
وقد جاء في المثل السائر كتب لمؤلفه كتبها عن الملك الأفضل تفيد في تعيين مواضع من سيرته السياسية ففي « ص ٤٦ » يقول : « ومن ذلك ما كتبتة عن الملك الأفضل علي بن يوسف الى الديوان العزيز النبوي ببغداد ... »

وفي « ص ٤٧ » منه يقول : « ومن ذلك ما كتبتة عنه الى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب من كتاب يتضمن استمطافه والتنصل اليه . » وقد نقلناه من قبل ، وقال « ص ٢٦٦ » :  
« وأما ما أتيت فيه بالحسن من المعاني ولكنه غير مخترع فن ذلك مطلع كتاب كتبتة عن الملك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل الى الملك الأفضل علي بن يوسف يتضمن تعزيتة وتهنئته ، أما التعزية فب وفاة أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر ، وأما التهنئة فبوراثة الملك من بعده ... »

### أوصاف المؤرخين والأدباء له

قال جمال الدين أبو حامد محمد بن علي المعروف بابن الصابوني في الاستدراك على مؤلف إكمال السكّال : « وذكر في باب الأثير جماعة منهم الأخوان الفاضلان أبو السعادات المبارك وأبو الحسن علي ابنا محمد بن عبد الكريم الجزري وأغفل ذكر أخيها الوزير الفاضل أبي الفتح نصر الله فانه كان فريد دهره ، ووجبه عصره ، في صناعة الكتابة والانشاء وله التصانيف البديعة

(١) التأريخ الذي سميناه « الحوادث الجامعة ص ١٣٦ » .



والرسائل الصنيعة ، ختم به هذا الشأن ، وسار ذكره في جميع الأقطار والبلدان ... وأجاز لي مسموعه ومنثوره ومنظومه (١) .

وقال ياقوت الحموي في « جزيرة ابن عمر » وقد نقلنا قوله آناً من معجم البلدان : « وبنو الأثير العلماء والأدباء وهم مجد الدين المبارك وضياء الدين نصر الله وعز الدين أبو الحسن علي ... كل منهم إمام ، مات مجد الدين والآخرون حيان في سنة ٦٢٦ » .

وقال زكي الدين المنذري : « وفي إحدى الجملدين توفي القاضي (٢) الأجل الفاضل أبو الفتح نصر الله بن محمد ... المنعوت بالضياء المعروف بابن الأثير ببغداد وله تصانيف مشهورة في النظم والنثر منها المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وغير ذلك (٣) ... » .

وقال ابن خلكان : « ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نُبله كتابه الذي سماه ( المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر ) وهو في مجلدين جمع فيه فأوعى ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ... وله كل معنى مليح في الترسل وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله فإذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها ، وكان بينها مكاتبات ومجاوبات ولم يكن له في النظم شيء حسن (٤) ... » .

وقال مؤلف كتاب الحوادث الذي سمناه بالحوادث الجامعة « ص ١٣٦ » : « كان كاتباً عالماً فاضلاً متفنناً في علم الكتابة ، مقتدرًا على الانشاء ، ورد الى بغداد مراراً في رسائل من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ... » .

(١) « تكلمة اكبال الكمال ، نسخة الأوقاف ببغداد ٨٥٢ الورقة ٧٧ » .

(٢) اعتاد المصريون أن يطلقوا لقب « القاضي » على غير القضاة من الكتاب والفضلاء كالقاضي الفاضل ومن ذلك تلقب المنذري نصر الله بن الأثير بهذا اللقب .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ٢ « ص ٢٥٥ » .

(٤) الوفيات « ٢ : ٢٨٧ — ٢٩١ » طبعة بلاد العجم ونقل أكثر ما في الوفيات قطب الدين اليونيني من ذيل مهارة الزمان ج ١ ص ٦٤ « طبعة حيدر أباد الدكسن .

وقال جمال الدين أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي في تاريخه « المسجد المسبوك » :  
« كان بارعاً في فنون الأدب ، كاتباً بليغاً وصدرًا نبيلاً ، عالماً متفمناً في علم الكتابة ، مصدرًا  
على الإنشاء ، وكتابة الرسائل [ رأساً ] في المعاني المحترعة واليه انتهى علم الكتابة في زمانه وبه ختم  
فن البلاغة وله عدة تصانيف حسنة مفيدة وله رسائل مدونه (١) » .

---

(١) المسجد المسبوك « الورقة ١٥٧ » من نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

## سيرته الأدبية

وبعد ، فقد مرَّ بك ان ابن الأثير ، عاش في عصر الحروب الصليبية ؛ عصر الفتن والحروب والقتال وعصر التنازع بين الدويلات الاسلامية ، ولم يكن الرجل بمعزل عن الحياة الصاخبة ، كان وزيراً مباشراً للسياسة والملك ، متنقلاً من بلد الى بلد ومن أمير الى أمير ، كتب لصالح الدين بمصر والشام ، ووزر لابنه الأفضل بالشام ، والتحق بصاحب حلب غازي ابن صلاح الدين ، والتحق بصاحب الموصل واتصل بأولي الأمر وافداً ورسولاً في بغداد . وحياته قبل أن يتصل بصلاح الدين ليست بسذات خطر ، ولذلك لا تكاد تجد المؤرخين يتحدثون عنها حين يتحدثون عنه ، ولكنها تبدأ بصلته بصلاح الدين ، وقد اتصل به بعد أن كملت أداته ونضج ؛ يقول ابن خلكان <sup>(١)</sup> وقد ذكرنا قوله من قبل « ولما كملت لضيء الدين الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين ... في شهر ربيع الأول سنة سبع ثمانين وخمسمائة فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من السنة ... » واذا ما علمت أنه توفي سنة ٦٣٧ وأنه توفي وافداً الى بغداد ، وكان قد توجه اليها رسولاً من صاحب <sup>(٢)</sup> الموصل ، اذا ما علمت هذا رأيت أن ابن الأثير قضى خمسين عاماً ، بعد إكمال أدواته كما يقول ابن خلكان ، وكان حركة لانهما في السياسة والعلم ؛ كان يتنقل في البلدان وافداً على الملوك والأمراء ، وكان على معرفة بلغات عصره على ما يبدو لنا يقول : « وكنت سافرت الى بلاد الروم في سنة ستائة ، فلما دخلت مدينة ملطية اخبرت عن خطيبها ان عنده أدباً ، وأنه يقول الشعر ، فقصدت لقاءه وألفيته كما

(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٥ طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٩ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٢ .

(٣) الوثنى المرقوم ص ٧١ - ٧٢ ، طبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٨ .

أخبرت عنه . وعرض عليّ قصيداً من شعره ، وهي مائة بيت ؛ كل عشرين منها على لغة ، فكان متضمناً خمس لغات : العربية والفارسية والتركية والرومية والأرمنية ، فالجميع على وزن واحد ، وقافية واحدة ، إلا أنه كان في غير اللغة العربية أربع منه في اللغة العربية ، وهذا من أغرب ما شاهدته ... » وترى من هذا ان ابن الأثير كان — لا يفتأ يقصد أهل العلم ، ويتحدث اليهم ، وترى انه عارف بهذه اللغات معرفة يستطيع أن يفرق فيها بين الجيد والرديء من الشعر، حتى يرى شعر خطيب ملطية في غير العربية أحسن منه بالعربية ، وتراه في غير ماكان من كتبه يشير الى معرفته باللغات وقراءته فيها ، يقول وهو يتحدث عن الكناية والتعريض « في كتابه المثل السائر » واعلم<sup>(١)</sup> أن هذين التسمين من الكناية والتعريض ، قد وردا في غير اللغة العربية ، ووجدتها كثيراً في اللغة السريانية ، فإن الإنجيل الذي في أيدي النصارى قد أتى منها بالكثير . ومما وجدته من الكناية في لغة الفرس أنه كان رجل من أساورة كسرى وخواصه ، فقيل له : إن الملك يختلف الى أمراتك فهجرها لذلك ... » .

ويقول في موضع آخر من كتابه : وهذا الكتاب على لغة اليونان<sup>(٢)</sup> وأول كتاب الفصول لأبقراط في الطب قوله : العمر قصير ، والصناعة طويلة . وربما لا نوجب أن نرى الرجل يعرف هذه اللغات ، لأن عصره عصر اختلطت فيه الأمم المختلفة والحضارات المختلفة ، وكان يحسن به وهو الوزير ، أن يعرف هذه اللغات التي قد يحتاج الى أن يقرأ بها وأن يكتب بها في بعض الأحيان .

ولم يكن ابن الأثير بالرجل الجبان الذي يحسن الكتابة ، ولا يشهد الحروب ؛ كان يرافق صلاح الدين ، ويشهد الحرب معه ويدوق حلاوة النصر وخيبة الهزيمة ، يعرض للحديث عن هذا في رسائله يقول : « وكنت<sup>(٣)</sup> في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو الكافر من الفرنج ، لعنهم الله ، وتقابل الفريقان على مدينة يافا ، وكان الى

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٢١٥ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٨١ .

(٣) المثل السائر « ج ١ ص ٥٥ » .

جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين ، فتعاقدوا على الحملة الى نحو العدو ، فلما حملوا صدق منهم اثنان وتلكأ واحد ...» وراه في غير ما موضع من كتبه ورسائله يفيض في وصف الحرب وآلاتها ، ويتحدث عن القتال فيقول (١) :

« وسبق ألم الموت ألم الجراح ، ونفذت غير مخفية لسرعتها أسنة الرماح ، وحصل القوم في القبضة ، وذموا عقبي النهضة ، وجيء بالأسرى مقرنين بالأصفاذ ، موقنين أن رؤوسهم عواري عن تلك الأجساد ، ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لأنكره ، ولا يودُّ - وهو المعظم - أن يقال ما أعظمه بل يقال : ما أحقره ، ونصرفت أيدي المسلمين في القتل والنهب ، وكان للسيف رقاب وللسبي رقاب ... » .

وقد يعمد الى وصف بعض آلات الحرب ويقول في المنجنيق « (٢) ... ونصب المنجنيق ، فجم بين يدي السور مناصباً ، وبسط كفه اليه موائباً ، ثم تولى عقوبته بعصاه التي تفتك بأحجاره ، واذا عصى عليها بلد أخذت في تأديب أسواره ، فما كان الا أن استمرت عقوبتها عليه ، حتى صار قائمة حصيداً ، وعاصيه مستقيداً ... » .

هذه الحياة الصاخبة التي تقلب فيها ابن الاثير هيأت له مادة الوصف ، ومادة الكتابة الإنشائية ، ويبدو لنا أن رسائله الكثيرة التي لم تنشر بعد ستكون سجلاً حافلاً بحياة الحرب وحياة العلم والسياسة في عصره ، ولعلك ترى أن هذه المواقف ، أعني مواقف الحروب أولى أن يقال فيها الشعر لأنه أعمق في التعبير عن العواطف من النثر ، وابن الاثير ينظم الشعر ولكن الرجل كاتباً أحسن منه شاعراً ...

ولم يقتصر الرجل على الحياة الصاخبة وحدها يستمد منها مادة حديثة بل نراه يدقق النظر في كل ما حوله ، وقد يستخلص الحكمة من أتفه الأمور وأيسرها وهو يوصي الأديب أن يتنبه الى هذا ، ويلتفت اليه ويقول : « اعلم أن الكاتب يحتاج الى التشبث بكل فن والنظر في كل علم وإرصاد السمع لمجاورات الناس ، فانه لا يعدم من ذلك فائدة فإن كلمة الحكمة ضالة المؤمن ،

(١) المثل السائر ج ١ ص ٨٩ . (٢) المثل السائر ج ١ ص ١٣٩ .

فحيث وجدها فهو أحق بها ، وقد تثبتت أقوال الناس في محاوراتهم ، فاستفدت بذلك فوائد كثيرة ، حتى من أكار وفلاح ، وأعجمى من الأعجام الأغنام ، ومن يجري مجراهم ، وقد تصدر كلمة الحكمة من الجاهل بمكانها ، ورب رمية من غير رام ... » .

وزاد على هذا حتى رأى لزماً على الكاتب «<sup>(١)</sup> ... أن يعلم ما تقوله النادبة في المأتم ، وما تقوله الماشطة عند جلوة العروس ، وما يقوله النادي في السوق على السلعة ... » .

وعمد الى الكتب يقرأها ويتدبرها ، وقد مرَّ بك حديثه عن الانجيل ، أما القرآن فقد أولع به ، وابتدع الكثير من موضوعات البيان بتدبره وإنعام النظر فيه حتى عده آلة من آلات التأليف ،<sup>(٢)</sup> وأوصى بحفظه ، والممارسة لغرائبه والخوض في بحور عجائبه .

وقال في مقدمة كتابه الجامع الكبير في الحديث عن علم البيان<sup>(٣)</sup> : « لمت في أثناء القرآن الكريم من هذا النحو أشياء طريفة ، ووجدت في مطاويه من هذا النوع نكتاً دقيقة لطيفة ، فمرضتها عند ذلك على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء وشرحوها ، والأصناف التي بينوها في تصانيفهم وأونحوها ، فألفيتهم قد غفلوا عنها ، ولم ينهوا على شيء منها ، وكان ذلك باعثاً لي على تصفح آيات القرآن العزيز ، والكشف عن سره المكنون ، فأستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضرباً من علم البيان ، لم يأت بها أحد من العلماء الأعيان ، وكان ما ظفرت به أصل هذا الفن وعمدته ، وخلاصة هذا العلم وزبدته . فحيث أحرزت هذه الفضيلة ، وحصلت عندي هذه العقيلة أحببت أن أفرد لها كتاباً ، وأفصلها فيه أقساماً وأبواباً ... » وهكذا تراه يتعلق بالقرآن الكريم ، ويشرع بعد ذلك يعقد باباً في تفضيل النثر على الشعر ويجعل أول أسبابه في هذا التفضيل أن القرآن الكريم ورد نثراً<sup>(٤)</sup> .

وكذلك فعل في حيث الرسول الكريم وجعله أحد الأدوات التي تلزم المترشح لصناعة الكتابة ، وحسبك منه ان جعل كتاب الوشي المرقوم مبنياً على مقدمة<sup>(٥)</sup> وثلاثة فصول جعل

(١) الوشي المرقوم ص ٤-٥ . (٢) انظر ص ٧ من هذا الكتاب .

(٣) انظر ص ٧ من هذا الكتاب . (٤) انظر ص ٧٣ من هذا الكتاب .

(٥) انظر ص ٤ من الوشي المرقوم طبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٨ هـ .

الفصل الأول في حل الشعر ، وجعل الثاني في حل آيات القرآن ، والثالث في حل الأخبار النبوية .

ولم تقتصر ثقافته على هذا بل عمد الى الشعر حتى قال في كتابه الوشي المرقوم «<sup>(١)</sup> وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين جيب بن أوس وأبي عبادة البحرى ، وشعر أبي الطيب المتنبي ، حفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الإدمان لي خلقاً وطبعاً ، فلا تقنع أيها الخائض في هذا البحر الذي لا ساحل له إلا بأن تفعل ما فعلته ، وتسلك ما سلكته » .

ونظرة واحدة إلى مؤلفات ابن الأثير تريك سـمة باعه وحذقه في شتى صنوف المعرفة الشائعة في عصره . كتب الموشى المرقوم في حل الآيات القرآنية الكريمة وحل حديث الرسول الكريم وحل الشعر . وكتب كتاب «<sup>(٢)</sup> المفتاح المنشا في حديقة الإنشا » وقد تحدث به عن صناعة الكتابة ، وله « مؤنس الوحدة » وقد جمع به مختارات من الشعر ونسخة منه محفوظة بمكتبة كورلو بالاستانة ، و « كتاب الأخبار النبوية » ، يقول عنه «<sup>(٣)</sup> وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، وما زلت أواظب على مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكنت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة ، حتى دار على ناظري وخطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظاً لا يشذ عني منه شيء . » وله كتاب أدعية يقول فيه «<sup>(٤)</sup> وكنت ألفت كتاباً في ذكر أدعية مخصوصة ضمنته مائة دعاء ، مما يوضع في الكتب السلطانية والاخوانيات ... » وله كتاب في « المرققات الشعرية »

(١) انظر ص ٩ — ١٠ من طبعة ثمار الفنون سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) مصور بدارالكتب المصرية ( برقم ٥٠٧٠ أدب ) والحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية للدكتور أحمد أحمد بدوي مطبعة نهضة مصر ص ٣٣٧ .

(٣) في عصر الحروب الصليبية للدكتور أحمد أحمد بدوي ص ٣٨ . والمثل السائر ج ١ ص ١٢٨ .

(٤) الوشي المرقوم ص ٧٠ .

يشير إليه في كتابه المثل السائر إذ يقول « ... واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثرها ، وكنت ألفت فيه كتاباً ، وقسمته ثلاثة أقسام : نسخاً ، وساخاً ، ومسخاً<sup>(١)</sup> » . وله « مجموع » اختار<sup>(٢)</sup> فيه شعر أبي تمام والبحثري وديك الجن والمتنبي وهو في مجلد واحد كبير . وله كتاب « المرصع في الأدبيات » وقد طبع في القسطنطينية سنة ١٣٠٤ هـ وطبع في المانيا سنة ١٨٩٦ وله « المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء » يقول فيه ابن خلكان<sup>(٣)</sup> إنه نهاية في بابه . وله « البرهان في علم البيان » وجاء في تأريخ آداب اللغة العربية لجرجي<sup>(٤)</sup> زيدان أنه مخزون في برلين ، وذكر له أيضاً « رسالة في الأزهار » ، وقال إنها محفوظة في باريس . وفي كتاب هداية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي طبعة استانبول سنة ١٩٥٥ المجلد الثاني ص ٤٩٣ أنه صنف من الكتب « الاستدراكات » . ورسالة في الضاد والطاء و « رسالة في أوصاف مصر » وله ديوان « ترسل » في عدة مجلدات .

ولعل أشهر هذه الكتب كتابه المثل السائر ، وهو كتاب شهر به ابن الأثير وأحدث ضجة في حياة الرجل وبعد ممانه وألفت الكتب في التعصب له والتعصب عليه ، قال صاحب كشف<sup>(٥)</sup> الظنون : « وصنف بعضهم كتاباً سماه « الروض الزاهر في محاسن المثل السائر » وصنف عز الدين بن أبي الحديد كتاباً سماه الفلك الدائر على المثل السائر » ، وصنف أبو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري المتوفى في عام ٦٤٠ هـ كتاباً يرد فيه عليه وسماه : « نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر » وصنف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى في عام ٧٦٤ كتاباً سماه : « نصره السائر على المثل السائر » وصنف عبد العزيز بن عيسى كتاباً سماه : « قطع الدابر عن الفلك الدائر ... » ولعلك ترى معنا أن عناوين هذه الكتب وحدها كافية في أن

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨ طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٩ .

(٣) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٧ . (٤) هداية العارفين ج ٢ ص ٤٩٣ .

(٥) تأريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٥١ . (٦) كشف الظنون ج ٢ ص ٨٧٦ . وانظر

(٢ - ٢٢٢ بولاق مصر) وانظر ص (بط) من مقدمة المثل السائر .



تعلن معركة حامية بين مؤلفيها .

وهكذا ترى هذه الحركة الكبيرة التي أحدثتها هذا الكتاب في علم البيان العربي ، وترى الناس يتعصبون له ويتعصبون عليه تعصبهم للمذاهب السياسية والدينية .

قلنا : أَلْف عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد هبة الله المدائني الكاتب الشاعر كتيباً في الرد على نصر الله في المثل السائر سماه « الفلك الدائر على المثل السائر » ، ولما وقف عليه أخوه موفق الدين أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد كتب الى أخيه المؤلف :

المثل السائر ياسيدي صنفت فيه الفلك الدائر  
لكن هذا فلك دائر تصير فيه المثل السائر<sup>(١)</sup>

ومن البين أن إطراء الكاتب لذي قرابته على أثر له أدبي كما فعل القاسم بن أبي الحديد لا يقام له وزن إلا إذا حققه النظر والاعتبار وثبت استحقاق الأثر لذلك الاطراء .

واتفق أن عز الدين بن أبي الحديد تزوج بعد تأليفه « الفلك الدائر على المثل السائر » امرأة أرملة ، وكان زوجها الأول جندياً وله ابن منها اسمه غازي ويلقب بفلك الدين فقال فيه الشيخ موفق الدين عبد القاهر بن الفوطي البغدادي الأديب الشاعر :

لقد أتانا مثل سائر ألفت فيه فلماً دائراً  
لكن هذا فلك دائر أصبحت فيه مثلاً سائراً<sup>(٢)</sup>

وكان عامل الغيرة ماثلاً في تأليف « الفلك الدائر » لأن نصر الله بن الأثير استهزأ بالكتاب العراقيين ، وانتقد عليهم أقوالاً ، قال ابن أبي الحديد في مقدمته بعد الحمد لله والاشارة الى رضي الانسان عن نفسه وذم عجبها بالصلاة على نبيه وآله وأصحابه .

« وبعد فقد وقفت على كتاب نصر الله<sup>(٣)</sup> بن محمد الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري

(١) الوفيات « ٢ : ٢٨٨ - ٩ » . وفوات الوفيات « ١ : ٥١٩ » طبعة مطبعة السعادة وفيه « أصبحت » مكان « تصير » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ١ ص ٢٩٢ » من نسخة مصطفى جواد الخطية الأولى .

(٣) في المطبوع « نصير الدين » وذلك خطأ وكان الطبع سنة ١٣٠٩ بعناية محمد الشيرازي وهو رديء جداً ، يصعب علينا التنبيه على مواضع رداءته لظوله وكثرته .

المسمى « المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر » فوجدت فيه المحمود والقبول ،  
 والمردود والمردول . أما المحمود منه فانشاؤه وصناعته ، فإنه لا بأس بذلك إلا في الأقل النادر ،  
 وأما المردود فيه فنظاره وجدله واحتجاجه واعتراضه ، فإنه لم يأت في ذلك في الاكثر الأغلب ،  
 بما يلتفت إليه ، ولا بما يعتمد عليه ، فخداني على تتبعه ومناقضته ، في هذه المواضع النظرية  
 أمور منها إزراؤه على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم وطعنه عليهم ، فإن في ذلك ما يدعو إلى  
 الغيرة عليهم والانتصار لهم ، ومنها إفراطه في الإعجاب بنفسه والتبجح برأيه والتعريض لمعرفته  
 وصناعته ، وهذا عيب قبيح يجب على عمل الانسان والاجتهاد ، ويوجب المقت من الله والعباد ،  
 ومنها أنه قد أوماً مراراً في كتابه الى عتاب دهره إذ لم يعطه على قدر استحقاقه ، فأردنا أن  
 نعرفه أن الرزق مقسوم ، لا يجلبه الفضل ولا يردده النقص ، ومنها أن جماعة من أكابر الموصل<sup>(١)</sup>  
 قد حسن ظنهم في هذا الكتاب جداً ، وتعصبوا له حتى فضلوه على أكثر الكتب المصنفة في  
 هذا الفن وأوصلوا منه نسخاً معدودة الى مدينة السلام وأشاعوه وتداوله كثير من أهلها ،  
 فاعترضت عليه بهذا الكتاب وتقربت به الى الخزانة الشريفة المقدسة النبوية الامامية المستنصرية  
 — عمر الله تعالى بمهارتها أندية الفضل ورباعه ، وأطال بطول بقاء مالسها يد العلم وباعه .  
 ولم يكتف أبناً أبي الحديد بالتعقيب على نصر الله بن الأثير في « الفلك الدائر على المثل السائر »  
 بل زاد عليه تقدمه إياه في شرح نهج البلاغة وقد ابتدأ به غرة رجب من سنة « ٦٤٤ وأتمه  
 سلخ صفر من سنة ٦٤٩<sup>(٢)</sup> » ، ومن ذلك ما ذكره في الكلام على « المقابلة » قال : « وقال  
 ابن الأثير في كتابه المسمى بالمثل السائر : إن هذا النوع من المقابلة غير مختص بلغة العرب  
 فإنه لما مات قباد أحد ملوك الفرس قال وزيره : حركنا بسكونه . وفي أول كتاب الفصول  
 لبقراط : العمر قصير والصناعة طويلة ، وهذا الكتاب على لغة اليونان . قلت : وأي حاجة به  
 الى هذا التكلف وهل هذه الدعوى من الامور التي يجوز أن يعترى الشك والشبهة فيها ليسانى

(١) كانت الموصل يومئذ عاصمة الدولة الأتابكية خارجة عن الحكم الفعلي للعباسيين .

(٢) شرح نهج البلاغة « مج ٤ ص ٥٧٤ » طبعة مصطفى البابي بمصر .

بحكاية من غير كلام العرب يحتج بها «؟! .

وربما كان كتاب « الفلك الدائر على المثل السائر » أشهر هذه الكتب ولعلك ترى أن ابن الأثير قد اشتهر بكتابه هذا شهرة طفت على شهرته السياسية ، ولقد وزر للملوك وياشر الأمور خمسين سنة ، ومع ذلك فشهرته مؤلفاً بعلوم البلاغة أكثر من شهرته وزيراً أو كاتباً ، ولا عجب فقد صرف همه لهذا العلم ، وقرأ ما كتبه السابقون فيه . يقول في فاتحة المثل <sup>(١)</sup> السائر « وقد ألف الناس فيه — في علم البيان — كتباً ، وجلبوا ذهباً وحطباً ، وما من تأليف إلا قد تصفحت شينه وسينه ، وعلت غثه وسمينه ... » ثم أعمل رأيه فيما قرأ مما كتبه الناس وابتدع مسائل في علم البيان لم يسبقه إليها أحد ، حتى قال عن نفسه : « ... وهداني الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابسة ، وإنما هي متبعة ... » ومع كثرة ما كتب لا تراه يفخر بشيء نخره باطلاعه على علم البيان وإحرازه قصب السبق فيه .

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارىء « كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور » قد ألفه ابن الأثير على ما يبدو لنا قبل كتاب المثل السائر ، وربما كان أول كتاب يؤلفه في علم البيان ، يقول في مقدمته وقد نقلنا أكثر ذلك <sup>(٢)</sup> « ... لمحت في أثناء القرآن الكريم من هذا النحو — أي من موضوعات علم البيان — أشياء طريفة ، ووجدت في مطاويه من هذا النوع نكتاً دقيقة لطيفة .. لم يأت بها أحد من أولئك العلماء الأعيان ، وكان ما ظفرت به أصل هذا الفن ، وعمدته ، وخلاصة هذا العلم وزبدته ، فحيت أحرزت هذه الفضيلة ، وحصلت عندي هذه العقيلة ، أحببت أن أفرد لها كتاباً ، وأفضلها فيه أقساماً وأبواباً ، ليسكون مقصوداً على شوارد هذا العلم وغرائبه ، ورموزه الخفية وعجائبه ، وليجعله مؤلف الكلام رأس بضاعته ويعلم به مواقع الصواب في صناعته ... » .

واسلوب ابن الأثير هادى في هذا الكتاب ، ينقل عن تقدمه من علماء البيان ويشير

(١) « ج ١ ص ٣ » . (٢) انظر ص ٣ من هذا الكتاب .

الى مواطن النقل في أكثر الأحيان ، وقد يجادل في الرأي جدالاً هادئاً ، وهذا ما لانراه له في كتاب المثل السائر ؛ إذ قلما تراه يشير الى رأي وهو لا يحاول تفنيده والنيل من صاحبه ، وهذا ما ألب عليه الذين تصدوا لنقد كتابه وتفنيده آرائه كعز الدين أبي الحديد المار ذكره .

وقد تفضل المجمع العلمي العراقي ، فصور هذا الكتاب على نسخة خطية بدار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ ، نسخت بنفقة الكتبخانة وأضيفت في ٢٤ مارت سنة ١٨٩٧ برقم : ٢٧٠ بلاغة و ٣٠٠٦٤ عمومية ، وكتب في صدرها « كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تأليف الشيخ الامام العالم العلامة ، لسان الأدب ، وترجمان العرب ، أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، الشهير بابن الأثير رحمه الله تعالى وعفا عنه » وكان عدد أوراقها ١٦٥ ورقة . وتفضل المجمع العلمي العراقي فمهد إلينا بتحقيقها ، وكان خطها واضحاً لم تتعب في قراءته ، ولكنها كانت - مع وضوحها في الكتابة - كثيرة التصحيف ، وقد أجهدنا أنفسنا في الرجوع الى كتب البلاغة وكان أجداها نفعاً وأكثرها معونة لنا ، كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، للمؤلف نفسه ، وقد رأيناه في غير ما موطن يذكر هناك ما ذكره هنا ، وقد يفيض في أحد الكتابين على حين يختصر ويكمل في الكتاب الآخر ، حتى يبدو للقارىء في كثير من الأحيان أن أحد الكتابين كان بمثابة مسودة للكتاب الآخر ، وكنا نوازن بين ما ورد هنا وورد في المثل السائر ، وقد رأينا كثيراً من الأخطاء جاءت في المثل السائر وكان من الممكن أن تصلح بالرجوع الى هذا المخطوط ، وقد نهينا الى بعض ذلك في حواشي هذا الكتاب .

وقد أحببنا شخصية ابن الأثير الأدبية بعد إنفاقنا هذه المدة الطويلة في كتابه هذا ، ورأينا أن نوالي تحقيق آثاره ، فطلبنا الى المجمع العلمي العراقي أن يصور رسائل ابن الأثير المؤلفة في جزءين من معهد إحياء المخطوطات العربية في الادارة الثقافية في الجامعة العربية ، ومن مكتبة الجامعة الأميركية ببيروت ، ومن غيرها ورجونا أن يهد إلينا بنشر رسائله هذه ، وعسانا نوفق لهذا ، والله الموفق للخير .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مبدي النعم ، أولاً وآخراً ، مُسدي الولاء باطناً وظاهراً ، الذي فطر الانسان بحكمته ولطفه ، وركب فيه آلة النطق فبلغ به كمال وصفه ، فكان ذلك عليه من أتم الاحسان ، الذي تميز به عن جميع أصناف الحيوان ، ولولا فضله لما ورد في القرآن المجيد ، مقروناً بالاخراج من العدم الى الوجود ، فقال تعالى : « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان » نحمده على ترادف آلائه وتمهاتها ، والتحقاق رائحتها بغايتها ، حمداً يكون بالزيادة ضميماً ، وبإيلاء الخيرات قيناً ، ونصلي على رسوله محمد الصادع بأمره ، القائم بدينه في سره وجهره ، وعلى آله مصابيح الايمان وزهره ، وأصحابه ملاذ الاسلام وذخره .

أما بمسند فلما كان تأليف الكلام ، مما لا يوقف على غوره ، ولا يُعرف كنه أمره ، إلا بالاطلاع على علم البيان ، الذي هو لهذه الصناعة بمنزلة الميزان ، احتجت حين شذنت<sup>(١)</sup> نبذة . من الكلام المنثور ، الى معرفة هذا المذكور ، فشرعت عند ذلك في تطليبه ، والبحث عن تصانيفه وكتبه ، فلم أترك في تحصيله سبيلاً إلا نهجتته ، ولا غادرت في إدراكه باباً إلا ولجته ،

(١) كذا ورد في الأصل . وشذن الغزال يشدن شدوناً : إذا قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه وربما قالوا شذن المهر « الصحاح » قال ذو الرمة :

ذكرتك أن مررت بنا أم شادن أمام المطايا تشرب وتسبح

قال البرد في الكامل « ج ٢ ص ٢٣١ » من طبعة المطبعة الأزهرية « الشادن : الذي قد شذن أي تحرك » .

وقال بعض الشعراء المولدين :

ياما أميلح غزلاناً شذن لنا من هؤليائكن الضال والسر

فالفعل « شذن » لازم ولا يوائم السياق ولعل الأصل « شذوت نبذة » قال الجوهري في الصحاح « الشادي : الذي يشدو من الأدب شيئاً أي يأخذ طرفاً منه كأنه ساقه وجمعه » .

حتى اتضح عندي بإديه وخافيه ، وانكشفت لي أقوال الأئمة المشهورين فيه ، كأبي الحسن علي بن عيسى الرماني<sup>(١)</sup> ، وأبي القاسم الحسن<sup>(٢)</sup> بن بشر الآمدي ، وأبي عثمان الجاحظ ، وقدامة<sup>(٣)</sup> بن جعفر الكاتب ، وأبي هلال<sup>(٤)</sup> العسكري ، وأبي العلاء محمد<sup>(٥)</sup> بن غانم المعروف بالغانمي ، وأبي

(١) في الأصل « الرمالي » والصواب ما أثبتناه في المتن ، وهو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني ، وكان يعرف أيضاً بالاشبدي وبالوراق ، وهو بالرماني أشهر « ٢٧٦-٣٨٤ » هـ . كان إماماً في العربية ، علامة في الأدب ، وكان يمزج النحو بالمنطق ، وله عدة تأليف منها كتاب « إيجاز القرآن » و « معاني الحروف » ومنه نسخة في مخطوطات خزائن المتحف العراقي برقم ٧٧٨ (معجم الأدباء ج ١٤ ص ٧٣) من طبعة دار المأمون ، و « فوات الوفيات ج ٢ ص ٦٦ » و « البنية » ص ٣٤٤ .

(٢) كان أبو القاسم الآمدي أديباً فاضلاً ، وناقداً بارعاً ، وراويماً ماهراً ، وشاعراً مجيداً له تأليف حسنة ذكر ياقوت منها « فرق ما بين الحامس والمشارك من معاني الشعر » و « الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحري » وهو الذي أراده المؤلف « أنظر كتاب المثل السائر ج ١ ص ٤ طبعة مطبعة البابي الحلبي بمصر » ، و « ما في عيار الشعر من الخطأ » وعيار الشعر لابن طباطبا و « تفضيل شعر امرئ القيس على شعر الجاهليين » و « تبين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر » توفي سنة ٣٧٠ هـ (معجم الأدباء ج ٨ ص ٧٥) و « بنية الوعاة » ص ٢١٨ .

(٣) كان قدامة أحد البلغاء العظام والفلاسفة الفضلاء ومن يشار إليه في علم المنطق ، ألف كتاباً في « الحراج وصناعة الكتابة » وكتاب « نقد الشعر » وكتاب « الرد على ابن المعتز » فيما عاب به أبا تمام وكتاب « صناعة الجدل » وقد أدرك أواسط القرن الرابع للهجرة . (معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٣) .

(٤) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري من كتبه كتاب « الصناعتين » و « ديوان المعاني » و « جهرة الأمثال » و « المعجم في بقية الأشياء » وكلها مطبوع مشهور ، وذكر له السيوطي مؤلفات أخرى ، كان حياً سنة « ٣٩٥ » ( « بنية الوعاة ص ٢٢١ » ) (معجم الأدباء ج ٨ ص ٢٥٨) .

(٥) قال السمعاني في الأنساب :

« الغانمي ... هذه النسبة إلى غانم وهو اسم لجد المنتسب اليه وهو الأديب محمد بن ... غانم الغانمي ، من أفاضل عصره ، وديوان شعره سائر في الآفاق وهو من مداحي نظام الملك ، وروي لي عنه من شعره صاحبه أبو بكر الأسفزازي . وابنه أبو المحاسن مسعود بن محمد بن غانم ابن أبي الحسين بن أحمد بن علي بن إبراهيم الغانمي الهروي ... » .

وذكره عز الدين بن الأثير في الباب « مختصر الأنساب » بما يقرب من ذلك « ج ٢ ص ١٦٦ » وأورد ذكره البخارزي في اللمية - ص ١٧٦ - قال : الغانمي الهروي شاب فاضل ، اختلف إلي بنيسابور وحصل ديوان شعري وانتسخه من جمعي وأمره على سمعي ، وله شعر حسن ووراءه لازيادة مواعد ، وله في مناهل الأدب بعد موارد ، وارتبط لخدمة التأديب في الدار العالية النظامية فانساب رونق الاقبال في متصرفات أحواله ، ولاجت آثار السعادة على صفحات جاهه وماله ، فما أشدني لنفسه قوله في خدمة نظامية من قصيدة :

ضياء الشمس جزء من جبينك      وناصية الليالي في يمينك  
إذا قبست بك الوزراء يوماً      فأسدهم تعالاب في عرينك  
وأورد له مقطوعتين أخريين .

محمد عبد<sup>(١)</sup> الله بن سنان الخفاجي ، وغيرهم ممن له كتاب يشار اليه ، وقول تعقد الخناصر عليه<sup>(٢)</sup> ، ثم لما مضى على ذلك ملاوة<sup>(٣)</sup> من الدهر ، وانقضى دونه برهة من العمر ، لمحت في أثناء القرآن الكريم ، من هذا النحو أشياء طريفة<sup>(٤)</sup> ، ووجدت في مطاويه من هذا النوع نكتاً دقيقة لطيفة ، فعرضتها عند ذلك ، على الأقسام التي ذكرها هولاء العلماء وشرحوها ، والأصناف التي يبنوها في تصانيفهم وأوضحوها ، فألفيتهم قد غفلوا عنها ، ولم يبنوها على شيء منها ، وكان ذلك باعثاً لي على تصفح آيات القرآن العزيز ، والكشف عن سره المكنون ، فاستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضرباً من علم البيان ، لم يأت بها أحد من أولئك العلماء الأعيان ، وكان ما ظفرت به أصل هذا الفن وعمدته ، وخلاصة هذا العلم وزبده ، فحيث أحرزت هذه الفضيلة ، وحصلت عندي هذه العقيلة ، أحببت أن أفرد لها كتاباً ، وأفصلها فيه أقساماً وأبواباً ، ليكون مقصوراً على شواردها هذا العلم وغرائبها ، ورموزه الخفية وعجائبها ، وليجمله مؤلف الكلام رأس بضاعته ، ويعلم به مواقع الصواب في صناعته ، فلما شرعت في تليفه ، وبدأت بإيضاح القول فيه وتحقيقه ، عاودت النظر في تصانيف العلماء المذكورين ، والتبصر في أقوال أئمة هذه الصناعة المشهورين ، فسنح لي عند ذلك لطائف رائعة ، ونوادير حسنة فائقة ، هي كالشاهدة لما بينوه ، والمشيئة لما نصّوا عليه وعيّنوه ، وقلماً تركت قولاً من أقوالهم بحاله ، من غير زيادة أودعها<sup>(٥)</sup> في خلاله . فصار هذا الكتاب انوامض علم البيان مبيّناً ، ولما ذكره أرباب هذه الصناعة ، وما لم

(١) قال المؤلف في كتابه « المثل السائر » وهو يتحدث عن علم البيان « وقد ألف الناس فيه كتباً وجلبوا ذهباً وحطباً ... فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا كتاب الموازنة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي وكتاب سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي » ج ١ ص ٤ من الطبعة المشار إليها في ص ٤ من هذا الكتاب « قال ابن شاذان الكندي بعد ذكر اسمه ونسبه « الخفاجي » : « شاعر أديب » وأورد شيئاً من شعره ، وكانت وفاته سنة « ٤٦٦ هـ » ( فوات الوفيات ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٣ ) .

(٢) كناية عن قوة الاعتماد عليه والثوق به .

(٣) ملاوة من الدهر ( مثله ) : برهة منه ( الفاموس ) . والبرهة قطعة من الزمان طويلة ، أو الزمان عموماً .

(٤) في الأصل « طريفة » .

(٥) الفصيحة تعديبة « أودع » إلى مفعوليه بنفسه فيقال « أودعها خلاله » .

يذكره متضمناً ، فأوردت في صدره ما يجب على مؤلف الكلام علمه ، وينبغي له معرفته وفهمه . ثم شفعت ذلك بذكر الفصاحة والبلاغة ، وصفت الكلام فيها أحسن الصياغة ، فأوضحت ما أشكل من طريقتهما ، وبينت أقوال العلماء في حقيقتهما ، مع ما أضفته إلى ذلك من زيادات مناسبة ، واحترازات واجبة .

ثم شرحت بعد ذلك جميع أنواع علم البيان ، وشفيت القول فيها بحسب الامكان ، وسميته بكتاب : « الجامع الكبير ، في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور » . وجعلت مدار الكتاب على قطبين : ( القطب الأول ) في الأشياء العامة . ( القطب الثاني ) في الأشياء الخاصة . وينقسم القطب الأول إلى فنين : الفن الأول فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به ، وهو أربعة أبواب : ( الباب الأول ) في آلات التأليف ( الباب الثاني ) في أدواته ( الباب الثالث ) في الطريق إلى صناعة النثر والنظم ( الباب الرابع ) في الحقيقة والمجاز .

الفن الثاني في الكلام على الألفاظ والمعاني ، وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم ، وهو ثلاثة أبواب : ( الباب الأول ) في الألفاظ المفردة والمركبة وهو قسمان ( الباب الثاني ) في الكلام على المعاني . ( الباب الثالث ) في تفضيل الكلام المنثور على المنظوم .

( القطب الثاني ) وفيه فنان : ( الفن الأول ) في الفصاحة والبلاغة . ( الفن الثاني ) في ذكر أصناف البيان واتقساماتها ، وهو بابان : ( الباب الأول ) في الصناعة المعنوية . ( الباب الثاني ) في الصناعة اللفظية .

وينقسم الباب الأول إلى تسعة وعشرين نوعاً : « الأول » في الاستعارة . « الثاني » في التشبيه . « الثالث » في شجاعة العربية ، وهو أربعة أقسام . « الرابع » في الإيجاز وهو قسمان . « الخامس » في الاطناب . « السادس » في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل . « السابع » في الكناية والتعريض « الثامن » في استعمال العام في النفي ، والخاص في الاثبات . « التاسع » في التفسير بعد الإبهام . « العاشر » في التعقيب المصدرية . « الحادي عشر » في التقديم والتأخير . « الثاني عشر » في عطف المظهر على ضميره . « الثالث عشر » في التخلص



والاقتضاب . « الرابع عشر » في المبادي والافتتاحات . « الخامس عشر » في قوة اللفظ لقوة المعنى « السادس عشر » في خذلان المخاطب . « السابع عشر » [ في الاشتقاق . النوع « الثامن عشر » في الحروف العاطفة والجاره . النوع « التاسع عشر » ] في التكرير<sup>(١)</sup> . « العشرون » في تناسب المعاني من المقابلة والتقسيم والتفسير . « الحادي والعشرون » في الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية . « الثاني والعشرون » في لام التأكيد . « الثالث والعشرون » في الاقتصاد والافراط والتفريط . « الرابع والعشرون » في المعاطلة . « الخامس والعشرون » في التضمنين . « السادس والعشرون » في الاستدراج . « السابع والعشرون » في الارصاد . « الثامن والعشرون » في التوشيح . « التاسع والعشرون » في الأخذ والسرقه . وينقسم الباب الثاني الى سبعة أنواع : « الأول » في السجع والازدواج . « الثاني » في التجنيس « الثالث » في الترصيع . « الرابع » في لزوم ما لا يلزم . « الخامس » في الموازنة . « السادس » في اختلاف صيغ الألفاظ . « السابع » في تكرير الحروف . وسنذكر ترجمة الأبواب والأنواع عند ذكرها إن شاء الله تعالى .

(١) ما بين العضادين نقصان في الأصل وقد أكلناه بالرجوع الى صلب الكتاب .

## الباب الأول

من الفن الأول من القطب الأول

آلات التأليف

اعلم أن صناعة تأليف الكلام ، من المنشور والمنظوم ، تحتاج الى أسباب كثيرة ، وآلات جمة ، وذلك بعد أن يركب الله تعالى في الانسان الطبع القابل لذلك ، المحيىب اليه ، فانه متى لم يكن ثمَّ طبع لم تفد تلك الآلات شيئاً البتة . فممثلُ الطبع كمثل النار الكامنة في الزناد ، وممثلُ الآلات كمثل الحراق<sup>(١)</sup> والحديده التي يقدهح بها ، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا يفيد ذلك الحراق ولا تلك الحديده شيئاً ، إلا أن الطباع القابلة للعلوم مختلفه الأنحاء ؛ فمنها ما يكون قابلاً لعلم الأدب كالنحو والتصريف وغيرها ، ومنها ما يكون قابلاً للعلوم الدينيه كأصول الفقه وأصول الدين وما جرى هذا المجرى ، ومنها ما يكون قابلاً لغير ذلك كالعلم الرياضي ؛ كالنساب والمهندسه ، ومنها ما يكون قابلاً لغير ذلك ، كالصنائع والحرف . وقد يوجد في الطباع ما يكون قابلاً لجميع العلوم . ومن أدلّ دليل على اختلاف الطباع وتباينها أنا نرى مؤلف الكلام يكون تارة مؤلفاً مطلقاً ، ونعني بالطلق أن يكون عارفاً بصناعة المنظوم من الكلام والمنشور ؛ ويكون مؤلفاً غير مطلق ، ونعني بغير المطلق أنه يكون عارفاً بأحد هذين القسمين دون الآخر ، وهو مع ذلك عالم بجميع آلات التأليف نظماً ونثراً ، كما هو المؤلف المطلق ولا فرق . فاذا ركب الله في الانسان الطبع القابل لمعرفة تأليف الكلام على الاطلاق فيحتاج حينئذ الى تحصيل الآلات التي يخرج بها ما في القوة إلى الفعل . وتنحصر آلات التأليف في قسمين :

(١) الحراق والحرقه ما تقع فيه النار عند القدح ، والعامه تقوله بالتشديد « منار الصحاح » .

« الأول » يشترك فيه النظم والنثر . وهو سبعة أنواع : « الأول » معرفة علم العربية من النحو والتصريف والادغام . « الثاني » معرفة ما يحتاج اليه من اللغة . « الثالث » معرفة أمثال العرب وأيامهم . « الرابع » الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة ، المنظوم منها والمنثور ، والتحفظ للكثير<sup>(١)</sup> من ذلك . « الخامس » معرفة الأحكام السلطانية في الامامة والامارة والقضاء وغير ذلك . « السادس » حفظ القرآن الكريم والمهارة لتراجمه ، والخوض في بحور عجائبه . « السابع » حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

وأما القسم الثاني فإنه يخص النظم دون النثر ، وذلك علم العروض والتوافي ، الذي يقام به ميزان الشعر . ولندكر بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الأنواع فنقول :

أما ( علم النحو ) فهو الذي يستقيم به معاني الكلام ، وتُصان عُمرى تآليفه عن الانحلال<sup>(٢)</sup> والانفصام ، ولولا ذلك لفسدت معانيه واختلت مبانيه . وَلِنَضْرِبْ لهذا مثلاً يوضحه فنقول : لو قال لنا قائل : « ما أَحْسَنُ زَيْدٌ » . ولم يبين الاعراب لما فهمنا غرضه من هذا القول ، إذ يَحْتَمِلُ أن يريد به التعجب من حسنه ، ويَحْتَمِلُ أن يريد به الاستفهام عن أي شيء فيه أحسن ، ويَحْتَمِلُ أن يريد الأخبار بنفي الاحسان عنه . ولو بين الاعراب في ذلك فقال : ما أَحْسَنَ زَيْدًا ! وما أَحْسَنُ زَيْدٍ ؟ وما أَحْسَنُ زَيْدٌ ، علمنا غرضه وفهمنا معنى كلامه ، لانفراد كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بما يعرف به من الاعراب ، فوجب حينئذ على المؤلف ، بهذا الدليل ، معرفة النحو إذ<sup>(٣)</sup> كان ضابطاً لمعاني كلامه ، حافظاً لها من الاختلالات . فان قيل : أما علم النحو فسلم إليك أنه يجب على مؤلف الكلام معرفته ، لكن التصريف والادغام

(١) في الأصل « والتحفظ الكثير » وتحفظ الكتاب : استظهره شيئاً بعد شيء فاستعمل المؤلف للتحفظ . بمعنى الحفظ هو استعمال مولد ، واللام في « الكثير » لام التقوية .

(٢) في الأصل « الحلال » وهو غير مستقيم .

(٣) في الأصل « إذا » . قابل هذا بما ورد في المثل السائر « ج ١ ص ١١ » من الطبعة المشار إليها

في ص ٤ من هذا الكتاب .

لا حاجة به إليهما ، لأن التصريف إنما هو معرفة أصل الكلمة وزيادتها . وهذا لا يضُرُّ مؤلف الكلام جهله ، ولا ينفعه معرفته . ولنضربُ لذلك مثالا كيف اتفق ، فنقول : إذا قال القائل : رأيت سرداحاً <sup>(١)</sup> ، لا يلزمه أن يعرف أن الألف في هذه اللفظة زائدة هي أم أصل ، لأن العرب لم تنطق بها إلا كذلك ، ولو قالت « سردح » بغير ألف ، لما جاز لأحد أن يزيد الألف من عنده ، فيقول « سرداح » فعلم بهذا أن مؤلف الكلام إنما ينطق باللفاظ كما سمعها عن العرب ، من غير زيادة فيها ، ولا نقصان ، وليس عليه بعد ذلك أن يعرف أصلها ، ولا زيادتها ، لأن ذلك أمر خارج عما تقتضيه صناعته . وكذلك الادغام ، فانه إذا قال القائل « مررت برجل ضفّ <sup>(٢)</sup> الحال » لا يلزمه أن يعلم أن الأصل في « ضفّ » ضف و أن هذه الكلمة إنما أذغمت لكونها مثلين عيناً ولأما ، أو لأجل أنها على وزن الفعل ، لأن ذلك لا يجب عليه علمه ، ولا يضطر الى معرفته البتة ، وذلك أنه إنما ينتقل هذا وأمثاله عن العرب . فالذي يسمع أنهم قد تكلموا به يحذو حذوهم فيه ، من غير أن يتصرف بشيء من عنده ، فان [كان] مؤلف الكلام لم يسمع أن العرب قالوا « رجل ضفّ الحال » فقال هو « ضفّ الحال » ولاسمع أنهم قالوا : « ضفّ الحال » فقال هو « ضفّ الحال <sup>(٣)</sup> » فإنما تكلم بما سمعه عن العرب من غير زيادة فيه ولا نقصان منه . الجواب عن ذلك إنا نقول : أعلم أنا لم نجعل معرفة التصريف والادغام ، ضرورة على مؤلف الكلام ، كمعرفة النحو . لأن المؤلف اذا كان عارفاً بالمعاني ، محتاتياً لها ، قادراً على الألفاظ ، مجيداً فيها ، ولم يكن عارفاً بعلم النحو فانه يفسد ما يصوغه من الكلام ، ويختل عليه ما يقصده من المعاني ، كما أريناك <sup>(٤)</sup> في ذلك المثال المتقدم . وأما التصريف والادغام فان المؤلف إذا لم يكن عارفاً بها لم يفسد عليه معاني كلامه ، وإنما تفسد على <sup>(٥)</sup> الأوضاع ، وان كانت المعاني صحيحة مفهومة . وسيأتي بيان ذلك في تحرير الجواب . فنقول :

(١) السرداح : الناقة الطويلة أو الكريمة أو العظيمة أو السمينة أو القوية الشديدة النامة كالسرداحة « القاموس » .

(٢) رجل ضفّ الحال : رقيقها « القاموس » .

(٣) في الأصل « ضفّ » بكسر الفاء الأولى والسياق يقتضي ما أثبتناه مع الإبهام الظاهر في عبارة المؤلف .

(٤) في الأصل « رأيتك » . (٥) لعل الأصل « عليه » .

أما قولك أيها المترخص <sup>(١)</sup> إن التصريف والادغام لا حاجة لمؤلف الكلام اليهما ، واستدلالك على هذا بما ذكرته من هذين المثالين اللذين ضربتهما ، فإن ذلك لا يستمر لك الكلام فيه ألبتة . أما التصريف وتمثيلك إياه بلفظة « سرداح » وقولك إن المؤلف لا يحتاج الى معرفة أن الألف التي فيها زائدة هي أم أصل ؛ لأنه ينقلها عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقصان ، فإن ذلك لا يَطْرُدُ إلا فيما هَذَا سبيله من نقل الالفاظ على هيئتها ، من غير تصرف فيها ، بحال من الأحوال ، فأما إذا أراد المؤلف تصغيرها ، أو جمعها ، أو النسبة إليها ، فإنه إذا لم يعرف الأصل في حروف الكلمة <sup>(٢)</sup> وزيادتها وحذفها وإبدالها ، يضلُّ عن السبيل ويصير عليه مجال للطاعن والمائب <sup>(٣)</sup> ألا ترى أنه إذا قيل للنحوي ، وكان جاهلاً بعلم التصريف : كيف تصغر « اضطراب » ؟ فإنه يقول « ضطيرب » لا يلام على جهله بذلك لأن الذي تقتضيه صناعة النحو قد أتى به ، وذلك أن النحاة يقولون في كتبهم « إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف ، وفيها حرف زائد ، ولم تكن حذفته [ حذفته ] <sup>(٤)</sup> نحو قولهم في منطلق « مطيلق » وفي جحمرش « جحيمر » <sup>(٥)</sup> فلفظه منطلق على خمسة أحرف ، وفيها حرفان زائدان ، هما الميم والنون ، إلا أن الميم زيدت فيها لمعنى ، فلذلك لم تحذف ، وحذفت النون .

وأما لفظه « جحمرش » فخاسية لا زيادة فيها ، وحذف منها حرف أيضاً ، ولم يعلم النحوي أن علماء النحو إنما قالوا ذلك مهملاً ، اتكالا منهم على تحقيقه من علم التصريف ، لأنه لا يلزمهم أن يقولوا ، في كتب النحو ، أكثر مما قالوا ، وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحو شيئاً من التصريف ، لأن كلاً من النحو والتصريف علم منفرد برأسه ، غير أن أحدهما مرتبط بالآخر ، ويحتاج إليه . وإنما قلت : إن النحوي ، إذا سئل عن تصغير « اضطراب » يقول « ضطيرب » لأنه لا يخلو : إما أن يحذف من لفظه « اضطراب » الألف ، أو الضاد ، أو

(١) المترخص : المتساهل . (٢) كان أخرى بان يقول « في أحرفها » بجمع الفتحة .

(٣) في الأصل « الغائب » وهو من تحريف النسخ . (٤) زيادة يقتضيتها السياق .

(٥) في الأصل « جحيمر » وهو غير صحيح لوجوب حذف الحرف الأخير . قال ابن الحاجب في

الشافية ١ : ٢٠٢ « وإذا صغر الخماسي على ضعفه فالأولى حذف الخامس وقيل : ما أشبه الزائد » .

الطاء ، أو الراء ، أو الباء ، هذه الحروف المذكورة غير الألف ليست من حروف الزيادة ، فلا تحذف ، بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ، ويترك الحرف الذي ليس بزائد ، فلاجل ذلك قلنا : إن النحوي يصغر لفظه « اضطراب » على « ضطرب » فيحذف الألف ، التي هي حرف زائد دون غيرها ، مما ليس من حرف الزيادة . وأما أن يعلم النحوي أن الطاء في « اضطراب » مبدلة من تاء ، وأنه اذا أريد تصغيرها يعاد الى الأصل الذي كانت عليه ، وهو التاء ، فيقول « ضُتْرِب » فان هذا لا يعلمه الا التصريفي . وتكليف النحوي الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كتكليفه معرفة علم النيب ، فثبت بهذا الدليل ، الذي ذكرناه ، أن مؤلف الكلام يحتاج إلى علم التصريف ، لثلا يغلط في مثل هذه الأماكن ، فيستوجب عند ذلك المذمة والعيب .

ومن العجب أن يقال إن مؤلف الكلام لا يحتاج الى التصريف . ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم ، وهو أكبر القراء السبعة قدراً ، وأخفهم شأنًا ، قال في « معاش » « معاش » بالهمز ، ولم يعلم بالأصل في ذلك ، فأخذ عليه وعيب من أجله . ومن جملة من عابه على ذلك أبو عثمان <sup>(١)</sup> المازني ، فقال في كتابه في التصريف « إن نافعاً لم يدر ما العربية » . وكثيراً ما يقع أولو العلم في مثل هذه المواضع ، فكيف الجهال الانحمار ، الذين لا خبرة لهم بها ، ولا اطلاع لهم عليها ؟

وإذا كان المؤلف عارفاً بحقيقة الأمر في ذلك لا يقع في ورطة تؤخذ عليه ، وهذه لفظة معاش لا يجوز همزها ألته باجماع من علماء العربية <sup>(٢)</sup> ، لأن الياء فيها ليست مبدلة من

(١) هو بكر بن محمد البصري روى عن الأصمعي وطبقته وكان اماماً في العربية والتصريف ، قوي المناظرة ، قال المبرد : لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان ، توفي سنة « ٢٤٨ » على إحدى الروايات .

(٢) جاء في لسان العرب .. وجمع العيشة معاش على القياس ومعاش على غير قياس ، وقد قرئ بها قوله تعالى « وجعلنا لكم فيها معاش » وأكثر القراء على ترك الهمز في معاش ، إلا ما روي عن نافع فانه همزها وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ ، وذكروا أن الهمزة إنما تكون في هذه الياء إذا كانت زائدة مثل صحيفة وصحائف . فأما معاش فن العيش الياء أصلية « ونقل من الصحاح قول الجوهري « وإن جمعت معيشة على الفرع لا على الأصل همزت وشبهت مفعلة بمفعلة ، كما همزت المصاب لأت الياء =

همزة ، وإنما الياء التي تبدل من الهمزة ، في هذه المواضع ، تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ، ويكون بعدها حرف واحد ، لا يكون عيناً نحو سفائن . وفي هذا الموضع غلط نافع لا شك اعتد أن معيشة بوزن فعيلة ، وجمع فعيلة على وزن فعائل ، ولم ينظر إلى أن الأصل في مَعِيْشَةٍ « مَعِيْشَتِهِ » على وزن مَفْعِلَةٍ . وذلك لأن أصل هذه الكلمة من عاش التي أصلها عَيْش . على وزن « فَعَلَّ » ويلزم مضارعُ فعل المعتلّ العين بالياء « يَفْعِلُ » لتصح الياء نحو « يَعِيْشُ » ثم تنقل حركة العين إلى الفاء ، فيصير « يَعِيْشُ » ثم يبنى من « يَعِيْشُ » مفعول فيقال « مَعْيُوشٌ به » كما يقال « مسيور به » ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال « معيش » [ به ] كما يقال « مسير به » ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير « معيشة » (١) فأعرف ذلك وقس عليه .

وهاهنا نكتة أخرى ، وهي من أعظم الأسباب الموجبة لمعرفة علم التصريف ، وذلك أن المعتلّ من الكلام (٢) إذا بني من ماضيه مستقبلاً ، يجهل مواقع الصواب فيه إذا (٣) لم

ساكنة ، ومن النحويين من يرى الهمز لحناً .

وللتصريفين كلام طويل في هذه الكلمة ، قال الفيومي في الصباح المنير « والمعيش والمعيشة : مكسب الانسان الذي يعيش به والجمع المعاش ، هذا على قول الجمهور أنه من عاش فإلهم زائدة ، ووزن معاش « مفاعل » فلا يهمز وبه قرأ السبعة . وقيل هو من « معش » فإلهم أصلية ووزن معيش ومعيشة « فعيل وفعيلة » ووزن معاش « فاعل » فتهمز وبه قرأ أبو جعفر المدني والأعرج .

(١) يشعر كلام المؤلف أن « معيشة » اسم مفعول مؤنث وهو وهم منه لأن المعيشة مصدر مبني جاء على الوجه القليل ثم أنت كالسير ، أو اسم مصدر . قال الجوهري في الصحاح « وقد عاش الرجل معاشاً ومعيشاً وكل واحد منهما يصلح أن يكون مصدراً وأنت يكون اسماً مثل معاش ومعيب ومحال ومحيل » وقد قلنا قول الفيومي « والمعيش والمعيشة : مكسب الانسان الذي يعيش به » . وفي مقاييس اللغة لابن فارس « قال الخليل : يعيش الحياة والمعيشة : الذي (كذا أي التي) يعيش بها الانسان من مطعم ومشرب وما تكون به الحياة . أو المعيشة : اسم لما يعاش به وهو في عيشة ومعيشة سالحة » ، وقال الرضي الاستربادي في شرح شافية ابن الحاجب « ج ١/١٧٠-١٧٣ » في باب المصدر :

« وقد يجيء في الناقص « المفعول » مصدراً بشرط اثناء كالعصية والمحمية ، وجاء في الأجوف المعيشة ثم قال « وجاء بالكسر وحده المكبر والميسر والمحيش والنقيل والرجع والمجبيء والبيت والشيب والمعبب والمزيد والمصير والسير والعرفة والمغفرة والمعذرة والمأوية والمعصية والمعيشة » .

(٢) كذا ورد وأصل « الفعل » .

(٣) لعل الأصل « إن لم يكن » أو « ما لم يكن » فلا يجوز أن يكون الطرفان المتماثلان « إذا وإذا »

لفعل واحد هو « يجهل » .

يكن المؤلف عارفاً بعلم التصريف . مثال ذلك اذا أراد المؤلف أن يبني من وزن « فعل » المعتل فاؤه بالواو مستقبلاً . فان كان جاهلاً بذلك قال في وَعَدَ « يَوْعِدُ » قياساً على الصحيح في ضرب « يَضْرِبُ » وان كان عالماً به حذف الواو ، لوقوعها بين ياءٍ وكسرة ، فقال وعدَ « يَعِدُ » . وكذلك اذا أراد أن يبني من وزن « فَعِلَ » أو وزن « فَعُلَ » المعتلي الفاء بالواو مستقبلاً . فانه إن كان جاهلاً ذلك ، وكان قد سمع بعض العلماء ، يقول في وَعَدَ « يَعِدُ » حمل « فَعِلَ وَفَعُلَ » على ذلك الأسلوب فقال « وَجِلَ يَجِلُ » وفي « وضوءِ يَضِوُ » . واذا كان عارفاً بمعنى الامر في ذلك لم يحذف الفاء في مستقبل « فَعِلَ وَفَعُلَ » بل يقول « وَجِلَ يَوْجِلُ » و « وضوءِ يَوْضُوُ » . وكثيراً ما يقع الخطأ في تصريف الكلام المعتل ، من الماضي إلى المستقبل ، وهو موضوع من العربية وعر السلك ، فيبني لمؤلف الكلام مراعاته والاعتناء به ، وأمثال هذا كثير فاعرفها .

وأما الادغام وقولك : إن المؤلف لا يحتاج إلى معرفته ، واستدلالك عليه بما ذكرته من المثال ، وهو قولك : « مررت برجل ضفّ الحال » . فان ذلك لا يُسَلَّمُ إلا في هذه الصورة ، وما يجري مجراها ، في نقل الألفاظ على هيأتها ، ومن شرط الأمثلة أن تكون شائعة في جنسها . ولنضرب لذلك مثلاً ، كيف اتفق ، فنقول : إذا قال النحوي في تعريف الحال « إنها هيئة الفاعل أو المفعول وهي نكرة منصوبة مشتقة ، أو في تقدير المشتقة ، تأتي بعد معرفة ، ويحسن تقدير « في » معها وسؤال « كيف » ثم مثل ذلك بقوله : « جاء زيد راكباً » . فلا يجوز أن يكون هذا المثال غير مطرد في جنسه ، لأنه لو لم يكن مطرداً في جنسه لما جاز أن يجعل مثلاً لما تقدمه من هذه المصادر ، وكذلك هذا المثال الذي مثلت به ما ادعيت في الادغام فانه ليس بشائع في جنسه . وبيان ذلك أنا نقول : قد ورد عن بعضهم هذان البيتان وهما :

إذهبي في كلاءة<sup>(١)</sup> الرحمن أنت مني في ذمة وأمان  
ترهبيني والجيدُ منك لليلي والحشا والبُغامُ والعينان

(١) في الأصل « كناية » بتسهيل الهمزة وثلبها ياءً ولا حاجة اليه .



فماذا يقول هذا الشاعر إذا سئل عن قوله « ترهيني » وقيل : إن الأصل في ذلك « ترهيني »  
 بحذف إحدى النونين ؟ فلا أجدهُ يستطيع الجواب عن ذلك ، إلا أن يكون عارفاً بالادغام ،  
 وهو : إذا كان المثلان في كلمتين وقبلهما ساكن ، وهو حرف مدّاولين ، يجوز إدغام إحداهما في  
 الآخر ، ولما وجد هذا السبب في « ترهيني » أدغمت إحدى النونين في الأخرى ، ثم خفف  
 الادغام فصارت « ترهيني<sup>(١)</sup> » فيجب حينئذٍ على مؤلف الكلام ، بهذا الدليل ، معرفة الادغام ،  
 ليسلم من اعتراض متعرض أو تعنت متعنت .

وأما النوع الثاني : وهو قولنا إن المؤلف يحتاج الى معرفة اللغة فلسنا نعني بذلك إلا  
 ما كان مألوفاً<sup>(٢)</sup> ، متداولاً بين أرباب هذه الصناعة . وسيأتي ذكر ذلك في كتابنا هذا .  
 ويفتقر المؤلف أيضاً إلى معرفة عدة أسماء لما يقع استعماله في النظم والنثر ، ليجد إذا ضاق به  
 موضع في كلامه ، بايراد بعض الألفاظ فيه ، المدول عنه إلى غيره ، مما هو في معناه .  
 وكذلك يحتاج الى معرفة الأسماء المشتركة ، ليستعين بهسا على استعمال التجنيس في كلامه ،  
 وأعلم أن هذا الموضوع ينبغي أن يذكر فيه الأسماء البتة<sup>(٣)</sup> ، وانقسام دلالتها على المعاني ، فإن  
 المؤلف إذا كان عالماً بذلك ، فهو مما لا يستغني عنه فنقول :

الألفاظ تنقسم دلالتها على المعاني ستة أقسام : مترادفة ، ومشتركة ، ومتباينة ، ومتواطئة ،  
 ومشككة ، ومتشابهة ، فأما الثلاثة الأولى التي هي : المترادفة والمشتركة والمتباينة  
 فيحتاج مؤلف الكلام الى معرفتها . وانما أوجبنا عليه معرفة الأسماء المتباينة ، لأن منها  
 ما يوهم أنه من المترادفة ، وليس كذلك ، وأما الثلاثة الأخر التي هي : المتواطئة والمشككة

(١) تخفيف الإدغام هاهنا لا يخرج عن كونه ضرورة شعرية فهو معادل لحذف النون بغير ناصب ولا  
 جازم إن صح التأويل إليه أي الى الادغام ، والمعروف في مثل هذا أن يكون كقوله تعالى « مالك لا تأمنا »  
 وقوله « أفتغير الله تأمروني أن أعبد » .

(٢) في الأصل « مولوفاً » والصحيح ما أثبتناه .

(٣) البتة في الأصل مصدر المرة من الفعل « بت » بمعنى قطع وجزم ، وقد استعملت في كلام العرب  
 للنفي والابتناء جاء في حديث « أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي » : « فلما يؤس من رؤيته البتة نهكته  
 العلة ( مصارع العشاق ص ٢١٢ مطبعة السعادة ) .

والتشابهة فإنه لا يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفتها ، لأن ورودها في التأليف لا يُنتسجُ  
فائدة تذكر ، كالترادفة والمشاركة ، وما شابه المترادفة من التباينة ، وإنما ذكرنا هذه الثلاثة  
الأخر ههنا ، لتكون قد استوفينا جميع أقسام الأسماء في كتابنا هذا ، فأعرفه .

فأما الأسماء المترادفة : فهي المختلفة الدالة على معنى يندرج تحت حقيقة واحدة ، كالخمر  
والراح ، والعُقار ، فإن المسمى بهذه الأسماء شيء واحد ، وهو الشراب المسكر المعتصر من  
العنب<sup>(١)</sup> . وأما الأسماء المشتركة : فهي اللفظ الواحد المطلق على موجودات مختلفة بالحدّ والحقيقة ،  
إطلاقاً متساوياً ، كالعين ، فإنها تطلق على العين الباصرة ، وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر . وكل  
من هذه الثلاثة مختلف بالحدّ والحقيقة وأما التباينة : فهي الأسماء المختلفة الدالة على معانٍ مختلفة ،  
كالفرس ، والحمار ، والجدار . وغير ذلك . وقد يوجد من التباينة ما يوهم أنه من المترادفة ، وليس  
كذلك ، وهو أن يتحد الموضوع ، ويتعدد الاسم ، بحسب تباين اعتبارات ، فمن ذلك أن يكون  
أحد الاسمين له من حيث هو موضوعه ، والآخر من حيث هو صفة له ، كقولنا السيف ،  
والصارم . فإن الصارم دل على موضوع بصفة الحدّة ، وذلك بخلاف ما دلّ عليه السيف ، لأنه  
موضوع بازاء هذه الآلة ، كيف كانت . ومن ذلك أن يكون أحد الاسمين له بسبب وصف ،  
والآخر بسبب وصف للوصف ، كقولنا الناطق ، والفصيح . فإن الفصيح وصف للناطق ، الذي  
هو وصف الانسان .

وأما الأسماء المتواطئة : فهي الدالة على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها كدلالة  
اسم الحيوان على الانسان ، والفرس ، والحمار ، لأنها مشتركة في الحيوانية ، والاسم موضوع  
بازاء ذلك المعنى المشترك المتعاطى .

(١) قال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني في « الفلك الدائر على المثل السائر » « س ١١ »  
في تقد ما يشبه هذا من كلام المؤلف « هذا الموضع من أمثال الغلطات التي نبه عليها المنطقيون فقالوا : قد يظن  
في كثير من الأسماء أنها مترادفة وهي في الحقيقة متباينة كالسيف والصارم والمنهد ... فكل واحد من هذه  
المعاني مبين للآخر فالأسماء الموضوع لها متباينة في الحقيقة وإن ظن في الظاهر أنها مترادفة وكذلك ما مثل به  
المصنف فإن الخمر اسم موضوع لهذا الشراب المخصوص وإن كان مشتقاً غير مرتجل والراح اسم لما ترتاح النفس  
إليه والمدام اسم لما يدام استعماله كأنه أديم يدام فهو مدام ، فالعاني متباينة لا بحالة وإن توهم في الظاهر أنها  
مترادفة » .

وأما المشككة فهي كل اسم دلَّ على شيئين فصاعداً ، بمعنى هو واحد في نفسه ، لكن يختلف ذلك المعنى فيها من جهة أخرى ، كالترقى ، والتأخر ، والأشد والأضعف . أما الترقى والتأخر فكالوجود للجوهر قبل العَرَض وأما الأشد والأضعف فكالبياض الواقع على الثلج والعاج ، فان الثلج أشد بياضاً من العاج .

وأما التشابهة فهي الأسماء التي لا يجمعها معنى واحد ، لكن بينها تشابه ما ، من حيث ذاتها ، كالطين المصور على صورة الانسان ، اذ يطلق لفظ الانسان عليه ، وعلى الانسان الحقيقي ، بطريق التشابهة لا بطريق التواطؤ ، لأنها مختلفان في الحد والحقيقة . هذا ما ينبغي ذكره في الأسماء وانقسامها في الدلالة على المعاني ، فاعرفه .

وأما النوع الثالث : فهو معرفة أمثال العرب وأيامهم فان<sup>(١)</sup> مؤلف الكلام شديد الحاجة الى ذلك ، وذلك أن العرب لم تضع الأمثال إلا لأسباب<sup>(٢)</sup> أوجبها ، وحوادث اقتضتها ، فصار المثل المنضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة ، التي يعرف بها الشيء<sup>(٣)</sup> . وليس في كلامهم أوجز منها ، ولا أشد اختصاراً . وسبب ذلك ما أذكره لك ، لتكون من معرفته على يقين . فأقول : قد جاء عن العرب من جملة أمثالهم « إن يبسخ عليك قومك لا يبسخ عليك القمر » . وهو مثل يضرب للأمر<sup>(٤)</sup> الظاهر المشهور ، والأصل فيه :

قال الفضل<sup>(٥)</sup> بن محمد : إنه بلغنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على

(١) في الأصل « كان » وهو غير مستقيم . (٢) في الأصل « الأنساب » ولا يوافق المعنى .

(٣) قال عز الدين بن أبي الحديد « في الفلك الدائر على المثل السائر » - س ١٤ - « الصحيح أن يقال : المثل على نوعين أحدهما ما قصد به المبالغة بالفظلة ( أفعل ) كقولهم : أشغل من ذات النجيين . والثاني ( كذا قال والصواب الآخر ) كل كلام وجيز منضود أو منظوم ، قيل في واقعة مخصوصة تتضمن معنى وحكمة وقد تهيأ ، يتضمنه ذلك ، لأن يستشهد به في نظائر تلك الواقعة » اهـ .

(٤) في الأصل « للام » ولا معنى له هنا .

(٥) هو الفضل الضبي أبو العباس وقيل أبو عبد الرحمن ، من رجال القرن الثاني للهجرة ، كان عالماً بالنحو والشعر والغريب وأيام الناس ، وله كتاب الأمثال وكتاب الفضليات من مختار شعر العرب ، وقد طبع كتاب الأمثال بمطبعة الجواب بالقسطنطينية سنة « ١٢٩٩ » هـ .

الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر ، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يرى . وقالت طائفة : يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس . ففرضوا برجل جعلوه بينهم حكماً ، فقال واحد منهم : إن قومي يبغون عليّ ، فقال له الحكم : « إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر » فذهبت مثلاً . ومن المعلوم أن قول القائل « إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر » إذا أخذ على حقيقته من غير نظر إلى القرائن المنوطة به ، والأسباب التي قيل لأجلها ، لا يعطي من المعنى ما قد أعطاه المثل ؛ وذلك لأن المثل له مقدمات وأسباب ، قد عرفت ، وصارت مشهورة بين الناس معالومة عندهم ، وحيث كان الأمر كذلك جاز إيراد هذه اللفظات في التعبير عن المعنى المراد . ولولا تلك المقدمات المألوفة ، والأسباب المعروفة لما فهم من قول القائل « إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر » ما ذكرناه في المعنى المقصود ، بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد ألبتة ، لأن البغي هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحداً ، فكان يصير معنى المثل « إن كان يظلمك <sup>(١)</sup> قومك لا يظلمك القمر » وهذا كلام مختل ليس بمستقيم .

فلما كانت الأمثال كالرموز والاشارات ، التي يلوّح بها على المعاني تلويحاً ، صار من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً وحيث <sup>(٢)</sup> هي بهذه المثابة فلا ينبغي لمؤلف الكلام أن يخجل بها . وأما أيام العرب فلها تنوع وتشعب ، فمنها أيام نخار ، ومنها أيام محاربة ، ومنها أيام مذمة وعار ، ومنها غير ذلك . ولا يخلو المؤلف من الانتصاب لوصف يوم يمر به ، في بعض الاوقات ، مشبهاً بذلك مماثلاً له ، فإذا جاء بذكر بعض تلك الأيام المناسبة لمراده ، الموافقة له ، وقاس عليه يومه ، فقال : « أشهر من يوم كذا » أو « أسير » ؛ أو ما جرى هذا المجرى ،

(١) هذا التركيب يدل على أن الفعلين أجريا مجرى الفعل الواحد كقوله تعالى « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » ( التوبة ٩ : ١١٧ ) ولولا ذلك لوجب أن يقول « إن كان يظلمونك قومك ... » يجعل جملة « يظلمونك » خبراً لكان مقدماً .

(٢) الركة ظاهرة على عبارة المؤلف هذه وهي من العبارات السائرة في أيامه ، أراد « واذا كانت بهذه المثابة ... ولما كانت ... » .

فانه يكون في غاية الحسن والرونق ، وهذا لاختفاء<sup>(١)</sup> به .

وأما النوع الرابع وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور ، فان فيه المؤلف فوائد<sup>(٢)</sup> حجة ؛ وذلك أن يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ، ويعرف مقاصد كل فريق منهم ، والى أين ترامت به صنعته في ذلك ، فان هذه الأشياء مما تشجذ القرينة ، وتذكي الفطنة<sup>(٣)</sup> . وإذا كان المؤلف عارفاً بها تصير المعاني ، التي ذكرها أرباب هذه الصناعة ، وتعبوا في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه ، يأخذ منه ما أراد ، ويترك ما أراد . وأيضاً فإنه<sup>(٤)</sup> إذا كان مطلعاً على المعاني المسبوق اليها ، فقد ينقدح له من بينها معنى غريب ، لم يسبق [ إليه<sup>(٥)</sup> ] . ومن المعلوم أن خواطر المؤلفين وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة ، فان بعضها قد يكون<sup>(٦)</sup> عالياً على بعض ، أو منحطاً عنه بشيء يسير . وكثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار ، في الانبان بالمعاني ، حتى إن بعض المؤلفين قد يأتي بمعنى من المعاني مصوغاً بلفظه ، ثم يأتي الآخر بعده ، بذلك المعنى واللفظ ، بعينها<sup>(٧)</sup> ، من غير علم منه بما جاء به المؤلف الأول ، وهذا هو الذي تسميه أرباب هذه الصناعة « وقع الخافر على الخافر » كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم  
يقولون لا تهلك أسي وتجمّل

وقول طرفة بن العبد البكري بعده :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم  
يقولون لا تهلك أسي وتجمّد

وسياتي لذلك باب مفرد في كتابنا هذا .

وأما النوع الخامس ، وهو معرفة الأحكام السلطانية من الامامة والامارة ، وغير ذلك ،

(١) في الأصل « الاختفاء . (٢) في الأصل « فوائده » .

(٣) المشهور عند الفصحاء إعادة الضمير الى « ما » مفرداً مذكراً فان كانت « ما » شرطية وميزت بمؤنث جاز الوجهان . كقوله تعالى في فاطر ٣٥ : ٢ « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » .

(٤) هذا من تعابير المتكلمين لأن « إن » تقطع ما بعدها عما قبلها ، أراد « وهو أيضاً إذا كان ... »

(٥) زيادة يقتضيها السياق . (٦) في الأصل « لا يكون » وهو غير مستقيم .

(٧) في الأصل « بينهما » وهو تصحيف ولعل الصواب بأعينها .

فإنما أوجبنا<sup>(١)</sup> على مؤلف الكلام معرفتها ، والاحاطة بها ؛ لأنه قد يحدث في الامامة حادث ، في بعض الأوقات ، أو يجري فيها أمر من الأمور ؛ بأن يكون الامام القائم من المسلمين ، ثم يتولى من بعده من لم تتكامل فيه شرائط الامامة ؛ أو يكون كامل الشرائط ، غير أن الامام الذي كان قبله عهداً بها الى آخر غيره ، وهو ناقص الشرائط ، أو يكون قد تنازع الامامة شخصان<sup>(٢)</sup> ، أو يكون أرباب الحل والمقد قد اختاروا إماماً ، وهم غير كامل الشرائط ، التي يجب أن توجد فيهم ، أو يكون أمر غير ما ذكرنا ، فتختلف الأطراف في ذلك ، وينتصب ملك من ملوك الأرض له عناية بالامام الذي قام للمسلمين ، فيتقدم<sup>(٣)</sup> الى كاتبه بكتبه كتاباً في معناه إلى الأطراف المخالفة له . وإذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفاً بالحكم ، في هذه الحوادث ، واختلاف أقوال العلماء فيها ، وما هو رخصة في ذلك ، وما ليس برخصة ، فإنه لا يكتب كتاباً ينتفع به البتة . ولسنا نعي بهذا القول أن يكون الكتاب مقصوراً على فقه محض فقط ؛ لأننا لو أردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه الى كتيبه كتاباً ، بل كنا نقتصر على انفاذ مصنف من مصنفات الفقه ، عوضاً عن الكتاب ، الذي نريد أن نكتبه ، وإنما قصدنا بذلك أن يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى مشتملاً على الترغيب والترهيب ، والتسامح في موضع ، والمحاقة<sup>(٤)</sup> في موضع ، مشحوناً كذلك بالنكت الشرعية ، التي تليق به وتناسبه ، كما فعل الصابي<sup>(٥)</sup> في الكتاب<sup>(٦)</sup> الذي كتبه عن عز الدولة بن بويه الى الطائع ، لما مات المطيع ،

(١) في الأصل « أوجبناه » وهو غير مستقيم .

(٢) قال في الصباح المنير « الشخص : سواد الانسان تراه من بعد ثم استعمل في ذاته » .

(٣) يقال : تقدم بكذا الى فلان : أمره به .

(٤) في الأصل « المحاققة » بفك الأضغام وهو غير جائز ، لأنه مصدر « حاق » الرباعي بتشديد القاف .

(٥) أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون الحراني الأصل ، قال فيه ياقوت « أوجد الدنيا في انشاء

الرسائل ، تقلد ديوان الرسائل والمظالم والمعادن تقليداً سلطانياً أيام بني بويه ببغداد » . وقد نشر الأمير شكيب

أرسلان الجزء الأول من رسائله ، وقد وجد - الدكتور معظفي جواد ، أحد المحققين لهذا الكتاب -

منها نسخة بدار الكتب الوطنية بباريس غفلاً من اسمه ، رقبها « ٦١٩٥ » عربيات . وله كتاب التاجي في أخبار

بني بويه وأخبار أهله ، وديوان شعر . توفي سنة « ٣٨٤ » . « معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٠-٩٤ » ،

والوفيات « ج ١ ص ٦٤ » من طبعة مكتبة النهضة بالقاهرة .

(٦) وددنا أن نشير الى موضع هذا الكتاب من رسائل الصابي التي طبعها الأمير شكيب ارسلان بالشام ، =

فانه من محاسن الكتب ، التي يكتب بها في هذا الفن .

وأما النوع السادس وهو حفظ القرآن الكريم ، والاطلاع على غرائبه وعجائبه ، فإن مؤلف الكلام ينبغي له أن يكون عارفاً بذلك ، لأن فيه فوائد كثيرة ، ومنافع زائدة . منها أن يُضمّن كلامه الآيات في أماكنها اللائقة بها ، ومواضعها المناسبة لها ، ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك ، من الفخامة والجزالة والرواق ، كما فعل الشيخ عبد الرحيم<sup>(١)</sup> بن نباتة في خطبه<sup>(٢)</sup> فانه أبدع في تضمين الآيات فيها ، وسيأتي بيان ذلك في باب التضمن .

ومنها أن المؤلف اذا عرف مواقع البلاغة وأسرار صناعة الكلام ، في تأليف القرآن الكريم ، اتخذها بجرأ ، يستخرج منه الدرر والجواهر ، ويودعها<sup>(٣)</sup> في مطاوي كلامه . وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة لمؤلف<sup>(٤)</sup> الكلام . فعليك أيها المترشح لهذه الصناعة بحفظه ، والفحص عن سره الخفي ، وغامض علمه المستور ، فانها تجارة للمؤلف لا تبور ، ومتبع لا ينفور ، وكثر يرجع اليه ، وذخر يُعوّل في جميع كلامه عليه .

وأما النوع السابع ، وهو تحفظ أخبار الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما يحتاج مؤلف الكلام إلى استعماله ، فان الأمر يجري في ذلك مجرى القرآن الكريم ، وقد تقدم القول فيه ، فاعرفه .

== الا اتنا لم نعتز عليه فيها ، ففتشنا عنه في رسائل الصابي المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس تحت رقم ٦١٩٥ قلم نظفر به فيها ، وذلك يدل على نقصان ما جمع منها .

(١) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الحذاقي الفارقي ، صاحب الخطب المشهورة المطبوعة المتداولة ، كان إماماً في علوم الأدب ، وكان خطيب حلب وبها اجتمع مع أبي الطيب التنفي في خدمة الأمير سيف الدولة بن حمدان ، قالوا : وكان سيف الدولة كثير الغزو فلهدا أكثر هذا الخطيب من خطب الجهاد ليحرض الناس عليه ويحثهم على نصرة سيف الدولة . ولد سنة « ٣٣٥ » وتوفي سنة « ٣٧٤ » هـ بميفارقين .  
( الوفيات ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣ ) من طبعة مطبعة السعادة سنة « ١٩٤٨ » .

(٢) في الأصل « خطبة » .

(٣) راجع « ص ٥ ح ٥٥ » من هذا الكتاب .

(٤) في الأصل « المؤلف » .

## القسم الثاني

وهو ما يخص الناظم دون الناثر

وذلك معرفة العروض ، وما يجوز فيه من الزحاف ، وما لا يجوز ، فإن الشاعر محتاج اليه . ولسنا نوجب عليه المعرفة بذلك ليفظم بعلمه ، فإن النظم مبني على الذوق ، ولو نظم بتقطيع التفاعيل<sup>(١)</sup> لجاء شعره متكلفاً غير مرضي ، وإنما أريد للشاعر معرفة العروض لأن الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات ، ويكون ذلك جائزاً في العروض . وقد ورد للعرب مثله . فإذا كان الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وبين ما لا يجوز .

وكذلك أيضاً يحتاج الشاعر إلى العلم بالقوافي والحركات ، ليعلم الرّوي<sup>(٢)</sup> والرّدْف<sup>(٣)</sup> وما لا يصح من ذلك ، فإذا أكمل مؤلف الكلام معرفة هذه الآلات ، وكان ذا طبع مجيب وقريحة مؤاتية ، فعليه بالنظر في كتابنا هذا ، والتدبر لمشكلاته ، والتصريح لما أودعناه من حقائق علم البيان ، ونهنا عليه من أصول ذلك وفروعه .

(١) في الأصل « الأفاعيل » .

(٢) الروي : هو الحرف الذي تبنى عليه النصيدة فنسب اليه فيقال « نصيدة لامية » إذا كان الروي لامية

و « ميبية » إذا كان الروي ميمياً وهلم جرا .

(٣) الرّدْف : هو حرف لين ساكن ( واو أو ياء بعد حركة لم تجانسهما ) أو حرف مد ( ألف أو واو أو ياء بعد حركة مجانسة ) يقان قبل الروي ويتصلان به مثل حرف اللين ( الياء ) في كلمة ( عين ) من قول أبي العتاهية « دار أمامك فيها قرّة العين » ومثل حرف المد ( الياء ) في ( سبيل ) من قوله :

لا تعمر الدنيا فليد ... س الى البقاء بها سبيل



## الباب الثاني

من الفن الأول من القطب الأول

في أدوات التأليف

اعلم أيها المنتصب لهذه الصناعة ، أنه يجب عليك إذا أردت أن تؤلف شيئاً من الكلام ، منشوراً كان أو منظوماً ، أن تأخذ من نفسك ، ساعة نشاطك و فراغ بالك ، وإجابتها لك ، فان قليل تلك الساعة أجدى عليك بما يُعطيك يومك بالكسَدِّ والمطاولة . وإيّاك والتَوَعُّرُ فإنه يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، وسنبتين لك فيما يأتي من هذا الكتاب ما تتوقى به ذلك ؛ فاذا حاولت أمراً بديعاً فالتمس له لفظاً يناسبه ، فانه جدير بالمعنى الشريف أن يكون لفظه شريفاً . وإذا وجدت ذلك فهو الدرجة التي لا أمد وراءها ، والمنزلة التي لا مطلع فوقها . وعليك بتفتيح<sup>(١)</sup> الألفاظ وتحسينها ، فان الخطب الراقية والأشعار البارعة ، لم تعمل لافهام المعاني فقط ، لأنه لو قصد بها الافهام فقط لكان الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد في الأفهام ، وإنما عملت الخطب والاشعار لأجل الاتيان ببداعة اللفظ ، وإحكام صنعته . ولسنا نعني بذلك أن يجعل المؤلف همته مقصورة على تجويد الألفاظ ، ويُهمِلَ المعاني المنوطة تحتها ، وإنما المعنى به أن تكون المعاني المقصودة ذات ألفاظ حسنة راقية ، وسندكر معرفة اللفظ الجيد من الرديء ، والفرق بينهما ، فيما يأتي من كتابنا هذا .

واعلم أن المعنى هو عماد اللفظ ، واللفظ هو زينة المعنى . والمعاني بمنزلة الأرواح ، والألفاظ بمنزلة الأجساد ، فأول ما يجب على المتكلم أن لا يؤلف كلامه من ألفاظ رديئة . ثم إن ألفه من

(١) في الأصل « بتفتيح » .

الألفاظ جيدة حسنة ، فانه لا يكون لها مزية ورونق إلا بايداعها معنى شريفاً واضحاً ؛ لأن الألفاظ لا تراد لنفسها ، وإنما تجعل أدلة على المعاني ، فاذا عدمت الذي يراد منها لم يعتد لها بالأوصاف التي تكون لها . ألا ترى أن قولك « فعولن مفاعيلن ... » ليس له من الخلاوة والرونق ما لقولك :

تَصَوَّعَ مِسْكَ بَطْنُ نَعْمَانَ <sup>(١)</sup> إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةٍ خَفِرَاتِ

وذلك لخلاوة من المعنى المفهوم ؟ وهذا مما لا يحتاج فيه إلى زيادة في القول ، لبيانه ووضوحه . ومن العلوم أن جماعة العقلاء من الخاصة والعامة يعرفون المعاني ، ويصيرون فيها ، إلا أنهم لا يقدرون على إبرازها في لباس أنيق مناسب لها ، لعدم الطبع الجيب إلى ذلك . ألا ترى أنه حكى عن المبرد <sup>(٢)</sup> ، وهو من أكبر علماء العربية وأفخمهم شأنًا ، وصاحب قول ومذهب ، أنه قال : لا أحتاج إلى وصف نفسي لعلم الناس بي ، إنه ليس أحد يختلج في قلبه مسألة مشكلة إلا لقبني بها ، وأعدني لها ؛ فأنا عالم ومتعلم ، وحافظ ودارس ، لا يخفي عليّ مشتبته <sup>(٣)</sup> من الشعر والنحو ، والكلام المنشور ، من الخطب والرسائل ، ولربما احتجت إلى اعتذار من قلة إلى بعض الأصدقاء ، أو التماس حاجة ، فأجعل المعنى الذي أقصده نُصِبَ عيني ، ثم لا أجد سبيلاً إلى التعبير عنه بما أرتضيه . ولقد بلغني أن عبيد الله <sup>(٤)</sup> بن سليمان ذكرني بجميل ، فحاولت أن

(١) نعمان كسجبان : اسم واد وهذا البيت لمحمد بن عبد الله التميمي « كامل المبرد ج ٣ ص ١٠٠ » ، « الأغاني ج ٦ ص ٢٣ » ، مطبعة التقدم بمصر .

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي البصري ولد سنة « ٢١٠ » هـ وتوفي سنة « ٢٨٦ » وكان إماماً في العربية والنحو وأوحد زمانه فيها وله تأليف مشهورة كالسكامل في الأدب ومعاني القرآن والروضة وإعراب القرآن ونسب عدنان وقحطان والرد على سبويه وغير ذلك . « معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٩ ص ١١١ وما يليها » وبقية الوعاة ص ١١٦ « مطبعة السعادة ، وقد جاء في الأعلام للزركلي « ص ١٠٠٢ » ان « مولده ووفاته ببغداد » والصحيح أنه ولد بالبصرة . انظر المراجع المذكورة اعلاه في ذلك .

(٣) في الأصل « متنبه » ولعل الصواب ما ذكرناه .

(٤) في الأصل « عبد الله » وهو تصحيف وهو أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الكاتب الوزير ولد سنة « ٢٢٦ » ووزر للمعتضد عشر سنين ، وكان من المدحجين ، مدحه ابن المعتز الخليفة الشاعر وتوفي سنة « ٢٨٨ » (راجع فوات الوفيات ج ١ ص ٥٨) من طبعة مطبعة السعادة بمصر والفخري « ص ٣٠١ » من طبعة أوربة . وابن كثير « في البداية والنهاية » ج ١١ ص ٨٥ .

أكتب إليه رقعة أشكره فيها ، وأعرضُ ببعض أموري ، فأثبتت نفسي يوماً في ذلك ، فلم أفدر على ما أرتضيه ، فكنت أحاول الأفضاح عما في ضميري فينحرفُ لساني إلى غيره .  
 فإذا كان هذا قول المبرّد - مع علوّ منزلته ، وارتفاع قدره - ، فما ظنك بمن لم يستنشق رائحة هذه الصناعة ؟ ولذلك قيل : زيادة المنطق على الأدب خير و<sup>(١)</sup> زيادة الأدب على المنطق هجئة . فأعرف ذلك وقس عليه .

ولأجل تجويد الألفاظ وتهذيبها كان الكاتب في الرسالة ، والخطيب في الخطبة ، والشاعر في القصيدة ، بعد الفراغ من معانيها يشتغل بتنقيح ألفاظها ، والتأنق في تجويدها ، ليدلّ بذلك على براعته والتقدم في صناعته . ولو كان قصد هؤلاء التوم إفهام المعاني فقط اطرحوها ، وريحوا كدأ كبيراً ، وأسقطوا عن أنفسهم تعباً زائداً . فينبغي لمؤلف الكلام حينئذ أن تكون ألفاظه رشيقةً لائقة ، متصفة بالصفات التي يرد ذكرها في هذا الكتاب . ويكون معناه صواباً فيما قصده . وإذا كان حُسنُ التأليف لا يؤاتيك ، ولا تصل قدرتك إليه وتجد اللفظة لا تقع موقعها ، ولا تصير إلى مركزها ، ولا تتصل بسلكها ، وكانت قلقة في مكانها ، نافرة عن موضعها ، فلا تكررهما على اغتصاب الأمان ، والنزول في غير مواطنها ، فانك إن لم تتعاط صناعة التأليف من المنظوم والمنثور لم يعبك<sup>(٢)</sup> على ذلك أحد . ولو تكلفت ذلك ولم تكن حاذقاً به ، ولا محكماً له استحققت عند ذلك العيب ، واستوجبت الذمّ وجعلت نفسك غرضاً<sup>(٣)</sup> لسهام اللام . وإن كانت قريحتك لا تسمحُ لك ، وتعصي عليك ، بعد إجابة الفكر ، وإطالة النظر فلا تعجل وارك نفسك في تلك الحالة ، ثم عاود أمرك عند نشاطك وفراغ بالاك ؛ فانك لا تعدّم حالة الأجابة من خاطرك ، والمؤاتاة ؛ إن كان لك قلب<sup>(٤)</sup> مجيب .

وأعلم أنه ينبغي أن تستعمل في كتابك ، إن كنت كاتباً ، مخاطبة كل فريق من الناس ، على قدر طبقاتهم ، وقوتهم في الفهم . والدليلُ على ذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) في الأصل « في » وقد أثبتنا ما يقتضيه السياق .

(٢) في الأصل « لم يعبك » وهو تحريف النسخ . (٣) في الأصل « عرصاً » .

(٤) انظر العمدة لابن رشيقي « ج ١ ص ١٨٧ » مطبعة حجازي .

لما أراد أن يكتب الى أهل فارس ، كتب اليهم ما يمكنهم ترجمته ، وهو <sup>(١)</sup> من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى أبرويز عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد <sup>(٢)</sup> أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأني رسول الله إلى الناس كافة ، لينذر من كان حياً ويحيق القول على الكافرين . فأسلم تسليماً . وإن آيت فائم الجوس عليك . ألا ترى كيف سهل الألفاظ غاية التسهيل ، بحيث إنها لا تخفى على من له أدنى تشبث باللغة <sup>(٣)</sup> العربية ؟ ولما أراد أن يكتب الى قوم من العرب خاطبهم على قدر قوتهم وعادتهم لسماح مثله ، فكتب لوائل <sup>(٤)</sup> بن حنجر « من محمد رسول الله الى الأقبال <sup>(٥)</sup> العبا هلة <sup>(٦)</sup> أهل <sup>(٧)</sup> حضر موت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ؛ على التبعة <sup>(٨)</sup> شاة <sup>(٩)</sup> »

(١) جاء نصه في تاريخ الطبري كما يأتي « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله الى الناس كافة » لينذر من كان حياً « أسلم تسلم فان آيت فعليك ثم الجوس » وفي رواية أخرى « ... من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فاني أنا رسول الله الى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ، ويحيق القول على الكافرين . فأسلم تسلم » فان آيت فائم الجوس عليك « ( تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٥-٦ من طبعة مطبعة الاستقامة بمصر ) .

(٢) في الأصل « أشهر » . (٣) في الأصل « بلغة » .

(٤) هو وائل بن حجر بن ربيعة وقيل بن سعد الحضرمي ، كان أبوه من أقبال اليمن ووفد هو على النبي - صلى الله عليه وسلم - واقتطعه أرضاً فاقتطعه إياها . قال ابن سعد : نزل الكوفة وروى عن النبي - ص - ومات في خلافة معاوية « الاصابة ج ٣ ص ٥٩٢ » . أما الكتاب الذي كتبه النبي - ص - فقد ذكره الزمخشري في « الفائق » ج ١ ص ٤ طبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م في غير رواية وصورة .

(٥) الأقبال جمع قبيل وأصله قبيل فيعمل من القول ، خذفت عينه واشتقاقه من القول ، كأنه الذي له قول أي ينفذ قوله ... وأما أقبال فمحمول على لفظ قبيل كما قبيل أرياح في جمع ربح والشائع أرواح « الفائق » ويراد الملك الصغير من ملوك اليمن .

(٦) العبا هلة : الذين أقرؤا على ملكهم لا يزالون عنه من « عبا هلة » بمعنى « أبهاه » اذا أهمله . العين بدل من الهمزة ... ( الفائق ) .

(٧) في الفائق « من أهل » .

(٨) في الأصل « السبعة » والتي أئبتناه من الفائق . والتبعة : الأربعون من الغنم ، وقيل هي اسم لأذني ما يجب فيه الزكاة ، كالخمس من الابل وغير ذلك ، وهي مشتقة من تابع اليه يتبع إذا ذهب اليه . وقيل غير ذلك ( الفائق ) . (٩) في الأصل « الشاة » بالتعريف ولا محل له .

والتَّيْمَةُ (١) لصاحبها ، وفي السُّيُوبُ (٢) الخُمُسُ لا (٣) خِلَاطٌ ولا وِراطٌ (٤) ولا شِدَاقٌ (٥) ولا شِنَارٌ (٦) ومن أجبى (٧) فقد أربى (٨) وكلُّ مسكر حرام .  
فانظر أيها المتأمل لهذا الكلام ، كيف خاطب هؤلاء القوم بالضد مما خاطب أهل (٩)  
فارس . وليس سبب ذلك الا ما ذكرناه من مخاطبة كل فريق من الناس على قدر معرفتهم .  
فاعرف ذلك وقس عليه .

- (١) في الأصل « التئمة » والتئمة : الشاة الزائدة على التبعة حتى تبلغ الفريضة الأخرى وقيل هي التي ترتبطها في بيتك للاحتلاب ولا تسميها وأيتها كانت ، فهي المحبوسة إما عن السوم واما عن الصدقة ، من « التئيم » وهو التعييد والحبس عن التصرف الذي للأحرار ( الفائق ) .  
(٢) في الأصل « وفي الستون » ولا معنى له . والسيوب : الركاز وهو المال المدفون في الجاهلية أو المعدن ، جمع سيب وهو العطاء ( الفائق ) .  
(٣) والخلاط أن يخالط صاحب الثمانين صاحب الأربعين في الغنم وفيها شاتان لتؤخذ واحدة ( الفائق ) .  
(٤) الوراظ : خداع المصدق بأن يكون له أربعون شاة فيعطى صاحبه نصفه لكلا يأخذ المصدق شيئاً . مأخوذ من الورطة ، وهي في الأصل الهوة الغامضة فجعلت مثلاً لسكـ خطة ( ماكرة ) وإبطاء عشوة : وقيل هو تعيينها في هوة أو خمر لكلا يعثر عليها المصدق ، وقيل هو أن يزعم عند رجل صدقة وليس عنده فيورطه « الفائق » .  
(٥) الشناق أخذ شيء من الشنق وهو ما بين الفريضتين سمي شناقاً لأنه ليس بفريضة تامة فكأنه مشنوق ، من شنقت الناقة بزمامها : إذا كفتتها وهو المعنى بتسميته وقصاً ، لأنه لما لم يتم فريضة فكأنه مكسور ( الفائق ) .  
(٦) الشغار : أن يشاغر الرجل الرجل وهو أن يزوجه أخته على أن يزوجه هو أخته ولا مهر إلا هذا ( الفائق ) .  
(٧) في الأصل « أحنى » . وأجبي : باع الزرع قبل بدو صلاحه وأصله الهمز من جياً عن الشيء إذا كف عنه ( الفائق ) .  
(٨) أربى يربى أرباءاً : أي دخل في الربا والمعنى أنه إذا باعه على أن فيه كذا فقيراً وذلك غير معلوم فإذا تقس عما وقع التعاقد عليه أو زاد فقد حصل الربا في أحد الجانبين « الفائق » .  
(٩) في الأصل « لأهل » وهو غير مستقيم .

## الباب الثالث

من الفن الأول من التظب الأول في الطريق

الى صناعة النظم والنثر

إعْلَمَ أيها المتأمل لكتابنا هذا ، أنا مارسنا <sup>(١)</sup> هذه الصناعة ، وبيّناها من طُرُقٍ كثيرة ، وأبواب متعددة ، وخبرنا <sup>(٢)</sup> ما ينفع المتدرب من ذلك ، وما يكون أعون له ، وأجدي عليه وأقرب الى تعليمه وإفادته ، فلم نجد ما هو أسهل مأخذاً ، وأقرب متناولاً ، سوى طريق واحد نحن ذاكره في هذا الكتاب ، فنقول :

يجب على المبتدئ في هذا الفن والترشح له إذا آتاه الله عز وجل طبعاً مجيباً ، وقريحاً مواتية ، وكان مستكماً لمعرفة ما يجب على المؤلف معرفته ، مما أشرنا اليه في صدر هذا الكتاب ، أن يأخذ رسالة من الرسائل ، أو قصيدة من الشعر ، يقف على معانيها ، ويتدبر أوائلها وأواخرها ، ويقرر ذلك في قلبه . ثم يكلف نفسه عمل مثلها ، مما <sup>(٣)</sup> هو في معناها ، ويأخذ تلك الألفاظ التي فيها ، ويقيم عوض كل لفظه لفظة من عنده ، تسد مسدها ، وتؤدي المعنى المندرج تحتها ، ولا يزال كذلك ، حتى يأتي على آخرها . ثم بعد فراغه منها يشتغل بتنقيح ألفاظها وتجويدها ، وارتباط <sup>(٤)</sup> بعضها ببعض ، فإذا استتم عمله انتقل منه الى غيره ، وفعل فيه فعله أولاً ، ولا يزال

(١) في الأصل « مارسنا » . (٢) في الأصل « ما ما ينفع » .

(٣) في الأصل « ممن » .

(٤) استعمل المؤلف « ارتبط » لازماً وهو قليل قال الجوهري في الصحاح « وفلان يرتبط كذا رأساً من الدواب » وقال ابن فارس في مقاييس اللغة « ويقال : ارتبطت الفرس للرباط » . وفي أساس البلاغة « وارتبط فلان فرساً ، وفي مثل : استكرمت فارتبط » . وفي القاموس « وارتبط فرساً : اتخذ للرباط » . إلا أن لسان العرب ذكر قولهم « ارتبط في الجبل : نشب » . مع ذكره التعدي . وقال ابن كمال باشا في كتابه « التنبيه على غلط الجاهل والنبه » - ص ٢٣ - « ومنها في فصل الرأء ( المرتبط ) قول الناس ( فلان =

على هذه القدم ، يُدْمِنُ<sup>(١)</sup> في معارضة الرسائل ، ان كان كاتباً ، أو في معارضة القصائد ، ان كان شاعراً ، حتى يحصل له بذلك الدُرْبَةُ الوافرة ، وتتمرن قريحته عليه أو يعتاد خاطره هذا الأمر اعتياداً زائداً ، ولا ينبغي له ان يكون قائماً من ذلك بالقليل ، ولا راضياً بمعرفة الطريق ، دون سلوكه إياه ، مراراً كثيرة ، وخبيرته بسهله وحزنه ، وقريبه وبعيده ، فاذا تدرَّبَ واعتاد ، وصار ذلك له خليقته وطبعاً ، تفرغت عنده المعاني واتقدحت في خاطره ، فتسهل عليه حينئذ صياغتها ، وبارازها فيما يليق بها من اللباس . وهذا أنفع الطرق وأكثرها فائدة ، لمن يروم الدخول في زمرة الكتاب والشعراء ، ولا تجد أيها المنتصب لهذه الصناعة طريقاً يجدي عليك من النفع ما يجديه هذا الطريق ، فاعرفه .

---

== مرتبط بكذا ) على البناء للفاعل ضمناً ، والصحيح ( مرتبط بكذا ) على بناء المفعول لأن ( ارتبط ) متعد كرتبط ، كما انفقت عليه أمجة اللغة . قلنا ومنه قول لبيد :

تذاك أمكنة إذا لم أرضها      أو يرتبط بعض النفوس حمامها

وقد استعمله لازماً أبو حيان التوحيدي قال في الامتاع والمؤانسة - ج ٢ ص ٨ - « وكيف ارتباط بعضها ببعض » وجاء في عمدة ابن رشيق « كارتباط الروح بالجسم » ج ١ ص ٨٠ من الطبعة الأولى .

( ١ ) لعل الصواب « يدمن معارضة » .

## الباب الرابع

من الفن الأول من القطب الأول

### في الحقيقة والمجاز

اعلم أن الحقيقة : هي ( اللفظ )<sup>(١)</sup> الدال على موضوعه الأصلي . وقيل : هي اسم مشترك ، يراد به ذات الشيء وَحَدُّهُ ، ويراد به ما استعمل بآزاء موضوعه اللغوي . وأما المجاز : فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، اتساعاً ، وقيل : هو<sup>(٢)</sup> ما نقل عن موضوعه الأصلي الى غيره ، بسبب مشابهة بين محل الحقيقة ومحلّه ، في أمر مشهور .

واعلم أن المجاز ينقسم الى اقسام ، وقد أودعنا كتابنا هذا منها ما سنعلم لنا ، وهو أربعة عشر قسماً : « الأول » ما جعل للشيء بسبب المشاركة في خاصة ، كما يقال للبليد حمار ، وللشجاع أسد . « الثاني » الزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى « فبأرحمة من الله لنت<sup>(٣)</sup> لهم » فإها هنا زائدة لامعنى لها أي « فبرحمة<sup>(٤)</sup> من الله لنت لهم » ( الثالث ) النقصان الذي لا يبطل به معنى الكلام ، لحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، كقوله تعالى « ومن يكسب خطيئةً أو إثمًا ثم يرم به<sup>(٥)</sup> بريئاً » يريد شخصاً بريئاً . وكحذف المضاف وإقامة المضاف اليه<sup>(٦)</sup> مقامه كقوله تعالى « واسئل القرية<sup>(٧)</sup> أي أهل القرية . وللنحاة في ذلك اختلاف . قال سيبويه<sup>(٨)</sup> : إن القياس ممتنع في حذف

(١) من المثل السائر ص ٥٨/١ . (٢) في الأصل « هي » .

(٣) آية : ٥٩ سورة آل عمران . (٤) في الأصل « فبها » .

(٥) آية : ١١٢ ، سورة النساء . (٦) زيادة اتصافاً بالسياق . (٧) آية ٨٢ ، سورة يوسف .

(٨) سيبويه : عمرو بن عثمان امام البصريين في النحو ، أصله من البيضاء من أرض فارس ، قدم البصرة وأخذ عن الخليل ، وورد على يحيى البرمكي فجمع بينه وبين الكسائي للناظرة ، فاقطع سيبويه ، ولم تضل مدته بعدما توفي سنة ١٨٠ هـ . شيراز ، وقيل غيرها « انظر بنية الوعاة » للسيوطي ص ٢٦٦ وما بعدها طبعه مطبعة السعادة بحمر سنة ١٣٢٦ هـ .



الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، فلا يجوز في جاءني رجل طويل « جاءني طويل » وقال الفارسي<sup>(١)</sup> وغيره من علماء العربية : القياس جاز في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . وسيبويه لم ينص في ذلك بشيء . وقال أبو الحسن الأخفش<sup>(٢)</sup> تارة إنه ممتنع ، وتارة إنه جاز . والقوي عنده أن لا يقاس ، وغيره لا يمنع القياس ، « الرابع » تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه كقوله تعالى « إني أراني أعصر خمراً »<sup>(٣)</sup> . وإنما كان يعصر عنباً . « الخامس » تسمية الشيء باسم مجاوره كقوله للزيادة « راوية » وإنما الراوية الجمل الذي يحملها . « السادس » تسمية الشيء بكلمه كقولك في جواب « ما فعل زيد » : القيام . والقيام إنما هو جنس يتناول جميع أنواعه . « السابع » تسمية الشيء بجزئه كقولك لمن تبغضه : « أبعده الله وجهه عني » تريد بذلك عامة جسده . « الثامن » تسمية الشيء بدواعيه كتسميتهم الاعتقاد قولاً نحو قولك « هذا يقول بقول الشافعي » أي يعتقد اعتقاده . « التاسع » تسمية الشيء باسم أصله كقولك للآدمي « مضغة » . « العاشر » تسمية الشيء باسم فرعه كقول الشاعر :

وما العيش إلا نومةٌ وتشرق  
ومر على رأس النخيل وماءٌ

فسمى الرطب « تمرًا » . « الحادي عشر » : تسمية الشيء باسم ضده كقولهم للأسود والأبيض « جون » . « الثاني عشر » تسمية الشيء بمكانه كقولهم للطير « سماء » لأنه ينزل منها . « الثالث عشر » تسمية الشيء بفعله كتسمية الحجر مسكراً . « الرابع عشر » . تسمية الشيء بحكمه كقوله تعالى « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي ... » الآية .

(١) الفارسي : أبو علي الفارسي ولد بفارس وقد بغداد وتبول في البلدان وأقام مدة عند سيف الدولة الحمداني في حلب ، ثم عاد إلى فارس وصحب عضد الدولة بن بويه ووصف له كتاب « الايضاح » في قواعد العربية ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٣٧٧ هـ أخذ عن الزجاج وابن السراج ، وربما كان أشهر تلامذه ابن جني أنظر بغية الوعاة ص ٢١٦ طبعة مطبعة السعادة مصر سنة ١٣٢٦ هـ والأعلام للزركلي ، و « وفیات الأعيان » و « نزهة الألباء » .

(٢) أبو الحسن الأخفش ، قرأ على ثعلب والمبرد ، وتوفي ببغداد سنة ٣١٥ هـ وكان طوف في مصر ، وخرج إلى حلب ، يقول ياقوت : له تصانيف ذكرها ابن التميمي « في الفهرست » وهي : « شرح سيبويه » و « الأنواء » و « التنبيه والجمع » و « المهذب » و « تفسير رسالة كتاب سيبويه » . أنظر بغية الوعاة ص ٢٣٨ .

فسمي النكاح هبة . فهذه ضرور المجاز التي وقعت . فاعرفها .

وأما الفرق بينه وبين الحقيقة ، فهو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائره ، ألا ترى أنا إذا قلنا « فلان عالم » لما صدق على كل ذي علم واحد صدق على كل ذي علم ، بخلاف « واسئل القرية » لأنه لا يصح إلا في بعض الجمادات دون بعض ، لأن المراد أهل القرية ، لأنهم ممن يصح السؤال لهم ، ولا يجوز أن يقال « واسأل الحجر أو التراب » . وقد يحسن أن يقال « واسأل الربع أو الطلل » .

واعلم أن كل مجاز فله حقيقة ، وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز ؛ وذلك أن من الأسماء قسمين لا مجاز فيهما :

« الأول » أسماء الأعلام ، كأنها وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات .  
« الثاني » الأسماء التي لا أعم منها ، كالمعلوم والمجهول والمدلول ، وغير ذلك ، مما أشبهه .  
واعلم أنه قد صار المجاز في تعارف الناس بمنزلة الحقيقة ، بل هو أقرب إلى التعريف من الحقيقة ، وأولى بالاستعمال منها ، وأحق بالفهم ؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة ، التي هي الأصل ، أولى منه حيث هو فرع عليها . ألا ترى أن قوله تعالى « والصبح إذا تنفَّسَ » أبلغ من أن يقال « إذا انتشر » لأن التنفس يعطي من الدلالة ما لا يعطيه الانتشار ؛ وذلك لما فيه من بيان الروح على النفس ، عند إضاءة الصبح ، لجعل ظهور الصبح وانتشاره من خلال الليل ، شيئاً فشيئاً ، كالتنفس ؛ لأن أول ما يبدو الصباح ثم ينمي في انتشاره بالتدرج ، كإخراج الانسان نفسه .

واعلم أنه إنما <sup>(١)</sup> يعدل عن الحقيقة إلى المجاز لمعان ثلاث وهي : الاتساع والتشبيه والتوكيد ، فان عدت هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة : فمن ذلك قوله تعالى « وأدخلناه في رحمتنا » الآية . فهذا مجاز ، وفيه الأوصاف الثلاثة المذكورة . وأما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال <sup>(٢)</sup> اسماً هو الرحمة ، وأما التشبيه فإنه سببه الرحمة ، وإن لم يصح دخولها ، بما يجوز

(١) هذا من العبارات المولدة نفي استعمال « إنما » للحصر بعد « أنه » .

(٢) المحال جمع المحل ويجوز أن يكون جمع « الهلة » في غير هذه الدبارة .

دخوله . وأما التأكيد فإنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة ، وذلك تغالٍ بالخبر عنه ، وتفخيم له ، إذ صير إلى منزلة ما يشاهد ويعاين . ألا ترى إلى قول بعضهم في الترغيب في الجميل : « لو رأيتم المعروف لرأيتموه حسناً جميلاً » . وإنما يرغب بأن ينبه عليه ، ويعظم من قدره ، فيصور في النفوس ، على أشرف أحواله وأعلى صفاته ، وذلك بأن يخيل متجسماً ، لا عرضاً متوهماً .

وأعلم أن المجاز إذا كثر لحق بالتحقيقة ، وذلك أن أكثر اللغة مجاز لا حقيقة فيه ، فمن ذلك عامة (١) الأفعال نحو « قام زيد ، وقعد عمرو » و « جاء الصيف وانصرف الشتاء » . ألا ترى أن الفعل يُفاد منه معنى الجنسية ، فقولك « قام زيد » معناه كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل . ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام ، وكيف يكون ذلك وهو جنس مطبّق لجميع أنواعه من الماضي والحاضر والمستقبل (٢) ، الكائنات من كل ( من ) (٣) وجد منه القيام ؟ . فإذا كان الحال كذلك علمت أن قيام زيد مجاز لا حقيقة ، وإنما هو على وضع الكل موضع البعض ، للاتساع والتوكيد ، وتشبيه القليل بالكثير . وبدل على انتظام ذلك في جميع جنسه أنك تعمل في جميع أجزاء ذلك الفعل ، فتقول : قت قومة ، وقومتين ، ومائة قومة ، وقياماً حسناً ، وقياماً قبيحاً ، فإملاك إياه في جميع أجزائه يدل على أنه موضوع عندهم على صلاحيته ، لتناول جميعها ، ألا ترى إلى قول بعضهم :

وقد يجمعُ اللهُ الشَّيْئَتَيْنِ بعدما يظُنَّانَ كلَّ الظنِّ أنْ لا تلاقيا

فقوله « كلَّ الظن » يدل على صحة ما أشرنا إليه .

وكذلك قولك « ضَرَبْتُ زَيْدًا » مجاز أيضاً ، لأنك إنما فعلت بعض الضرب لا كله ، وإنما ضربت بعضه لا جميعه ؛ لأنك قد تضرب يده ، أو رجله ، أو ناحية من نواحي جسده . ولهذا إذا احتاط الانسان واستظهر جاء يبدل البعض ، فقال « ضربتُ زَيْدًا رَأْسَهُ » ثم هو مع ذلك متجاوز ، لأنه إنما يضرب ناحية من رأسه ، لا رأسه كله . ولهذا يحتاط بعضهم في نحو

(١) عامة الأفعال أكثرها وعامة الناس أكثرهم . (٢) زيادة يقتضيهما السياق .

(٣) يرد على قول المؤلف أن الفعل الماضي الزمن يقيد القيام بالماضي فلا مستقبل فيه ولا حاضر .

هذا فيقول « ضربت زيدا جانب وجهه الأيمن » . فإذا عرف التوكيد ثم وقع ( في )<sup>(١)</sup> الكلام نحو « نفسه وعينه وكلاه وأجمع » وما جرى هذا المجرى تحقق<sup>(٢)</sup> منه حال سمة المجاز في هذا الباب . ألا تراك تقول : قطع الأمير اللص . ارتفع المجاز من جهة الفعل وصرت فيه الى الحقيقة ، لكن يبقى عليك التجوز من جهة أخرى وهو قولك « اللص » وإنما لعله<sup>(٣)</sup> قطع يده أو رجله ، فإذا احتطت في ذلك قلت « قطع الأمير نفسه يد اللص أو رجله » . وكذلك جاء جميع الجنس . فوقع التوكيد في هذه اللغة أقوى دليل على شيوع<sup>(٤)</sup> المجاز فيها واشتماله عليها ، حتى إن علماء العربية جعلوا له باباً مفرداً ، لعنايتهم به ، وكونه مما تمس الحاجة اليه ، وأنه لا ينبغي أن يضاع مثله ولا يهمل ، كما أنهم جعلوا لكل معنى أهمهم<sup>(٥)</sup> باباً مفرداً ، كالصفة : والعطف ، والاضافة ، وغير ذلك فاعرفه .

(١) زيادة اقتضاها السياق ألا تراه قد قال بعد ذلك « فوقوع التوكيد ... » .

(٢) في الأصل « تحقيق » ولعل الأصل ما ذكرناه .

(٣) في الأصل « لعله » .

(٤) في الأصل « شياخ » . والشياخ مصدر « شاعه » أي تبعه ورافقه ، يقل في الذبوع « شاع يشيم شيعاً ومشاعاً وشبوعاً وشبوعاً وشيعاناً ( التاموس ) . وقد وقع « الشياخ » بمعنى الشوع فيما نقل من كلام الشريف الرضي في كتابه « المجازات القرآنية » ص ١٢٤ .

(٥) هو ابن سنان الخفاجي ، وقد تقدم ذكره .

## الفن الثاني

في القطب الأول

في الألفاظ والمعاني وتمصيل الكلام المنثور على المنظوم<sup>(١)</sup> وهو ثلاثة أبواب :

الأول : في الألفاظ المفردة وهو قسمان :

« الأول » : في الكلام على الألفاظ المفردة ، والفروق بين الجيد منها والسيئ ،  
واعلم أن صاحب كتاب « سر الفصاحة » وغيره من أرباب هذه الصناعة قد أوردوا في كتبهم  
من ذلك أشياء حسنة ، ونهبوا على نكت مستملحة ، غير أننا لما أمعنا النظر فيما قالوه ، وتصفحنا  
مطاوي ما ذكروه ، وقع لنا فيه زيادة مبتكرة ، وقول مستغرب ، ولنورد هاهنا ، ما وصل إلينا  
عن علماء هذه الصناعة ، وما أبتكرناه نحن فنقول :

الأوصاف التي توجد في اللفظة الواحدة ، وتستحق بها ضربة الحسن والجودة ، سبعة أنواع ،  
فأما الذي وصل إلينا منها فستة أنواع :

« الأول » تباعد مخارج الحروف .

« الثاني » أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعرة .

« الثالث » أن لا تكون الكلمة مبتذلة بين العامة .

« الرابع » أن لا تكون عبر بها عن معنى يكره ذكره ، فإذا أوردت ، وهي غير مقصود

(١) في تفضيل النثر على الشعر ، راجع شرح الحماسة للرزوقي « ج ١ ص ١٧ » من طبعة مطبعة لجنة

التأليف والترجمة بمصر .

بها ذلك المعنى قبحت .

« الخامس » أن تكون مصغرة في موضع يُعبر بها عن شيء لطيف ، أو خفي ، أو نحو ذلك .

« السادس » أن تكون مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً . وقد ذكر أبو محمد بن سنان الخفاجي قسماً آخر فقال : « ينبغي أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح ، غير شاذة »<sup>(١)</sup> . وليس هذا معتبراً في جودة اللفظة ولا في رداؤها ، لأن شذوذ اللفظة لا يوجب لها حسناً ولا قبحاً ، وإنما المعنى بقولهم : إن هذه الكلمة شاذة أي أنها لم تُنقل إلا عن واحد فقط ، فلا يوثق بها ولا يركن إليها ، سواء كانت حسنة أو قبيحة . فاعرف ذلك .

وأما الذي ابتكرناه نحن فنوع واحد وهو أن تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة . ولنرجع الى ذكر الستة الأنواع ، التي وصلت اليها من علماء هذه الصناعة ، وتحقيق القول فيها ، فنقول :

إعلم أنه ليس لهم فيها الا السابق بذكرها فقط ، وأما علة كل نوع منها ، والسبب الذي ذكر لأجله فانا لم نأخذ (عندهم)<sup>(٢)</sup> ، وإنما استنبطناه نحن دونهم . وذلك أننا لم نقف لهم في ذلك على قول شاف ، ولا كلام محرر . بل جل أمرهم أن ذكروا هذه الأنواع الستة ثم مثلوا كل نوع منها بمثال ، كما فعل أبو محمد بن سنان<sup>(٣)</sup> الخفاجي ، وهو من الأئمة المشاهير في هذا العلم ، وكذلك فعل غيره ممن تقدمه كقدامة<sup>(٤)</sup> بن جعفر الكاتب ، والآمدي<sup>(٥)</sup> ، والجاحظ وغيرهم . وكتبهم التي صنفوها في هذا الفن شاهدة بما ذكرناه عنهم من إجمال القول ، والافتناع بالأمثلة .

أما النوع الأول من الأنواع الستة فهو تباعد مخارج الحروف ، ولسنا نعني بذلك أن

(١) راجع سر الفصاحة « ص ٧٥ » وما بعدها من طبعة المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) راجع مختصر ترجمته في حاشية « ص : ٣ » من هذا الكتاب .

(٤) انظر مختصر ترجمته في حاشية « ص : ٢ » من هذا الكتاب .

(٥) انظر مختصر ترجمته في حاشية « ص ٢ » من هذا الكتاب .

المتقارب المخارج لا يسكون حسناً ولا جيداً ، بل نعني بذلك أن الغالب على المتباعد المخارج من الألفاظ الجودة والحسن ، والغالب على المتقارب المخارج الرداءة والقبیح . ألا ترى (١) أن « الجيم والشين والياء » لها مخارج متقاربة ، وهي من وسط اللسان ، وبينه وبين الحنك ، وتسمى ثلاثتها الشجرية (٢) ، فإذا ركبنا منها شيئاً من الألفاظ يجيء حسناً رائقاً فإن قلنا : « جيش » ، كانت لفظة محمودة ، وإن قدمنا الشين على الجيم فقلنا : « شجي » كانت أيضاً لفظة محمودة . فهذه مخارج متقاربة ، وقد ركبنا منها هاتين اللفظتين ، وجاءتا في غاية الحسن والرونق . وهذا يسكون نادراً في المتقارب المخارج وإنما الأكثر والغالب يجيء في المتباعد المخارج . فاعرف ذلك .

وحيث انتهى بنا القول إلى هاهنا فلنبداً بوصفه ، في هذا الموضع ، بذكر الأصوات والحروف ، وذكر المخارج وإتسامتها ، قبل ذكر السبب في حسن المتباعدة ، وقبح المتقاربة ، فنقول :  
اعلم أن الصوت (٣) عرض يخرج مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له ، في الحلق والقم والشفتين ، مقاطع ، تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع إن عرض له حرفاً . وتختلف أجراس (٤) الحروف بحسب اختلاف مقاطعها . ألا ترى أنك تبتدىء من أقصى الحلق ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، وتجد له جرساً ما ، فإن انتقلت منه راجعاً عنه ، أو مجاوزاً له ، ثم قطعت أحسست عند ذلك جرساً غير الجرس الأول ، نحو « الكاف » فانك إذا نطقت بها سمعت هناك صدىً ، فإذا رجعت إلى « القاف » سمعت غير ذلك الصدى فإن جزت [ إلى ] الجيم سمعت غير ذينك الأولين . وشبّه بعضهم الحلق والقم بالزمار (٥) وما أقربه شهاً به . والسبيل إلى

(١) راجع المثل السائر « ج ١ ص ١٥٣ » فقد ذكر المؤلف هذا هناك .

(٢) في مقدمة اللسان « الشجرية : الجيم والشين والضاد ، والشجر : مفرج الفم » .

(٣) يعني « صوت الفم » أما الصوت المطلق فقد قال في تعريفه العلامة ابن سينا « أظن أن الصوت سببه القريب موج الهواء ودفعه بسرعة وبقوة من أي سبب كان » ( أسباب حدوث الحروف ص ٥ من طبعة طهران ) .

(٤) أجراس جمع جرس ( بكسر الجيم وفتحها ) ، وهو الصوت .

(٥) في الأصل « بالزمر » أنظر الحديث عن هذا في ص ١٨ من « سر الفصاحة » لأن سنان الحفاجي ، ص ٦ وما بعدها ، طبعة المطبعة الرحمانية بعصر سنة ١٩٣٢ . وأنظر : « فصل في الأصوات » في كتاب « سر الفصاحة » أيضاً .

معرفة ذلك أنك إذا أردت اعتبار هذا : تأتي بالحرف ساكناً لا متحركاً ، لأن الحركة تقلقه عن موضعه ومستقره ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة<sup>(١)</sup> من قبله ، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به ، فتقول : « إك » « إق » وكذلك سائرهما .

واعلم أن « الحروف » تطلق باعتبارات ، فالأول : اسم لهذه الحروف المعدودة ؛ وذلك مأخوذ من تسمية الحد والناحية حرفاً ، لأن الحروف هي جهات للكلمة ونواحيها . الثاني : تطلق على أدوات الكلام نحو « من وعن ، وغيرهما » . الثالث : كقول النبي (ص) « أنزل القرآن على سبعة أحرف » أي سبع لغات لا تختلف ولا تضاد ، كما يقال : « هذا في حرف أبي »<sup>(٢)</sup> و « وهذا في حرف ابن مسعود »<sup>(٣)</sup> . الرابع : يقال ناقه حرف : أي ضامرة . وقال أبو العباس<sup>(٤)</sup> المبرد : إن الهمزة ليست من جملة الحروف . وجعل عددها ثمانية وعشرين حرفاً ، واستدل على ذلك بأن قال : إن الهمزة لا صورة لها في الخط . وهذا فاسد ؛ إذ الاعتبار باللفظة لا بالخط ، فإن الخط لو لم يكن لما كان ذلك مانعاً من كون الهمزة من جملة الحروف .

فأما ترتيب الحروف على نسق المخارج فهي « همزة ، ألف ، ع ، [هـ] ح ، غ ، خ ، ق ، ك ، ج ،

(١) كذا قال ابن جني قبله في « سر صناعة الأعراب » ج ١ ص ٧ وجاء في مقدمة « لسان العرب » ص ١٣ من طبعة دار الفكر : « ونظر الخليل بن أحمد إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، فصر أولاً في الابتداء أدخل في الحلق . وكان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف ثم يقول : أب . أت . أة . أج . أع » ، وهذا يدل على أن كسر الألف غير ضروري .

(٢) أبي : على صيغة تصغير « أب » وهو أبي بن كعب من صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان أقرأ العرب للقرآن الكريم ، راجع ترجمته في طبقات القراء المعروف « بغاية النهاية » للجزري ج ١ ص ٣١ ، وكتب تراجم الصحابة ، « كأسد الغابة » و « الاصابة » .

(٣) هو عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور ، وكان في قراءته اختلاف من حيث قسم من الألفاظ المفردة ، راجع ترجمته في : « طبقات الجزري » وكتب تراجم الصحابة .

(٤) راجع مختصر ترجمته في حاشية ص ٢٢ من هذا الكتاب . وقد سبق ابن جني المؤلف إلى رد ذلك القول ، قال في « باب أسماء الحروف » من « سر صناعة الأعراب » ج ١ ص ٤٦ : « اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً ، فأولها الألف وآخرها الياء ، على المشهور في ترتيب حروف المعجم إلا أبا العباس فإنه كان بعدها ثمانية وعشرين ، وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس غير مرضي عندنا ، كما نوضح القول فيه إن شاء الله » .



ش، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ت، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، م، و، ب<sup>(١)</sup> .  
 وستة أحرف فروع مستحسنة ، وهي همزة بين بين ، والنون والحقيفة ، والألف المهالة ، وألف  
 التفخيم ، والشين كالجيم ، والصاد كالزاي . وثمانية أحرف غير مستحسنة وهي : الكاف بين  
 الجيم والكاف ، والجيم كالكاف ، والجيم كالشين ، والفاء كالباء ، والصاد الضعيفة ، والصاد  
 كالسين ، والطاء كالتاء ، والظاء كالثاء . وذكر قوم أربعة أحرف هي : السين كالزاي ، والجيم  
 كالزاي ، واللام المفخمة ، والقاف كالكاف ؛ فصار الجميع سبعة وأربعين حرفاً .

فأما انقسام المخارج فإنها ستة عشر مخرجاً : ثلاثة حَلْقِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> وهي الهمزة والألف والهَاء .  
 هذا على ترتيب سيبويه ، وأما على ترتيب أبي الحسن<sup>(٣)</sup> الأخفش فإن الهَاء مع الألف لا قبلها  
 ولا بعدها ، ومخرجان يليان هذه الثلاثة المذكورة وهما العين والحاء ، ومخرجان آخران فوق  
 ذينك من أول الفم وهما النين والحاء ، وحرف من أقصى اللسان ، وهو القاف . وأسفل من  
 موضع القاف قليلاً مخرج الكاف ، وهذان الحرفان - أعني القاف والكاف - يدعيان لهَيَوِيَّينِ :  
 من اللهاة . وثلاثة أحرف من وسط اللسان : وهي الجيم والشين والياء ، وتسمى الشَّجَرِيَّة .  
 ومن أول حافة اللسان وما بينهما من الأضراس مخرج الضاد ، ويسمى المتفرد المستطيل . ومن  
 حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه مما بينها وبين ما يليها من الحنك ، فويق الضاحك  
 والنايب والثنية والرابعة مخرج اللام ، ويسمى المنحرف . ومن طرف اللسان ، بينه وبين ما فويق  
 الثنايا السفلى ، مخرج النون . ومن مخرج النون ، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً ، لانحرافه  
 إلى اللام مخرج الراء . وهذه الأحرف الثلاثة : اللام والراء والنون تسمى الذليقة . وقال سيبويه

(١) بين هذا الترتيب وترتيب ابن جني في « بر صناعة الاعراب » ج - ١ ص ٥٠ - شيء من  
 الاختلاف ، فليلاحظ .

(٢) في الأصل « حليقة » وهو من تصحيف النسخ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن سليمان الملقب بالأخفش الأصغر ، أحد الأخفش الثلاثة المشهورين ، قرأ على  
 ثعلب والمبرد وغيرهما ، وشرح كتاب سيبويه في النحو . وله كتاب الأنواء ، والثنية والجمع ، وكتاب المهذب .  
 دخل مصر والشام ، وعاد إلى العراق ، وكان ضيق المال ، توفي بجأة سنة « ٣١٥ » عن ثمانين سنة .  
 راجع « معجم الأدباء » و « بغية الوعاة » ص ٣٣١ .

إنَّ الأصول الخماسية لا تخلو من أحدها البتة . ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ثلاثة أحرف وهي الطاء والدال والتاء ، وتسمى النطعية . وثلاثة أحرف مما بين طرفي اللسان وفوق الثنايا وهي : الصاد والسين والزاي وتسمى الأسلية . وثلاثة أحرف مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا وهي : الظاء والذال والتاء ، وتسمى اللثوية . وحرف واحد مما بين باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى وهو الفاء . وثلاثة أحرف مما بين الشفتين وهي الباء والميم والواو ، وتسمى الشفوية . وحرف واحد من الخيشوم وهو النون ، ويسمى الخيشومي . فهذه جميع مخارج الحروف .

وحيث انتهى القول بنا الى هذا المقام وأتينا على ذكر الأصول والحروف وانقسام المخارج فينبغي حينئذ أن نذكر السبب في حسن ما تباعد من المخارج ، وقبح ما تقارب منها ، فنقول : قال أبو محمد بن سنان الخفاجي في كتابه<sup>(١)</sup> : « إن الحروف التي هي أصوات<sup>(٢)</sup> تجري من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ؛ ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة ، لغرب ما بينه وبين الأصفر ، وبعد ما بينه وبين الأسود » . هذا حكاية كلامه بعينه . ولنا عليه اعتراض ، وهو أنا نقول : إذا ثبت لك أن الألوان المتباينة في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة فكيف يلزم على هذا أن نقيس عليه السمع ونجربه مجراه ؟ فإن قال في الجواب عن ذلك : « إني إنما قست السمع في أصوات الحروف المتباعدة على البصر في الألوان المتباعدة ، لأن السمع حاسة والبصر أيضاً حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب » . قلنا له : إنما يستقيم لك ما ذكرته من هذا القياس أن لو توقف في عرفان جودة اللفظة على سماع أصوات مخارجها ، كما يتوقف في عرفان حسن الألوان على إبصارها ورؤيتها ، وإنما قد يعلم جودة اللفظة ، ويعرف حسن تركيبها ، من غير أن يسمع لها صوت ؛ وذلك أن التأمل للكلام

(١) يريد « سر الفصاحة » وقد مر ذكره غير مرة . راجع ص ٦ ، و ص ٦٠ وما بعدها من الكتاب المذكور ، طبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٢ .

(٢) في الأصل « أصول » والتصحيح من كتاب « سر الفصاحة » .

مكتوباً من غير تصويت به ، ولا نطق ، اذا عرضه على طبعه السليم ، وفكره المستقيم ، عرف جودة ألفاظه ، وعلم حسن تركيبها من قبجه . ولا خلطة للسمع في ذلك ولا مشاركة . فقد ثبت بهذا الدليل فساد ما ذكرته من قياس السمع على البصر ، واختلال ما أشرت إليه من ذلك<sup>(١)</sup> . وإنما القول السديد في حسن اللفظ المتباعد المخارج ، وقبح اللفظ المتقارب المخارج ، ما سنورد هاهنا : وهو أن الفائدة في الأشياء المركبة ، إنما هي اختلاف أجزائها وتباين مفرداتها ، ليؤثر التركيب عند ذلك شيئاً لم يكن ؛ إما حسناً وإما قبحاً . فأما اذا كانت أجزاؤها مشابهاً بعضها البعض ، فانه لا يكون لتركيبها حينئذ كبير فائدة ، وهذا مما لا نزاع فيه : لوضوحه وبيانه .

وحيث كانت الحال في الأشياء المركبة كذلك ، فسنا عليه تركيب مخارج الحروف . وذلك أن من المخارج ما هو مختلف ومعني بالمتخلف هاهنا : المتقارب ؛ كالراء ، واللام ، والطاء ، والسين وغير ذلك ، مما يجري هذا المجرى . فتي كانت الكلمة مركبة من حروف متباعدة المخارج ، أثر التركيب فيها أثراً ؛ وهو الحسن والجودة في الغالب . ومتى كانت الكلمة مركبة من حروف متقاربة المخارج ، جاءت بخلاف ذلك في الغالب أيضاً .

فإن قيل : أما قولك : إن الكلمة ، اذا ركبت من حروف متباعدة المخارج ، أثر التركيب فيها أثراً مسلماً اليك ذلك . وأما تخصيصك ذلك التأثير بالحسن والجودة ، فهذا تحكم محض أنت مطالب بإثباته .

(١) قال ابن أبي الحديد في « الفلك الدائر على المثل السائر » - ص ٨٣ - « قال المصنف - يعني نصر الله بن الأثير - وقد ذكر ابن سنان المتفاجي ، إن أحد ما يشترط في حسن اللفظ ، أن تكون مخارج حروفها متباعدة ، قال : وهذا باطل ، لأنه لو كان العلم بحسن اللفظ وقبحها مشروطاً بتباعد مخارجها أو تقاربها لوجب أن لا يحكم على الفور بقبح لفظة أو حسنهما حتى تعتبر مخارج الحروف ... أقول : ليس بمحتمل أن يعلم المعلول قبل العلة ، والمشروط قبل الشرط ، ألا ترى أنك اذا رأيت الجارية الحسناء فانك تستحسنها على الفور ولا يتوقف استحسانك اياها على أن تستحضر في ذهنك علة الحسن : من دقة شفيتها وأنها ، وامتداد سالفيتها ، ومخالطة الحمرة للبياس في بشرة وجهها ، وغير ذلك من أسباب الحسن ؟ ولا يطعن بحكمك على الفور تعليل الحسن بهذه الأمور » .

وكذلك قولك في الكلمة : « اذا تركبت من عدة حروف متقاربة المخارج » ، ألا ترى أن مخارج الحروف جميعها ، اذا اعتبر كل واحد منها على الانفراد ، لا يوجد له حسن ولا قبح ؟ وهذا لا نزاع فيه . فمن توهم شكاً في ذلك أو لحقه أدنى ارتياب ، فليعرضه ويعتبره ، منصفاً من نفسه ، فانه يعلم صحة ما ذكرناه ، ويعرف حقيقة ما أشرنا اليه .

واذا كانت الحال كذلك ، فمن أي وجه تكسب اللفظة الجودة والحسن اذا تركبت من حروف متباعدة المخارج ؟ ومن أي وجه تكسب الرداءة والقبح ، إذا تركبت من حروف متقاربة المخارج ؟

الجواب عن ذلك ، أنا نقول : إنها اكتسبت حسناً عنسد تركيبها من حروف متباعدة المخارج ، واكتسبت قبحاً عند تركيبها من حروف متقاربة المخارج ؛ لأن النطق اذا أتى على مخارج حروف اللفظة ، وهي متباعدة ، ليجمعها ويؤلفها ، كان له في ذلك مهلة وأناة ؛ لأن بين المخرج الى المخرج فسحةً وبمداً ، فتجيء الحروف عنسد ذلك متمكنةً في مواضعها ؛ غير قلقة ولا مكدودة . واذا أتى النطق على مخارج حروف اللفظة وهي متقاربة ، ليجمعها ويركبها ، لم يخلص من مخرج إلا وقد وقع في المخرج الذي يليه ؛ لقرب ما بينها فيكاد عند ذلك يعتبر أحدهما بالآخر ، فتجيء مخارج حروف اللفظة قلقة مكدودة ، غير مستقرة في أماكنها . ولهذا لم ترد العين مع الحاء ، ولا العين مع الخاء ، ولا الطاء مع التاء ، ولا القاف مع الكاف ، ولا الذال مع التاء ، ولا مع الظاء ؛ وذلك لقرب مخارج هذه الحروف بعضها من بعض <sup>(١)</sup> .

ومن أدل الدليل على أن المخارج المتباعدة أحسن تأليفاً من المخارج المتقاربة ، ان العرب من

(١) قال ابن أبي الحديد في الفلك الدائر - ص ٨٣ - « ومن ذلك أنه قد اعترف ، أن كل ما تستقبحه من الألفاظ تجده متقارب الحروف . وما تستحسنه تجده متباعد الحروف ، ولكنه زعم ، أنه لا يزال الاستقباح والاستحسان بها ، فيقال له : اذا كان تقارب المخارج والاستقباح متلازمين لا يفترقان ، فلا بد من أمر أو جوب تلازمهما ، فيمكنك أن تقول : إن الاستقباح ( الذي ) أو جوب تقارب المخارج ، فيما هو متقارب المخارج ، أمر ذاتي له ، لا يتوقف الا على الاستقباح ، فاذا لم يكن الاستقباح أو جوب تقارب المخارج ، ولا بد للازمته إياه من سبب ، فلا سبب إلا أن يقال : إن المخارج علة الاستقباح » .

شأنهم وعادتهم ، أن يعدلوا في كلامهم عن الأثقل الى الأخف ؛ طلباً للاستحسان ، وهذا شائع عندهم ، وكثير في لغتهم ، لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه . وتراهم قد خالفوا عادتهم وعدلوا عن الأخف الى الأثقل ، طلباً لبعده المخارج ؛ حيث هو أسهل على اللسان ، وهرباً من تقاربها ؛ حيث هو أشق وأصعب على اللسان . وذلك نحو « الحيوانات » ألا ترى أن أصل هذه الكلمة ، بإجماع من علماء العربية : « حَيَّيَان » لأنها من مضاعف الياء ، إلا أنه لما نقل عليهم عدلوا به عن الياء الى الواو ، مع علمهم بأن الواو أثقل من الياء ، لكنه لما تباعد الحرفان ساغ ذلك ؛ لأجل الاستخفاف . فلما رأينا أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد نقضوا عادتهم ، ورفضوا سننهم ، في العدول عن الأثقل الى الأخف ؛ طلباً لتباعد مخارج الحروف ، علمنا أن ذلك أهم عندهم ، وأكثر تقدماً في نفوسهم . وكفى بهذا دليلاً على أن تباعد المخارج أحسن تأليفاً من تقاربها ، فأعرف ذلك .

وأعلم أن تباعد المخارج ليس بكاف في حسن اللفظة ، ولا مقنع في جودتها ؛ فإنه قد تأتي لفظة مؤلفة من حروف متباعدة المخارج ، ولكنها تكون مبنية من حركات ثقيلة ، أو تكون وحشية ، أو غير ذلك من الصفات الذميمة ، فيعارض ذلك الوصف الحمود هذا الوصف المذموم فيذيله<sup>(١)</sup> ويذهب به .

## النوع الثاني من القسم الأول من الباب الأول

وهو أنه لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعرة

ونعني بالوحشي : قلة الاستعمال ؛ وذلك عيب في الكلام فاحش ؛ فيجب على المؤلف اجتنابه والبعده عنه ، لأن أحسن الالفاظ ما كان مألوفاً بين أرباب هذه الصناعة ، دائراً في تأليفاتهم ، قد

(١) في مختار الصحاح « الاذالة : الاهانة ، يقال : أذال فرسه وغلامه . وفي الحديث « نهي عن اذالة الخيل » وهو امتهاتها بالعمل والحمل عليها .

صقلته الألسن ، وأَنَسْتَهُ الاستماع والقلوب . ولذلك كان جميع ألفاظ القرآن الكريم منخرطة في هذا السلك ، وجارية في هذا النهاج .

واعلم أن العرب ، وإن استعملوا الوحشي من الكلام ، فأنهم غير ملومين على ذلك ، ولا يكون عيباً في كلامهم ؛ لأنه لغة القوم ، وبه كانت مفاوضاتهم في أحاديثهم وأشعارهم ، وكان كلاً من كان لهم طبعاً وخليقة . والدليل على أن العرب لا يلامون في استعمال الوحشي من الكلام ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نطق به كثيراً في كلامه ، وأنت به الأخبار المنقولة عنه ، كحديث طَهْفَةَ بن أبي زهير النهدي<sup>(١)</sup> وغيره . فأما حديث طَهْفَةَ فهو<sup>(٢)</sup> أنه لما قدمت وفود العرب على النبي - صلى الله عليه وسلم - قام طهفة بن أبي زهير فقال : « أتيناك يا رسول الله من غَوْرِي تَهَامَةَ ، على أكوار<sup>(٣)</sup> ليس<sup>(٤)</sup> ، ترتي بنا العيس<sup>(٥)</sup> نستجلب<sup>(٦)</sup> الصَّيْبِ<sup>(٧)</sup> وَنَسْتَجْلِبُ<sup>(٨)</sup> الخبير<sup>(٩)</sup> ، ونستعصِدُ<sup>(١٠)</sup> البرير<sup>(١١)</sup> وَنَسْتَجْلِبُ<sup>(١٢)</sup> الرَّهَامَ<sup>(١٣)</sup> ،

(١) في الأصل « النهدي » وهو تحريف ، وطهفة : مذكور في كتب تراجم الصحابة مثل « الاصابة ج ٢ ص ٢٢٧ » ومنهم من سماه « طهبة » .

(٢) راجع هذا الخبر في « الفائق » ج ٢ ص ٤ من طبعة الباني الحلبي بالقاهرة . وقد أورد المؤلف هذا الخبر في كتابه « المثل السائر » ج ١ ص ١٥٨ وما بعدها ، من طبعة الباني الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

(٣) الأكوار : جم « كور » وهو الرجل بأدائه ، ويجمع أيضاً على « كيران » ، « مختار الصحاح »

(٤) ليس : شجر تتخذ منه الرجال « مختار الصحاح » .

(٥) العيس : الأبل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة ، ويقال هي كرائم الأبل ، واحدها اعيس ، والأثني عيساء « مختار الصحاح » .

(٦) في الأصل « نستجلب » والتصحيح من الفائق « ج ٢ ص ٤ » .

(٧) الصَّيْبِ : السحاب الكثيف المتراكب « الفائق » .

(٨) نستجلب : من الجلب ، وهو القطع والزرق ، يقال « جلب السبع الفريسة ، يجلبها - بكسر اللام وبضمها - إذا شتمها وحرقتها ، ومنه المجلب ( الفائق ) .

(٩) الخبير : النبات ، ( الفائق ) .

(١٠) نستعصده : أي تأخذه من شجرة فأنكله للجذب ، وهو من العصد ، وهو القطع ( الفائق ) .

(١١) البرير : ثمر الأراك إذا أسود وبلغ ، والأراك : نوع من الشجر .

(١٢) نستجلبه : نطئه خليقاً بالأمطار ( الفائق ) .

(١٣) الرهام : ضفاف الأمطار ، وهي جمع رهمة ( الفائق ) .

وَنَسْتَحِيلُ (١) الْجِهَامَ (٢) مِنْ (٣) أَرْضِ غَائِلَةِ النَّطَاءِ (٤) ، غَلِيظَةِ الْمَطَا (٥) ، قَدْ نَشَفَ الْمُدَّهْنَ (٦) ،  
 وَيَيْسَ الْجَمْعَيْنِ (٧) وَسَقَطَ الْأَمْوُجُ (٨) ، وَمَاتَ الْعَسَلُوجُ (٩) ، وَهَلَاكَ الْهَدْيِيُّ (١٠) ، وَمَاتَ  
 الْوَدِيُّ (١١) . بَرَّثْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوِثْنِ وَالْعَيْنِ (١٢) ، وَمَا يَحْدِثُ الزَّمَنُ ، لَنَا دَعْوَةَ  
 السَّلَامِ ، وَشَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ ، مَا طَلَمَا (١٣) الْبَحْرُ وَقَامَ تَعَارٌ (١٤) ، وَلَنَا تَعَمُّمٌ كَهَمَلِ (١٥) أَعْفَالِ (١٦)

(١) نستحيل : نغظر الى حال الشيء .

(٢) الجهم : السحاب الذي لاماء فيه « مختار الصحاح » .

(٣) في الأصل « في » والتصحيح من الفائق .

(٤) النطاء : من النطلي ، وهو البعيد . والغائلة : هي التي تقول ، أي تأخذ سالسكها من حيث لم يدر .

(٥) المطا : الظهر .

(٦) المدهن : قرة في صخرة يستنقع فيها الماء وهو من قولهم « دهن المطر الأرض : إذا بلها بلا يسيراً ،

وناقة دهنين : قليلة اللبن .

(٧) الجمعين : أصل النبات .

(٨) الأمواج وجمع الأماليح : وهو ورق كانه عيدان ، يكون لضرب من الشجر ، وقبل : الأمواج : نوى

المقل ، والمقل : ثمر شجر يقال له « الدوم » .

(٩) في الأصل « العيوج » وهو تصحيف والتصحيح من الفائق ، « ج ٢ ص ٦ » والعسلوج : هو

العصن الناعم .

(١٠) والهدى : هو ما يهدي الى الحرم من النعم ، وأراد به الابل ، فسماها هدياً لأنها تكون منها ، أو

أراد « هلك منها ما أعد لأن يكون هدياً » وهو الراجع هنا .

(١١) الودي : الفسيل : وهو صغار النخل .

(١٢) في الأصل « العين » والتصويب من الفائق « ج ٢ ص ٤ » والعين : الاعتراض والخلاف ، أي برثنا

من أن نخالف ونعاند .

(١٣) طما البحر يطمو ، وطما يطمي : إذا ارتفع .

(١٤) تعار بوزن كتاب : جبل ببلاد قيس ( الفاموس ) وفي معجم ياقوت : قال صرام بن الأصبع « في

قبلي أبسكي جبل يقال له « برثم » وجبل يقال له « تعار » وهما جبلان عاليان لا يبتتان شيئاً ، فيها تمران  
 كثير ، وليس قرب « تعار » ماء . وهو من أعمال المدينة .

(١٥) الهمل : المهمة التي لا رعاء لها ، ولا فيها من يصلحها ويهديها ، ومنه المثل : « اختلط المرعي

بالهمل » أي الخير بالشر ، والتصحيح بالسقيم . ( الفائق ) .

(١٦) الأعفال : جمع غفل ، وهي التي لا سمعة عليها . قال المبارك بن الأثير في النهاية : وقيل الأعفال

هنا التي لا ألبان لها . وقيل : العفل : الذي لا يرجى خيره ولا شره .

ما تبض - (١) ببال (٢) ، ووقير (٣) كثيرُ الرِّسَل (٤) قليل الرِّسَل (٥) ، أصابتها سنة حمراء (٦) مؤزلة (٧) ، فليس لها نهل (٨) ولا علل (٩) « فقال رسول الله - صلى عليه وسلم - : « اللهم بارك لهم في محضها (١٠) ومخضها (١١) ، ومدقها (١٢) وفرقها (١٣) ، وابتث راعيها في الدر (١٤) يانع (١٥) الثمر ، وأجر (١٦) له الثمد ، وبارك له في المال والولد . من أقام الصلاة كان مسلماً ، ومن آتى الزكاة كان محسناً ، ومن شهد أن لا إله الا الله كان مخلصاً . لكم يا بني نهد ودائع (١٧) الشرك ، ووضائع (١٨) المال . لا تُلطط (١٩) في الزكاة ولا تُلحد (٢٠) في الحياة (٢١) ، ولا تتناقل

- (١) تبض : مضارع بضت ، أي أعطت قليلا قليلا ، والبئر البضوض : التي يخرج ماؤها قليلا قليلا أيضاً .  
(٢) الببال : القدر الذي يبلى .  
(٣) الوقير : الغنم الكثيرة ، قال أبو عبيدة : لا يقال للقطيع الوقير حتى يكون فيه الحمار والكلب .  
(٤) الرسل : ما يرسل الى المرعى ، وجمعه أرسال .  
(٥) الرسل : اللبن ، يريد أنها كثيرة العدد قليلة اللبن . وقيل الرسل : النفرقة والانشار في المرعى لقاة النبات وتفرقه . قوله « قليل الرسل » مكرر في الأصل وهو من سبق قلم التناخ .  
(٦) الحمراء : الشديدة ، لأن الآفاق تحمر في الجذب .  
(٧) المؤزلة : التي جاءت بالأزل ، وهو الضيق .  
(٨) النهل : الشرب الأول ، وباب فعله طرب .  
(٩) العلل : الشرب الثاني ، وباب فعله « نصر » و « ضرب » .  
(١٠) الحض : اللبن الخالص .  
(١١) الحض : الحض : الممخوض .  
(١٢) المذوق : الممدوق ، وهو المخلوط بالماء .  
(١٣) الفرق : مكياك يكال به اللبن .  
(١٤) الدر : المال الكثير .  
(١٥) اليانع : المدرك الناضج يقال : « ينعت الثمرة وأينعت » أراد : بسبب يانع الثمر أو معه .  
(١٦) الجر : افتح وأغزر . والثمد : المال القليل .  
(١٧) الودائع : قال ابن الأثير « يحتمل أن يريد بها ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا الاسلام ، أراد احلالها لهم ، لأنها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط » . وقيل الودائع : جمع الوديع ، أي العهد .  
(١٨) الوضائع جمع وضيعه : وهي ما وضع عليهم في ملكهم من الزكوات .  
(١٩) تلطط ، يقال : لط والطر : اذا دفع عن حق يلزمه وستره . وفي الأصل المخلوط « يلطط » للغائب .  
(٢٠) الاخداد : الميل عن الحق الى الباطل . وفي الأصل « يلحد » :  
(٢١) في الحياة : أي ما دمت حياً .



عن الصلاة . وكتب معه كتاباً الى بني نهد : « من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد ، السلام على من آمن بالله ورسوله . لكم يا بني نهد في الوظيفة <sup>(١)</sup> الفريضة <sup>(٢)</sup> ، ولكم العارض <sup>(٣)</sup> والفريش <sup>(٤)</sup> وذو العنان الرّكوب <sup>(٥)</sup> ، والفاو الضبيس <sup>(٦)</sup> لا يُمنعُ سرّ حكم ، ولا يُعصد <sup>(٧)</sup> طلحكم ، ولا يُجسسُ درّكم <sup>(٨)</sup> ما لم تُضمِرُوا الاماق <sup>(٩)</sup> وتأكلوا الرّباق <sup>(١٠)</sup> . من أقرّب بما في هذا الكتاب فله من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوفاء بالعهد والذمة ، ومن ابى فمليه الرّبوة <sup>(١١)</sup> » فقال له علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - « يا رسول الله نحو بنو أب واحد ورؤيتنا في بلد واحد ، وذاك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثره » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدبني ربي فأحسن تأديبي ، ورؤيت في بني سعد » .

ألا ترى الى هذا السلام الذي لا يكاد يعرف ولا يفهم ، وهو الذي نعدّه نحن في زماننا وحشياً متوعراً لعدم الاستعمال له ؟ ومع ذلك ، فقد نطق به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيثبت من هذا أن كان الوحشي من السلام ليس معيياً من حيث ذاته ، وإنما يعاب من حيث النسبة الى الزمان وأهله ، كما أنا نعيمه نحن في هذا الزمان ، ونظره ونكرهه ، ولا نستعمله ،

(١) الوظيفة : ما يقدر من زكاة أو طعام أو رزق .

(٢) الفريضة : يقال فرضت ، أي هرمت فهي فرض وفريضة .

(٣) العارض : التي أصابها كسر أو رض . (٤) الفريش : التي وضعت حديثاً .

(٥) ذو العنان الركوب : الفرس الذلول . (٦) الضبيس : الصعب .

(٧) يعصد : يقطع . والطلح : شجر ، وقيل شجر الموز .

(٨) في الأصل « ذر » وهو من تصحيف النساخ . ومعنى الجملة : لا تحشر ذوات البانكم الى المصدق

فتجسس عن المرعى .

(٩) في الأصل « الاباق » والاماق : هو من أمان الرجل ، إذا صار في اماقة : وهي الحمية والأنفة .

(١٠) في الأصل « الرتان » والتصويب « من الفائق » . والرّباق : جمع ربق ، وهو الحبل ، وأراد به

العهد . شبه ما لزم أعناقهم بالربق في أعناق البهم ، وشبه تقضه بأكل البهيمة ربقها وقطعه .

(١١) الرّبوة : الزيادة على الفريضة ، عقوبة على إباطه الحق .

وقد كان من قبلنا مألوفاً مستعملاً بين البلغاء والفصحاء . وهذا مما لا تراع فيه مجال من الاحوال ، فاعرفه .

وعلى ذلك فانما يلام على استعمال الوحشي من الكلام الحَضْرِيّ : لانه يتكلفه ويتلقفه من الكتب ، ويلتقطه من بطون اندفاتر ، مع العناء والمشقة في تحصيله . وقد رأينا جماعة ، ممن يدعي هذه الصناعة ، يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذي يَعُسَّرُ فهمه ، ويبعد متناوله ، كالذي نحن بصدد ذكره ههنا . واذا رأوا كلاماً غامضاً وحشياً يعجبون منه ، ويصفونه بالفصاحة وهو بالعكس من ذلك . وقد استعمل هذا القسم من الكلام كثيراً ابن هاني المغربي<sup>(١)</sup> ، فمن ذلك ما جاء في قصيدة من شعره على قافية الناء ، وهو قوله :

وما راعهم إلا سُرادق جَعْفَرٍ<sup>(٢)</sup>      يَحْفُفُ<sup>(٣)</sup> بها أُسْدُ اللقاء الدلاهِثُ<sup>(٤)</sup>  
وما تستوى الشغواء غيرَ حَيْثِيَّةٍ<sup>(٥)</sup>      قوادِمها<sup>(٦)</sup> والكسراتُ<sup>(٧)</sup> الحثائثُ<sup>(٨)</sup>

(١) هو محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأندلسي ، ولد بقرية سكون من قرى إشبيلية سنة « ٣٢٠ » هـ وفي رواية سنة « ٣٢٦ » هـ وله كئيتان احداهما أبو القاسم والأخرى أبو الحسن ، ويقال له : ابن هاني الأندلسي تميزاً له عن ابن هاني الحكمي المعروف بأبي نواس . له ديوان كبير مطبوع ، طبع مطبعة المعارف بمصر ، وقد شرحه الدكتور زاهد علي ، في حيدرآباد الدكن بالهند ، وقال : إن هذا الديوان قد طبع ثلاث مرات : مرة بمصر في سنة ١٢٧٤ هـ ، ومرة في بيروت سنة ١٨٨٦ م وسنة ١٣٢٦ هـ . توفي ابن هاني المغربي مقتولاً سنة « ٣٦٢ » هـ ، وفي رواية « ٣٦١ » هـ ولكن التاريخ الأول هو الراجح .

(٢) هو أبو علي جعفر بن علي الأندلسي أمير الزاب ، من شمال افريقية ، كان جواداً . ولابن هاني فيه مدائح ، منها القصيدة التي منها هذه الأبيات الثلاثة توفي سنة « ٣٦٤ » ( الأعلام لأزركلي ج ١ ص ١٨٥ ) .  
(٣) ورد هذا البيت في « ج ١ ص ١٢٦ » من الديوان ، وفيه « تحف » مكان « يحف » وبعده :  
فجدلهم عن صهوة الطرف راكب      واطنهم عن جانب الطود ما كنت  
وبعد خمسة أبيات يأتي البيت الثاني : « وما تستوي . . » وبعده بأربعة أبيات يأتي البيت الثالث :  
« تورعت . . . »

(٤) الدلاهِثُ : واحدها دلهث وهو الأسد .

(٥) في الأصل « وما تستوي السفواء غير حبيته » والتصحيح من الديوان و « الشغواء » : العقاب ، لزيادة منارها الأعلى على الأسفل .

(٦) القوادم : جمع قادمة ، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش .

(٧) الكسرات : جم كاسرة ، وهي مؤنث الكاسر ، بمعنى العقاب . وكسر الصائر : إذا اقتض أو كسر صيده ، أو كسر جناحه ، ضمها يريد الوقوع .

(٨) في الأصل « الحثائث » والتصحيح من الديوان المشار اليه ، وهي جم الحثينة .

تورَّعت عن دنياك وهي غزيرة<sup>(١)</sup> لها مَبْسِمٌ برْدٌ<sup>(٢)</sup> وفرع<sup>(٣)</sup> جُثاجثٌ<sup>(٤)</sup>  
 ألا ترى الى هذه الكلمات ، كيف يكرهها السمع ، وينبو عنها الطبع ، وتستكرهها  
 القلوب ، وتعافها النفوس ، وكأن الانسان عند الوقوف عليها خابط [ خَبِطَ ] عشواء<sup>(٥)</sup> ،  
 لا يدري أين يضع رجله ؟

ومن هذا النوع أيضاً قولُ بعضهم وقد اعتلَّتْ أمهٌ فكتبَ رقاعاً وألقاها في الجامع<sup>(٦)</sup>  
 بمدينة السلام وهي<sup>(٧)</sup> « صينَ امرؤاً ورعى ، دعا لامرأة مقسئته<sup>(٨)</sup> ، قد منيت بأكل  
 الطرموق ، فأصابها من أجله الاستمصال ، أن يمن عليها بالاطرغشاش<sup>(٩)</sup> ، والابرغشاش<sup>(١٠)</sup> »  
 وكل من قرأ رقاعه لعنه ، ولعن أمه . ومما يجري هذا المجرى قول ابن الرومي :

إسقني الأسكركة الصنة نبرَ في جمعضلفونه  
 واترك الفيجن<sup>(١١)</sup> فيد سه يا خليلي بغصونه

فانه لا يوجد<sup>(١٢)</sup> من الألفاظ الوحشية شيء أقبح من قوله « الأسكركة » ، وجمعضفون

- (١) في الأصل « عزيرة » ولا يقضيها المقام ، والعزيرة : هي الشابة لا تجرِّبة لها ، يريد رقتها وطراوتها .  
 (٢) البرد : البارد : أي الهنيء الطيب .  
 (٣) فرع المرأة : شعرها ، والفرع من كل شيء : أعلاه .  
 (٤) جثاجث : الشعر الكثير .

- (٥) العشواء : الناقصة التي لا تبصر أمامها . فهي تخبط بيديها كل شيء . ويقال : « ركب فلان  
 العشواء » : إذا خبط أمره ، على غير بصيرة . وفلان خابط خبط عشواء ( مختار الصحاح ) .  
 (٦) أراد به جامع المنصور بالجانب الغربي من بغداد العتيقة ، وكان فوق الصالحية الحالية بقليل .  
 (٧) أورد أبو هلال العسكري هذا النص في كتابه « الصناعتين » ص : ٣٣ ، طبعة الاستانة  
 سنة ١٣٢٠ .

- (٨) في الأصل « مقسئته » ، والتصحيح عن الصناعتين ، وفي حاشية الكتاب ، « قال الجوهري :  
 أقسئ الرجل اقسئاناً : إذا كبر .  
 (٩) في متن كتاب الصناعتين ، الطرموق : الطين . الاستمصال : الاسهال . واطرغش وابرغش :  
 إذا أبل وبرأ .

- (١٠) في الأصل الانبخال ، والتصحيح عن كتاب « الصناعتين » .  
 (١١) الفيجن كعيدر : السذاب . وأبجن : دوام على أكله « القاموس » .  
 (١٢) في الأصل « لا يوجد » وكتب فوقه « لا يوجد » .

والصنبر . وكذلك قوله في صفة المطر :

متنطمط ، غصب الوحوش مكانها ، تياره فالضب جارُ الضفدع

فهل تجد أيها المتأمل لكتابنا هذا أشد كراهة عليك من النطق بلنظة متنطمط ؟ وأشباه ذلك كثيرة . وفيما ذكرنا من هذه الأمثلة كفاية .

واعلم أن الانكار على النائر في استعمال الوحشي من الكلام أكثر من الانكار على الناظم ؛ وذلك لأن النائر واسع المجال ، مطلق العنان ، متصرف كيف شاء ، قادر على أن يقيم مكان اللفظة ، التي ذكرها لفظة أخرى مما هو في معناها . والناظم قد<sup>(١)</sup> لا يمكنه ذلك ، لأن مجال التأليف عليه حرج ، ونطاقه ضيق . وإذا أراد أن يقيم لفظة مكان لفظة لا يتأتى له ذلك ، في جميع الحالات ، لانفساد<sup>(٢)</sup> الوزن عليه . ولنضرب لهذا مثالا فنقول : ألا ترى أن معنى « متنطمط »<sup>(٣)</sup> في قول هذا الشاعر أي « متدفق »<sup>(٤)</sup> ولو أراد أن يجعل هذه اللفظة الحسنة مكان تلك اللفظة القبيحة ، لفسد عليه وزن البيت . ولست أرى للشاعر في هذا دواء ، إلا أنه إذا أتاه شيء من هذه الالفاظ الحسنة ، ويترن له الشعر مع ذلك فهو المراد ، وإن كان لا يقع له من الالفاظ ما هو في معناه ، ولا يتيسر له ذلك ، فيقيم عوضه من الالفاظ الحسنة ما يصح به المعنى الذي قصده مع الأتزان . ألا ترى أن هذا الشاعر لو قال في هذا البيت « متدفق »

(١) يأتي الفصحاء ادخال « لا » على « قد » لأن قد لتحقيق المثبت .

(٢) قال الحريري في درة الغواص « ويقولون : انضاف الشيء اليه ، وانفسد الأمر عليه . وكلا اللفظين معيرة لكتابه والمتناظف به لمخالفته السماع والقياس ، والوجه : أضيف اليه وفسد عليه . فقد تقرر أن مطاوع ( فعل ) الثلاثي ( انفعل ) و ( افتعل ) ومطاوع ( أفعل الرباعي ) ( فعل ) ويشترط في ذلك التمدي . وما ورد مما يخالف ما ذكر ، نحو انزعج : مطاوع أزعج ، وانطلق : مطاوع أطلق ، وانفجم : مطاوع انفجم . ونحو انسرب : مطاوع سرب ، وهو لازم شاذ ، لا يقاس عليه « ونقل العلامة شهاب الدين محمود الألويسي في كشف الطرة « ص ٤٨ » أن أبا علي الفارسي صحح قياس ( انفعل ) من ( أفعل ) الرباعي ، وأن ابن عصفور اختاره ، وأن ظاهر قول ابن بري قياسية ( انفعل ) من ( أفعل ) الرباعي . قلنا : والسبب في ذلك كله اضطراب النحويين في فهم حقيقة المطاوعة .

(٣) في القاموس « الفطمطة : اضطراب موج البحر ، وغليان القدر ، وصوت السيل في الوادي » وهذا كله يفيد الاضطراب والصوت .

(٤) في الأصل : « دائم » وهو من تحريف النساخ ، وقد أشار المؤلف الى ان معنى متنطمط : متدفق .

« أو متراكم » أو ما جرى هذا المجرى لصح له الوزن والمعنى المقصود ، وكان قد سلم من استعمال الوحشي من الكلام ؟ وإنما يهيماً للشاعر هذا ، اذا كانت الكلمة في أول البيت أو في أثنائه ، فأما اذا كانت آخراً منه فإنه قلما يقدر على تغييرها ، وإقامة غيرها مقامها ، وذلك للزوم [ القافية ]<sup>(١)</sup> التي يبنى قصيدته عليها ، فاعرف ذلك وقس عليه .

### النوع الثالث من القسم الأول من الباب الأول

وهو ألا تكون الكلمة مبتدلة بين العامة ، وذلك ينقسم قسمين :

الأول : - ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع له في أصل اللغة ، فغيرته العامة وجعلته دالاً على معنى آخر ، وهو ضربان :

الأول : - يكره ذكره ، كقول أبي الطيب المتنبي :

أذاق النواني حسنه ما أذقني وعف فجازهن عني بالصرم<sup>(٢)</sup>

فإن لفظة « صرم » في أصل وضع اللغة « القطع » يقال : <sup>(٣)</sup> صرمه أي قطعه ، فغيرتها العامة ، وجعلتها دالة على المحل المخصوص دون غيره . ثم لم يكفهم ، حتى جعلوا ما هو بالسين صاداً ؛ ولأجل هذا استكره استعمال هذه اللفظة . وكذلك ما جرى هذا المجرى كقول أبي الطيب :

(١) زيادة اقتضاها السياق .

(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها الحسين بن اسحاق التنوخي ، مطلعها :

ملام النوى في ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل النبي بي من النقم

( انظر الجزء الرابع ص ٤٧ من شرح الديوان المنسوب الى ابي البقاء العكبري ، طبعة مصطفى البابي الحلبي

سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م » وفي الديوان « عني على الصرم » . وجاء في شرح الديوان المذكور :

والصرم : الاسم من صرمت الرجل ، أي قطعت كلامه ، وأصل الانصرام : الانقطاع .

(٣) في الأصل « يقال له صرمه » ولا حاجة الى زيادة « له » .

سلي (١) البيدَ أين الجنُّ منَّا بِجَوْزِها (٢) وعن ذي المهاري (٣) أين منها النفاق؟ (٤)  
 فإن النفاق في أصل اللغة : هي جماعة النعام ، فغيرتها العامة ، وجعلتها دالة على ضرب من  
 طعام السوق (٥) ، فصارت من أكثر (٦) الألفاظ ابتذالا . واعلم ان العامة اعتمدوا (٧) هذا في  
 كثير من كلامهم ، حتى ان الشيخ أبا منصور الجواليقي ، صنف في ذلك كتاباً ووسمه « باصلاح  
 ما يغلط فيه العامة » فنه ما هذا سبيله ، وهو الذي أنكرنا استعماله على أرباب هذه الصناعة ؛  
 لكرهته ولأنه مما لم (٨) يأت في كلام العرب ، ولا جاء عنهم ، فهذان عيبان من الضرب الذي  
 ذكرناه .

وأما الضرب الثاني من القسم الأول ؛ ففيه عيب واحد ؛ وهو أنه وضع في كلام العرب  
 لمعنى جعلته العامة دالاً على غيره ، إلا أنه ليس بمستبح ولا مستكره ، وذلك كتسميتهم الانسان  
 ظريفاً اذا كان دمث الأخلق ، حسن الصورة واللباس ، طيب الريح ، وما هذا سبيله . والظريف  
 في أصل اللغة بخلاف ذلك ؛ لأن الانسان انما يسمى ظريفاً اذا كان حسن النطق فقط . اذ الظرف  
 يتعلق باللسان لا غير . وقد قالت العرب في صفات خلق الأنسـان : الصبـاحة في الوجه .  
 الوضاعة في البشر . الجمال في الأنف . الحلاوة في العينين . الملاحـة في الفم . الظرف في اللسان .

(١) هذا البيت للمثنوي من قصيدة يمدح بها الحسين بن اسحاق التنوخي ، مطلعها :  
 هو البسين حتى ما تأتني الخرائق      ويا قلب حتى أنت ممن أفارق  
 « انظر ص ٣٤٦ من الجزء الثاني من شرح ديوان المثنوي المنسوب الى العكبري ، طبعة الحلبي سنة  
 ١٣٥٥ - ١٩٣٦ م .

(٢) جوز كل شي : وسطه .  
 (٣) المهاري : جمع مهري ، ويجوز جمعه على المهاري كصحاري ، وهي ابل منسوبة الى قبيلة من اليمن وهم  
 بنو مهرة بن حيدان .

(٤) النفاق : جمع نفاق ، وهو ذكر النعام .  
 (٥) النفاق : هي المعروفة عند أهل بغداد « بالكيباية » وهي قطع من السكروش مخططة على الرز  
 واللوز والأبازير وما شاكل ذلك ، وهي شبيهة بـ « السكرشة » عند العرب .

(٦) في الأصل « أكبر » وهو غير مستقيم . (٧) في الأصل « أعتقدوا » ولا نراه ملائماً .

(٨) في الأصل « عالم بأن في كلام » .

الرشاقة في القدّ . اللباقة في الشائل . كمال الحسن في الشعر . وهذا الضرب قد ذكره الشيخ أبو منصور الجواليقي<sup>(١)</sup> في كتابه ، فاعرفه .

التسم الثاني مما ابتذلتها العامة ، وهو الذي لم تغيره عن بابه . وانما أنكرنا استعمال هذا التسم من الكلام ، لأنّه مبتذل بينهم فقط ، لا لأنّه مستقبح ، ولا مخالف لما وضع له في أصل اللغة . وذلك كقول أبي الطيب المتنبي<sup>(٢)</sup> :

فقلقت<sup>(٣)</sup> بالهمّ الذي قلقل الحشا      قلاقل<sup>(٤)</sup> عيس كاهن قلاقل<sup>(٥)</sup>

ألا ترى الى سخافة هذه اللفظة ، وما عليها من الزكاة التي لا أمد وراءها !؟ . ومما جاء على نحو ذلك قوله أيضاً :<sup>(٦)</sup>

وملومة<sup>(٧)</sup> سيفية<sup>(٨)</sup> ربعية<sup>(٩)</sup>      يصيح الحصا فيها صياح القتالقي

(١) هو موهوب بن أحمد بن محمد . أحد علماء اللغة في القرن الخامس والسادس للهجرة ، ألف كتاب العرب ، وكتاب شرح أدب الكاتب ، وما مطبوعان . وقد طبع المجمع العلمي العربي بدمشق الكتاب الذي أشار إليه المؤلف . توفي ببغداد سنة ٥٣٩ هـ « انظر الرويات ج ٤ ص ٤٢٥ » طبعة مكتبة النهضة و « بنية الوعاة » ص ٤٠١ ، طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ .

(٢) هذا البيت من قصيدة مطلعها :

فقا تريا ودقي فهانا الخايل      ولا تخشبا خلفاً لبنا أنا قائل

فالها المتنبي في صباه ، ( انظر ص ١٧٤ من الجزء الثالث من شرح الديوان المنسوب الى العكبري ) طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٥٥ هـ .

(٣) وقلقل : حرك . ويريد بالحشا : ما في داخل جوفه .

(٤) قلاقل عيس : جمع قلقل : وهي الناقة الخفيفة . وقرس قلقل ، وفرس قلقل : اذا كانا سرعبي الحركة .

(٥) قلاقل : جمع قلقله ، وهي الحركة . ( انظر حاشية شرح الديوان المشار اليه » ص ١٧٥ ج ٣ »

(٦) هذا البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان مطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق      بحر عوالينا وبحرى السوابق

(٧) الملومة : المكتيبة المحتممة . (٨) سيفية : منسوبة الى سيف الدولة .

(٩) ربعية : منسوبة الى ربعة ، وهي قبيلة سيف الدولة .

(١٠) القتالقي : جمع لقلقي ، وهو طائر كبير يسكن العمران في أرض العراق .

ومن هذا القسم قول ابن هانيء <sup>(١)</sup> المغربي :  
من <sup>(٢)</sup> ليس يرفل <sup>(٣)</sup> إلا في سَواٍ بِنِه <sup>(٤)</sup> من بُبَعي <sup>(٥)</sup> مفاض <sup>(٦)</sup> أو سلوقي <sup>(٧)</sup>  
أم من يُدَل <sup>(٨)</sup> عماليقاً تذللهم أي الأجادل يسمو للكرائي <sup>(٩)</sup>  
فإن كلاً من هاتين اللفظتين <sup>(١٠)</sup> مبتذل بين العامة جداً . وأمثال هذا كثير ، فأعرفه .  
وعليك أيها المؤلف اجتنابه ، والبعد عنه .

### النوع الرابع من القسم الأول من الباب الأول

وهو أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى يكره ذكره

فاذا وردت وهي غير مقصودة بهذا المعنى قبحت ؛ وذلك اذا كانت مهملة بغير قرينة  
تُميز معناها عن التبجح ، فاما اذا جاءت ومعها قرينة ، مخصصة لما تحتمها من المعنى المخصص ، فان  
ذلك لا يكون معيياً في الكلام . فمثال ما ورد من هذا النوع ومعه قرينة ، قوله تعالى في  
حق النبي - صلى الله عليه وسلم - « فاما الذين آمنوا به وعرّوه ونصروه وآتبعوا النور الذي  
أُنزل معه أولئك هم المفلحون » <sup>(١١)</sup> . ألا ترى أن لفظاً التعزير مشتركة ، وهي تطلق على

- (١) انظر حاشية « س : ٤٦ » من هذا الكتاب .
- (٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني ، مطلعها :  
قولا لمعتقل الرمح الرديني والمرتدي بالرداء المنسواني
- راجع الديوان « ص ٧٩٧ » طبعة مطبعة المعارف بـمصر سنة ١٣٥٢ هـ .
- (٣) يرفل : مضارع رفل في ثيابه ، أي أطالها وجرها متبخراً .
- (٤) السوايح : جمع ساغة ، وهي الدرع الواسعة .
- (٥) تبعي : منسوب الى تبع ، من ملوك اليمن .
- (٦) المفاض من الدروع : الواسم أيضاً .
- (٧) السلوقي من الدروع والكلاب ، منسوبة الى سلوقه ، وهي قرية باليمن .
- (٨) في الأصل « أم يدل عماليقاً يدلهم » والتصحيح من الديوان ص « ٨٠٩ » منه .
- (٩) في الديوان « إن الأجادل تسمو للكرائي ؟ » والكرائي : جمع كركي : وهو طائر يقرب من  
الوز ، قصير الذنب رمادي اللون ، والكركي لا يزال معروفاً بالعراق .
- (١٠) أراد بها « السلوقي » و « الكركي » .
- (١١) سورة الأعراف ، « الآية ١٥٧ » وانظر الآية التاسعة من سورة الفتح ، « لتؤمنوا بالله ورسوله  
وتعزروه ... الآية » وانظر الآية الثانية عشرة من سورة المائدة في الاخبار عن الرسل « ... وعزروهم  
وأفرضتم الله قرصاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم » .



التعظيم والاكرام ؛ وعلى الضرب الذي هو دون الحد ، وذلك نوع من الالهانة . وهما معنيان ضدان ، فحيث وردت هذه الآية جاء معها قرائن قبلها وبعدها ، تخصص معناها بالحسن ، وتميزه عن التبجح . ولو جاءت مهملة بنير قرينة ، ويراد بها المعنى الحسن ، لسبق الى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى التبييح . مثال ذلك لو ( قال ) (١) قائل : « لقيت اليوم فلاناً ، فاكرمته وعزرتة » لزال ذلك اللبس وارتفع الاشكال .

ومن هذا النوع أيضاً قول بعضهم ، يصف رقعة ، جاءته من صديق له « فأنارت إنارة الزواهر ، والأذهان منها كالعانة في فلكها الدائر » . فان لفظ (٢) « العانة » مشترك يدل على معان مختلفة ، فهي اسم للقطيع من حمر الوحش ، وتقع اسماً على كواكب تحت القوس ، ويراد بها الركب من الانسان ، فلما وردت في هذا السلام ورد معها قرينة ، وهي ذكر الفلك ، نخصصها بأنها الكواكب تحت القوس ، لأن الفلك لا يكون إلا للسكواكب ، ولو وردت مرسلة بنير قرينة لظن السامع أمراً آخر يكره ذكره . وأمثال هذا كثير . فيجب على المؤلف أن يُراعي فيه ما أشرنا إليه من ذكر القرينة .

واعلم أنه قد جاء من السلام ( ما معه قرينة (٣) ) فأوجبت قبجه ، ولو لم تجيء القرينة معه لكان الأمر في استقباحه سهلاً ، وذلك قول الشريف الرضي :

أعزز (٤) عليّ بأن أراك وقد خلا عن جانبيك مقاعد العواد

فإن أبا محمد بن سنان الخفاجي (٥) قد ذكر هذا البيت في كتابه فقال : إن إيراد هذه اللفظة أعني « مقاعد » في هذا الموضع صحيح إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر ، لا سيما وقد أضافه إلى من يحتمل إضافته إليه ، وهو « العواد » ولو انفرد لكان الأمر فيه سهلاً ،

(١) زيادة اقتضاها السياق .

(٢) في الأصل « لفة » وقد جردناها من التاء لتطابق لفظ « مشترك » الذي هو خبر إن .

(٣) زيادة يستقيم بها الكلام من المثل السائر « ج ١ ص ١٨٦ » طبعة الحايي سنة ١٣٥٨ هـ = سنة

١٩٣٩ م .

(٤) هذا البيت من قصيدة يرثي بها الرضي أبا اسحق ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب ، وأولها :

أعلمت من حملوا على الأعواد؟! أرأيت كيف خبا ضياء النادي؟!

(٥) اظفر كتاب « سر الفصاحة » ص ٧٩ ، وانظر حاشية المثل السائر « ج ١ ص ١٨٦ .

فأما الإضافة الى من ذكره ففيها قبح لا خفاء به « هذه حكاية كلام أبي محمد بن سنان الخفاجي ، وهو كلام مرضي واقع موقعه في هذا الباب . ولنذكر نحن ما عندنا من ذلك فنقول : قد جاءت لفظة « مقاعد » في القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى : « وإذ غَدَوْتُ من أهلك تبوي المؤمنين مقاعدًا للقتال (١) » . إلا أنها في الآية غير مضافة الى من يقبح اضافتها اليه ، كما جاءت في شعر الشريف الرضي ، وهو قوله « مقاعد العواد » . فلم يذكر القرينة التي هي لفظة « العواد » ، لكان الأمر يسهل في ذلك ، ولو قال عوضاً عن « مقاعد العواد » مقاعد الزيارة ، وما جرى هذا المجرى لذهب ذلك القبح وزالت تلك المهجنة والكراهة . ولهذا جاءت هذه اللفظة أعني « مقاعد » في الآية على ما ترى من الحسن والجودة ، وجاءت في شعر الشريف الرضي على ما ترى من القبح وازداءة ، فاعرف ذلك وقس عليه .

وأما الذي ورد من هذا النوع مهملاً بغير قرينة ، فكقول تأبط شراً :  
 أقول للحيانٍ وقد صفرت لهم وطابي ويومي ضيق الجحر مُمعور (٢)  
 ولو ورد مع ذلك قرينة لم يفده شيئاً البتة ، ألا ترى أن لفظة « الجحر » تطلق على كل ثقب ، كثقب الحية ، وثقب اليربوع وغير ذلك ، وتطلق أيضاً على المحل المخصوص من الحيوان ، وإنما استتبعها هنا ، لأن الوهم يسبق الى ما تدل عليه من المحل المخصوص ، دون غيره . ومع هذا فأى قرينة وردت مع هذه اللفظة لا تذهب ما عليها من الكراهة ، ولا تزيل ما فيها من القبح . وأمثال ذلك كثيرة ، فاعرفها .

### النوع الخامس من القسم الأول من الباب الأول

وهو أن تكون الكلمة مصفرة ، في موضع يعبر بها عن شيء خفي

أو لطيف أو ضعيف أو ما جانس ذلك (٣)

ومعاني التصغير خمسة :

- (١) « سورة آل عمران » الآية ١٢١ .
- (٢) انظر المثل السائر « ج ١ ص ١٨٧ » وشرح الحماسة للتبريزي « ج ١ ص ٧٥ » .  
 ولحيان : بطن من هذيل ، و صفرت لهم وطابي : كناية عن خلو قلبه من وهم ومعمور : باد عورته ، وهي مكان الخفاة منه .
- (٣) في الأصل « جنس » وليس بصواب .
- (٤) في الأصل « خمس » وهذا جائز لو أراد المؤلف « المعناة » ولكنه قال « الأول » فتمين التذكير .

الأول يرد لتحقير المعاني لا الصور نحو «رجيل» أي إنه حقير من حيث معناه، لا من حيث صورته .

« الثاني » يرد لتحقير الصور لا المعاني ، وهو ضد الأول نحو « جيبيل » .  
« الثالث » للتقريب وذلك في الظروف الزمانية والمكانية نحو : « وقيت » و « فويق » .  
« الرابع » يرد للتقليل وذلك في العدد نحو « مؤبيل » و « أحيال » .  
« الخامس » يرد للتعظيم كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في حق عبد الله بن مسعود « كُنَيْفٌ مُلِيٌّ عِلْمًا »

. فإن قيل : التصغير إذا جعل أمارَةً للتحقير والتعظيم معاً زالت الفائدة المقصودة به ، لأنه لا يصير دليلاً على أحدهما .

الجواب عن ذلك أنا نقول : ليس الأمر كما وقع لك : أن التصغير أمارة للتحقير والتعظيم على الإطلاق ، من غير تقييد ، بل ههنا فرق بينهما ، متى عرف لم يفكر جعلهم التصغير دليلاً على التحقير والتعظيم معاً ، وهو أن التصغير الدال على التعظيم لا يكون الا ومعناه صفة مدح مقترنة ( به ) . ألا ترى قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، « كُنَيْفٌ مُلِيٌّ عِلْمًا » فقوله « كنيف » تصغير محض وقوله : « مليء علماً » صفة مدح ، أوجبته له التعظيم ، وذلك أن المشار إليه لما كان قصير الشكل ، صغير الجثة ، أطلق عليه لفظة التصغير بأن قال « كُنَيْفٌ » ولما كان غزير العلم ، راجح اللب ، أطلق عليه صفة المدح بأن قال « مليء علماً » فصغره أولاً ثم عظمه ثانياً ، فقيل : « تصغير تعظيم » لما هذا سبيله ، فأعرفه .

وأما التصغير الدال على التحقير فليس كذلك ، لأنه لا يجيء معه صفة مدح البتة .  
وأما أبنية التصغير فثلاثة : ثلاثي لا زيادة فيه ، ويجيء على « فُعيِل » نحو « ثوب »

( ١ ) في الأصل « جيبيل » وهو من خطأ الناسخ .

( ٢ ) المؤبيل تصغير « المال » ويراد به في القالب « الايل » و « احيال » : تصغير أعمال : جمع حمل .

( ٣ ) جاء في مختصر الصحاح الكنف : بكسر الكاف : وعاء تكون فيه أداة الراعي ، وتصغيره جاء

الحديث « كنيف ، مليء علماً » .

( ٤ ) زيادة اتضاها المقام .

ورباعي لا زيادة فيه ويجيء على « فَمَيْعِل » نحو « دُرَيْهَم » فإن كان فيه زيادة من حروف المد واللين بين ثلثه ورابعه جاء على « فَمَيْعِيل » نحو « قَنْيَيْدِيل » . وأما الخجاسي فيحذف منه الحرف الأخير ، وهو أولى بالحذف نحو « سُفَيْرَج » ، وربما حذفوا ما قبل الآخر ، فقالوا في فرزدق : « فريزق » .

وقد جاءت اوزان غير هذه وهي « أفعال » نحو « أُطَيْفَالٌ <sup>(١)</sup> » و « فُعَيْلَانٌ » نحو « سُكَيْرَانٌ » و « فُعَيْلٌ » نحو « حُبَيْبِيٌّ » و « فُعَيْلَاءٌ » نحو « حُمَيْرَاءٌ » والأصل ما أوردناه أولاً ، وذلك شيء مستقصى في كتب النحو ، وليس هذا موضعه .

وأعلم أنه قد وردت ألفاظ لم يستعمل لها مكسّر نحو : الثريا ، والألجج والكميت ، وسُهَيْل وغير ذلك . وليس هذا من غرضنا في هذا الكتاب الذي نحن بصدد ذكره ، فخلوّه من معنى التصغير ، فما جاء من التصغير قول الرضي :

وهل تُخْشِفُ بِالْعَمِيقِ عَلاَقَةَ      بَقْلِي أُم دَانِيَتْ غَيْر مُدَانِ

فإنه لما كان هذا الغزال صغيراً ، قريب العهد بالولادة ، كان وروده مصغراً أليق وأحسن وأدخل في الصفة . وكذلك قوله أيضاً :

هل ناشد لي بعَمِيقِ اللَّوَى      غَزِيَّلاً مَرّاً عَلَى الرَّكْبِ ؟

وأمثال هذا كثير فاعرفه . فلا ينبغي لك أيها المؤلف أن تكثر من استعمال هذا النوع من الكلام في تأليفك ، وإن كان حسناً رائعاً . بل الأليق بك أن تقتصر منه على الشيء اليسير ، يكون كلامك به ملمعاً ، فإن مثل التصغير وما جرى مجراه في التأليف ، كمثل الوشي في الثوب الديباج ، فإنه إذا كان ملوناً أحسن منه إذا كان من لون واحد . وكذلك الكلام ، فإنه إذا كان مشتملاً على هذه الأنواع المذكورة من التصغير وغيره ، مما سبق ذكره ، ويأتي شرحه في هذا الكتاب ، كان أولى من اشتماله على نوع واحد فاعرف ذلك .

(١) في الأصل « أمفبال » وهو خطأ من الناسخ .

## النوع السادس من القسم الأول من الباب الأول :

وهو أن تكون الكلمة مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً

وسبب ذلك أنها إذا ركبت من حروف قليلة خفّت على النطق لقصرها ، وسهل التعبير بها على اللسان لمرعة فراغه منها ، وإذا ركبت من حروف كثيرة كان في النطق بها كلفة على الناطق ، وذلك لتطاولها وامتداد الصوت بها . ولنضرب لهذا مثلاً كيف اتفق ، ليكون أسرع فهماً للتعامل ، فنقول : إذا تلفظ الناطق بالثلاثي ، فقال للماء الطيب « عذب » أو تلفظ بالرابعي ، فقال للذهب « عسجد » كان ذلك أسهل عليه من التلفظ بالخماسي إذا قال للمرأة الشديدة الصوت « صَهْصَاق » وللعجوز « جَحْمِش » وذلك مما لا يمكن النزاع فيه ، لأن شاهده من نفسه ودليله من ذاته . ولهذا كانت أكثر ألفاظ القرآن الكريم ثلاثية ، وكان القليل رباعياً . وأما الخماسي فليس في القرآن منه شيء البتة ، إلا ما كان اسم نبي فقط نحو إبراهيم ، وإسماعيل<sup>(١)</sup> . وغيرها .

وأعلم أن الأسماء الثلاثية في الأصل ، إذا كان فيها زيادة فأكثر ما تبلغ سبعة أحرف ، وكذلك الرباعية أيضاً . وأما الخماسية ، فإن زيادتها لا تكون إلا حرفاً واحداً ، وذلك لأن الخماسي عندهم غاية الأصول ، فلا يحتمل غاية الزيادات . وأما الأفعال فلا تكون خماسية في الأصل بل غايتها أن تكون رباعية فقط . وذلك أن الأسماء أقوى من الأفعال ، وحيث كانت أقوى منها جعلوا لها ميزة عليها ، وفضيلة فوقها . وسبب قوة الأسماء على الأفعال استغناء الأسماء عنها ، وحاجة الأفعال إليها . ألا ترى الاسم مع الاسم نحو « زيد منطلق » كلام مفيد ؟ والفعل مع الفعل نحو « ضرب قام » ليس بكلام مفيد ؟ ولكن إذا اقترن الاسم بالفعل نحو « قام زيد » صار ذلك كلاماً مفيداً . فالأسماء إذن مستغنية عن الأفعال ، والأفعال ليست مستغنية عن الأسماء ، بل هي مفتقرة إليها . وحيث تكلمنا على الأصول الثلاثة ؛ ثلاثيها ورباعيها وخماسيها

(١) قال المؤلف في المثل السائر « ج ١ ص ١٨٩ » : « لا يوجد في القرآن من الخماسي الأصول شيء ، إلا ما كان من اسم نبي عرب اسمه ، ولم يكن في الأصل عربياً نحو إبراهيم وإسماعيل . »

وبلغ منا القول الى هذا المقام فلنزدف ذلك بذكر الأصول مع زوائدها ، والغرض بها اجتناب الألفاظ التي كثرت حروفها واستعمال ما كان قليل الحروف ، فانه اذا كان التلفظ بالخماسي فيه كلفة على الناطق وكراهة ، كما أريناك<sup>(١)</sup> ، فلا ولي أن تزداد كلفته اذا تلفظ بكلمة فيها أكثر من خمسة أحرف ، فمثال ذلك قول بعضهم ، في جملة رقعة كتبها إلى صديق له ، قاصداً بها التشدق في الكلام ، فقال « واذا اسلعلمت تلك تجنبلت هذه وتكهمشت » أي اذا طالت تلك قصرت هذه . فان قوله « اسلعلمت » من أقبح الألفاظ طولاً ، مع أنها من وحشي الكلام فقد جمعت إذن المييين معاً .

ومن هذا النوع أيضاً ما ذكره أبو محمد بن سنان الخفاجي<sup>(٢)</sup> وهو قول أبي الطيب المتنبي :

إن الكرام بلا كرام منهم      مثل القلوب بلا سؤويداواتها

ألا ترى الى تطاول هذه اللفظة وخروجها عن الاعتدال ؟ وبسبب ذلك يتضاعف استعجابها واستكراهها . وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

فان قيل : إن هذا الذي أنكرته من طول الألفاظ وذكرته ها هنا قد ورد في القرآن الكريم ما يماثله ويشابهه ، فمن ذلك قوله تعالى : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الآية . وقوله تعالى : « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ » .

لفظة « ليستخلفنهم » عشرة أحرف . ولفظة « فسيفيكمهم » تسعة أحرف . وأمثال ذلك في القرآن كثير . فلو كان هذا منكراً في التأليف ، مكروهاً في الكلام لما ورد في القرآن المجيد . الجواب عن ذلك ، أنا تقول : ليس هذا الذي قد جاء في القرآن الكريم مثل هذا الذي أوردناه نحن في كتابنا وأنكرناه على قائله<sup>(٣)</sup> ؛ لان قوله تعالى « ليستخلفنهم » ثلاث كلمات جمعت فصارت

(١) في الأصل « رأيناك » وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) راجع سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان « ص ٨١ » .

(٣) انظر المثل السائر ج ١ ص ١٨٨ ورأى ابن الأثير هناك : « ان قبح اللفظة لم يكن بسبب طولها ، وإنما هو لأنها في نفسها قبيحة » .

كلمة واحدة صورة لا معنى . ألا ترى أن الأصل فيها « ليستخلفن الله المؤمنين » إلا أنه لما جاء بذكر المؤمنين مظهراً في الأول لم يحتج في ذكرهم ثانياً إلى الإظهار ، بل اقتصر على ضميرهم كما تقول : « قاتلت بني فلان وحاربهم » ينوب مناب قولك « وحاربت بني فلان أيضاً » . وهذا مما لا نزاع فيه لوضوحه . وكذلك القول في اللفظة الأخرى وهي قوله تعالى : « فسيكفيكم الله » ولا تجد في القرآن الكريم لفظة واحدة ، مثل لفظة « سويداواتها » في الطول ، لأنها ليست ثلاث كلمات وقد جمعت كلمة واحدة كما أريناك<sup>(١)</sup> وإنما هي كلمة تدل على معنى الجمعية لا غير ، وفي آخرها الهاء والألف لإضافتها إلى المؤنث ، فأعرف ذلك .

وأما النوع السابع الذي ابتكرناه<sup>(٢)</sup> نحن فهو ان تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة ، وسبب ذلك سرعة النطق بها ، ومضاؤه فيها من غير عناء يلحقه ولا كلفة ؛ ولهذا إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة ، لم يستكره ذلك ولم<sup>(٣)</sup> يستثقل ، بخلاف هذا في الحركات الثقيلة ؛ فانه إذا توالى منها اثنتان في كلمة واحدة استكرهت واستثقلت ؛ وذلك لما يجده الناطق فيها من تكلف العناء وتجشم المشقة . ومن أجل هذا استثقلت الضمة على الواو ، والكسرة على الياء ؛ لأن الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء ، فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان . ولنضرب لهذا مثلاً كيف اتفق فنقول : إنا إذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي « ج زع » فلا خلاف أنا إذا جعلنا « الجيم » مفتوحة كانت أحسن من جعلها مضمومة ، فان من له أدنى ذوق وأقل معرفة يعلم أن « الجزع » أحسن موقفاً من الجزع ، و« الجزع » أحسن موقفاً من « الجزع » . ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها مغيراً لخارج حروفها ، حتى ينسب حسنها وقبحها إلى الخارج ، بل قد تحققنا أنه يكسوها تارة حسناً وتارة يسلب ذلك الحسن عنها ، ورأينا الحسن إنما يحدث لها إذا فتحنا « الجيم » منها ، فعلمنا أن حسنها حادث من ذلك السبب ؛ فان الشيء إذا رأيناه يتغير وتختلف أحواله ، ورأينا أن

(١) في الأصل « رأيناك » .

(٢) انظر كتاب « الخصائص » لابن جني ج ١ ص : ٩ ، ٧٣ - ٧٧ وقد أشار هناك إلى ما رأى

(٣) في الأصل « ولا يستثقل » وهو من خطأ الناسخ .

المؤلف انه ابتكره .

اختلاف كل حالة من أحواله لها سبب نسبنا ذلك إليه . ولما رأينا ان هذه اللفظة ، إذا ضمنا (١) الجيم منها يذهب ذلك الحسن ، علمنا أن سبب ذهابه كون الجيم مضمومة . وحيث كانت الحال بهذه المثابة ، ثبت أن أخف الحركات الفتح ثم الكسر ثم الضم ؛ والدليل على ذلك ما ذكره لك ؛ وهو أن الحركات مضارعة للحروف . ألا ترى ان جماعة من علماء العربية كانوا يسمون « الضمة » الواو الصغيرة و « الكسرة » الياء الصغيرة ، و « الفتحة » الألف الصغيرة ؟ ومما يؤكد ذلك أنك متى أشبعت الحركة انشأت بعدها حرفاً من جنسها ، نحو قولك في اشباع ضرب « ضوري يا » ولهذا اذا احتاج الشاعر الى إقامة الوزن اشبع الحركة فانشأ عنها حرفاً من جنسها كقول بعضهم :

فانت من العوائل حين ترى      ومن ذم الرجال بمنترح

يريد « بمنترح » وهو مفتعل من النرح . فاذا ثبت هذا ، فاعلم انه إنما كانت الفتحة أخف من الكسرة ، والكسرة أخف من الضمة ؛ لأن الألف أخف من الياء ، والياء أخف من الواو . والدليل على ذلك ما ذكره لك . فأما قولنا : إن الألف أخف من الياء فلا نأرأينا العرب قدأبدلوا الألف من الياء في العين من الفعل الماضي ، وذلك مطّرد عندهم مستمر ؛ وإنما فعلوا هذا استمقلاً للياء وطلباً للاستخفاف ، وبيانه أنهم قالوا (٢) : « باع ، وسار ، وأختار » وأصله « بَيْع ، وَسَيْر ، وإخْتَيْرَ (٣) » . فلما ثقل هذا عليهم أبدلوا الياء ألفاً للطفة (٤) ، فقالوا « باع ، وسار ، وأختار » وكذلك ماجرى هذا المجرى . فعلم بهذا أن الألف أخف من الياء . فإن قيل : إن هذا الدليل الذي أوردته على أن الألف اخف من الياء قد جاء عن العرب قبيضه ، ألا ترى أنك إنما استدلت على ان الألف اخف من الياء ، لكون العرب قد ابدلت الألف من الياء ؟ وقد رأيناهم أبدلوا الياء

(١) في الأصل « فتحننا » وهو من خطأ النسخ .

(٢) كرر الناسخ « أنهم قالوا » فحذفنا المكرر .

(٣) ضبط الناسخ هذه الأفعال مبنية للمجهول ، ولا ترى ذلك مستقيماً .

(٤) في الأصل « للفتحة » والصواب ما أثبتناه .



من الألف ، نحو « حماليق ، وقيتال » فإن الياء هاهنا بدل من ألف حِملاق وألف « قانتل » .  
الجواب عن ذلك أنا نقول : ليست هذه الصورة في الدليل الذي أوردناه نحن ، لأن لفظ « باع ،  
وسار ، واختار » على وزنه لم يغير عنه ، وذلك أنه فعل ماض ، فلما رأينا العرب قد أبدلت الياء  
في هذا الموضع الفاء ، مع أنه لم يتغير عن وزنه بجمع ولا غيره ، علمنا أنهم إنما فعلوا ذلك استئقلاً  
للياء لا اضطراراً . وأما لفظ « حماليق » أو « قيتال » فليس كذلك لأنه قد خرج عن وزنه الأول .  
ألا ترى أن « حماليق » جمع « حِملاق » « وقيتالا » مصدر « قانتل » فلم تبدل الألف هاهنا  
ياء طلباً للخفة وإنما أبدلت اضطراراً ، لئلا يلتبس الأمر عليهم . فانهم لو قالوا : جمع « حِملاق »  
« حملاق » لما عرف ان ذلك جمع ؛ لأنه ليس في الجمع « فعالال » . ألا ترى ان أصل « حِملاق »  
من « حِملق » على وزن فععل . وهو رباعي ، وقد جمع الرباعي على « فعاليل » نحو « برائين »  
و « دماميل » فحملت لفظة « حماليق » على ذلك ، فالياء إذاً ليست مبدلة من الألف هاهنا  
استئقلاً للألف بل اضطراراً ، لئلا يلتبس الأمر في ذلك . وكذلك « قيتال » فإن أصله من  
« قانتل » ومصدر فاعلت ، جاء على « مفاعلة وفعال » نحو « مقاتلة وقيتال » فلو قيل عوضاً  
عن قيتال « قاتال » على وزن « فاعل » لالتبس الأمر في ذلك أيضاً . وذلك أنه ليس في  
أوزان المصادر « فاعل » فالياء إنما أبدلت في هذا الموضع من الألف اضطراراً لا استئقلاً .  
ألا ترى انها قد حذفت منه وأسقطت بالكلية ، فقيل « قانتل قتالاً » ، ولم يفعل ذلك إلا طلباً  
للخفة ، لأنهم لما أبدلوا الياء ، وهي ثقيلة ، من الألف ، وهي خفيفة ، كان ذلك بخلاف عادتهم  
ونشأتهم ؛ لأن من عادتهم أن يعدلوا عن الأثقل الى الأخف لا الى الأثقل . لكنهم لما اضطروا  
الى ابدال الياء من الألف لم يتركوا الياء على حالها ، بل حذفوها وأسقطوها كما أريناك .  
وكذلك فعلوا في لفظة « حماليق » أيضاً ، فانها لما أبدلت الياء فيها من الألف ، حذفوا الياء  
أصلاً وأسقطوها فقالوا : « حِملق » على وزن « فعالل » كما قالوا « دراهم وبرائين » وكما طردوا  
كذلك جميع أوزان الرباعي ، فاعرف ذلك وقس عليه .

(١) في الأصل « رأينك » .

وأما قولنا « إن الياء أخف من الواو » فدليلة من وجهين : الأول أنه إذا بني من الفعل المعتل فاؤه بالياء مستقبلي لم تحذف الياء نحو « يسر<sup>(١)</sup> وَيَسِيرُ ، و « يعر<sup>(٢)</sup> الْجَدِي يَيْعِرُ » ولا كذلك الفعل المعتل فاؤه بالواو ، فإنه إذا بني منه مستقبلي حذفت الواو<sup>(٣)</sup> ، نحو « وعد يعد ووزن ين » ، ولم يقولوا : « وعد يُوعد ، ولا وزن يوزن » كما قالوا : « يسر يَيْسر ، ويعر يَيْعر الْجَدِي<sup>(٤)</sup> يَيْعر » فحيث ابقوا الياء في المستقبل ولم يبقوا الواو في المستقبل ، علمنا أن حذفهم للواو إنما هو استتقال<sup>(٥)</sup> لها دون الياء .

وأما الوجه الثاني ، فهو أنك إذا بنيت « مفعولا » من المعتل العين بالواو حذفت منه حرفاً للاستتقال ؛ فقلت في قال « مقول » وفي صاغ « مصوغ » . وإذا بنيت مفعولا من المعتل العين بالياء إن شئت حذفت فقلت في باع « مبيع » وفي عاب « معيب » وإن شئت تمت ولم تحذف ، فقلت : « مبيوع ومعيب » وإنما لم يتموا في الواو فلم يقولوا : في مقول « مقوول » ولا في مصوغ « مصووغ »<sup>(٦)</sup> وأتموا في الياء فقالوا « مبيوع ومعيب » لأن الياء فيها الضمة أخف من الواو فيها الضمة : ألا ترى أن الواو إذا انضمت فرّوا منها إلى الهمزة فقالوا « أدور<sup>(٧)</sup> وأثوب » قال الراجز :

لكل دهر قد لبست أثوباً .

(١) في القاموس المحيط « اليسر : بالفتح وبحرك : اللين والانقياد ويسر يسر . يريد : « لان يلين » .  
(٢) وفي القاموس « واليعار كغراب : صوت الغنم والمعزى ، أو الشديد من أصوات الشاة ( يقال : ) يعرت يعير كيمنم ويضرب » .

(٣) في الأصل « ونحو » والواو زائدة . (٤) في الأصل « الجد » .

(٥) في الأصل « استقبال » ولا وجه له وهو من خطأ النسخ .

(٦) جاء في الصحاح للجوهري « دفت الدواء وغيره : أي بللته بماء أو بغيره ، فهو مدوف ومدووف . وكذلك مسك مدوف أي مبلول ، ويقال مسحوق . وليس يأتي « مفعول » من ذوات الثلاثة من بنات الواو بالتمام إلا حرفان « مسك مدووف وثوب مصوون » فإن هذين جاءا نادرين ، والكلام مدوف ومصون ، وذلك لتقل الضمة على الواو ، والياء أقوى على احتمالها منها . فلها جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان ، نحو : ثوب مخيط ومخيط ، على ما فسرناه في باب الطاء « ا هـ » .

(٧) في الأصل « ادووعر » . وهو من خطأ النسخ . والأدور : جمع الدار . والأثوب : جمع الثوب .

فالمهمزة في الواو اذا انضمت مطردة . فأما اذا كان بعدها واو ، كان ذلك أثقل لها . فلهذا الزموها الحذف في « مفعول » . والياء اذا انضمت لم تهمز ولم تغير عن حالها ، فهذا يدل ، ويصبرك أن الياء أخف من الواو ، فأعرف ذلك .

هذا ما انتهت اليه المقدرة ، وأحاطت به المعرفة ، من الأوصاف التي توجد في اللفظة الواحدة ، فليتأمله الواقف على كتابنا هذا وليتدبره ؛ فإنه يفرق بين الجيد والرديء من الألفاظ ، ويعرف ما يستعمله من ذلك ، وما يطرحه . وحيث فرغنا من الكلام فيما يتعلق باللفظة المفردة (١) ، فلنتبعه بالكلام على الألفاظ المركبة ، والله أعلم بالصواب .

(١) فات المؤلف أن من أسباب خفة اللفظة المفردة أن تنتهي بألف مقصورة ، لأن انطلاق اللسان بها نحو السكون وخلاصه من حركة الاعراب أو البناء يخففانها تخفيفاً مبيناً كقوله تعالى « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ... والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ... طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى » .. سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى » . ( م . ج ) .

## القسم الثاني من الباب الأول

في صناعة تركيب الألفاظ

اعلم أن اللفظة قبل دخولها في سبل التأليف ، وقبل أن تصير الى الصورة التي تسمى كلاماً ، دالاً على معنى من المعاني ، لا يكون لها مزية على أختها ، التي في معناها ، الا بان تكون هذه أشرف من هذه بعلامات<sup>(١)</sup> توجد فيها . إما أن تكون إحداها مستعملة مألوفة ، والأخرى وحشية متوعرة ، وإما أن تكون حروف هذه أخف حركة أو أحسن امتزاجاً مع صواحبها ، أو غير ذلك مما قدما ذكره . ولا يتصورُ بين اللفظتين تفاضل في الدلالة على المعنى الذي اشتراكا فيه ، حتى تكون إحداها أحسن في الدلالة على ذلك المعنى من الأخرى ؛ وانضرب لهذا مثالا فنقول : لا يخفى على من له ذوق صحيح ، وفطرة سليمة ، أن لفظة الليث أو الأسد أحسن دلالة (على) <sup>(٢)</sup> مسماها من لفظة « الفدوكس »<sup>(٣)</sup> أو « العميثل » فثبت بهذا الدليل أن الكلمة لا يكون لها مزية على أختها إلا بعلامات توجد فيها دون تلك<sup>(٤)</sup> ، وهذا لا يثبت على اعتاده وقصده في الكلام الا الفطن اللبيب ، الذي له عناية بصناعته . وكثيراً ما رأينا من يحكم على الألفاظ بالجودة والرداءة ، واذا طولب بدليل يثبت له ما ادعاه لا يجير جواباً ، الا تحكاً محضاً ، لا حاصل وراءه . ولا يعلم أنه لا يجوز لتائل أن يقول : هذا الكلام جيد أو رديء ، إلا بعد أن يعتبر كل لفظة منه على انفرادها ، ويمرض عليها تلك الصفات التي ذكرناها أولاً في كتابنا

(١) في الأصل « فعلامات » وهو من غلط الناسخ .

(٢) زيادة يقتضها السياق . (٣) في الأصل « الفدوكس » .

(٤) أنظر الحديث عن هنا في كتاب « دلائل الإعجاز » للامام عبد القاهر الجرجاني ص ٣٥ وما بعدها ،

طبعة المنار سنة ١٣٣١ هـ .

هذا ، فإذا رآها موجودة فيها أو بعضها ، علم أنها حقيقة بأن تدخل في سبك التأليف . ثم يعود بعد ذلك ويعتبر مكانها من النظم ، وكيف ممازجتها لجاتها والثماها مع أخواتها ، فإذا وجدها شديدة المناسبة لها ، حسنة الامتزاج معها ، حكم على<sup>(١)</sup> ذلك اللفظ بالجودة ، وشهد له بالرونق والطلاوة ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك [ حكم ]<sup>(٢)</sup> عليه بالرداءة والقبح ، على حسب ما استحق . والأصل في هذا كله حسن التأليف ، وجودة التركيب ، فإن حسن التأليف يزيد المعنى نباهة ويميل النفوس الى استماعه ، والاصغاء اليه ، فانه اذا كان المعنى سيئاً ، وكان اللفظ جيداً مختاراً ، ويسكون التركيب مع ذلك ردياً لم يوجد له قبول ، ولا يظهر عليه رونق . واذا كان المعنى واللفظ وسطين ، وكان تركيبها جيداً حسناً كان ذلك معلياً من قدرها ، ورافعاً من شأنها . فمثال ذلك كالعقد المتوسط . ألا ترى أنه اذا أحسن تفضيده فجعلت كل قطعة مع ما يشاكلها ، ويليق بها ، كان رائعاً في المنظر وان لم يكن مرتفعاً ثميناً . ومثال المعنى واللفظ الراقين مع التركيب الرديء مثال عقد ثمين ، أفسد نظمه ، فجعلت كل قطعة منه مع ما ينافيها ولا يناسبها ، فانه يصير بذلك مختلفاً في المنظر ، وان كان رائعاً ثميناً .

وحسن التأليف : هو أن توضع الألفاظ في مواضعها وتجعل في أماكنها . وسوء التأليف بخلاف ذلك . ألا ترى أنه اذا قدم في التأليف ما يجب تأخيره ، وأخر ما يجب تقديمه نصير المعاني نافرة عن مواضعها ، محوالة عن وجوهها ؟ ومثال ذلك كالصورة التي تحول بعض أعضائها<sup>(٣)</sup> الى موضع بعض ، فتحول الرأس الى موضع اليد أو الرجل أو غير ذلك ، فانه اذا فعل هذا قبحت الصورة ، وفسدت هيئتها الجميلة الحسنة . فاعرف ذلك ، فانه لم يقل : « لفظة متمكنة مرضية » وفي خلافها « قلقلة مستكرهة » الا والمرض بالتمكن<sup>(٤)</sup> حسن الاتفاق بين الالفاظ بعضها مع بعض ، وبالقلق سوء الملاءمة وأنها<sup>(٥)</sup> لم توافق صوابها . وهل تشك أيها

(١) الفصيح « حكم له بالجودة » لا عليه . (٢) زيادة اقتضاها المقام .

(٣) في الأصل « أغصانها » وهو من غلط النسخ .

(٤) في الأصل « التمكن » وهو غير مستقيم ، فهو من غلط النسخ أيضاً .

(٥) في الأصل « وأن » .

التأمل لكتابنا هذا ، اذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلغي ماءك ويا سماء اقلعي  
وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي » وقيل بُمداً للقوم الظالمين » أنك لم تجد  
ما وجدت لهذه الألفاظ من المزية الظاهرة ، والفضيلة الزائدة ، الا لأمر يرجع الى ارتباط بعضها  
ببعض ، وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الوافر ، والشرف الكامل الا من حيث لاقت الأولى  
بالثانية ، والثالثة بالرابعة ، وكذلك الى آخرها . وأن الفضل حصل من امتزاجها وتلاؤمها .  
فان لحقك في ذلك أدنى شك فتأمل هل ترى لفظة منها ، لو أخذت من مكانها ، وأفردت من بين  
أخوانها ، كانت مؤدية من الحسن ما تؤديه وهي في موضعها من الآية ؟ فصح لنا من هذا القول  
أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي مفردة فقط<sup>(١)</sup> . ومن أدل الدليل على ذلك ، أن ألفاظ  
القرآن الكريم قد نطق بها العرب قبل نزوله على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه لفظة  
من الألفاظ ( إلا )<sup>(٢)</sup> وقد تكلموا بها ، وجاءت عنهم . ولو لا ذلك لما كان عربياً ، لأنه لما  
نزل على لغة القوم وكلامهم ، ونحن قد رأينا القرآن الكريم يفوق جميع كلامهم ، ويعلو عليه  
مع كونه وارداً على لغتهم قد تكلموا بألفاظه ونطقوا بها ، ثبت لنا من ذلك أن ألفاظ القرآن  
الكريم إنما تفضل سائر الكلام من حيث تركيبها ونظمها . وهي من حيث الانفراد مساوية  
لكلام العرب ، حيث هي عين ألفاظهم ونفس كلامهم . وهذا مما لا شك فيه ولا ارتياب ،  
فاعرفه .

ومما يشهد بذلك ويؤيده ، أنك ترى اللفظة تروك في كلام ، وتزداد بها إعجاباً واستحساناً ،  
ثم تراها في كلام آخر ، فتشغل عليك وتستكرهها . مثال ذلك أن لفظة الأخدع ، قد جاءت في  
بيتين من الشعر ، وهي في أحدهما لائمة حسنة ، وفي الآخر ثقيلة مستكرهة ، كقول الصيمية بن  
عبد الله بن طفيل في الحماسة :

(١) انظر دلائل الإعجاز « ص ٣٢ » طبعة أحمد مصطفى المراغي بالمطبعة العربية بمصر ففيه ما يشبه هذا  
الكلام ، مع بعض اختلاف في الألفاظ . وانظر المثل السائر « ج ١ ص ١٤٥ » .  
(٢) زيادة اقتضاها السياق .

تلقت نحو الحي حتى وجدتي  
وجعت من الاصغاء لبتاً وأخداً<sup>(١)</sup>  
وكقول أبي تمام :

يادهر<sup>(٢)</sup> قوم من أخدميك فقد  
أضججت هذا الأنام من خرقك  
ألا ترى أنه قد وجد لهذه اللفظة بيت أبي تمام من الثقل على النفس والكراهة أضعاف  
ما وجد لها في بيت الحماسة من الروح والخفة والإيقان والبهجة ؟ وهذا مما لا يمكن النزاع فيه  
لظهوره ، وسيأتي له باب مفرد في الكلام على الصناعة اللفظية .

فعلبك أيها المترشح لهذه الصناعة أن تراعي في كلامك هذه الدقائق الشريفة ، والنكت  
اللطيفة ، فإن لصناعة التأليف غوراً لا يدرك منتهاه ، ومذهباً لا يوصل إلى مداه .

(١) مطلع القصيدة :

حننت الى ربا ونسك باعدت  
مشارك من ربا وشعبا كما معا  
وانظر الأبيات والحديث عنها في ص ٣٨ من كتاب « دلائل الإعجاز » طبعة المنار سنة ١٣٣١ هـ .  
والليت : صفحة العنق . والأخدع : عرق في موضع التحجبتين ، وهو شعبة من الوريد وهما أخدمان  
« الصحاح » .

(٢) من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم ، ويهنته بربته مطعها :

قد مات محل الزمان من فرقك  
واكتن أهل الاعدام في ورقك  
والحرق بالضم : العنف ، والحرق والجهل .

## الباب الثاني

من الفن الثاني من القطب الأول

في الكلام على المعاني

اعلم أن المعاني على ضربين : أحدهما يتدعه صاحب الصناعة ، من غير أن يكون له فيه إمام يقتدى به ، أو رسوم قائمة ، في أمثلة يعمل عليها . وهذا الضرب مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة <sup>(١)</sup> ، ويتنبه له عند الأمور الطارئة ؛ والآخر ما يحتديه على مثال تقدم ، ورسم سبق . وينبغي للمؤلف أن يطلب الاصابة في كلا الأمرين ، ويتوخى فيها الصورة المقبولة ، والعبارة المستحسنة . ولا يتكفل فيما يتكره من المعاني على فضيلة السبق ، ولا يفتخر بمزية الإبداع ، فيتسامح في تهجين صورته . فانه إذا فعل ذلك ذهب حسنه ، وانطمس نوره . ويكون فيه الى الذم أقرب منه الى الحمد . وينبغي أن يستيقن المؤلف ويتحقق ، أن المعاني أشرف من الالفاظ ؛ والدليل على ذلك ما أذكره : وهو أنا لو خلعنا من هذه الالفاظ دلالتها على المعاني ، لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء ، بل كانت بمنزلة أصداء الأجسام والأصوات الناشئة عنها ؛ ويزيد ما ذكرناه وضوحاً ، أن هذه الصناعة من النظم والنثر ، التي يتوآصفها البلغاء بينهم ، وتتفاضل بها مراتب البلاغة ، إنما هي شيء يستعان عليه بتدقيق الفكرة ، وكثرة الرواية والتدبر . ومن المعلوم أن الذي يستخرج بالفكرة ، وينعم فيه النظر ، إنما هو المعنى دون اللفظ ؛ لأن اللفظ يكون معروفاً عند أرباب صناعة التأليف دائراً فيما بينهم ، والمعنى قد يبتدع ؛ فيذكر

(١) في الأصل « المتجددة » ولا وجه لتحدي في الحوادث .



المؤلف معنى لم يسبق إليه ، وذلك إنما يكون تحادثاً<sup>(١)</sup> عن الفكرة الصحيحة ، والطبع السليم ، فان الذي تخرج فيه صنعتك ، وتقع فيه صياغتك هو المعنى . ولهذا كان جماعة المؤلفين يشتركون في معرفة الجيد من الألفاظ ، وإنما التفاوت يقع بينهم في المعاني . لأن الألفاظ الجيدة يستعملها جميعهم ، ولا يكاد أحدهم يفوت الآخر فيها . وأما المعاني فانه قد يتكرر المؤلف المعنى من نفسه ، وينتجله من ذاته ؛ وذلك كثير لا يحصى . فصح من هذا الوجه ، أن المعاني أشرف من الألفاظ وأنبل .

واعلم أن شرف المعنى : علوه ، وسقوطه واستفاله ، من نتائج علو الهمة وسقوطها . وقد حكي أن أشرف كلام قالته العرب : « أقتل أنفى للقتل » . ومن المعلوم أن هذا الكلام ليس فيه من الألفاظ البديعة الرائعة ما يرفعه الى منزلة يكون بها أشرف كلام قالته العرب ؛ حتى إنهم جعلوه في مقابلة قوله تعالى : « ولستم في القصاص حياة »<sup>(٢)</sup> . لا بل في لفظه من الثقل<sup>(٣)</sup> ، بسبب تكراره مالاخفاء به . ومع هذا فإنا نجد من كلامهم ما ألفاظه تطرب الأسماع ، وتأخذ بمجامع القلوب ، وذلك أكثر من أن يحصى ، وهو لا يكون بمنزلة قولهم : « أقتل أنفى للقتل » فصح حينئذ أن نغامة هذا الكلام ، وعلو منزلته ، إنما هي لأمر يرجع الى جلالة المعنى المتدرج تحته ، وشرف قدره ؛

وقد رأيت جماعة من متخلفي هذه الصناعة ، يجامون همهم مقصورة على الألفاظ التي لاحصل وراءها ، ولا كبير معنى تحتها . وإذا قال أحدهم سبعيتين أو ثلاثاً ، يعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم ، فإذا أنكرت هذه الحال عليهم ، يقولون : لنا أسوة بالعرب ، الذين هم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة ، فإنهم اعتنوا بالألفاظ ، ولم يعتنوا بالمعاني اعتناءهم بها . ألا ترى إلى جهل هؤلاء القوم ، فإنهم لم يكفهم جهلهم فيما ارتكبوه من ذلك ، حتى إنهم ادعوا أن العرب مثلهم ، فصارت جهالتهم جهالتين .

(٢) لعل الأصل « حادثاً » فلا يستقيم المعنى بالتحدث هنا .

(٢) أنظر سورة « البقرة » الآية « ١٧٩ » .

(٣) أنظر ص ١١ ، وما بعدها من « الايضاح » للخطيب القزويني ، طبعة مطبعة الجامعة السورية سنة

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ، وقد أطال المؤلف الحديث عن هذا القول وعن الآية الكريمة المشار اليها فيه .

ولنذكر ههنا ما إذا تأمله الناظر في كتابنا هذا عرف ما يوثقه ، ويذهب به (١) في الاستحسان كل مذهب فنقول : إن العرب لما كانت تعني بالفاظها ، فتصلحها ، وتهذيبها ، وتراعيها ، وتلاحظ أحكامها بالنظم تارة وبالنثر أخرى ، فإن المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها وأفخم قدرأ في نفوسها . فأول ذلك عفايتها بالفاظها لأنها (٢) كانت عنوان حاجتها ، وطريقاً الى إظهار أغراضها أصلحها وربوها ، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ، ليكون ذلك أوقع لها في النفس ، وأذهب بها في الدلالة على القصد . ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعاً (لذ لسامه فحفظه ، وإذا لم يكن مسجوعاً (٣) لم يأنس به أنسه ( في ) حالة السجع . فإذا رأيت العرب قد أصلحوا الفاظهم وحسنوها ، ورققوا حواشيتها ، ونمقوا أطرافها ، وصقلوا غروبها ، فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ فقط ، بل هي خدمة منهم للمعاني ، وتنويه بها . ونظير ذلك إصلاح الوعاء وإحكامه ، وإنما المبني بذلك الاحتياط للدعوى ، لثلا يتغير جوهره ، فإنا قد نجد من المعاني الفاخرة السامية ما نجد من طلاوته . وبلادة لفظه تضع من رونقه لسوء (٤) العبارة عنه ، فإن قيل : إنا نرى من ألفاظهم ما قد تمقوه . وزخرفوه ودبجوه ، ولسنا نرى مع ذلك تحته معنى شريفاً ، فما جاء منه قول بعضهم (٥) :

ولما قضينا من منى كل حاجة      ومسح بالأركان من هو ماسح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا      وسالت بأعناق المطي الأباطح

ألا ترى إلى حسن هذا اللفظ ، ومائه وصقاله ، وتدبيج أجزائه !؟ ومعناه مع ذلك ليس مدانياً له ولا مقارباً ، فإنه إنما هو « لما (٦) فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين ، وتحدثنا على ظهور الإبل ... » ولهذا نظائر كثيرة ، شريفة الألفاظ مشروفة المعاني . وفيما أشرنا إليه كفاية

(١) زيادة من المثل السائر « ج ١ ص ٣٥٢ » . (٢) زيادة يحتاج إليها السياق .

(٣) في الأصل « له » والتصحيح من المثل السائر أيضاً .

(٤) لأصل « سوء العبارة » وقد زدنا اللام ليستقيم الكلام .

(٥) من أبيات لكثير عزة ، وقيل إنها لابن الطرية ، أو لعقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى .

(٦) انظر : « دلائل الإعجاز » للجرجاني « ص ٤٩ » وانظر « ص ١٥ » من كتابه « أسرار

البلاغة » فله كلام في هذا الشعر .

للتأمل . الجواب عن ذلك أنا نقول : هذا الموضوع قد سبق الى التثبيت به من لم ينعم النظر ، ولا رأى ما رآه القوم ، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر ، وعدم معرفته . وهو أن في قول هذا الشاعر « كل حاجة » مما يستفيد منه أهل النسب والأهواء والرقّة والمقة ما لا<sup>(١)</sup> يستفيدة غيرهم ، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم . ألا ترى أن حوائج مني أشياء كثيرة ، فمنها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي للاجتماع ، الى غير ذلك مما هو تال له ، ومعقود الكون به . فكان الشاعر صانع<sup>(٢)</sup> عن هذا الموضوع الذي أوما إليه وعقد غرضه عليه ، بقوله في آخر البيت « ومسح بالأركان من هو مسح » أي إنما كانت حوائجنا التي قضيناها وآرابنا التي بلغناها من هذا النحو الذي هو مسح الأركان ، وما هو لاحق به ، وجز في القربة من الله تعالى مجراه ، أي لم نتمد هذا القدر المذكور الى ما يحتمله أول البيت ، من التعريض الجاري مجرى التصريح . وأما البيت الثاني فإن فيه « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » وفي هذا ما نذكره لتراه فتعجب ممن<sup>(٣)</sup> عجب منه ، ووضع من معناه ، وذلك أنه لو قال : « أخذنا في أحاديثنا ونحو ذلك » لكان فيه معنى يكبره أهل النسب ، وذلك أنهم قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم علو قدر الحديث بين الإلغين ، والجدل بجمع شمل المتواصلين .

ألا ترى قول بعضهم :

وحديثي يأسعد عنها فزدني جنوناً فزدني من حديثك يأسعد

وقول الآخر :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز

فإذا كان قدر الحديث عندهم على ما ترى فكيف به إذا قيده بقوله : « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » وذلك أن في قوله : « بأطراف الأحاديث بيننا » وحيّاً خفياً ورضاً حلواً ؟ . ألا ترى أنه قد يريد بأطرافها ما<sup>(٤)</sup> يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون ، من

(١) في الأصل « مما » والتصحيح من المثل السائر « ج ١ ص ٣٥٣ » .

(٢) في الأصل « ضائع » وهو تصحيف ، والتصحيح من المثل السائر « ج ١ ص ٣٥٤ » .

(٣) في الأصل « وممن » والواو زائدة ،

(٤) في الأصل « مما » والتصحيح من المثل السائر .

التعريض والتلويح والايحاء ، دون التصريح . وذلك أحلى وأدمث وأغزل ، وأنسب من أن يكون كشفاً ومصارحة وجهرآ . واذا كان الأمر كذلك فعنى هذين البيتين أعلى عندهم وأشد تقدماً في<sup>(١)</sup> نفوسهم من لفظها ، وإن عذب موقعه ولذ سمعه . نعم ، في قول هذا الشاعر « وسالت باعناق المطي الأباطح » من الرشاقة واللطافة ما لا يخفاء به<sup>(٢)</sup> . فالعرب إنما تحي الفاظها وتدبجها ، وتوشبها وترخفها ، عناية منها بالمعاني التي تحبها ، أو توصلها بها الى ادراك مطالبها . فالألفاظ اذاً خدم المعاني ، والمخدوم لا شك أشرف من الخادم ، فاعرف ذلك .

---

(١) في الأصل « من » والتصحيح من المثل السائر .

(٢) أنظر المثل السائر « ج ١ ص ٣٥٥ » ففيه تفصيل لوجه الاستحسان .

## الباب الثالث

من الفن الثاني من القطب الأول في تفضيل

الكلام المنثور على المنظوم

وأعلم أن الأقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الآخر ، إلا أن المذهب الفحل والقول القوي هو أن الكلام المنثور أفضل من الكلام المنظوم ، والدليل على ذلك من أربعة أوجه :

« الأول » أن القرآن الكريم ورد نثراً ، ولولا فضله وعلو درجته ، لما نزل كتاب الله - عز وجل - على أسلوبه ونهجه ، وأيضاً ، فإن القرآن معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن المعلوم أن المعجزات لا تجيء إلا من طريق الأصب<sup>(١)</sup> ، بحيث إنه لا يمكن أحداً من خلق الله الوصول إليها ، والإتيان بمثلها . ولما كان النثر من الأقوال الشاقة ، والأشياء المتصعبة ، أنزل الله تعالى القرآن ، الذي هو معجزة ، على قانونه .

ومما يدل على أن النثر أشق من النظم ، وأصعب مأخذاً ، هو<sup>(٢)</sup> أن العرب كانوا أفصح الناس ، وأبلغهم وأكثرهم قدرة على التفنن في الكلام ، ومع هذا فلم نسمع لأحد منهم نثراً ، إلا لقس<sup>(٣)</sup> بن ساعدة ، الذي يضرب بكلامه المثل في الفصاحة والبلاغة ، ولأقوام آخرين وهم قليل .

وأما النظم ، فإن جميع العرب كانوا يقولونه وكان عليهم من أسهل الأشياء حتى على نسائهم .

(١) استعمل « الأصب » اسماً ، لا وصفاً .

(٢) الصواب حذف « هو » ، لأنه إضمار قبل الذكر غير جائز .

(٣) في الأصل « النثر » ولا نراه يستقيم .

وأيضاً ، فإن أرباب النظم لو أريد حصرهم ، بل حصر أهل عصر واحد لتعذر حصول ذلك ، فكيف حصر جميعهم ؟ وليس سبب هذا إلا وعورة مسلك النثر وشرف منزلته ، وأنه لا يناله إلا الأفراد من الفضلاء ، فإن قيل : إذا كانت العرب لا تكثر من النثر ، وأكثر من النظم ، فليس ذلك دليلاً على أن النثر أصعب من النظم بل الأمر بالعكس من ذلك ، وهو : أن النثر لما كان سهلاً عند العرب هيناً ، والنظم شاقاً عليهم مستصعباً ، عمدوا إلى الأُصعب وتركوا الأُسهل ؛ لأنهم إنما كان غرضهم إظهار قوتهم في البلاغة والفصاحة ، وإذا كان ذلك فيما هو أشق مسلكاً<sup>(١)</sup> وأوعر مذهباً ، كان أدل على تمكنهم من الكلام . وأما النثر ، فما كان عندهم بمنزلة ما<sup>(٢)</sup> يرغبون فيه ، ويتنافسون عليه ؛ لسهولته عندهم ! ولهذا لم يعتنوا به ويكثروا منه ، كما فعلوا في النظم ! وأما قولك : إن القرآن الكريم ورد نثراً ، وتفضيلك النثر على النظم ، لأن الله تعالى إنما أنزل القرآن ليكون آية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومعجزة على يده ، ليفرح به أولئك الفصحاء والبلغاء من العرب ، لأنهم كانوا أرباب الفصاحة والبلاغة ، وحيث كان النثر سهلاً عندهم يسيراً عليهم أنزل الله تعالى القرآن على أسلوبه ليعجزهم ، بما هو أسهل عليهم من غيره ، ليكون ذلك أعظم في الإعجاز . وأبلغ الجواب عن ذلك أنا نقول إن هذا الذي ذكرته من أن النثر ، كان أسهل على العرب من النظم ، واستدللك عليه بقلة رغبتهم فيه ، واعتنائهم به ، فليس ذلك دليلاً لك ، بل هو دليل لنا دونك . وذلك أنه قد ثبت بإجماع منا أن العرب لم تكثر من النثر ، وأكثر من النظم ، ومن المعلوم أن الأُنسان إذا كان مكثراً من شيء أستدل بذلك على قدرته عليه ، و(عدم) قصوره<sup>(٣)</sup> عن الوصول إليه . ولا يقال بأن إكثاره من هذا الشيء دليل على تعذره عليه ، لأنه لو كان متعذراً عليه لما قدر على الإكثار منه ، ولذلك لا يقال أيضاً : إن تقليله من هذا الشيء دليل على سهولته عنده لما أقل منه ، وهذا مما لا يمكن النزاع فيه بحال من الأحوال .

وأما قولك : إن النثر لما كان عند العرب أسهل من النظم ، أنزل الله تعالى القرآن الكريم

(١) في الأصل « ملكا » ، وهو من خطأ النسخ .

(٢) في الأصل « من » وهو من غلط النسخ . (٣) في الأصل قصورها .

على أسلوبه ، ليعجزهم بما هو أسهل عليهم من غيره ، فيكون ذلك أدل على الإعجاز من كونه يبيء على أسلوب الأُشق الأُصعب . فالجواب عن ذلك أنا نقول : قد ثبت أن المعجزات التي على أيدي الأنبياء - صلوات الله عليهم - لم تأت مما كان سهلاً على أممهم ، لأنهم إنما جاؤا بأحياء الأموات ، وانشقاق البحر وانفجار الماء من الحجر ، وما جرى هذا المجرى ، وهذا الحكم أيضاً موجود في النثر ، فانه لما كان شاقاً على العرب ، وليس فيهم من يقدر على الاتيان به الا القليل ، أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نهجه وطريقه ، لتكون المعجزة مناسبة لما جاءت [فيه] . وذلك أن النثر من حيث ذاته أمر شاق مستصعب ، وانضاف الى ذلك كونه من عند الله تعالى فصار معجزاً بالضرورة ، فاعرف ذلك .

وأما الوجه الشافي فهو : أن النثر ينوب مناب النظم ، ولا ينوب النظم مناب النثر وذلك أنه اذا أخذ معنى من المعاني ، وعبر عنه بلفظ مطابق له ، وكان ذلك الكلام منشوراً ، فإنه لا يمكن التعبير بمقدار ذلك اللفظ ، ويكون الكلام شعراً ، وذلك أنه يحتاج في الشعر الى أقامة الوزن ، وهذا لا يتم إلا بزيادة لفظ ، أو نقصان لفظ ، وإذا زيد على ذلك شيء صار في الكلام ما لا حاجة فيه ، إذ المعنى كان يصح بدونه ، وإن نقص منه شيء صار المعنى ناقصاً عما كان عليه في الأول .

وأما الوجه الثالث : فهو أن النثر لا ينال الا بعد تحصيل آياته المذكورة في صدر كتابنا هذا أو بعضها . وذلك بخلاف النظم ، فإنه قد يقوله من لم يحصل من آياته شيئاً البتة . وكثيراً ما رأينا ممن يقول الشعر الحسن ، ويصيب في معانيه ، ويجيد الفاظه ، وهو لا يعرف من آلات التأليف شيئاً ، كالسوقة والعامّة من أرباب الحرف والصنائع .

وأما الوجه الرابع : فهو أن الناثر تعلو درجته حتى ينال الوزارة للخلفاء والملوك . وأما الشاعر فلا تعلو درجته عن رتبة المستعطين ، ومنزلة الطالبين لما في أيدي الناس . ولو لا فضل الناثر وما عرف من شرف صنعته والحاجة اليها ، لما رقي الى درجة الوزارة . وكذلك الشاعر ؛ فلو لا كساد صنعته والاستغناء عنها ، لعلت درجته وارتفعت منزلته ، ولما كان في طول عمره كلاً على الناس ، وهذا شيء مطرد لم يزل . وقد شوهد رأي العين ، فلا يمكن النزاع فيه بحال من الأحوال .

## القطب الثاني

في الأسبأء الخاصة وهو فنانه :

القطب الأول في الفصاحة والبلاغة :

اعلم أن هذا باب غامض ، متعذر على الواج ، ومسلك وعمر ، مستصعب على الناهج . ولم يزل الناس من قديم الوقت ، وهلم جرآ ، يتهافتون على الخوض فيه ، والنوص عليه ، وهم مع كثرة طلبهم لمعرفة ، وتوفر حرصهم على الاحاطة به ، لا يظفرون منه الا كمنغبة<sup>(١)</sup> طائر أو قطرة من بحر زاخر . وقد قال بعض المصنفين من العلماء<sup>(٢)</sup> : « لم ازل منذ خدمت أهل<sup>(٣)</sup> العلم ، انظر فيما قالوه في معنى الفصاحة والبلاغة ، وأستكشف عن المعنى في ذلك ، فلا أجد الا كالمرض والاشارة ، ولا أقف فيه على قول شاف ، ولا كلام كاف . فلما رأيت الأمر كذلك ، علمت أنه لا يكفي في معرفة هذا العلم العظيم ، الذي كان به إعجاز القرآن الكريم ، قول مهممل ، ولا كلام مجمل . بل لا تتم معرفته حتى يفصل فيه القول ، وبدل على الخصائص التي تأتي في تأليف الكلام ، ويوضح إيضاحاً جلياً من غير مغادرة لشيء من ذلك ، حتى تكون المعرفة بهذا العلم كمعرفة الصانع الحاذق ، الذي يعلم كل هُدُبة منسوجة من الابرسم في الثوب الديباج ، وكل حجر من الأحجار الداخلة في البناء ، فانك إذا نظرت الى هذا العلم الشريف احتجت عند ذلك الى طول مكث وتدبر ، وكثرة تأمل وتفكر ، والى همة تأبى أن تقنع إلا بأعلى المنازل ، وأسمى المراتب . ومتى جشمت

(١) النغبة : الجرعة .

(٢) القائل هو الامام عبد القاهر الجرجاني ؛ صاحب كتابي : « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » وقد أورد المؤلف كلامه مع بعض تغيير فيه . انظر : « دلائل الإعجاز » ص ٢٨ وما بعدها من طبعة مطبعة المنار سنة ١٣٣١ هـ .

(٣) الذي في « دلائل الإعجاز » : « لم ازل منذ خدمت العلم ... » بغير لفظة اهل ، انظر ص ٢٨ وما بعدها من طبعة مطبعة المنار سنة ١٣٣١ هـ .



نفسك حصول هذا المرام البعيد ، وكلفتها صعود هذا المرعى النازح ، فقد آتت أمراً عظيماً ،  
وتعرضت لخطب<sup>(١)</sup> جسيم « وفقنا الله وإياكم لمواقع الصواب .

ولنرجع إلى ما هو غرضنا ومهمنا من ذكر الفصاحة والبلاغة ، والكشف عن حقيقةتهما  
واختصاصهما ، فنقول : اعلم أن أصل الفصاحة في وضع اللغة : الظهور والبيان ؛ يقال : أفصح<sup>(٢)</sup>  
الصبح إذا بدا ضوءه وأسفر ، وأفصح فلان عما في نفسه : إذا أظهره ، وإنما سمي اللفظ فصيحاً  
لأنه يبين المقصود ، ويوضح المعنى المندرج تحته .

والفصاحة : اسم عام يشمل المفرد من اللفظ والمركب ، وإنما كان الأمر كذلك لأن واضع  
اللغة إنما وضع الالفاظ مفردة لا مركبة ، فالفصاحة شملت أولاً المفردة ، وإذا شملت المفردة فمن  
الضرورة شمولها للمركبة ؛ لأن المركبة مجتمعة من المفردة . وكل مركب كانت أجزاؤه ذات صفة  
هي فيها متساوية فتلك الصفة تعمه لاحتماله .

واعلم أيضاً أن الفصاحة أمر إضافي<sup>(٣)</sup> كالحسن والقبح . والكلام الفصيح ليس كلاماً  
مخصوصاً بعينه ، بل كل من فهم كلاماً وعرفه فهو فصيح بالنسبة إليه ، لأنه ظاهر عنده ،  
وواضح لديه . ومما يقوي هذا القول ، أن اللفظ الذي لا نمده نحن في زماننا هذا فصيحاً ،  
ونكره لعدم استعماله وغرابته ، كان عند من تقدمنا من أرباب التأليف مستعملاً في زمانهم  
متعارفاً مشتهراً . ولو لا ذلك لما أوردوه في كلامهم ، فإن معظم أشعار العرب ومن يلهم من  
المحدثين مشحونة ومملوءة منه . ولو استعمل في زماننا هذا لاستنكر واستبشع ، وحكم على قائله  
بالجهل والتعسف . ورأينا أبا محمد بن سنان الخفاجي قد قال في كتابه<sup>(٤)</sup> : إن الفصاحة نعت  
للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة ، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك  
الألفاظ . ثم إنه قسم الشروط إلى قسمين ، أحدهما يوجد في الالفة المفردة ، والآخر يوجد في  
الألفاظ المركبة ، وجعل ما يختص بالالفة المفردة منقسماً إلى ثمانية أقسام ، كتباعد مخارج

(١) انظر : « دلائل الإعجاز » ص ٣٢ طبعة مطبعة المنار سنة ١٣٣١ هـ .

(٢) في لسان العرب « الفصاحة : البيان . فصح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح  
وفصح ... تقول : رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ ولسان فصيح أي طلق » . فالفصاحة تختص بالفعل  
الثلاثي ، وإيضاح ابن الأثير لها بالفعل الرباعي مخالف لأصول الإيضاح .

(٣) أي نسبي . (٤) راجع كتاب : « سر الفصاحة » ص ٥٥ طبعة المطبعة الرحمانية بمصر .

الحروف ، وأن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعرة ، وغير ذلك مما أوردته وذكره في كتابه .  
 وفي هذا نظر وقفنا عليه الفكر والروية ، وذلك أنه قد جعل صفات اللفظة التي تكون بها  
 ذات مزية وحسن هي الفصاحة ، وخالف بذلك نص العرب ، لأنهم قالوا : إن اللفظ الفصيح  
 هو الظاهر الواضح ، ولم يقولوا : إنه المتباعد مخارج الحروف ، ولا الذي ليس وحشياً ولا  
 متوعراً ، ولا غير ذلك مما ذكره أبو محمد بن سنان . ولهذا تطرق إلى <sup>(١)</sup> كلامه الخلل ، وذلك  
 انه نقل الفصاحة عن حقيقتها التي وضعت لها في أصل اللغة ، بأن علقها على هذه الشروط التي  
 ذكرها ، وجعل وجودها موقوفاً على وجود تلك الشروط ، و [ إذا نقص ] <sup>(٢)</sup> بعضها لا تكون  
 فصيحة وحقيقتها أن تكون فصيحة ، وهذا من أعجب الأشياء فليتأمل .

وأيضاً فإن أبا محمد بن سنان قد ذكر في كتابه ، من جملة الأقسام الثمانية ، قسماً وهو أن  
 لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى يكره ذكره <sup>(٣)</sup> ، فاذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك  
 المعنى قبحت ، كقول عمرو بن الورد :

[ و ] قلت لقوم في الكنيفِ تروّحوا عشيةً بتنا عند <sup>(٤)</sup> ما وانِ رُزِح

قال « الكنيف » أصله السائر ، ومنه قيل للترس « كنيف » غير أنه قد استعمل في الآبار  
 التي تستر الحدث وشهر بها فأنا اكرهه لذلك . هذا حكاية كلام أبي محمد بن سنان الخفاجي .  
 ولنا عليه اعتراض ، وهو أنا نقول : اذا كان قد جعل الفصاحة مقصورة على الألفاظ فكيف  
 عاد نقض <sup>(٥)</sup> ما ادعاه بهذا القول ، فانه إنما أنكر من هذه اللفظة التي هي الكنيف ما تضمنته  
 من المعنى فقط . والا فاذا اعتبر لفظها ومخارج حروفها ، من غير نظر إلى المعنى المندرج تحتها ،  
 لم يوجد لها قبح ولا كراهة ، لأن مخارج الحروف التي تألفت منها متباعدة ، فمخرج السكاف

(١) الفصيح « على » لأنه ضرر ، حلت بسببه « على » محل « إلى » .

(٢) زيادة اقتضاها السياق :

(٣) في الأصل « ذلك » والتصحيح من سر الفصاحة « ص ٧٨ » وراجع كلام المؤلف فيما يقرب من

هذا الباب من النوع السادس من القسم الأول من الباب الأول .

(٤) في معجم البلدان « دون » .

(٥) الفصيح « عاد فنقض » وحذف حرف العطف من بين الفعلين المتعاطفين من التعابير المولدة في عصر

دون مخرج القاف الذي هو من أقصى اللسان ، ومخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا السفلى ، ومخرج الياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك ، ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى ، وأطراف الثنايا العلى . ومع هذا فإذا نقلت هذه اللفظة التي قد استقبحت هاهنا ، الى موضع آخر صار ذلك القبح حسناً كقولك : « أنا في كنف فلان » أي في ذراه ، وتحت ظله . فصحّ حينئذٍ من فحوى كلام أبي محمد بن سنان أنه نقض ما أذاعه أولاً ، من أن الفصاحة نعت للألفاظ ، بما ذكرناه من شروطها الثمانية ، التي من جملتها هذا القسم المأخوذ عليه ، وهو مما يختص بالمعنى دون اللفظ ، وتناقض كلام مثل ذلك الإمام المشهور في هذه الصناعة عجيب . عصمنا الله وإياكم من الزلل وهدانا إلى طريق الصواب .

وأما البلاغة ، فإن أصلها [ في ] <sup>(١)</sup> وضع اللمة : الوصول والانتهاء ، يقال : بلغت المكان إذا انتهيت إليه <sup>(٢)</sup> ، ومبلغ الشيء : منتهاه . وسي الكلام بليغاً من ذلك ، أي إنه قد بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية . وذلك أن له أوصافاً ثلاثة يعرف بها ، فتى عري من واحد منها نقص عن درجة البلاغة ، فلا يسمى بليغاً ، وهي أن يكون معناه مقيداً ، ويكون لفظه فصيحاً ، ويكون غير زائد على المعنى المدرج تحته ، فيلزم على هذا أن يكون كل كلام بليغ فصيحاً وليس كل كلام فصيح بليغاً .

واعلم أن البلاغة تعم الكلام مركباً لا مفرداً ، وإنما كانت كذلك لأن المفرد لا يكون مفيداً ، وما ليس بمفيد فلا يسمى بليغاً .

وأيضاً فإن اللفظة المفردة برأسها ، إذا وردت في الكلام لا يراد بها إلا معنى واحد من غير زيادة . [ و <sup>(١)</sup> ] في الكلام ما يزيد معناه على لفظه ، وذلك إنما يكون مركباً لا مفرداً .

وأما اختصاص الفصاحة والبلاغة <sup>(٣)</sup> ، فإن أبا محمد ابن سنان الخفاجي ذكر ذلك في كتابه <sup>(٤)</sup> فقال : إن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع

(١) زيادة اقتضاها السياق .

(٢) مصدر « بلغت المكان » هو « البلوغ » لا « البلاغة » ولم يستعمل فصيح « البلاغة » بمعنى

« البلوغ » الحقيقي فتأمل ذلك .

(٤) راجع سر الفصاحة « ص ٥٥ » .

(٣) في الأصل « في البلاغة » .

المعاني . ثم أنه لم يورد على ذلك دليلاً بل أجل القول فيه كما قد ذكرناه (١) . فإن هذا حكاية لكلامه بعينه . فلما وقفنا نحن على ما أوماً (٢) إليه ، سنح لنا في أثائمه دليل ، وهو أنا نقول : قد ثبت لنا أن أصل الفصاحة في وضع اللمة : الظهور والبيان ، والفصيح : هو الظاهر ، وهو اسم فاعل (٣) من فصح مطرّد في بابه ، يقال : « كرمُ فهو كريم » و « وطرُفُ فهو ظريف » و « وشرُفُ فهو شريف » و « فصُحَّ الكلام فهو فصيح » وكذلك ما جرى هذا المجرى . فوزن فعيل : هو اسم فاعل (٣) من « فعُل » ، وهذه قاعدة مستمرة في ذلك .

وقد ثبت لنا أيضاً ، أن المعنى لا يكون مظهراً لنفسه ، ولا موضعاً عن ذاته ، إذ المعاني جميعها قائمة بالنفس ، وإنما اللفظ يظهرها ويبينها فهو إذاً فاعل البيان والايضاح ، وهذه أيضاً قاعدة مسأمة ، لا خلاف فيها بحال من الاحوال . فلما كان اللفظ هو الفاعل للبيان والايضاح ، وكان الفصيح اسم فاعل من فصُح ، أي بان واتضح ، وجب حينئذ أن يكون اسماً للفظ ، ومختصاً به . فاعرف ذلك .

فان قيل : القياس يقتضي أن الدليل الذي أوردته في الفصاحة يلزمك في البلاغة مثله ، وهو أن وزن « بليغ » مثل وزن « فصيح » فكما أن فصيحاً اسم فاعل ، كذلك يكون « بليغاً » أيضاً اسم فاعل ، واذا كان اللفظ فاعلاً للفصاحة فاختصت به ، كذلك يكون اللفظ فاعلاً للبلاغة فيجب اختصاصها به .

الجواب عن ذلك أنا نقول : أما قولك : القياس يقتضي أن تكون البلاغة مختصة باللفظ ، كما أن الفصاحة مختصة به ، لتساوي البلاغة والفصاحة في الدليل الذي أوردناه من حيث إن بليغاً وفصيحاً على وزن واحد فان هذا الذي ذكرته قياس وارد ، ولكن من وجه ، وذلك أنا نحن لم نستدل على أن الفصاحة تخص اللفظ بوزن « فعيل » الذي هو اسم الفاعل فقط ، وإنما استدللنا على أن الفصاحة تخص اللفظ من حيث كان أصلها في وضع اللمة الظهور والبيان . وانضاف الى ذلك أنها على وزن « فعيل » الذي هو اسم فاعل من « فعل » نحو « فصُح »

(١) راجع « سر الفصاحة » ص ٥٦ . (٢) في الأصل « أومي » وهو من خطأ الناسخ .

(٣) المعروف في اصطلاح الصرفيين أن « الفصيح » صفة مشبهة باسم الفاعل .

فهو « فصيح » . فلما صح لنا هذان الأمران ، ثبت لنا من مجموعها ما ادّعيناها : من أن الفصاحة تخص اللفظ كما أريناك .

وأما البلاغة فلو كان أصلها في وضع الالفة « الظهور والبيان » كما هو أصل الفصاحة ، لصح لك ما ذكرته من الاعتراض . وإنما أصلها في وضع الالفة « من الوصول والانتهاء » لا غير ، وعلى أصلك أيها المعترض فينبغي أن يكون كل ما هو على وزن « فعيل » مختصاً باللفظ نحو « شرف فهو شريف » و « ظرف فهو ظريف » و « كرم فهو كريم » وأمثال ذلك مما جرى هذا المجرى فالشرف إذاً مختص باللفظ ، وكذا الظرف والكرم ، وهذا من أعجب الأشياء ، فليتأمل .

وأيضاً ، فقد بينا أن للبلاغة أوصافاً ثلاثة ، لا يسمى الكلام بليغاً إلا بمجموعها . ومتى عمري من واحد منها فليس بليغ . فالأول منها يتعلق بالمعنى ، وهو الافادة . والثاني يتعلق باللفظ والمعنى كليهما ، وهو أن يكون اللفظ غير زائد على المعنى . والثالث يتعلق باللفظ وهو الفصاحة ، لأن الكلام لا يطلق عليه اسم البلاغة حتى يكون فصيحاً . فالفصاحة إذاً شرط في البلاغة لا تتم إلا به . فلما كانت الحال كذلك وجب أن تعم البلاغة اللفظ<sup>(١)</sup> والمعنى معاً . وأما الفصاحة فليست كذلك ؛ لأنها محض إبانة ووضوح فقط ، وذلك يتعلق باللفظ بموجب الدليل الذي قدمنا ذكره . فتدبر ما أشرنا إليه ، وتصفح مطاويه<sup>(٢)</sup> ، وفي ذلك كفاية .

(١) في الأصل « باللفظ » ولعل الباء من زيادة الناسخ .

(٢) في الأصل « في ذلك » بلا واو ، وهو غير مطرد .

## الفن الثاني من القطب الثاني

في ذكر أصناف علم البيان وانقسامهما وهو بيان :

### الباب الأول في الصناعة المعنوية

وينقسم إلى تسعة وعشرين نوعاً ، وإنما قدمنا ذكر المعاني على الألفاظ : لأن المعاني هي التي تقرر أولاً في النفس وترتب في القلوب ، ثم يطلب لها بعد ذلك ألفاظ تعرب عنها ، وتدل عليها . ولأن المعاني أشرف من الألفاظ وأعلى محلاً . فاعرف ذلك .

### النوع الأول في الاستعارة

وهو أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع الافصاح بالتشبيه واطهاره ، وتجيء على اسم المشبه به وتجريه عليه كقولك : « رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء » ، فتدع ذلك وتقول : « رأيت أسداً » وهذا يكون على ضربين : أحدهما : أن تجعل المشبه هو المشبه به ، بأن تنزله وتسقط ذكر المشبه من البين كقولك : « رأيت أسداً » والثاني بأن تجعل المشبه به خبراً عن المشبه في باب الاستعارة ، وأورده جماعة العلماء مثل : قدامة<sup>(١)</sup> ، والجاحظ ، وأبي هلال العسكري<sup>(٢)</sup> ، والغامدي<sup>(٣)</sup> ، وأبي محمد بن سنان<sup>(٤)</sup> الخفاجي في تصانيفهم في باب

(١) راجع حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٢) هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري . كان لغوياً أديباً مشاركاً في العلوم الأخرى ، قضى أكثر أيامه ببغداد . وكانت ولادته سنة ٢٩٣ هـ . بمسك مكرم بالأهواز ، وتون ببغداد سنة ٣٨٢ هـ وله من الكتب « كتاب الصناعتين » و « جمهرة الأمثال » و « ديوان المعاني » و « معجم في اللغة » و « أسماء بقايا الأشياء » و « الأوائل » و « التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم » وقد طبع أكثرها . انظر معجم الأدباء وبقية الوعاة « ص ٢٢١ » و « فهرست دار الكتب المصرية » ج ١ ص ٢٨٥ .

(٣) راجع حاشية ص : ٢ من هذا الكتاب . (٤) انظر حاشية ص : ٣ من هذا الكتاب .

الاستعارة . ولم يذكرُوا أن الأصل فيه تشبيه بليغ ؛ فما أعلم هل ذلك لخفاؤه عليهم ، أو أنهم عرفوه ولم يذكره ، وهو الأصل المقيس عليه في التشبيه ، الذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان . وقد أوردناه نحن في كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبهاً بالقوم ، واستناداً بسنتهم ؛ لأنهم السابقون في هذا الفن بالتصنيف ، إلا أن موضعه باب التشبيه . فاعرف ذلك .  
 واعلم<sup>(١)</sup> أنه قد أجمع الجمهور من العلماء على أن للاستعارة مزية وفضلاً على حقيقتها ؛ والسبب في ذلك أنك إذا قلت : « رأيت أسداً » كان لكلامك مزية ، لا تكون إذا قلت : « رأيت رجلاً هو كالأسد سواء ، في الشجاعة ، وقوة القلب ، وشدة البطش » . وليست المزية التي تثبت لها لهذا الجنس على الكلام المتروك على ظاهره ، ولكنها في طريق إثباتك ، لها وتقريرك إياها ، معلومة من قرائن الأحوال ، فليست المزية في قولك : « رأيت أسداً » أنه دلّ على شجاعة زائدة ، وشدة وافرة ، بل أنك أثبتت للمستعار له الشجاعة الزائدة والشدة الوافرة ، من وجه هي أبلغ وآكد ، وأوجبها له إيجاباً هو أشد وأقوى ، لأنك أثبتتها بالدلائل والشواهد . فإذا سمعتمهم يقولون : إن من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني نبلاً ، فإنهم لا يريدون الشجاعة والشدة وغير ذلك ، وإنما يريدون إثبات معاني هذه الكلم لمن ثبتت له ، ويخبر بها عنه من طريق هو أشد وآكد . وسيأتي بيان ذلك في باب التشبيه مستوفى ، إن شاء الله .

وأعلم أن الاستعارة جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما ، يكسب ( بيان )<sup>(٢)</sup> أحدهما بالآخر ، ولا بد للاستعارة من ثلاثة أشياء : مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له ، فاللفظ المستعار ، قد نقل من أصل إلى فرع للإبانة . والمستعار منه والمستعار له ، لفظان حمل أحدهما على الآخر في معنى من المعاني ؛ هو حقيقي لهجمول عليه ، مجازي لهجمول . مثال ذلك قوله تعالى : « وأشتمل الرأس شيئا » فهذا مستعار ، ومستعار منه ، ومستعار له ؛ فالشتمال هو الاشتعال ،

(١) انظر « س ٤٨ » وما بعدها من « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني ، طبعة المراهي .

(٢) الزيادة والاصلاح من الورقة « ٥١ » من الكتاب فقد كرر المؤلف هذا التعريف فيها .

وقد نقل من الأصل الذي هو النار إلى الفرع الذي هو الشيب ، قصداً للإيابة ، وأما الاستعارته فهو النار والاشتغال لها حقيقة . وأما الاستعار له فهو الشيب ، والاشتغال له مجاز .

وأعلم أن أبلغ الاستعارات ما ناب التشبيه منها ، وكلما زدت التشبيه فيها إخفاءً ازدادت الاستعارة حسناً ورواقاً ؛ حتى إنك تراها أعجب ما يكون ، إذا كان الكلام ألف تاليفاً إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء يحيط من درجته ، ويضع من قدره ؛ وبدلنا على ذلك قول بعضهم :

أثمرت أغصان راحته      لجفافة الحسن عنابا

ألا ترى أنك لو كلفت نفسك أن تظهر التشبيه ، وتفصح به أحتجت إلى أن تقول : أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان ، لطالب الحسن ، شبه العناب من أطرافها المخضولة ؛ ومن له أدنى تشبث<sup>(١)</sup> بهذه الصناعة ، يعلم الفضيلة بين ما تضمنه هذا البيت من الاستعارة ، وبين إظهاره إلى التشبيه . فأعرف ذلك وقس عليه .

وحيث أنتهى بنا القول إلى هذا المقام ، ونهنا على هذه الأصول ، فلتنبعها بما ينخرط في سلسكها من الكلام على الجيد من الاستعارة ؛ الذي<sup>(٢)</sup> يجب على المؤلف أستعماله ، والرديء الذي ينبغي له اجتنابه والبعد عنه ، فنقول : الاستعارة تنقسم قسمين :

الأول ، يجب أستعماله : وهو ما كان بينه وبين ما أستعير له تشابه وتناسب ، ولنضرب له أمثلة يستدل بها عليه : فمن ذلك قوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار »<sup>(٣)</sup> . وهذا الوصف إنما هو على ما يظاهر للعين لاعلى حقيقة المعنى ؛ لأن الليل والنهار أسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه وإضاءته بفروب الشمس وطلوعها ، وليس على الحقيقة شيئين يسليخ أحدهما من الآخر ، إلا أنها في رأي العين كأنها كذلك . والسليخ يكون في الشيء الملتحم بعضه ببعض ، فلما كانت هوداي الصبح عند طلوعه ، كالملتحمة باعجاز الليل ، أجري عليها اسم السليخ ، وكان

(١) في الأصل « تشبيه » ولا محل له هنا .

(٢) في الأصل « التي » وهو غير مستقيم .

(٣) سورة « يس » الآية « ٣٧ » .



ذلك لا تقياً في بابه ، وهو أولى من قوله « يخرج » لأن السليخ أدل على الالتحام التوهّم من  
 الاخراج ، وذلك ان انسلاخ الشيء عن الشيء ، هو أن يميز أحدهما من الآخر ، ويحول عنه  
 بالتدرّج ، حالاً فحالاً ، كما ينسليخ جلد الشاة عنها . وكذلك انفصال الليل عن النهار . فأنظر  
 أيها المتأمل لهذه الاستعارة ، شدة التناسب الذي بينها وبين ما استعيرت له ، ومشابهتها إياه ؛  
 فأنها من الاستعارات التي لا أمد فوّتها في الحسن .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ، عز وجلّ : « واشتعل الرأس شيباً » وقد ذكر علماء البيان في  
 هذا ، ما نورهده هنا . وهو : أن الشيب لما كان ياخذ في الرأس ، ويسمى فيه شيباً فشيئاً ، حتى  
 يحيله الى غير لونه الأول ، كان بمنزلة النار التي تُشعل في الجسم وتسري فيه ، حتى تحيله الى غير  
 حاله المتقدمة . وهذا كلام مرضي في بابه ، الا أن ههنا نكتة أخرى ، وذلك أنه شبه انتشار الشيب  
 بأشغال النار في سرعة التهابه ، وتعدّد تلافيه ، وفي عظم الألم في القلب به ، ولأنه لم يبق الا  
 الخمود بعده . فهذه الاستعارة البديعة هي التي تعجز القدرة عن الاتيان بمثلها ، ومما دون ذلك في  
 الطبقة ، قول أبي تمام :

ومعرّس للغيث يخفق بينه رايات كل دُجْنَةٍ وطفاء (١)

فإن استعارة هذا البيت صالحة مرضية ، لملاءمتها ما استعيرت له ، فحيث جعل للسحابة  
 رايات كان ذلك مناسباً ، لأن الهيدب (٢) الذي يستبين للناظر في الجو عند انسكاب السحابة ،  
 يكون مشابهاً لذوائب الرايات . وأما قوله « يخفق » فهو أيضاً حسن مرضي ؛ لأن الريح اذا  
 هبت على الرايات خفقت بنودها ، وجاء لها صوت كصوت السحابة في انسكابها (٣) وهولها  
 وانصبابها ، ولا سيما الوطفاء .

(١) أنظر ديوان أبي تمام « ص ٣ » . والمعرّس اسم مكان من التعريس والتعريس : النزول في آخر الليل  
 وقيل أصله من « عرس بالشيء » : إذا لزمه . ( أنظر ص ٢١ من شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي  
 بتحقيق محمد عبده عزام . طبعة محمد علي صبيح وفي الديوان « فوقه » بدلا من « بينه » . والدجنة : الغيم  
 المطبق الريان المظلم . والوظفاء : المسترخية الجوانب لكثرة ماؤها « القاموس » .

(٢) الهيدب من السحاب : التدلي الذي يدنو من الأرض ، وتراه كأنه خيوط عند انصباب المطر « القاموس »

(٣) في الأصل « هولها » بلا واو .

ومن هذا النوع أيضاً قوله في الحجر : -

صعبت فراض الماء سيئى خلقها  
فتمتت من حُسن خلق الماء

الآتى الى حسن هذه الاستعارة ، فانه ليس بشيء أحسن من قوله في الحجر بأنها سيئة الخلق ، وذلك حيث تكون صرفاً لا يستطاع شربها ، ولا يمكن اساعتها ، كالخلق السيئ الذي تعافه الأنفس ، وتستكرهه الأرواح . وقوله « حسن خلق الماء » أيضاً غاية في الجودة ؛ لأن الماء الصافي في سلاسته ، ولطافة جوهره ، شبيه بالخلق السهل الطيب . وأبدأ بوصف الأخلق الحسنة بالماء ؛ فيقال ، « فلان أطف أخلاقاً من الماء » لأنه ليس في الأجسام المدركة بالبصر أطف ولا أرق من الماء ؛ لأن النفس تجد لمشاهدته من اللذة ، والسرور ، والانبساط ، مالاخفاء به . ولهذا قال بعض الحكماء : « الماء من طبع الروح » . ومما يؤيد قوله هذا ، ما ورد في القرآن الكريم : فانه قد ذكر الماء في مواضع كثيرة منه ، ثم يذكر إحياء الأرض الميتة به ، كقوله تعالى : « والله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلدٍ ميتٍ فأحييناه به الأرض بعد موتها كذلك النشور <sup>(١)</sup> » . فجعل الماء للأرض بمنزلة الروح للجسد .

ومن بديع الاستعارة قول بعضهم :

يا طودَ حلم ظَلَّتْ معتمصاً به  
يا بحر علم عمتُ في تيساره

فان المناسبة بينها وبين ما استعيرت له شديدة جداً ، وذلك أن الحلم أصله في وضع اللغمة : التآني والثبات ، وترك الاعمال بالمعقوبة ، فلما كان الطود ثابت الأصل راسخ القواعد ، لا يتحرك عن مكانه ، ولا يزول من مستقره حسنت استعارته للحلم ، للمشابهة التي بينهما . وههنا نكتة أخرى ، وهو أن قوله : « طود حلم » أبلغ في الاستعارة من أن لو قال « جبل حلم » لأن الطود هو الجبل العظيم ، وذلك أرسخ وأرسي أصلاً من غيره . وأما استعارته للعلم <sup>(٢)</sup> بحراً فحسن لا خفاء به على من له معرفة بهذا الفن .

(١) سورة « فاطر » الآية « ٩ » .

(٢) في الأصل « للجود » ولا ذكر للجود في البيت المشار اليه ، ولعلمنا من سبق قلم النساخ .

ومن هذا النحو قول امرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناءً بكلكل

وقد قال أبو القاسم <sup>(١)</sup> بن بشر الآمدي ، أن امرأ القيس وصف احوال الليل الطويل ، فذكر امتداد وسطه ، وتناقل صدره ، وترادف أعجازه وآخره ، فلما جعل له وسطاً ممتداً ، وصدرأً ثميلاً ، وأعجازاً رادفة لوسطه ، استعار له اسم الصُّلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده . واسم الكلكل ، وجعله نائياً لتثاقله . واسم العجز ، من أجل نهوضه ، فقال أبو محمد بن <sup>(٢)</sup> سنان : « إن هذا الذي ذكره أبو القاسم الآمدي ، ليس بمرضي غاية الرضى ، وإن بيت امرئ القيس ليس من الاستعارة المبيرة ولا الرديّة ، بل هو وسط . فإن أبا القاسم قد أفسح ان امرأ القيس لما جعل لليل وسطاً ممتداً ، استعار له اسم الصلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، وحيث جعل له أخيراً وأولاً ، استعار له عجزاً وكلكلًا . وهذا كله إنما يحسن بعضه مع بعض ، فذكر الصلب إنما يحسن لاجل العجز . والوسط والتمطي لأجل الصلب . والكلكل لمجموع ذلك . وهذه استعارة مبنية على استعارة أخرى » ، هذا حكاية كلام أبي محمد بن سنان ، وهو مما أخطأ فيه من وجهين : الأول أنه قال : هذا البيت من الاستعارة الوسط ، التي ليست بردية ولا جيدة » ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى . وعنده أن الاستعارة المبنية على الاستعارة من أقبح الاستعارات وأبعدها ، فانه قسم الاستعارة الى قسمين : قريب مختار ، وبعيد مطّرح . فالقريب المختار : ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه ظاهر واضح .

(١) هو الحسن بن بشر الآمدي . قال ياقوت الحموي : « ولد بالبصرة وكان حسن الفهم جيد الدراسة ، والرواية ، سريع الادراك » وذكر له تصانيف كثيرة منها كتاب « الموازنة بين البحري وأبي تمام » والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء » و « وقد عيار الشعر » لابن طباطبا و « نثر المنظوم » و « غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر » . و « معاني شعر البحري » و « الخاس والمشارك من معاني الشعر » وكان ينظم الشعر ، وتوفي سنة « ٣٧١ » « معجم الأدباء ج ٨ ص ٧٥ وما بعدها » و « بغية الوعاة » ص ٢١٨ .

(٢) راجع كتاب : « سر الفصاحة » ص ١١٤ .

والبعيد الطَّرح إما أن يكون لبعده مما استعير له في الأصل ، أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة أخرى فيضعفه لذلك .

هذا ما ذكره ابن سنان في تقسيم الاستعارة . وإذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة أخرى عنده بعيدة ضعيفة ، فكيف جعلها وسطاً؟! هذا تناقض في القول ، فاعرفه .

الوجه الثاني : أنه <sup>(١)</sup> لم يأخذ على أبي القاسم الآمدي في موضع الأخذ ، لأنه لم يختار إلا ما حسن اختياره ، وكان بديعاً في بابه . فان الاستعارة قد يثبت <sup>(٢)</sup> أنها جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما ، يكسب بيان أحدهما بالآخر . وهذا الحكم موجود في بيت امرئ القيس ، فإنه لو لم يكن لليل صدر ، أعني أولاً ، ولم يكن له وسط وآخر لما حسنت هذه الاستعارة . ولما كان كذلك استعار لوسطه صلباً ، وجعله متمطياً . وجعل لصدره التثاقل ، أعني أوله ، كذلكاً وجعله نائياً ، واستعار لآخره مجزأً ، وجعله رادفاً لوسطه . وذلك من الاستعارات المناسبة ، التي لا أمد فوقها فاعرفها .

وحيث ذكرنا للاستعارة المناسبة أمثلة يخدمها الترشيح لهذه الصناعة ، ويستعملها في كلامه ، فيجب حينئذ أن نذكر القسم الآخر ، وهو غير المناسب ، ونضرب له أمثلة يعرف بها أيضاً ، فمن ذلك قول أبي تمام :

يومُ فتح سقى أسودَ الضواحي كُشِبَ الموت رائباً وحليباً <sup>(١)</sup>

فإنه لا شيء أقبح من هذه الاستعارة ، ولا أشد تباعداً بينها وبين ما استعيرت له ، فما كفاه أن جعل للموت كُشِباً ، أي ألباناً ، واحدها « كُشْبَة » حتى جعل بعضها رائباً ، وبعضها حليباً . ثم إن الموت من شأنه أن يستعار له ما يكره لا ما يستطاب .

(١) في الأصل « أن » . (٢) لعل الأصل « ثبت » .

(٣) انظر ديوان أبي تمام « ص ٢٥ » طبعة محمد علي صبيح والبيت من قصيدة مطلعها :

من سجايا الطلول أن لا تحببا فصواب من مقلة أن تصوبا

والكُشِب جمع كُشْبَة : وهي ملء القدح من اللبن أو القليل المجتمع منه ( راجع شرحه للتبريزي ص ١٧٩ ) .

ومن قبح الاستعارة أيضاً قوله :

وتقاسم الناس السخاء مجزاً  
وتركت للناس الإهاب وما بقي<sup>(٢)</sup>  
وزهدت أنت برأسه وسنامه<sup>(١)</sup>  
من فرثه وعُروقه وعظامه<sup>(٢)</sup>

فاستعار للسخاء ، رأساً وسناماً وإهاباً وعظاماً وعروفاً . وما قبح بذلك ، حتى استعار له فرثاً ، فصار السخاء جملاً على الحقيقة . وأمثال ذلك كثيرة .

ولا يخلو الناظم أو الناثر من سقطات تؤخذ عليه ، إلا أنه ينبغي أن تكون مغفورة في جنب ماله من الجيد الحسن ، لأن ذلك لا يحيط من قدره في صناعته إذ العالم من نُعدَّ سقطاته ، لا من يُعدَّ جيده .

ومن الاستعارة البعيدة قول بعضهم :

الى ملك في أيبكة المجد لم يزل  
على كبد المعروف من نيئه برُدُّ

فان استعارته للمجد أيبكة ، أقرب مأخذاً من استعارته للعروف كبداً ، وإن كانت الاستعارتان من البعد على ما أذكره لك ، وهو أني أقول : قد ثبت ان الاستعارة هي الجمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يُكسب بيان أحدهما بالآخر ، وهذه قاعدة مسّمة ، لانزاع فيها بحال من الأحوال . واذا كان الأمر كذلك ، فالجامع بين المجد والأيبكة وجه بعيد . وذلك أن المجد في وضع اللفظة : هو المجد الكريم ، أي الأصل الكريم . والأيبكة في وضع اللفظة : واحدة الأيبك ، وهو شجر ملتف ، فلما كان المجد هو المجد الكريم ، أي الأصل ، كان للأيبكة أصل أجيز استعارته للمجد أيبكة من هذا الوجه ، وفيه بعد ، وسبب بعده ؛ أنه يسوغ لقائل أن يقول : إن كل ما كان له أصل على هذا القياس يجوز أن يستعار للمجد ؛ كقولنا : « جبل المجد » و « حائط المجد » وغير ذلك مما له أصل ، وهذا بعيد جداً .

(١) أنظر ديوان أبي تمام « ص ٢٢٥ » وهما من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري .

(٢) والاهاب بكسر الهمزة : الجلد والفرت : ما في الكرش من السرجين . وانظر المثل السائر

« ج ١ ص ٤١٧ » .

وأما الاستعارة الثانية ، وهو قول الشاعر : « كبد المعروف » فإن به ها بما استعيرت له ،  
 وقبحها مما لا يحتاج فيه الى الشرح لوضوحه وبيانه . وأمثال ذلك كثيرة لا تحصى . فعلى المؤلف  
 اجتنابها ، والعدول عنها .

## النوع الثاني من الفن الثاني

### التشبيه

وحدّه أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به . ويقال : هو الدلالة على اشتراك شيئين في  
 معنى من المعاني ، وأن أحدهما يسد مسد الآخر وينوب منابه ، سواء كان ذلك حقيقة أو مجازاً .  
 فأما الحقيقة ، فهو أن يقال في شيئين أحدهما شبيه<sup>(١)</sup> بالآخر في جميع أوصافه ، كالسوادين  
 والبياضين أو ما جرى مجراهما ، وليس هذا من غرضنا . وأما المجاز ، فهو أن يقال في شيئين  
 أحدهما شبيه بالآخر في بعض أوصافه كقولنا : « زيد أسد » فهذا القول صواب من حيث  
 [ كلام ]<sup>(٢)</sup> العرب ، وداخل في باب المبالغة ، إلا أنه لم يكن زيد أسداً على الحقيقة .

وأعلم أن فائدة التشبيه هي الكشف عن المعنى المقصود ، مع ما يكتسبه من فضيلة الإيجاز  
 والاختصار . والدليل على ذلك ما ذكرناه من قولنا : « زيد أسد » . فإن الفرض من هذا القول  
 أن نبين حال زيد ، وأنه متصف بشهامة النفس ، وقوة البطش ، والشجاعة ، وغير ذلك مما  
 جرى هذا المجرى . إلا أننا لم نجد شيئاً ندل به عليه ، سوى أن جعلناه مشبهاً بالأسد ، حيث  
 كانت هذه الصفات مختصة به ، ومقصورة عليه . فصار ما قصدناه من هذا القول ، اكشف  
 وأبين من أن لو قلنا : « زيد شهيم ، شجاع قوي البطش ، جريء الجنان » وأشبه ذلك ، لما  
 قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به ، أعني الأسد ، فإنه معروف بها ، مشهور  
 بكونها فيه ، واشتهلها عليه . وأما المشبه ، أعني « زيداً » فليس معروفاً بها ، ولا منسوباً إليها ،  
 وإن كانت موجودة فيه .

(١) في الأصل « شبه » وهو من غلط الناسخ . (٢) زيادة اقتضاها السياق .

وأما الإيجاز فهو أن قولنا ، « زيد أسد » يسد مسد قولنا « زيد من حاله كيت وكيت ، وهو من الشدة والشجاعة على كذا وكذا » مما يطول ذكره ، ويتسع القول فيه . فأعرف ذلك . وأعلم أن تشبيه الشيء ( بالشيء )<sup>(١)</sup> لا يخلو من أحد قسمين : إما أن يكون الشيطان ، المشبه أحدهما بالآخر ، متفقين من جميع الجهات ، وإما أن يكونا متفقين من وجه دون وجه . فإن كانا متفقين من جميع الجهات كالسوادين والبياضين فليس هذا من غرضنا إذ لا كبير فائدة فيه . وإن كان اتفقا من وجه دون وجه ، فهما إذاً مختلفان . فبقي كلامنا الآن على تشبيه شيئين مختلفين أحدهما بالآخر ، كقولنا : « زيد أسد » فإن غرضنا من هذا ، أن نشبه شهامة زيد وشجاعته وجرأته ، لا أن زيدا أسد من جميع الجهات . فإنا لو أردنا ذلك لكان هو هو ، وهذا محال ، لأن زيدا ليس أسداً ، وإنما هو إنسان . فأعرف ذلك .

واعلم أن التشبيه يكون بأداته ، كالكاف وكأن وما جرى هذا الجرى . ويكون بغير أداته ، وهو أن يجعل الكلام خلواً<sup>(٢)</sup> منها صالحاً لتقديرها فيه . وإذا جاء التشبيه بغير أداته كان أبلغ وأوجز . والدليل على ذلك ، قولنا : « زيد أسد » يعطي ظاهره من المعنى أنا أخبرنا عن زيد أنه أسد ، وذكرنا أنه هو . إلا أن حرف التشبيه في ذلك مقدر . وإذا قلنا « زيد كأنه الأسد » فنكون قد أظهرنا فيه حرف التشبيه ، الذي كان مخفياً<sup>(٣)</sup> في الأول ، فيصير حينئذ تشبيهاً لزيد بالأسد . وفي الأول أنه كان قد جعل هو الأسد ، وحرف التشبيه مقدر فيه تقديراً . فن هذا الوجه كان الأول أبلغ ، وأشد موقفاً في النفس . وأما كونه أوجز ، فلأن قولنا : « زيد أسد » أخص من قولنا : « زيد كأنه الأسد » وإن كان المعنيان سواء . فأعرف ذلك .

واعلم أنه لا يخلو الشيطان في تشبيه أحدهما بالآخرين من ثلاثة أقسام : إما تشبيه معنى بمعنى ، كالذي ذكرناه من قولنا : « زيد أسد » . وإما تشبيه معنى بصورة ، كقوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ... » . الآية<sup>(٤)</sup> . فشبها ما لا يدرك بالحاسة ( بما يدرك بها<sup>(١)</sup> )

(١) زيادة يقتضيها المقام . (٢) في الأصل « منه » .

(٣) في الأصل « مخفياً » وهو من خطأ النسخ . (٤) سورة « النور » الآية « ٣٩ » .

وأما تشبيه صورة بصورة ، كقوله تعالى : « وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام » (١) .  
 فشبهه صورة أجسام الفلك في كبرها وعظمتها بالجبال ، وذلك تشبيه صورة مرئية بصورة مرئية .  
 وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة ، لا يخلو من ثلاثة أقسام أيضاً وهي :  
 تشبيه مفرد بمفرد ، وتشبيه مركب بمركب ، وتشبيه مفرد بمركب :  
 فالقسم الأول : تشبيه المفرد بالمفرد ، وذلك كقول البحرّي :

تسمُّ وقطوبٌ في ندىٍّ ووغىٍّ (٢) كالغيث والبرق تحت العارض البرد

فهنا من أحسن التشبيه وأقربه . وهو تشبيه صورة بصورة ، إلا أن في هذا البيت اختلالاً  
 في الصيغة من حيث الترتيب والتفسير ، فإن الأولى أن يقدم تفسير التسم على تفسير القطوب ،  
 وسيأتي بيان ذلك في باب .

ومن هذا القسم أيضاً ، قول بعضهم في صفة السيوف والدروع :

وكأنما فوق الألف بوارق وكأنما فوق المتون إضاء (٣)

وهذا من بدیع التشبيه ونادره ، فأعرفه . وكذلك قول بكر (٤) بن النطّاح :

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جئل أسحْمُ

فكأنها فيه نهاز ساطعٌ وكأنه ليل عليها مظلم

وأمثال هذا كثيرة .

القسم الثاني في تشبيه المركب بالمركب وذلك كقوله تعالى :

(١) سورة « الرحمن » الآية « ٢٤ » .

(٢) هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا نهشل حميداً ، مطلعها :

لاني تركت الصبا عمداً ولم أكصد من غير شيب ولا عدل ولا فسد

(راجع الديوان ج ١ ص ١٥٢ طبعة مطبعة هندية بمصر) .

(٣) إضاء : جمع أضاء وهي الغدير قال الجوهري في الصحاح الأضاء : الغدير والجمع أضاء مثل قناة وقتاً ،  
 وإضاء أيضاً بالكسر والمد كما قالوا : أكمة وأكم وإكام .

(٤) بكر بن النطّاح أبو وائل الحنفي من بني حنيفة ، كان من نخول شعراء العصر الأول من عصور  
 بني العباس ، برز في الغزل والمدح والحماسة . وعاصره هارون الرشيد وأدرك عهد الأمين « طبقات الشعراء لابن  
 المعتز » ص ٩٩ - ١٠٤ وتاريخ بغداد للخطيب « ج ٧ ص ٩٠ - ١ » .



« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والزواجر والأَنْعامُ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تنس بالأمس<sup>(١)</sup> » الآية ، فشبهت حال الدنيا بسرعة زوالها ، وانقراض نعيمها ، بعد الاقبال ، بحال نبات الأرض في جفافه ، وذهابه حطاماً ، بعد ما التف وتكاثف ، وزين الأرض . وذلك تشبيهه معنى بصورة . وهو من أبداع ما يجيء في هذا القسم ، فأعرفه .

ومما جاء على نحو منه ، قوله عز وجل في حق المنافقين : « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ »<sup>(٢)</sup> . تقديره : أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد ناراً ، في ليلة مظلمة ، بمفازة ، فاستضاء بها ما حوله ، فاتقى ما يخاف وأمن ، فبينما هو كذلك ، إذ طفئت ناره فبقي مظلاماً خائفاً متحيراً . وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الايمان استنار بها ، واعتز بعزها ، وأمن على نفسه وماله وولده . فإذا مات عاد إلى الخوف ، وبقي في العذاب والنقمة .

واعلم أنهم لما وُصِفوا بأنهم أُشْتَرُوا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ، ليمثل هدايم الذي باعوه ، بالنار المضيئة ما حول المستوقد ، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم ، بذهاب الله بنورهم ، وتركهم في الظلمات ، ثم قال الله تعالى « صَمُّ بكمُ عُمي » . كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة ، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ، وأن يفتشوا ويتبصروا بعيونهم ، جعلوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات ، وهذا من عجائب التشبيه ، وطريقته عند علماء البيان ، طريقة قولهم « لِيُوثَ » للشجعان ، و « بحور » للسكران وبعض علماء هذه الصناعة يعملون ما كان على مثال قوله تعالى : « صَمُّ بكمُ عُمي » استعارة ، وليس كذلك كأن<sup>(٣)</sup> المستعار له مذكور ، وهم المنافقون . والاستعارة إنما تطلق بحيث يطوى

(١) أنظر سورة « يونس » الآية « ٢٤ » . (٢) أنظر سورة « البقرة » الآية « ١٧ » .

(٣) لعل الأصل « لأن » أو « فان » .

ذُكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلواً منه ، صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال من غوى الكلام عليه ، وقد أشرنا الى ذلك فيما سبق من باب الاستعارة ، فاعرفه . وهذا هو الفرق بين الاستعارة والتشبيه عند المحققين من علماء البيان . ومن هذا القسم قوله :

بسكيت عليه حين لم يبلغ المنى      ولم يرو من ماء الحياة المكدر  
كأن دم أنجلاء<sup>(١)</sup> تحت بروده      لطيمة مسك في إهاب غضنفر<sup>(٢)</sup>  
وكذلك قول أبي الطيب المتنبي :

كأن الجفون على مقلتي      ثياب شققن على ثاكل<sup>(٣)</sup>  
ولقد أحسن بعض البغداديين في قوله :

يا طالباً عجائب الأمور      فعمرة<sup>(٤)</sup> في الدرع ذي القتيير

وقل رأيت البحر في غدِير

ومن هذا النحو قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكانه      عمرُيان يمشي في الدجى بسراج

وقال مؤلف الكتاب في صفة سقاة الخمر « فأخذنا في معاطاة<sup>(٥)</sup> الرحيق ، ما بين الاكواب والأباريق . يطوف بها علينا ولدان ، يعجز عن وصفهم قسّ وسجبان ، فكانهم في أيديهم الكؤوس ، أقمار تسعى بشموس » وكذلك قوله أيضاً في صفة بركة النيلوفر ، من جملة رسالة عملها في الربيع « فأتينا الى روضة ذات تارُّج وتبرُّج ، وبركة نيلوفر كأنها مداهن من العسجد ،

(١) في الأصل « النجلات » وهو من خطأ الناسخ ، والنجلاء : الطعنة الواسعة .

(٢) اللطيمة : العير التي تحمل الطيب ويز التجارة وقد أراد بها ها هنا : الطيب نفسه . والاهاب : الجلد . والغضنفر : الأسد .

(٣) من قصيدة له في مدح الأمير سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان مطلعها :

إلام طماعية العاذل      ولا رأي في الحب للعاقل ؟

راجع « الديوان ص ٢٥٨ » طبعة عبد الوهاب عزام بمطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر .

(٤) صكذا وردت في الأصل . (٥) الفصيح « تعاطي الرحيق » .

على قضب من الزرجد ، أو كأنه وهو في الماء يعوم ، سماء أشرقت بمطالع النجوم » ، وله من  
مرثية قالها في بعض الأصدقاء :

لم يكتسب غير الثنا      والحمد في حياته  
أبقى لنا مناقباً      تنشر في مماته  
كالرند يبقى عرفه      بعد ذهاب ذاته

وأعجب ما سمعت في هذا الباب ، قول الحسين بن مطير الأسدي<sup>(١)</sup> يرثي معن بن زائدة<sup>(٢)</sup> :  
فتي عيش في معروفة بعد موته      كما كان بعد السيل مجراه مَرْتعاً<sup>(٣)</sup>  
فاعرف ذلك وقس عليه .

(١) في الأصل « الأزدي » وليس بصواب : وكان أسدياً بالولادة وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وله أماديغ في رجالها ، وكان زيه وكلامه كزبي أهل البادية وكلامهم . توفي بعد معن بن زائدة ، وله رثاء فيه ، وكانت وفاته في نحو سنة « ١٦١ » هـ « فوات الوفيات ج ١ ص ١٤٤ » .  
(٢) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني . من أشهر قواد العرب وأجوادهم ، وأحد الشجعان العظام ، أدرك العصرين الأموي والعباسي ، وكان في العصر الأموي مكرماً يتنقل في الولايات ، فلما سار الأمر إلى بني العباس طلبه المنصور فاستتر في البادية ، حتى كان يوم الهاشمية ، وثار جماعة من أهل خراسان على المنصور فدافع عن المنصور ، فحسبها المنصور له وولاه إمارة سجستان ، فأقام فيها مدة ثم قتل غيلة . وللشعراء فيه أماديغ ومرثيات كثيرة « وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٩ » من طبعة بلاد العجم .  
(٣) من كلمة له رواها أبو تمام في باب الحماسة ، وأولها قوله :

المأ على معن وقولا لقبه      سقتك الغواذي مرهبا ثم مرهبا  
أنظر شرح التبريزي ج ٢ ص ٣٩٠ . وانظر حاشية « المثل السائر » ج ١ ص ٤١٣ طبعة الباني  
الخلي سنة ١٩٣٩ .

## القسم الثالث

في تشبيه المفرد بالركب فمن ذلك قول بعضهم :

كأن السهبي<sup>(١)</sup> إنسان عين غريقة من الدمع يبدو كلما ذرّفت ذرّفاً  
ومن هذا القسم قول الآخر في الورد<sup>(٢)</sup> الجنبذ :

أتمك أبا حسن<sup>(٣)</sup> وردة تلذّ النفوس بأنفاسها  
كعنداء أبصرها مبصر فردت يدها على رأسها

وقد ورد (كثيراً)<sup>(٤)</sup> أمثال ذلك ، وفيما ذكرناه كفاية .

وحيث تكامنا في التشبيه الجيد وبيناه ، فينبغي أن نوضح التشبيه الرديء ليجتنبه مؤلف الكتاب<sup>(٥)</sup> ، فنقول :

اعلم أن التشبيه الرديء هو أن يكون ، بين المشبه والمشبه به ، بعد وتباين ، وذلك كقول بعضهم في السهام :

كساها رطيب الريش فاعتدلت لها قداح كأعناق الأطباء الفوارق  
فانه قد شبه السهام بأعناق الأطباء<sup>(٦)</sup> ، وذلك من أبعد التشبيهات وأكثرها تبايناً . ومما جرى هذا المجرى ، قول أحد الاعراب :

(١) السهبي ويكتب بالألف القائمة أيضاً ، كوكب خفي يمتحن الناس به أبحارهم . وإنسان العين : المثال الذي يراد في السواد .

(٢) في الأصل « في الورد الحد » ولعل الصواب ما أثبتناه . والورد الجنبذ على وزن قنغذ هو الذي لم يتفتح وهو معروف الى اليوم ببغداد ، الواحدة جنبذة .

(٣) في معجم الأدباء لياقوت الحموي « ج ٤ س ١٠٥ » من طبعة مرغليوث « أبا عامر » والبيتان لصاعد بن الحسن اللغوي البغدادي ، تزيل الأندلس أيام أبي عامر المنصور محمد بن أبي عامر المستولي على الأندلس ، فالكنية للمنصور المذكور . ولشعر خير مذكور هناك .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . (٥) أراد بالكتاب « الكناية » . (٦) في الأصل « الظبي » .

ملا حاجبيك الشعر حتى كأنه ظباء جرت منها سنيح<sup>(١)</sup> وبارح  
فشبه شعرات بيضاً في حاجبيه بظباء سوانح وبوارح ، وهو تشبيه بعيد جداً . وأمثال ذلك  
كثيرة فأعرفها .

واعلم أن الأصل في حسن التشبيه هو أن يمثل الأستر بالأظهر وغير المعتاد بالمعتاد المعروف ،  
وذلك لأجل إيضاح المقصود ، وبيان المعنى المراد .

ويظهر أيضاً حسن التشبيه في تمثيل الشيء بما هو أعظم منه ، وذلك لأجل المبالغة والتعاليق .  
وأعلم أن من التشبيه ضرباً يسمى : « غلبة<sup>(٢)</sup> الفروع على الأصول » وهو ضرب من  
الكلام ظريف ، لا تكاد تجد شيئاً منه إلا والغرض به المبالغة ؛ فما جاء من ذلك قول ذي الرمة :  
ورمل كأوراك المذارى قطعته إذا ألبسته الظلمات الحنادس

ألا ترى الى ذي الرمة ، كيف جعل الأصل فرعاً وفرعاً أصلاً ؟ وذلك أن العادة والعرف أن  
تشبه أعجاز النساء بكشبان الأتقاء ، وهو مطرد في بابه ، كقول البحترى :

أين الغزال المستعير من النقا كفلا ومن نور الأفاحي مبسما<sup>(٤)</sup>؟

فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا ، فشبّه كشبان الأتقاء بأعجاز النساء ، وذلك كأنه<sup>(٥)</sup>  
يخرج مخرج المبالغة ، أي قد ثبت هذا الموضوع وهذا المعنى لأعجاز النساء ، وصار كأنه الأصل  
فيه ، حتى شبهت به كشبان الأتقاء . ومثل ذلك قول بعضهم :

(١) في الأصل « بسنح » وهو من تصحيف النساخ ، والسنيح هو الساخ ، والساخ : العارض . وسنح  
الظبي سنوحاً ضد برح ، أي مر من الجهة اليمنى ، وفيه دلالة على اليمين عندهم . والساخ : ضد البارح ، لأن  
البارح يمر من الجهة اليسرى ، وهو دليل على الشؤم .

(٢) في الأصل « غلبة » وهو من خطأ النساخ .

(٣) هو أبو الحارث غيلان بن عقبة المضري من نخول الطبقة الثانية من شعراء عصره ، أكثر شعره  
تشبيب وبكاء أطلال وكان يذهب في ذلك مذهب الجاهليين عشق مي المنقرية واشتهر بها . وكانت وفاته  
باصبهان سنة « ١١٧ هـ » وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٠ « من طبعة بلاد العجم .

(٤) من قصيدة يمدح بها أحمد وإبراهيم ابني المدبر مطلعها :

أعطني سلمى بكاطمة أسلما وتعلما أن الجوى ما هجتما

(٥) لعل الأصل « لأنه » .

في طلعة البدر شيء من ملاحظتها وللقضيب نصيب من تثنيتها  
ونظائر هذا أكثر من أن تحصى ، فأعرفه . ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار  
كأنه أصل من (١) بابه .

### النوع الثالث

من الباب الأول في شجاعة العربية

وهو نوع من علم البيان تتكاثر لطائفه ، وتتوفر محاسنه ، لأن معظم البلاغة مندرجة في  
أثنائه ، ومنطوية تحت ضروبه ، إلا أني لم أجد شيئاً منه عند أرباب هذه الصناعة ، ولا وجدته  
في كتاب مصنف في هذا الفن ، سوى أني رأيت أبا الفتح عثمان بن جني قد ذكر ، في كتابه  
الموسوم بالخصائص ، شيئاً من التقديم والتأخير ، والحمل على المعنى لا غير ، وقد ذكرنا نحن في  
هذا النوع أشياء عجيبية ، ونكتاً طريفة (٢) ، عثرنا عليها في أثناء القرآن الكريم ، وأعلم أن  
هذا النوع ينقسم ستة أقسام :

#### القسم الأول في الالتفات (٣)

(الالتفات) الرجوع من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة ، يفعل ذلك على عادة  
العرب في افتتاحهم في الكلام ، وفيه فوائد كثيرة ، لأن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب  
كان أحسن تطرية لنشاط السامع (٤) ، وإيقاظاً للاصغاء إليه ، من إجرائه على أسلوب واحد ،  
وليس يفعل ذلك اتساعاً فقط بل لأمر أعلى ، ومهم من الغرض أعني ، فأما الرجوع من الغيبة  
الى الخطاب فكقوله تعالى في سورة الفاتحة : « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين  
إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم

(١) لعل الأصل « في بابه » .

(٢) في الأصل « طريفة » . (٣) راجع المثل السائر « ج ٢ ص ٤ » .

(٤) هذا رأي الزمخشري في الالتفات ، وقد نقله ابن الأثير عنه في « المثل السائر » ج ٢ ص ٤ طبعة  
البياني الحلبي بالقاهرة .

ولا الضالين ، هذا رجوع (من) الغيبة الى الخطاب ومما يختص به هذا الكلام من الفوائد ، أنه ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة ، والملك الخاص ، فعلم العالم بعلوم عظيم الشأن ، حقيق بالخضوع له ، والاستعانة في المهات به <sup>(١)</sup> فخطب ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات فتقبل : إياك نعبد يا من هذه صفاته ، أي نخص بالعبادة والاستعانة ، ليكون أدل على العبادة ، لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به ، فان قوله « إياك نعبد وإياك نستعين » بعد قوله « الحمد لله رب العالمين » ليس المدول فيه من الغيبة الى الخطاب اتساعاً إنما عدل اليه لفائدة حسنة ، وذلك أن الحمد لله دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبد . فلما كان الحال كذلك استعمل <sup>(٢)</sup> لفظ « الحمد » لتوسطه مع الغيبة في الخبر ، فقال : « الحمد لله » ولم يقل « لك » ، ولما صار الى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال « إياك نعبد » فخطب العباد إصراحاً بها ، وتقرباً منه - عز <sup>(٣)</sup> اسمه - بالانتهاء الى محدود <sup>(٤)</sup> منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال « صراط الذين أنعمت عليهم » فأصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ، ثم قال « غير المغضوب عليهم » ولم يقل « غير الذين غضب عليهم » لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه ، فلما صار الى ذكر الغضب قال « غير المغضوب عليهم » فجاء باللفظ منحرفاً به عن ذكر الغضب ، فأسند النعمة اليه لفظاً ، وزوى عنه ذكر الغضب تحسناً <sup>(٥)</sup> ولطفاً ، فانظر الى هذه اللغة الشريفة وتناسب هذه المعاني اللطيفة التي الأقدام (لا) <sup>(٦)</sup> تكاد تطوؤها ، والأفهام مع قربها صاخفة عنها .

ومن هذا الجنس قوله تعالى « وقالوا آخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً » <sup>(٧)</sup> فقوله « لقد جئتم » وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة زيادة تنكيل عليهم ، بالجرأة على الله - عز وجل -

(١) زيادة اقتضاها السياق .

(٢) في الأصل « اشتمل » والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ٦ » .

(٣) في الأصل « عن » والتصحيح من المثل السائر .

(٤) في الأصل « محدودة » والتصحيح « من المثل السائر » .

(٥) في الأصل « تحسناً » والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ٦ » .

(٦) من « المثل السائر » ج ٢ ص ٦ . (٧) أنظر سورة « صميم » الآية « ٨٩ » .

والتعرض لسخطه ، وتنبية لهم ، على عظم ما قالوه . وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

وأما الرجوع من الخطاب الى الغيبة فقوله — عز اسمه — « هو الذي يسيرُكم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ریحٌ عاصفٌ وجاءهم الموجُ من كل مكانٍ وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكوننَّ من الشاكرين » (١) ألا ترى كيف صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة؟ وإنما فعل ذلك لفائدة ، وهو أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ، كالخبر لهم ، ويسـتدعي منهم الإنكار عليهم والتوبيخ ، ولو قال : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها . وساق الخطاب معهم الى آخر الآية ، لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة . وليس ذلك بخاف عن ( عارف ) هذا الكلام فاعرفه .

ومن هذا الجنس قوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون وتقطعوا أمرهم ينسبهم كلُّ الينا راجعون » (٢) . الأصل في تقطعوا « تقطعتم » عطفاً على الأول الا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات ، كأنه ينمى عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين ، ويقبح عندهم ما فعلوه ، ويقول : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ، فجعلوا أمر دينهم إلى ما بينهم قطعاً ، وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ، ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون ، فهو مجازيهم على ما فعلوا .

ومما ينخرط في هذا السلك أيضاً قوله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته » (٣) الآية فإنه إنما قال « فآمنوا بالله ورسوله » ولم يقل : فآمنوا بالله ربي ، حيث قال أولاً : إني رسول الله إليكم ، لكي تجري عليه الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع (له) هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، كأننا من كان أنا أو غيري ،

(١) سورة « يونس » الآية « ٢٢ » . (٢) سورة « الأنبياء » والآية « ٩٣ » .

(٣) سورة « الأعراف » والآية « ١٥٨ » .



إظهاراً للنصف ، وبعد عن التصعب لنفسه ، فقرر أولاً في صدر الآية ، بأنه رسول الى الناس ، وأثبت ذلك في أنفسهم ، ثم أخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لمرضين كبيرين قد ذكرتهما .

الضرب الثاني : الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الأمر ، يفعل ذلك تعظيماً لحال من أجري عليه فعل الأمر . فما جاء منه قوله تعالى « ياهود ماجئتنا بينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بري مما تشركون » (١) - ولم يقل « وأشهدكم » ليكون موازناً له وبمعناه ، لأن إسهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى يثبت التوحيد ، ويشد معاقده . وأما إسهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ، ودلالة على قلة المبالاة بهم ، ولذلك عدل به عن لفظ الأول ، لاختلاف ما بينهما (٢) وجيء به على لفظ الأمر ؛ كما يقول الرجل لمن ينس الثرى (٣) بينه وبينه : أشهد عليّ إني أحببك . تهكاً به واستهانة بحاله . وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

الضرب الثالث : الرجوع من خطاب التثنية الى خطاب الجمع ، ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد .

فمن ذلك قوله تعالى « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً . واجمعا ليا بيوتكم قبلة ، وأقيموا الصلاة ، وبشر المؤمنين » (٤) . ألا ترى الى هذا المعنى والتوسع في الكلام فإنه نوع الخطاب ، فثنى ثم جمع ثم وحد ، فخطب موسى وهارون - عليهما السلام - بالنبوة والاختيار ، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء . ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد ،

(١) سورة « هود » الآية « ٥٤ » .

(٢) في الأصل « بينها » .

(٣) في الأصل « للرجل لم ينس البرى بينه وبينه » . والمراد بالأصل كناية عن التباغض .

(٤) « سورة يونس » الآية « ٨٧ » .

واقامة الصلاة ، كأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم خص موسى - صلوات الله عليه - بالبشارة التي هي الغرض ، تعظيماً له وتفخيماً لآمره ، ولأنه الرسول على الحقيقة .

ومن هذا النحو قوله تعالى : حكاية عن حبيب النجار « ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون <sup>(١)</sup> » هذا عدول عن خطاب الواحد ، الى خطاب الجماعة . وإنما صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم ، لأن ابرز الكلام لهم في معرض المناصحة لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ، ليلطف بهم ، ويداريهم ، ولأن ذلك دخل في إحاض النصيح ؛ حيث لا يريد لهم الا <sup>(٢)</sup> ما يريد لنفسه ، وقد وضع قوله : « مالي لا أعبد الذي فطرني » مكان قوله : ومالكم لا تعبدون الذي فطرکم ، ألا ترى إلى قوله « واليه ترجعون » ولو لا أنه قصد ذلك لقال : الذي فطرني واليه أرجع ، وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال « تعالوا إني آمنت بربكم فاسمعون <sup>(٣)</sup> » يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني ، فقد نهتكم على الصحيح الذي لامعدل عنه ، لأن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبتدؤكم ، واليه مرجعكم .

فانظر أيها التأمل لكتابنا هذا ، الى هذه الدقائق التي أشرنا اليها في غضون هذا الكلام ، فان فيها ما شئت من اللطائف اللطيفة ، والفوائد العجيبة .

### القسم الثالث من النوع الثالث

في الأخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي

وهو قسم من التأليف ، لطيف المأخذ ، دقيق الغزى ، فالأول : الاخبار بالفعل المضارع عن الماضي ، اعلم أن الفعل المضارع اذا أتى به في حال الاخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر <sup>(٤)</sup> تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي ، فما جاء قوله تعالى : « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك

(١) سورة « يس » الآية « ٢٢ » . (٢) في الأصل « بما » ولا حاجة الى الباء .

(٣) سورة « يس » الآية « ٢٥ » . (٤) في الأصل « وتستحضر » .

النشور<sup>(١)</sup> « فانه إنما قيل فتثير سحاباً ، مضارعاً ، وما قبله وبعده ماض ، لذلك المعنى الذي أشرنا اليه ، وهو حكاية الحال التي<sup>(٢)</sup> يقع فيها إثارة الريح السحاب ، واستحضار تلك الصورة البديعة ، الدالة على القدرة الباهرة ، وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية ، بحال تستغرب أو تُهيم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شراً : -

فاني قد لقيت النول تهوي      بسهب<sup>(٣)</sup> كالصحيفة صححان  
فأضربها بلا دَهش نخرت      صريعاً لليدين وللجرائف<sup>(٤)</sup>

لأنه قصد أن يصور لقومه ، الحال التي تشجع فيها على ضرب النول ، كأنه يبصرهم إياها ، ويطلعهم على كنهها مشاهدة ، للتعجب من جرأته على ذلك الهول ، وثباته عند تلك الشدة . ولو قال فضربتها لزال هذه الفائدة التي ذكرناها ونبهنا عليها .

ومن هذا الباب قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير<sup>(٥)</sup> » ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي ها هنا الى المضارع فقال « فتصبح » وذلك لافادة بقاء المطر زماناً بعد زمان كما يقال « أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرآ له » ولو قال « فرُحْتُ وغدوت شاكرآ له » لم يقع ذلك الموقع فافهم ما أشرنا اليه وتدبر دقائقه .

وأما الإخبار بالفعل الماضي عن المضارع ، فهو عكس ما تقدم ذكره ، وفائدته : أن الفعل الماضي إذا أخطر به عن الفعل المضارع إذا لم يوجد بعد ، كان أبلغ وأكد ، وأعظم موقفاً

(١) سورة « فاطر » الآية « ٩ » .

(٢) في الأصل « الذي » وقد رجحنا « التي » لأنه جاء بضمير الحال مؤنثاً بقوله « فيها » ولأن تأنيث الحال هو الوجه الأقوى .

(٣) في الأصل « بسهب » والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ١٦ » والسبب : الأرض المستوية والجمع سهوب . والصححان : الأرض الواسعة المستوية ، وقد استعملها وصفاً للسهب . والبتان من كلمة لتأبط شراً أولها قوله :

ألا من مبلغ فتبان فهم      بما لاقيت عند رحي بضان ؟

« أنظر الأغاني ج ١٨ ص ٢١٠ طبعة بولاق » انظر حاشية المثل السائر « ج ٢ ص ١٦ » .

(٤) الجران : مقدم العنق . (٥) سورة « الحج » الآية « ٦٣ » .

وأخر شأنًا : لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان وجد وصار من الأمور المقطوع بها ، المحكوم بكونها وحدثها . والفرق بينه وبين الأخبار بالفعل المضارع عن الماضي ، هو أن الفعل الماضي يخبر به عن المضارع ، إذا كان المضارع من الأشياء الهائلة ، التي لم توجد ، والأمر المتعاطفة التي لم تحدث ، فيجعل<sup>(١)</sup> عند ذلك مما قد كان ووجد ، ووقع الفراغ من كونه وحدثه . وأما الفعل المضارع إذا أخبر به عن الماضي ، فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل ، واستحضار صورته ، ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها . فهذا هو الفرق بين الأخبار بالفعل المضارع عن الماضي ( وبالمضارع عن الماضي )<sup>(٢)</sup> فاعرفه .

ولنرجع الى ما نحن بصدد ذكره من الأمثلة للأخبار بالفعل الماضي عن المضارع ، فن ذلك قوله تعالى : « ويوم يُنْفَخُ فِي السُّورِ ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتوه داخرين<sup>(٣)</sup> » فإنه إنما قال : « ففزع » بلفظ الماضي بعد قوله « ينفخ » وهو للمستقبل ، للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة ، واقع على أهل السموات والأرض ، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل ، وكونه مقطوعاً به .

ومن هذا الجنس قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً<sup>(٤)</sup> » « فبرزوا » بمعنى يبرزون يوم القيامة ، وإنما جيء بلفظ الماضي ، لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله - عز اسمه - « أتى أمر الله فلا تستعجلوه<sup>(٥)</sup> » فإن « أتى » هنا بمعنى « يأتي » وإنما حسن فيه لفظ الماضي ، لصدق إتيان الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه ، فصار « يأتي » بمنزلة قد أتى ومضى ، وكذلك قوله - تعالى - « ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً<sup>(٦)</sup> » فإنه إنما قال « وحشرناهم » ماضياً بعد « نسير » « وترى » وهما مستقبليان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ، ليعانوا

(٢) زيادة اقتضاها السياق .

(٤) سورة « إبراهيم » الآية « ٢١ » .

(٦) سورة « الكهف » الآية « ٤٧ » .

(١) في الأصل « فتجعل » .

(٣) سورة « النحل » الآية « ٨٧ » .

(٥) سورة « النحل » الآية « ١ » .

تلك الأحوال ، كافة ، قال : « وحشرناهم » قبل ذلك .

ومما ينخرط في هذا السلك الإخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع ، وأما فعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي ، وقد سبق الكلام عليه ، فمن ذلك قوله تعالى « إن في ذلك الآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود <sup>(١)</sup> » فإنه إنما آثر اسم المفعول ها هنا على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم ، فإنه لا بد من أن يكون ميعاداً مضروباً يجمع الناس وأنه <sup>(٢)</sup> موصوف بهذه الصفة ، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى : « يوم يجمعكم ايوم الجمع ذلك يوم التغابن <sup>(٣)</sup> » فانك تكثر على صحة ما قلت .

### القسم الثالث من النوع الثالث في عكس الظاهر

اعلم أن هذا القسم من مشكلات علم البيان ، وأسراؤه الغريبة ، وخفائيه المستظرفة العجيبة ، وهو مما لم يذكره أحد من مؤلفي هذا الفن في كتابه ، ولا أشار اليه ، وسبب التفرد بذكره في هذا الكتاب ، أنا عثرنا على ذلك في كلام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في وصفه مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - فعند ذلك طلبنا له مثلاً أو نظيراً ، في كلام العرب وأشعارهم فظفرنا بذلك ، وأوردنا الكلام الوارد عن علي - رضي الله عنه - ثم أبعناه بما جاء عن العرب في ذلك ، وإنه مما يستغرب ويستطرف ، لأن العرب قد توسعوا في كلامهم ، وتجاوزوا إلى غاية ، يذكرون كلاماً يدل ظاهره على معنى ، وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه . والأصل في ذلك ، أنك تذكر كلاماً يعطي معناه أنه نفي لصفة شيء قد كان ، وهو نفي للموصوف أنه كان أصلاً . فأما قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في هذا الباب ، فإنه وصف مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال « لا تنثي <sup>(٤)</sup> فلتاته » أي لا تذاع فلتاته ، ألا ترى إلى ظاهر

(١) سورة « هود » الآية « ١٠٣ » .

(٢) في الأصل « وإنما » والتصحيح من المثل السائر ( ج ٢ ص ١٩ ) .

(٣) سورة « التغابن » الآية « ٩ » .

(٤) في الأصل « تنثي » وهو من تحريف النساخ ، ونص الحديث كما في الفائق « ج ١ ص ٣ » من الطبعة المصرية « مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤين فيه الحرم ولا تنثي فلتاته ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا . ولا يقبل الثناء الا عن مكافئ » .

ذلك : أن ثم فلتات غير أنها لاتذاع ، وليس المراد ذلك ، بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات أصلاً ، فتذاع ، وهذا من أعجب ما وقفت عليه في علم البيان وأطرفه .  
وأما ما ورد عن العرب في هذا الباب ، فنحو قول الشاعر<sup>(١)</sup> :  
« ولا ترى الضبَّ بها ينجحر<sup>(٢)</sup> » .

فان ظاهر المعنى من ذلك يعطي أنه قد كان هناك ضب الا أنه غير منجحر ، وليس كذلك بل المعنى المقصود ، هو أنه لم يكن هناك ضب أصلاً فينجحر . فاعرف هذا ، وقس عليه . وله أشباه كثيرة في كلامهم وأشعارهم ، وفيما أشرنا اليه كفاية ، لمن له لب ومعرفة .

### القسم الرابع من النوع الثالث في الحمل على المعنى

وذلك كتأنيث الذكر وتذكير المؤنث وتصوب معنى الواحد للجماعة ، والجماعة للواحد ، وحمل الثاني على لفظ الأول ، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً ، وغير ذلك .

اعلم أن هذا القسم من التأليف دقيق المسلك ، بعيد المذهب ، يحتاج الى فضل معاودة وزيادة تأمل ، وقد ورد في القرآن الكريم ، وفصيح الكلام منشوراً ومنظوماً . فأما تأنيث الذكر فكقول الشاعر :

أتهجر بيتاً بالحجاز تلفعتُ  
به الخوف والأعداء من كل جانب  
ذهب بالخوف الى المخافة ، وقال الآخر :  
يا أيها الراكب المزجبي مطيئتهُ  
سائل بني أسد ما هذه الصوت

(١) الشاعر هو أوس بن حجر .

(٢) هذا عجز بيت ، صدره في وصف مفازة :

لا يفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر

انظر حاشية ص ٤١٣ من الجزء الثالث من « الايضاح » طبعة الجامعة السورية سنة ١٩٤٩ .  
وقال الفيومي في « النفي » من مصباحه الثير : « ولهم طريقة أخرى معروفة وهي نفي الموصوف فينتفي ذلك الوصف بانتفائه ، فقولهم « لا رجل قائم » معناه لا رجل موجود فلا قيام منه ، قال امرؤ القيس :  
« على لاحب لايمتدى بمناره »

أي لامنار فلا هداية به ، وقال الشاعر : « لا يفزع الأرنب ... » أي لا أرنب فلا يفزعها هول ولا ضب فلا انحجار ، وخرج على هذه الطريقة قوله - تعالى - « فانتفعهم شفاعة الشافعين » أي لاشافع فلا شفاعة منه ، وكذا « بغير عمد ترونها » أي لاعمد فلا رؤية . وكذا « لايسألون الناس الخافاً » لا سؤال فلا الخاف » .

فانه ذهب بالصوت الى الاستغاثه ، واعلم أنه قد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف المذكر اذا كانت إضافته الى مؤنث ، وكان المضاف بعض المضاف اليه أو منه أو به ، ولذلك قرئ قوله تعالى « لَا تَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا »<sup>(١)</sup>. بالتأنيث فأنت فعل الإيمان إذ<sup>(٢)</sup> كان من النفس وبها . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفه .

وأما تذكير المؤنث فشائع في كلام العرب كقوله تعالى « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي »<sup>(٣)</sup> أي هذا الشخص أو هذا المرئي . وكذلك قوله - عز اسمه - « فن جاءه موعظة من ربه فانتهى » لأن الوعظ والموعظة واحدة ، وقالوا في قوله تعالى « إن رحمة الله قريب من المحسنين »<sup>(٤)</sup> إنه أريد بالرحمة هاهنا المطر ، بدليل قوله تعالى « وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته »<sup>(٥)</sup> .

وأما حمل الواحد على الجماعة ، فكقولهم : « هو أحسن الفتيان وأجمله » فأفرد الضمير ، لأن هذا الموضع يكثر فيه الواحد كقولهم « هو أحسن فتى في الناس » قال الله تعالى « ومن الشياطين من يفوضون له »<sup>(٦)</sup> فحمل على المعنى وقال ذو الرمة :

وميّة أجمل الثقلين وجهاً وسالفة وأحسنه قدالاً

فأفرد الضمير ، مع قدرته على جمعه ، وهذا يدل على قوة اعتمادهم في أحوال المواضع ، وكيف ما يقع فيها . ألا ترى أن هذا الموضع موضع جمع ، وقد سبق في الأول لفظ الجمع فترك اللفظ ، وموجب الموضع وعدل الى الافراد من غير ضرورة ، فانه قد كان يمكنه ان يقول :

وميّة أجمل الثقلين وجهاً وسالفة وأحسنهم قدالاً

ومن هذا النحو قول بعضهم :

فقلنا أسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الأحن الصدور

فيجوز ان يكون ذلك جمع أخ قد حذف نونه للإضافة ، ويجوز أن يكون واحداً ووقع

(١) سورة « الأنعام » الآية « ١٥٨ » : (٢) في الأصل « اذا » وهو غير مستقيم .

(٣) سورة « الأنعام » الآية « ٧٨ » . (٤) سورة « الأعراف » الآية « ٥٦ » .

(٥) سورة « الأعراف » الآية « ٥٧ » . (٦) سورة « الأنبياء » الآية « ٨٢ » .

موقع الجماعة ، كقول الشاعر :

« ترى جوانبها بالشحم مفتونا »

والحمل على المعنى واسع في هذه اللغة . وأعلم أن العرب إذا حملت على المعنى ، لم تكدر تراجع<sup>(١)</sup> اللفظ ، كقولك : « شكرت من أحسنوا الي على فعله » ويقال : « شابت مفارقه » وإنما هو مفروق واحد . ومما يؤكد عندك أن العرب إذا حملت على المعنى لم تراجع اللفظ ، قوله تعالى : « ألم تر الى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم : ربني الذي يُحييني ويميت . قال : أنا أحْيي وأميت ، قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين »<sup>(٢)</sup> ثم قال :

« أوكلذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها »<sup>(٣)</sup> الآية فإن ذلك محمول على المعنى ، كأنه قال : رأيت الذي حاج إبراهيم في ربه ، أوكلذي مرَّ على قرية فجاء بالثاني على أن الأول قد سبق كذلك ، وأمثال هذا كثيرة .

وأما حمل الجماعة على الواحد ، فكقوله تعالى « بلى من أسلم وجهه لله ، وهو محسن » ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون<sup>(٤)</sup> » فحمل أول الكلام على لفظ الواحد ، وآخره على لفظ الجمع .

وأعلم أن العرب تعتبر تارة اللفظ ، وتارة المعنى ، يقولون : « ثلاثة أشخص » فيثبتون التاء وإن عنوا مؤنثاً<sup>(٥)</sup> ، ويقولون : « ثلاث أنفس » وإن عنوا رجالاً ، لأجل اللفظ . ويقولون : « ثلاث شخوص » إذا عنوا مؤنثاً ، « وثلاثة أنفس<sup>(٦)</sup> » إذا عنوا مذكراً للمعنى فاعرف ذلك وقس عليه .

### القسم الخامس من النوع الثالث في التقديم والتأخير

وذلك مما يتعلق بعلم النحو ، فإن لنا تقديماً وتأخيراً في الكلام ، ولا يتعلق بالنحو ، وليس

(١) في الأصل « راجع » وهو تصحيف . (٢) سورة « البقرة » الآية « ٢٥٨ » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٢٥٩ » . (٤) سورة « البقرة » الآية « ١١٢ » .

(٥) على أن عمر بن أبي ربيعة قال :

فكان يحيي دون من كنت أتقي  
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

(٦) قال الجوهري في « نفس » من الصحاح « ويقولون ثلاثة أنفس فيذكرونه لأنهم يريدون به الانسان » .



هذا بابه ، وسيأتي ذكره . إعلم إن التقديم والتأخير مما نحن بصدد ذكره هاهنا على ضربين : أحدهما يكون التقديم هو الأولى والأبلغ لموضع الاختصاص ، والآخر يكون التأخير هو الأولى والأبلغ ؛ إما الفائدة تقتضي ذلك ، وإما خوفاً من فساد المعنى واختلاله . وسيرد كل ضرب من هذه الضروب ، مشروحاً مبيناً . وأما الضرب الأول وهو ما كان التقديم فيه هو الأولى والأبلغ فذلك كتقديم المفعول على الفعل ، وتقديم المبتدأ على الخبر ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل .

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل ، وإنما تعمد<sup>(١)</sup> إلى ذلك قصداً للاختصاص ، ألا ترى قولك « زيدا ضربت » تخصيصاً له بالضرب ، إذ يحتمل أن يكون الضرب لغيره ؛ لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت كأن<sup>(٢)</sup> تقول « ضربت خالداً أو بكراً أو غيرها » وإذا أخرته ، لزم الاختصاص للمفعول . وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون<sup>(٣)</sup> » . فإنه إنما قدم المفعول ، الذي هو الرزق ، على الفعل الذي هو ينفقون ؛ لأن الإنسان قد ينفق ما ليس له . فلو قدم الفعل هاهنا على المفعول ، لسبق إلى الوهم قبل ذكر المنفق جواز كونه مما ليس له ، ومع تأخيره يزول هذا الوهم ، ويرتفع ذلك اللبس .

ومن هذا النحو ، قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » فإن قوله : « إياك نعبد » تخصيص له بالعبادة ، دون غيره ، وكذا قوله : « إياك نستعين » وهذا بخلاف ما لو قال « نعبدك ونستعينك » فإنه يحتمل أن تكون العبادة والاستعانة لغيره كما أشرنا إليه ، في « زيدا ضربت » و « ضربت زيدا » فأعترف ذلك .

وأما تقدير خبر المبتدأ عليه ، فإنه لا يعمد إليه أيضاً إلا لضرب من الاختصاص ، كقولك : « زيد قائم » و « قائم زيد » فتقولك « قائم زيد » قد أثبت له القيام لا محالة ، وقولك : « زيد

(١) في الأصل « تعمل » وهو من خطأ الناسخ .

(٢) سورة « البقرة » الآية « ٣ » .

(٣) في الأصل « بأن » وهو من خطأ الناسخ .

قائم « أنت بالخيار في إثبات القيام له أو نفيه عنه ، بأن تقول : ضارب أو قاعد أو جالس أو غير ذلك .

ومن هذا النحو قوله تعالى « وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله <sup>(١)</sup> » الآية .

فانه إنما قال ذلك ، ولم يقل : « وظنّوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم » لأن في تقديم الخبر الذي هو مانعتهم ، على المبتدأ ؛ الذي هو حصونهم ، دليلاً على فرط اعتقادهم في حصانتها ، وزيادة وثوقهم بمنعها إليهم ، وفي تصيير ضميرهم اسماً لأنّ ، واسناد الجملة إليه ، دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة وامتناع ، لا يبالي معها أحد بتعرض طامع أو قصد قاصد . وليس شيء من ذلك في قولك : « وظنّوا أن حصونهم مانعتهم أو تمنعهم » . ومن تقديم خير المبتدأ عليه قوله تعالى : « أرأغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم » فانه إنما قدّم خبر المبتدأ عليه في قوله : « أرأغب أنت عن آلهتي » لأنه كان أهم عنده ، وهو به شديد العناية ، وفي ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة إبراهيم - عليه السلام - عن آلهته ، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها . وهذا بخلاف ما لو قال : « أنت راغب عن آلهتي » . وقد سبق الكلام على ذلك فأعرفه .

فأما الظرف فاعلم أنه كان الكلام مقصوداً به الاثبات ، فان تقديم الظرف فيه أبلغ من تأخيره . وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده ، الى صاحب الظرف دون غيره « واذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره ؛ وكلام الامرين له موضع يختص به ؛ فاما تقديمه في النفي ؛ فانه يقصد به تفضيل النفي عنه على غيره . وأما تأخيره ؛ فانه يقصد به النفي أصلاً من غير تفضيل . وسيأتي بيان ذلك عند ذكر الأمثلة الدالة عليه .

فأما الأول ؛ وهو تقديم الظرف في الاثبات فنحو قوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن لنا آياتهم وإن علينا حسابهم » <sup>(٢)</sup> فتقديم الظرف على المصدر ، وها هنا <sup>(٣)</sup> تشديد في الوعيد ، لا يكون عند

(١) سورة « الحشر » الآية « ٢ » . (٢) سورة « العاشية » الآية « ٢٢ » .

(٣) في الأصل « وها هنا شديد » وهو تصحيف النسخ .

تأخيره ؛ لأنه يعطي من المعنى أن إياهم ليس إلا إلى الله ، المقتدر على الانتقام . وأن حسابهم ليس إلا عليه ، وذلك بخلاف ما لو قال : إن إياهم الينا ثم إن حسابهم علينا « لأن قوله « إن الينا إياهم » لا يحتمل أن يكون الإيابُ فيه إلى غير الله ؛ لأنه صدر الكلام بالظرف ، وإذا قال « إن إياهم الينا » يحتمل أن يظن المخاطب عند سماعه « إن إياهم » قبل قوله « الينا » أن يكون الأياب إلى غيره .

ومن هذا الجنس قوله تعالى « يسبِّح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »<sup>(١)</sup> فإن الله قدم الظرفين في قوله « له الملك وله الحمد » ليدل بتقديمها على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره ، وكذا جاء قوله تعالى « من كفر فعليه كفره »<sup>(٢)</sup> .. فإن تقديم الظرف هنا ، أشد موقفاً من تأخيره ، وأنهم شأنًا ؛ وذلك للدلالة على أن ضرر الكفر ، لا يعود إلا على الكافر ، وأنه لا يتمده . وهذا لا يخفى على من له معرفة بعلم البيان . وأما الثاني ؛ وهو تأخير الظرف وتقديمه في النحو ، فنحو قوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه »<sup>(٣)</sup> فإنه إنما أخرج الظرف هاهنا لأن<sup>(٤)</sup> القصد في إيلاء حرف النفي الريب [ الدلالة ]<sup>(٥)</sup> على نفي الريب عنه ، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب ، كما كان المشركون يدعون . ولو أولاه الظرف ، لقصد أن كتاباً آخر فيه الريب لا فيه ، كما قصد في قوله تعالى : « لا فيها غول »<sup>(٦)</sup> وذلك تفضيل لخر الجنة على خمور الدنيا ؛ بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها الدنيوية ؛ كأنه قال « ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة » .

فتأخير الظرف في قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه »<sup>(٧)</sup> يقتضي النفي أصلاً من غير تفضيل ، وتقديم الظرف في قوله تعالى « لا فيها غول »<sup>(٨)</sup> يقتضي تفضيل المنفي عنه ، وهو خمر الجنة ، على غيرها من خمور الدنيا . وهذا مثل قولنا « لا عيب في الدار » وقولنا « لا فيها

- (١) سورة « التغابن » الآية « ١ » . (٢) سورة « الروم » الآية « ٤٤ » .  
(٣) سورة « البقرة » الآية « ١ ، ٢ » . (٤) في الأصل « فأن » .  
(٥) زيادة اقتضاها السياق . (٦) سورة « الصافات » الآية « ٤٧ » .  
(٧) سورة « البقرة » الآية « ١ ، ٢ » . (٨) سورة « الصافات » الآية « ٤٧ » .

عيب « والأول ؛ قصدنا به أن ننفي عن الدار أن فيها عيباً أصلاً ، وثبت أنها خالية من العيوب . والثاني ؛ قصدنا به أن ليس فيها ما في غيرها من العيب « فاعرف ذلك ، وقس عليه ، فإنه من دقائق علم البيان .

وأما تقديم الحال فنحو « جاء راكباً زيد » وإنما يفعل ذلك لضرب من الاختصاص أيضاً . وهذا بخلاف قولك « جاء زيد راكباً » إذ يحتمل أن نقول <sup>(١)</sup> : ضاحكاً أو ماشياً وغير ذلك . وأما الاستثناء فنحو هذا المجزئ ، نحو قولك : « ما قام إلا زبداً أحدٌ » وكما قام أحدٌ إلا زبداً ، والكلام على ذلك كالكلام على ما سبق . فاعرفه .

وأما الضرب الثاني فهو أن يقدم ما الأولي به التأخير ، لأن المعنى يختل بذلك <sup>(٢)</sup> . ويضطرب ، كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف ، وتقديم الصلة على الموصول ، وتقديم العطف على المعطوف عليه ، سواءً كان بياناً أو نسقاً ، إلا عطف النسق في الواو وحده ، فإنه جائز ، نحو قولك « قام عمرو وزيد <sup>(٣)</sup> » وغير ذلك مما يرد مشروحاً .

فإن هذا الضرب قول بعضهم :

فقد والشكُّ بَيْنَ لي عناءً      بوشك فراقهم صُرد <sup>(٤)</sup> يصبح

فإنه قدم « بوشك فراقهم » وهو معمول « يصبح » ويصبح صفة لصرد جارية على صرد ، وذلك قبيح ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال « هذا اليوم رجل ورد من موضع كذا » وإنما يجوز وقوع المعمول ، بحيث يجوز وقوع العامل ، فكما لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها ، كذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها .

ومن هذا النوع ، قول الآخر :

فأصبحت بعد خطِّ بهجيتها ،      كأنَّ قفراً رسومها قَلَمًا

(١) في الأصل « يقول » وهو غير مستقيم .

(٢) ذلك : اسم إشارة إلى « ما هو أولى بالتأخير لو أخر » .

(٣) في الأصل « عمرو زيد » .

(٤) الصرد : بضم الصاد وفتح الراء ؛ طائر ضخم الرأس يصطاد العصافير .

فانه قدم خبر كان عليها وهو قوله « خط » وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه ، والأصل في هذا البيت « فأصبحت بعد مهمتها قفراً كأن قلما خطّ رسومها » إلا أنه على تلك الحالة الأولة مختل مضطرب . ويشبه بذلك قول الفرزدق :

الى ملك ما أمُّه من محارب      أبوه ولا كانت كليب تصاعره  
وهو يريد « إلى ملك أبوه ما أمه من محارب » أي ما أم أبيه من محارب ، وهذا أقبح من الأول وأكثر اختلالاً . وأما قوله :

ولست خراسان التي كان خالد      بها أسد إذ كان سيفاً أميرها  
فحديثه طريف<sup>(١)</sup> ، وذلك أنه فيما ذكر يمدح خالد بن عبد الله القسري<sup>(٢)</sup> . ويهجو أسداً ؛ وكان أسد ولها بعد خالد ، وكأنه قال :

« وليست خراسان البلدة التي كان خالد<sup>(٣)</sup> بها سيفاً إذ كان أسد أميرها » وعلى هذا التقدير ففي « كان » الثانية ضمير الشأن ، والحديث والجملة بعدها خبر عنها ، وقد قدم بعض ما إذ<sup>(٤)</sup> مضافة اليه ، وهو أسد ، عليها ، وفي تقديم المضاف اليه أو شيء منه على المضاف من القبح ما لا يخفاء به ، وأيضا فإن في أصله أسداً أحد<sup>(٥)</sup> جزئي الجملة المفسرة للضمير ، والضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده ، ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ، ولما سماه الكوفيون المظهر<sup>(٦)</sup> المجهول . ومن هذا الجنس قوله :

ملوك يبتنون توارثوها      سرادقها المقاود<sup>(٧)</sup> والقبابا  
أراد « ملوك يبتنون المقاود<sup>(٧)</sup> والقباب توارثوها سرادقها » فقوله « يبتنون المقاود

(١) في الأصل « ظريف » .

(٢) في الأصل « خالد بن الوليد » وهو غير مستقيم تاريخاً . والتصحيح من المثل السائر « ج ٢

ص ٤٥ » .

(٣) في الأصل « خالداً » من غلط النساخ . (٤) في الأصل « إن » والتصحيح من المثل .

(٥) في الأصل « احداً » وهو من غلط الناسخ .

(٦) وفي الأصل « الظهر » وفي المثل السائر « الضمير المجهول » وهو غير منسق .

(٧) في الأصل « المقاول » ولا محل لها هنا ولعل الأصل ما ذكرناه . فالمقاود جمع مقاد للخيل .

والقباب « صفة للملوك أيضاً وموضعها التأخير ، فقددها <sup>(١)</sup> ، وهو يريد بها موضعها ، كقولك « مررت برجل ، يكلمها ، مار بهند » أي « مار بهند يكلمها » فقدم الصفة الثانية ، وهو معتقد تأخيرها . وقد استعمل الفرزدق هذا الضرب كثيراً ، كأنه كان يقصد ذلك في شعره ويتعمده ، لأن مثل هذا لا يجيء إلا متكلفاً مقصوداً ، وإلا فاذا ترك المؤلف نفسه تجري على سجيته وطبعها في الاسترسال ، من غير أن يكلفها التعقيد في الكلام ، فإنها لا تأتي بمثل هذه الأسباب القبيحة ، التي هي عيب في التأليف فاحش ، الا ترى أن المقصود من الكلام معبودوم في هذا الضرب المذكور ، لأن المقصود من الكلام إنما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى ، فاذا ذهب هذا الوصف من الكلام ذهب المراد به والمقصود منه ، وصار غير مفهوم ولا فرق بينه — عند ذلك — وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما . فاعرف ذلك .

وأعلم أن من التقديم والتأخير باباً عجيباً المأخذ ، كثير الفائدة ، وافر اللطائف ، وهو باب الاستفهام ، فإن حاجة المؤلف الكلام اليه ماسة . ولنورد في كتابنا هذا منه ما يروك ، أيها المتأمل ، ويذهب بك في الاستحسان كل مذهب ، فنقول : اعلم أنك اذا بدأت في الاستفهام بالفعل فقلت « أفعلت كذا وكذا » كان الشك في الفعل ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده لا غير . وإذا قلت : « أنت فعلت » فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل وحده . وهذا المعنى قائم في الهمزة ، إذ هي كانت للتقرير ، فإذا قلت « أنت فعلت ذلك » كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل ، قال الله تعالى « أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم <sup>(٢)</sup> » حكاية عن قوم نمروذ ، لأنهم لم يقولوا ذلك لابراهيم — عليه السلام — وغرضهم أن يقر لهم ان كسر الأصنام كان ووجد ، لان ذلك معلوم عندهم ، وقد شاهدوه رأي العين ، والاستفهام إنما يكون عن شيء لا يعلم وإنما غرضهم الاقرار بأن ذلك حدث منه ، لأنه قال — صلوات الله عليه — في الجواب لهم « بل فعله كبيرهم هذا » ولو كان التفسير بالفعل لكان الجواب « فعلت أو لم أفعل » فالهمزة مما ذكرناه تقرير لفعل قد كان وإنكار له ، لم كان ، وتوبيخ لفاعله عليه <sup>(٣)</sup> ، ولهذا مذهب آخر

(١) أي فقدم « توارثوها » . (٢) سورة « الأنبياء » الآية « ٦٢ » .

(٣) انظر هذا الموضوع في دلائل الاعجاز « س ٧٨ » طبعة دار المكتبة العربية بمصر .

وهو أن تكون الهمزة لانكار أن يكون الفعل من أصله ، ومثاله قوله تعالى « أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً <sup>(١)</sup> » . وقوله تعالى « أأصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون <sup>(٢)</sup> » . فهذا زد على المشركين ، وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي إلى هذا الجهل العظيم ، وإذا قدم الاسم في هذا صار من الانكار في الفاعل ، كما تقول للرجل إذا انتحل شعراً « أنت قلت هذا الشعر ، كذبت ، لست ممن يقول مثله » فأنكرت أن يكون هو القائل ولم تنكر الشعر . وقد يكون المراد إنكار الفعل من أصله ثم يخرج اللفظ مخرجه إذا كان الانكار في الفاعل مثال ذلك قوله تعالى « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً <sup>(٣)</sup> » . ومعلوم أن المعنى على إنكار أنه قد كان من الله إذن فيما قالوا من غير أن يكون هذا الأذن قد كان من غير الله ، فأضافوه الى الله ، إلا أن اللفظ أخرج مخرجه ليكون أشد لنفي ذلك ولفظاً له <sup>(٤)</sup> . ونظيره قوله تعالى « آ الذكرى حرّم أم الاثنيين <sup>(٥)</sup> » فأخرج اللفظ مخرجه إذ كان قد ثبت تحريم في أحد أشياء ثم أريد معرفة عين المحرم ، مع أن المراد <sup>(٦)</sup> إنكار التحريم من أصله ، ونفي أن يكون قد حرّم شيئاً مما ذكروا أنه محرّم . وهذا هو الفرق بين تقديم الاسم ، وتقديم الفعل الماضي ، فإذا كان الفعل مضارعاً فالتقول في ذلك أنك إذا قلت « أفنعمل كذا » لم يخل من أن تزيد الحال أو <sup>(٧)</sup> الاستقبال ، فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بالماضي ، كما ذكرنا ، وإن أردت الاستقبال كان المعنى إذا بدأت <sup>(٨)</sup> بالفعل أنك تعمد إلى انكار الفعل نفسه ، وترغم أنه لا يكون ، أو أنه لا ينبغي أن يكون . فمثال الأول قول امرئ القيس :

(١) سورة « الاسراء » الآية « ٤٠ » . (٢) سورة « الصافات » الآية « ١٥٣ » .

(٣) سورة « يونس » الآية « ٥٩ » .

(٤) في دلائل الاعجاز « وإبطاله » . (٥) سورة « الأنعام » الآية « ١٤٣ » .

(٦) في الاصل تكرار « مع أن المراد » وهي من زيادة النسخ .

(٧) في الأصل « والاستقبال » والتصحيح من دلائل الاعجاز « ص ٧٩ » .

(٨) في الأصل « بدت » والتصحيح من دلائل الاعجاز .

أبقتلي والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال (١)؟!

فهذا تكذيب منه لانسان يهدده بالقتل . وعلى هذا جاء قوله تعالى « أنزلُ مَكْمُوها وأنتم لها كارهون » (٢) . ومثال الثاني قولك للرجل يركب الخطر « أنخرج في هذا الوقت ؟ اتفرّر بنفسك » ؟ ومنه قول الشاعر :

. . أ أترك أن قلت دراهم خالد (٣)

فان بدأت بالاسم فقلت « أ أنت تفعل » أو قلت « أ هو يفعل » كنت موجهاً للانكار الى نفس المذكور وأبيت أن يكون بمثابة من يجيء منه الفعل ، إما لتصور همته وعجزه ، مع أن يكون ذلك في وسعه ، وإما لارتفاع قدره ، وعلو همته . فمثال الأول قولك : أ هو يرتاح للجميل ، هو أصغر همة من ذلك وقولك « أ أنت تمنعني ، أ أنت تأخذ على يدي » تعني (٤) أنك أعجز من ذلك ، ومثال الثاني قولك « أ هو يسأل فلاناً هو أرفع قدراً من ذلك » . واعلم أن محض المعنى من الاستفهام ، الذي تفسره بالانكار هو تنبيه السامع ، حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتدع ، قال الله تعالى « أفأنت تسامع الصم أو تهدي العمى » على سبيل التمثيل والتشبيه ، كقولهم « أ أنت تصعد الى السماء » لأن أسمع الصم مما لا يدعيه أحد ، وكذلك الصعود الى السماء . ومثله قول بعضهم :

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أظنين أجنحة الذباب يضير؟ (٥)

(١) من قصيدة لامرئ القيس مطلعها :

الأعم صباحاً أيها الطلل البالي  
وهل يعمن من كان في العصر الخالي  
وبعد البيت المذكور في المتن :

وليس بندي سيف فيقتلي به  
وليس بندي رمح وليس بنبال  
« راجع ديوان امرئ القيس » .

(٢) سورة « هود » الآية « ٢٨ » .

(٣) في الأصل « قل الدراهم » والتصحيح من دلائل الإعجاز « ص ٨٠ » والبيت كما في السكامل  
لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير من أبيات يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

(٤) في الأصل « يعني » .

(٥) في كامل البرد « ج ٢ ص ٣٣ من طبعة الدلجوني » وفي دلائل الإعجاز أن هذا البيت لابن أبي عينة =



وأعلم أن حال المفعول فيما ذكرناه حال الفاعل في أن تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الانكار في طريق الاحالة والمنع من أن يكون بمثابة من يقع به ذلك الفعل ، فاذا قلت « أزيداً تضرب » أنكرت أن يكون بمنزلة من يُجتراً عليه ، ولذلك قدمت « غير » في قوله تعالى « أغير الله أأخذ ولياً » وقوله تعالى « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون » وكان لذلك من المزية والحسن والفضامة ما يعلم أنه لو أخرت « غير » فقيل « أأخذ غير غير الله ولياً ، أو تدعون غير الله » لما كان مؤدياً من المعنى ما كان يؤديه مع تقدمها ، وذلك أنه حصل بالتقدير معنى قولك « أَيْكون غير الله بمنزلة من يُتخذ ولياً أو يرضى عاقل لنفسه أن يفعل ذلك » و « أَيْكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك » ولا يكون شيء من هذا الذي ذكرناه إذا قيل « أأخذ غير الله ولياً » وذلك لأنه يتناول الفعل أن يكون فقط ، ولا يزيد على ذلك شيئاً ، فهذا هو القول في الضرب الأول (١) .

وأما الضرب الثاني :

وهو أن يكون يفعل لفعل موجود ، فان تقديم الاسم يقتضي تشبيهاً بما اقتضاه في الفعل الماضي ، من الاقرار بأنه الفاعل ، أو الانكار أن يكون هو الفاعل . فمثال الأول قوله تعالى « أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وقوله تعالى « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » فحكم المضارع في الآية الأولى حكم الماضي في الآية الثانية ، ومثال الثاني قوله تعالى « أَمْ يَقْسَمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ » فافهم ذلك . واعلم أني قد أطلقت عنان الكلام في مسائل الاستفهام ليتبين أن للعربية أسراراً لا يطلع على خباياها ، ولا

= عبد الله بن محمد المهلب . وكان سبب قوله هذا أن علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين العلوي دعاه الى نصرته حين ظهرت الميضة فلم يجبه فتوعده فقال :

أعلي أنك جاهل مغرور  
أبعثت توعدني أن استبطأتني  
لاطمة لك لا ولا لك نور  
لاني مجربك ما حيت جدير  
فدع ...

« أنظر حاشية ص ٨٢ من دلائل الإعجاز » .

(١) ألحق الناسخ هنا الجملة الأولى من البحث التالي لهذا الى قوله « موجود » فحذفنا الزائد .

يُقدر قدر مزاياها الا من تغذى بلبان البلاغة طفلاً ونشأ عليها كبيراً وصغيراً ، وسلك مساهج هذا العلم ، وفاز منه بأوفر الحظ والقسم . ولا يتسع لهذا الضرب من التأليف نطاق هذه الأوراق ولا يمكن أن يودع ما فيه من اللطائف ، صفحات ما حررناه من هذه الصحائف ، والذي عليه مدار المعول ، فيما نورده من المجمل والمفصل ، هو البحث عن أسرار البلاغة ، والابانة عن الشيء الذي به يشرف الكلام ، وتحصل له المزية على سواه ، فتدبر ذلك وقس عليه .

### القسم السادس من النوع الثالث

في الاعتراض وهو شعبة من « علم البيان » تتكاثر محاسنها

اعلم أن الجائز من هذا القسم . وغير الجائز إنما يؤخذ من كتب النحو ، فإنه يكون مستقصى فيها ، كالاقتراض بين القسم وجوابه ، وبين الصفة والموصوف ، وبين المعطوف والمعطوف عليه ، وأشباه ذلك مما يجوز استعماله ، وكالاقتراض بين المضاف والمضاف اليه ، وبين إنَّ واسمها ، وبين حرف الجر ومجروره ، وأمثال ذلك مما يقبح استعماله ، وليس هذا مكانه لأن كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره ، مما أشرنا اليه في صدر الكتاب ، وإنَّ ما أشرنا اليه هنا من الاعتراض ما يفرق المؤلف به بين الجيد منه والردئ لا ما يعلم به الجائز ، وغير الجائز ، فاعرف ذلك .

واعلم أن الاعتراض ينقسم الى قسمين : أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لفائدة ، وهو جار مجرى التوكيد في كلام العرب ، والآخر يأتي في الكلام لفائدة . فما جاء منه قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لتقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون <sup>(١)</sup> » هذا كلام فيه اعتراضان <sup>(٢)</sup> أحدهما « وإنه لتقسم لو تعلمون عظيم » لأنه اعتراض بين القسم ، الذي هو « فلا أقسم بمواقع النجوم » وبين جوابه الذي هو « إنه لقرآن كريم » وفي نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر ، بين الموصوف الذي هو « قسم » وبين صفته التي هي « عظيم » وهو قوله تعالى « لو تعلمون » فذاتك اعتراضان <sup>(٢)</sup> كما ترى ، فلو جاء الكلام ، غير معترض فيه ،

(١) سورة « الواقعة » الآية « ٧٥ » .

(٢) في الأصل « اعتراضات » ، وهي من خطأ الناسخ .

لوجب أن يكون « فلا أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم » وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هو تعظيم لشأن المقسم به ، في نفس السابح ، ألا ترى قوله تعالى « لو تعلمون » اعتراضاً بين الموصوف والصفة ، وذلك أوقع في الأنفس ، لتعظيم المقسم به ، أي إنه من عظيم الشأن ونغامة الأمر بحيث لو علم ذلك لوفي حقه من التعظيم . وهذا مثل قولنا « ان هذا الأمر لعظيم ، بحيث لو تعلم يا فلان عظمه ، لقدرته حق قدره » . فان ذلك يكبر في نفس المخاطب ، ويعظم موقعه عنده ، ويبقى متطالماً الى معرفة عظمه ، ويترامى به وهمه إلى أعلى المنازل وأسبق الرتب . ومن هذا النحو قوله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن . وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير » <sup>(١)</sup> ألا ترى إلى هذا الاعتراض الذي طبق مفصل البلاغة ، فانه لم يؤت به إلا لفائدة كبيرة ، وذلك أنه لما وصى بالوالدين <sup>(٢)</sup> ذكر ما تكابده الأم من المشاق والمتاعب ، في حمل الولد وفضاله ، إيجاباً للتوصية بالوالدة وتذكيراً بحقها ، وانما خصها بالذكر دون الوالد ، لأنها تتكلف من أمر الولد ما لا يتكلفه الوالد ، ومن ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن قال له « مَنْ أْبْرَ » : أُمَّكَ ثم أُمَّكَ . ثم قال بعد ذلك « أباك » . ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى « وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون » فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » <sup>(٣)</sup> فقوله تعالى « والله مخرج ما كنتم تكتمون » اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، وفائدته أنه يقرر في أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتمانه ، لأن الله مظهر لذلك ومخرج له ، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان « وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها » ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه .

(١) سورة « لقمان » الآية « ١٤ » .

(٢) في الأصل « وصى الوالدين » وهو من غلط النسخ .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٧٢ » .

ومن هذا الجنس قول النابغة :

لعمري وما عمري عليَّ بهيّن

لقد نطقت بطلاً عليّ الأفارع<sup>(١)</sup>

فقوله « وما عمري عليَّ بهيّن » من محمود الاعتراض ونادره ، لما فيه من تفخيم المقسم به .  
وعلى نحو هذا جاء قول كثير :-

لو أنّ الباخلين وأنت منهم

رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله « وأنت منهم » من الاعتراض الذي يؤكد به المعنى المقصود فيزداد به مزية ونبلاً  
وفائدته ها هنا التصريح بما هو المراد تبينه في الأنفس وتقرره في الأذهان ، وقال بعضهم لعبد الله  
ابن طاهر أحسن ما قيل في هذا الباب :-

إف الثمانين وبلغتها

قد أحوجت سمي إلى ترجمان

وأمثال هذا كثيرة . فاعرفه .

وأما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان : الأول أن يكون دخوله في  
التأليف كخروجه منه ، لا يؤثر حسناً ولا قبيحاً ، فن ذلك قول النابغة :-

يقول رجال يجهلون خليقتي

لعمل زياداً لا أبالك غافل

فقوله « لا أبالك » اعتراض لا فائدة فيه ، وليس [ يؤثر ]<sup>(٢)</sup> في هذا البيت حسناً ولا  
قبحاً ، ومثله قول زهير :-

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

وكذلك قول بعض المحدثين :-

صدودكم والديار دانية

أهدى لرأسي ومفرقي شيبا

فذكر المفرق بعد الرأس بما لا فائدة فيه البتة .

ومن هذا القول أو الضرب قول ابن هاني :

فلا هجة في الأرض منك منيعة

ولو قطرت في ريق أرقط أرقم

(١) في الأصل « الأفارع » من غلط الناسخ .

(٢) زيادة يقتضها السياق .

فان قوله « أرقط » لا حاجة اليه ولا فائدة في ذكره ، إذ لا فضل للارقط من الحيات على غيره من الألوان ولا مزية ، وأمثال هذا كثيرة .

وأما الضرب الثاني الذي يكون مؤثراً في الكلام تقصاً ، وفي المعنى فساداً ، فما جاء منه

قول بمضهم :

فقد والشك بيّن لي عناءاً بوشك فراقهم صردٌ يصيح

فان [ في ] <sup>(١)</sup> هذا البيت من رديء الاعتراض ما أذكره ، وهو الفصل بين قد والفعل ، الذي هو « بيّن » وذلك قبيح لوجوب اتصال « قد » بما تدخل عليه من الأفعال ، ألا تراها تعتمد مع الفعل كالجاء منه ، ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على « قد » في قوله تعالى « ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك » <sup>(٢)</sup> وفي قوله تعالى « ولقد علموا لمن اشتراه » <sup>(٣)</sup> .

وقول الشاعر :

ولقد أجمع رجلياً بها حذر الموت وإني لغرور ؟

إلا أنه إذا فصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به ، نحو قولك « قد والله كان ذلك » . وقد فصل بين المبتدأ الذي هو الشك وبين الخبر الذي [ هو ] <sup>(٤)</sup> عناء بقوله « بيّن » وفصل بين الفعل الذي هو « بيّن » وبين فاعله الذي هو « صرد » بجزء المبتدأ الذي هو « عناء » فجاء هذا البيت كما ترى ، فان قبحة لا خفاء به ومن هذا الجنس قول الآخر :

نظرت وشخصي مطلع الشمس ظلّه إلى الغرب حتى ظلّه الشمس قد غفل <sup>(٥)</sup>

أراد « نظرت مطلع الشمس » أي حاذها ، وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذي هو « شخصي » وبين خبره الجملة وهو قوله « ظلّه إلى الغرب » . وأغلط من ذلك الفصل بين الفعل وفاعله بالأجنبي . وقد تقدم ذكره ، وهذا وأمثاله مما يفسد المعاني ويؤثر بها الاختلال .

(١) زيادة اقتضاها السياق (٢) سورة « الزمر » الآية « ٦٥ » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ١٠٢ » . (٤) زيادة اقتضاها السياق .

(٥) كذا ورد هذا البيت .

واعلم أن النائر في ذلك أكثر ملامة من الناظم ، وأعظم عيباً ، وذلك أن الناظم يحتاج الى إقامة ميزان الشعر ، ويكون مجال الكلام عليه ضيقاً في بعض الاوقات ، فيلجئه طلب الوزن الى إلقاء نفسه في مثل هذه المقايح ، وأما النائر فانه لا يحتاج الى إقامة الميزان الشعري لكلامه ، فلاجل ذلك يتسع عليه مجال التأليف ، وينطلق عنانه فيه كيف يشاء ؛ ولهذا إذا اعترض في كلامه اعتراض<sup>(١)</sup> يفسده توجه عليه الانكار ، وحق عليه العتب<sup>(٢)</sup> والملام أكثر مما يتوجه على الناظم .

### النوع الرابع في الإيجاز

وهو حذف زيادات الكلام

هذا نوع من التأليف شريف لا يكاد يلججه الا فرسان البلاغة ومن ضرب فيها بالقبح المعلي ، وذلك لعلا منزلته ، وبعد مناله ، والدليل على ذلك أنه أقل أنواع التأليف استعمالاً بين أرباب هذه الصناعة .

واعلم أن العرب اعتنوا بهذا الضرب من الكلام اعتناءً زائداً ومما يدلنا على إيثار القوم قوة إيجازهم وحذف فواصل كلامهم ما جاؤا به من الاسماء المستفهم بها والاسماء المشروط بها ، فأنهم استغنوا بالحرف الواحد عن الكلام الكثير ، المتناهي في الطول ، فن ذلك قولهم « كم مالك » ألا ترى أنه قد أغناك هذا عن قولك « عشرة مالك أم عشرون أم ثلاثون أم مائة أم ألف ؟ » فلو ذهبت تستوعب الأعداد لم تبلغ إلى ذلك أبداً ، لانه غير متناه ، فلما قلت « كم » أغنتك هذه اللفظة الواحدة عن تلك الألفاظ التي لا يحاط بها ، وكذلك قولك « أين منزلك » فان لفظه « أين » تغنيك عن ذكر الأما كن كلها وكذلك « من عندك » فقد أغنتك هذه اللفظة عن ذكر الناس كلهم . وأما الشرط ففي قولهم « من يقيم أقيم معه » كناية<sup>(٣)</sup> عن

(١) في الأصل « اعتراضاً » ولا وجه له ولعله من خطأ النساخ .

(٢) في الأصل « العتب » وهو من سبق قلم الناسخ .

(٣) في الأصل « كفاية » والصواب ما ذكرناه .

ذكر جميع الناس أيضاً ، ولولا ذلك لاحتجت أن تقول « إن يقيم زيد أو عمرو أو جعفر أو نحو ذلك » ثم تقف حسيراً مهوراً ، ولم تجد الى عرضك سبيلاً ، وكذلك بقية أسماء العموم في غير الايجاب نحو « أحد وديار وغيرها » فاذا قلت « هل عندك أحد » أغناك ذلك عن أن تقول « هل عندك زيد أو عمرو أو جعفر » فتطيل ثم تقصر إقصار السكايل المنقطع . وهذا وغيره أظهر أمراً ، وأبدى صفحة وعنواناً ، فجميع ما ذكرناه هاهنا شاهد بانصباب هم القوم الى اختصار كلامهم وإيجاز لغتهم .

واعلم أن جماعة من أرباب هذه الصناعة أجمعوا على أن الكلام ينقسم قسمين : فمنه ما يحسن فيه التطويل كالخطب والتقليدات السلطانية ، وكتب الفتوح التي تقرأ في ملأ من عوام الناس ؛ فان الكلام اذا طال في مثل ذلك أثر عندهم وأفهمهم ، ولو اقتصر فيه على الإيجاز والاشارة لم يقع لأكثرهم حتى يقال في ذكر الحرب « تطاعن الفريقان وتقاتلا ، واشتد المصاع وحمي القراع » . وما جرى هذا المجرى ، والمذهب الفصل في هذا الباب ما أذكره لك وهو أن فهم العامة من الناس ليس شرطاً معتبراً في اختياره ، لأن ذلك لو كان شرطاً لوجب قياسه أن يستعمل في الكلام الألفاظ العامة البتلة عندهم ، التي قد تداولوها بينهم حتى يكون ذلك أقرب الى فهمهم وأسهل مأخذاً ومتناولها ، لأن العلة في اختيار تطويل الكلام اذا كان فهم العامة له ومعرفةهم به ، فكذلك نجعل نحن تلك العلة بعينها في اختيار البتلة في الكلام ، لأنه لاخلاف في أن العامة الى فهمه أقرب من فهم ما يقل ابتداهم له ، وتداولهم إياه . وهذا شيء مدفوع لايجوز استعماله البتة . وإنما الذي يجب على مؤلف الكلام اعتماده هو أن يسلك المذهب القويم ، ويجهد أن لا يزيد ألفاظه على معانيه مع الايضاح<sup>(١)</sup> لها والابانة عنها ، فانه إذا فعل ذلك خرج من عهدة اللامة ، وليس عليه أن يفهم العامة كلامه فان نور الشمس اذا لم يره الأعمى [ لا ]<sup>(٢)</sup> يكون ذلك نقصاً في استنارته ، وإنما النقص في بصر الأعمى حيث لا يستطيع النظر اليه قال الشاعر :

(١) في الأصل « الاتضاح » وهو من غلط الناسخ . والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ س ٧٤ » .

(٢) زيادة من المثل السائر .

عليّ نَحْتُ المعاني من معادنها وما عليّ بأن لا تفهم البقر (١)

وحيث انتهى بنا القول الى هذا الوضع ، فلنرجع إلى ما هو غرضنا ومهمنا ، من الكلام على الایجاز وحدّه وأقسامه . ولنوضح ذلك إيضاحاً جلياً ، فنقول : اعلم أنّ حد الایجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من أقرب طرقه ، وهو ينقسم قسمين : أحدهما الایجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد والجملة ، للدلالة (٢) نحو الكلام على المحذوف ، ولا يكون إلا فيما (٣) زاد معناه على لفظه . وأما القسم الآخر فهو ما لا يحذف منه شيء ، بل يترك على حاله ، وهو ضربان : أحدهما ما ساوى لفظه معناه ، ويسمى التقدير ، والآخر ما زاد معناه على لفظه ، ويسمى القصر ، فأما القسم الأول ، وهو الایجاز بالحذف ، وذلك باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الامر ، شبيه بالسحر ، فانك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون مبيناً إذا لم تُبين ، وهذه جملة تنكرها حتى تخبر ، وتدفعها حتى تنظر (٤) ، وهذا القسم يشتمل على أربعة عشر باباً : الأول الاكتفاء بالسبب عن السبب ، وبالسبب عن السبب ، وهو ضرب من الكلام ، تتكاثر محاسنه ، وتزاید لطائفه . فأما الاكتفاء بالسبب عن السبب فكقوله تعالى « وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكننا أنشأنا قروناً فتناول عليهم العُمُرُ (٥) » كأنه قال « وما كنت شاهداً لموسى وما جرى له وعليه ، ولكننا أوحينا اليك » فذكر سبب الوحي على عادة اختصارات القرآن الكريم ، لأن تقدير الكلام « ولكننا أنشأنا

(١) هذا البيت من قصيدة للبحرني يمدح بها علياً الأرمي مطلعها :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر  
وبالغ منه لولا أنه حجر  
وقد روي البيت في الديوان :

علي نحت القوافي من مقاطعها  
وما علي لهم أن تفهم البقر  
« الديوان ج ٢ ص ٤٣ » .

(٢) في الأصل « الدالة » والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ٧٨ » .

(٣) في الأصل « مما » والتصحيح من المثل السائر .

(٤) راجع دلائل الاعجاز « ص ٩٥ » .

(٥) سورة « القصص » الآية « ٤٤ » .



بعد الوحي فأندرست العلوم ، فوجب إرسالك اليهم ، فأرسلناك وعرفناك العلم بقصص الأنبياء ، وقصة موسى — عليهم السلام — . وأما الاكتفاء بالسبب عن المسبب فكقوله تعالى « فإذا قرأت القرآن فاستمع بالله من الشيطان الرجيم » تأويله ، والله أعلم ، إذا أردت قراءة القرآن فاكتمف<sup>(١)</sup> بالسبب الذي هو « القراءة » عن السبب الذي هو « الارادة » وهذا أولى من تأوّل من ذهب إلى أنه أراد « فإذا تعوذت فاقرا » لأن في ذلك قلباً لا ضرورة بك إليه . وأيضاً فإنه ليس كل مستعيز بالله واجبة عليه القراءة ؛ ومن ذلك قوله تعالى « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه<sup>(٢)</sup> ... » فاكتمفي بالسبب الذي هو « الانفجار » عن السبب الذي هو « الضرب » وكذلك قوله تعالى « إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » أي اذا أردتم القيام إليها . وأعلم أنه قد ورد في القرآن الكريم ما هو سببٌ وهو بعينه مسبب ، كقوله تعالى « فلا يصُدَّنَّكَ عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » ألا ترى أن العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى ، والمقصود نهى موسى عن متابعة الصاد له عن التصديق بالبعث ، فقد صلحت العبارة إذا لاداء هذين المعنيين ، وذلك أن صد الكفار عن التصديق بالبعث سبب التكذيب ، فذكر السبب ليدل به على المسبب ، وكأنه قال « لا تكذب بالبعث » وأيضاً فان صد الكفار مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ، ولين شكيمته ، فذكر المسبب ليدل به على<sup>(٣)</sup> السبب كأنه قال « كن شديد الشكيمة ولا تكن رخواً حتى لا يلوح منك لمن يكفر بالبعث أن يطمع في صدك عما أنت عليه » . وهذا كقولهم « لا أَرَيَنَّكَ ههنا » المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته ، وذلك سبب رؤيته إياه ، فكان ذكر المسبب دليلاً على السبب ، وهذا من أطرف ما يرد في بابهِ فاعرفه .

### الضرب الثاني من القسم الأول

#### من النوع الرابع

وهو الاضمار على شريطة التفسير ، وذلك حذف الجملة من الكلام إذا كان ما بعدها يدل

(١) في الأصل « فاكتمفي » وهو من غلط الناسخ .

(٢) سورة « البقرة » الآية « ٦٠ » . (٣) في الأصل « عن » .

عليها ، وفيها من دقيق الصفة ، وجليل الفائدة ، ما لا خفاء به ، فما جاء منه قوله تعالى :  
« أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك  
في ضلال مبين <sup>(١)</sup> » . تقدير الآية « أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن ألقى قلبه » ويدل  
على المحذوف قوله « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله » . ومن ذلك قوله تعالى : « لا يستوي  
منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا » .  
تقديره « لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق من بعده » . ويدل على المحذوف « أولئك  
أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا » . ومن هذا الضرب حذف العلة كقوله تعالى  
حكاية عن مريم عليها السلام : « قالت أنى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أك بغياً  
قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجمه آيةٌ للناس ورحمةٌ منا وكان أمراً مقضياً <sup>(٢)</sup> » .  
« ولنجمه » تعليل معلله محذوف أي وإنما فعلنا ذلك لنجمه آية للناس ، ونبين به أثر قدرتنا  
الباهرة . ومن الأضمار على شريطة التفسير حذف المفعول الوارد بعد المشيئة والارادة كقوله تعالى :  
« ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم <sup>(٣)</sup> » . فمفعول شاء هاهنا محذوف وتقديره : ولو شاء الله  
أن يذهب بسمعهم وأبصارهم <sup>(٤)</sup> لذهبَ بها ، وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى : « ولو شاء الله  
لجمعهم على الهدى » . الآية . ومن هذا الضرب قول البحري : -

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كراماً ولم تهدم مآثر خالد <sup>(٥)</sup>

فالأصل في ذلك « لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها » فحذف ذلك من الأول استغناء  
بدلالته عليه في الثاني ، فإن الواجب في حكم البلاغة أن لا تنطق <sup>(٦)</sup> بالمحذوف ، ولا تظهره إلى  
اللفظ ، ولو أظهرته لصرت <sup>(٧)</sup> إلى كلام غث ومجيء المشيئة بعد لو وبعد حروف الجزاء هكذا

(١) سورة « مريم » الآية « ٢٠ » . (٢) سورة « مريم » الآية « ٢١ » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٢٠ » . (٤) التتمة من المثل السائر « ج ٢ ص ٧٨ » .

(٥) من كلمة للبحري يمدح بها المخضر بن أحمد الثعلبي وأولها قوله :

عجباً لطيف خيالك المتعاهد ولوصلك المتقارب المتباعد

(٦) في الأصل « ينطلق » وهو من غلط النسخ « والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ٩٨ » .

(٧) في الأصل « لضرب » والتصحيح من المثل « ج ٢ ص ٩٨ » .

موقوفة غير معداة الى شيء ، كثير شائع بين البلغاء ، ولقد تكاثر هذا الحذف في « شاء وأراد » حتى إنهم لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب نحو قوله تعالى : « لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء <sup>(١)</sup> » الآية . وعلى هذا الأسلوب جاء قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيتك عليه ولكن ساحة الصبر أوسع <sup>(٢)</sup>

فلو كان على حد قوله تعالى « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى <sup>(٣)</sup> » لوجب أن يقول : لو شئت لبكيت دمًا ، ولكن ساحة الصبر أوسع ، ولكنه ترك تلك الطريقة ، وعدل عنها الى هذه ، لأنه أليق في هذا الكلام خصوصاً وسبب حسنه أنه كان بدعاً عجيباً ، أن يشاء الانسان أن يبكي دمًا ، فلما كان مفعول المشيئة أمراً عظيماً ، وبدعاً غريباً كان الأحسن أن يذكر ولا يضم . فأعرف ذلك .

### الضرب الثالث من القسم الأول

من النوع الرابع وهو حذف الفعل وجوابه

فأما حذف الفعل ؛ فكقوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه » حتى « وإنجاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعها... <sup>(٤)</sup> » ومن هذا الباب قوله تعالى : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ

(١) سورة « الزمر » الآية « ٤ » .

(٢) هذا البيت للخرمي وقد أورده التبريزي في شرح الحماسة « ج ٢ ص ١٠٥٣ » من طبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ، والخرمي هو أبو يعقوب اسحاق بن حسان ، وكان مولى ابن خريم بن عمرو الناعم المري فنسب اليه ، وهو من شعراء القرن الثاني للهجرة « راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٢/٥ ص ٣ من طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ » وقبل هذا البيت في شرح ديوان الحماسة :

ولاني وإن أظهرت صبراً وحسبة وصانعت أعدائي عليك لموجع

وجاء في حاشية المثل السائر « ج ٢ ص ٩٩ » أن البيت للخرمي ( كذا ) من مرثية يرثي بها أبا الهيثم ( بن عمار بن خريم ) أولها :

قضى وطراً منك الحبيب المودع وحل الذي لا يستطيع فيدفع

وأنظر الأغاني ج ١٨ ص ١١٣ طبعة ساسي .

(٣) « سورة الأنعام » الآية « ٣٥ » .

(٤) سورة ٣١ آية ١٥ . وقد جاء في « المثل السائر » بعد هذه الآية الكريمة : « فقول : ( وانجاهدك ) لا بد له من اخبار القول : أي ، وقتلنا له ؛ إن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها » ج ٢/ص ٩٥ .

ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً<sup>(١)</sup> . وكذلك قوله ، عزّ اسمه : « ولقد قال لهم هارون من قبل : يا قوم إنما فُتِنْتُمْ به » الى قوله « ... ولم ترُ قُب قَوْلِي<sup>(٢)</sup> » ألا ترى كيف حذف الفعل في هذا الموضع مكرراً فإن تقديره : فلما رجع موسى اليهم ، ورآهم على تلك الحالة من عبادة العجل ، قال لأخيه : « ياهرون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ... »<sup>(٣)</sup> الآية ، وأخذ بلحيته ورأسه ، إنكاراً عليه وغضباً . قال له هارون : « يا ابنَ أمّ لا تأخذْ بلحيتي ولا برأسي » الآية . ومن هذا الضرب إيقاع الفعل على شيئين ، وهو لأحدهما ، كقوله تعالى : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم<sup>(٤)</sup> » فإوقع الفعل من « أجمعوا » على أمركم وشركاءكم ، وهو « لأمركم » وحده . وإنما المراد : أجمعوا أمركم ، وادعوا شركاءكم ؛ لأن معنى « اجمعوا » : من أجمعَ الأمر ، إذا نواه وعزم عليه . وقد قرأ أبي<sup>(٥)</sup> « فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم » وهذا دليل على ما أشرنا إليه ، وكذلك هو مثبت في مصحف عبد الله بن مسعود فأعرف ذلك .

ومن حذف الفعل بابُ يسمى : « إقامة المصدر مقام الفعل » .

وهو باب لطيف المأخذ ، وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد ؛ كقوله تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب<sup>(٦)</sup> » . قوله : « فضرب الرقاب » وأصله : فاضربوا الأعتاق<sup>(٧)</sup> ضرباً ؛ فحذف الفاعل ، وأقيم المصدر مقامه ، وفي ذلك اختصار مع اعطاء (معنى<sup>(٨)</sup>) التوكيد المصدرى ، فأعرفه .

(١) سورة ١٧ آية ٢٣ . (٢) سورة ٢٠ آية ٩٠ .

(٣) سورة ٢٠ آية ٩٢ وتكملة الآية : « ... الا تتبعني ، أفصبت أمرى ، قال يا ابن أم لا تأخذ

بلحيتي ... » .

(٤) سورة ١٠ الآية « ٧١ » .

(٥) أبي بن كعب : صحابي أنصاري من بني النجار من المزرج قرأ القرآن على النبي - ص - وقرأ عليه النبي - ص - بعض القرآن للإرشاد والتعليم ، وكان سيد القراء ، وكان يكتب ويقرأ ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي « غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين ابن الجزري ج ١ ص ٣١ » وقاموس « الأعلام » لزركلي « ج ١ ص ٢٨ » .

(٦) السورة ٤ والآية ٤٧ .

(٧) في المثل السائر : فاضربوا الرقاب ضرباً ، والرقاب هنا أشد مناسبة « ج ٢ ص ٩٥ » .

(٨) زيادة من المثل السائر « ج ٢ ص ٩٥ » .

وأما حذف جواب الفعل ، فإنه يكون في (١) الأمر كقوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً (٢) .. » الى قوله : « ... تدميراً » ألا ترى كيف حذف جواب الأمر في هذه الآية ؛ فإن تقديره : قفلنا : اذهبوا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فذهبوا اليهم فكذبوهم فدمرناهم تدميراً . فذكر حاشيتي القصة ؛ أولها وآخرها ، لأنها المقصود من القصة بطولها ، يعني إزام الحججة ببعثة الرسل ، واستحقاق التدمير بتكذيبهم . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف ... » (٣) الى قوله « ... وهم لا يشعرون » . اعلم أنّ في جواب الأمر من هذا الكلام محذوفاً تقديره « فأرسله معهم » ، ويدلنا على ذلك ما جاء به بعده من قوله تعالى : ( فلما ذهبوا به . كما حذف أيضاً في قوله عز وجل (٤) ) : « وقال الذي نجما منها وأدّكر بعد أمة (٥) .. » الى قوله « ... بقرات سمان » . الآية .

فجواب الأمر في هذا الموضع محذوف وتقديره . « فأرسلوه الى يوسف فاتاه فقال له : « يوسف أيها الصديق (٦) » . وكذلك قوله تعالى : « وقال الملك أئتوني به فلما جاء الرسول ... » (٧) الى قوله : « ... كيد الخائنين » . ففي هذا الكلام حذف واختصار استغني عنه بدلالة الحال عليه (٨) ، وتقديره « فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف ، فدعا الملك بالنسوة وقال لمن ما خطبكن ... »

(١) في المثل السائر : « فانه لا يكون في الأمر المحذوف ... » ج ٢ ص ٩٥ .

(٢) سورة الفرقان ، آية « ٣٥ » وتكملة الآية : « ... فقلنا اذهبوا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ... » .

(٣) وتكملة الآية « ... وانا له لناصحون ، أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وانا له لحافظون ، قال لي ليجزني ان تذهبوا به وأخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ، قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لماسرون ، فلما ذهبوا به وأجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون .. »

(٤) نقصان أعمته من المثل السائر « ج ٢ ص ٩٦ » من الطبعة المذكورة .

(٥) سورة يوسف ، الآية « ٤٥ » . (٦) سورة يوسف الآية « ٤٦ » .

(٧) « » « ٥٠ » .

(٨) أراد بالحذف « المحذوف » فأعاد الضمير اليه ، ولو لا ذلك ماصح تعبيره .

فانظر أيها المتأمل الى هذه المحذوفات ، التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها  
وبيانه ، ودلالة الحال عليه . وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون الحذوف (١) فأعرفها .

## الضرب الخامس (٢) من القسم الأول

### من النوع الرابع

وهو حذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كلّ منها مقام الآخر (٣) وذلك باب طويل عريض  
سائغ (٤) . في كلام العرب . وإن كان أبو الحسن (٥) الأخفش لا يرى القياس عليه ، فأما حذف  
المضاف فكقوله تعالى : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حدب ... » (٦)  
[ تحذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج (٧) ] وهو سدّها ، كما تحذف المضاف الى القرية في قوله  
تعالى : « واسأل القرية (٨) » أي أهل القرية . ومن هذا الضرب قوله تعالى : « ولكن البرّ من  
اتقى (٩) » أي برّ من اتقى ، وإن شئت كان تقديره « ولكن ذا البر من اتقى » والأول  
أجود ، لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع ، والخبر أولى بذلك من المبتدأ ، لأن الاتساع  
يحذف الإعجاز أولى منه بحذف الصدور . وقد حذف المضاف مكرراً نحو قوله تعالى : « فقبضت  
قبضةً من أثر الرسول » (١٠) أي من أثر حافر فرس الرسول . وهذا الضرب أكثر اتساعاً من  
غيره . وأما حذف المضاف اليه (فانه قليل الاستعمال ؛ فما جاء منه قوله تعالى) (١١) : « لله الأمر  
من قبل ومن بعد » (١٢) أي من قبل ذلك ومن بعده .

(١) الحذوف : جمع حذف .

(٢) الضرب الرابع ربما كان ساقطاً من ناسخ الكتاب ، وهو في المثل السائر « حذف المفعول به » .  
أنظره في ج ٢ ص ٩٧ من « المثل السائر » طبعة محمد محي الدين عبد الحميد سنة ١٩٣٩ بمطبعة مصطفى  
الحلبي بالقاهرة .

(٣) المثل السائر « ج ٢ ص ٩٩ » .  
(٤) في المثل السائر « شائع » .  
(٥) أنظر حاشية ص ٢٩ من هذا الكتاب .  
(٦) الأنبياء ، الآية ( ٩٦ ) .  
(٧) زيادة من المثل السائر ج ٢ ص ٩٩ .  
(٨) يوسف ، الآية ( ٨٢ ) .  
(٩) سورة البقرة ( ١٨٩ ) .  
(١٠) طه الآية ( ٩٦ ) .  
(١١) زيادة في المثل السائر « ج ٢ ص ١٠٠ » .  
(١٢) الروم ( ٤ ) .

## الضرب السادس من القسم الأول

### من النوع الرابع

وهو حذف الموصوف والصفة وإقامة كلٍ منهما مقام الآخر . وأكثر ذلك يجيء في الشعر، وإنما كانت كثرته في الشعر دون الكلام المنثور؛ لأنَّ القياس يكاد يحظره؛ وذلك لأنَّ الصفة تأتي في الكلام على ضربين: إما للتأكيـد والتخصيص وإما للمدح والذم، وكلاهما من مقامات الإسهاب والتطويل، لا من مقامات الإيجاز والاختصار. وإذا كان الأمر كذلك لم يلق الحذف به. هذا مع ما يضاف إلى ذلك من الالتباس وضدَّ البيان، ألا ترى أنك إذا قلت: «مررت بطويل<sup>(١)</sup>» لم يبين من ظاهر هذا اللفظ المرور به؛ إنسان هو أم رمح أم ثوب أم غير ذلك. وإذا كان الأمر كذلك فحذف الموصوف إنما هو شيء قام الدليل عليه أو شهدت به الحال. وكما أستبهم الموصوف كان حذفه غير لائق.

ومما يؤكد عندك ضعف حذف الموصوف أنك تجد<sup>(٢)</sup> من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه؛ وذلك أن تكون الصفة جملة نحو: «مررت برجل قام أبوه، ولقيت (غلاماً)<sup>(٣)</sup> وجهه حسن» ألا تراك لو قلت: مررت بquam أبوه ولقيت وجهه حسن لم يجز. وأعلم أنه قد أقيمت الصفة الشبيهة<sup>(٤)</sup> بالجملة مقام الموصوف المبتدأ في قوله تعالى: «وإننا منا الصالحون ومنا دون ذلك». (أي قوم دون ذلك)<sup>(٥)</sup> فأما حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها فإنه لا يكون إلا فيما دلت الحال عليه، فمن ذلك ما حكاه صاحب الكتاب<sup>(٦)</sup> من قولهم: «سير عليه ليل» وهم يريدون: ليل طویل. وإنما حذف الصفة في هذا

(١) في الأصل «صدرت بطويل» والتصحيح من المثل السائر «ج ٢ ص ١٠١».

(٢) في الأصل «تحذف» والتصحيح من المثل أيضاً «ج ٢ ص ١٠٢».

(٣) زيادة من المثل السائر «ج ٢ ص ١٠٢».

(٤) زيادة من المثل السائر اقتضاها السياق «ج ٢ ص ١٠٢».

(٥) التكملة من المثل السائر «ج ٢ ص ١٠٢».

(٦) يعني بصاحب الكتاب «سيبويه» وقد قاله هو أيضاً في المثل السائر «ج ٢ ص ١٠٢».

وأنظر حاشية ص ٢٨ من هذا الكتاب.

الوضوح لما دلَّ من الحال على موضعها ، وذلك أنه يحسن في كلام ألقائل (١) لذلك من التصريح والتلويح والتفخيم والتعظيم بما يقوم مقام قوله : « طويل » أو نحو ذلك . وأنت تحسُّ (٢) هذا من نفسك إذا تأملتَه ؛ وهو أن يكون في مدح إنسان والثناء عليه ( فتقول : « كان (٣) ) والله رجلاً » فتزيد في قوة اللفظ بالله في هذه الجملة وتمكن في مطِّ اللام وإزالة الصوت بها ؛ أي رجلاً فاضلاً ، أو شجاعاً ، أو كريماً ، أو ما جرى هذا المجرى من الصفات ، وكذلك تقول : « سألتناه فوجدناه (٤) (إنساناً (٥) أي ) إنساناً سمحاً أو جواداً أو ما أشبهه . وتمكن الصوت « بإنسان » وتفخمه ، وتستغني عن وصفه بقولك : « إنساناً سمحاً أو جواداً أو ما أشبهه » فعلى هذا أو نحوه تحذف الصفة ، فأما إن عرّيت من الدلالة عليها من اللفظ والحال فإن حذفها لا يجوز . ألا تراك لو قلت : « ورَدْنَا البصرة فاجتَرْنَا بالأبلة (٦) على رجل ، أو رأينا إنساناً » ثم سكتَ لم يفد ذلك شيئاً ؛ لأن هذا ونحوه مما لا يخلو ذلك المكان منه ، وإنما المقصود أن تصف من ذكرت وما ذكرت ، فإن لم تفعل فقد كَلَّفتِ عِلْمَ ما لم تدلُّ عليه ، وهذا لغوٌ من الحديث وجورٌ في التكليف .

ومن حذف الصفة ما رُوي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لرجل المسجد إلَّا في المسجد » أي لا صلاة كاملة أو فاضلة أو نحو ذلك . فاعرف ما أشرنا إليه وتدبره فإنه ضرب من الكلام رقيق وغورٌ من العربية سحيق (٧) .

- (١) في الأصل « كذلك » والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ١٠٢ » .
- (٢) في الأصل « تحسن » وهي من سبق قلم النساخ ، والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ١٠٢ » .
- (٣) زيادة من المثل السائر . « ج ٢ ص ١٠٣ » .
- (٤) زيادة من المثل السائر . « ج ٢ ص ١٠٣ » .
- (٥) زيادة من المثل السائر .
- (٦) الأبلة : بضم أول وثانيه وتشديد اللام وفتحها . وهي بلدة كانت على شاطئ دجلة قريبة من البصرة ، وهي أقدم منها . قال الأصمعي جنات الدنيا ثلاث : غوطة دمشق ، ونهر بليخ ونهر الأبلة . وقد نسب إليها جماعة من رواة العلم ، أنظر المجلد الأول من كتاب « معجم البلدان لياقوت الحموي » وكانت قرب أبي الحصب البلدة الحالية ، ونهرها هو نهر الحورة الحالي .
- (٧) يستدرك على المؤلف في هذا الباب أن حذف الموصوف في باب المفعول المطلق جائز دائماً نحو « أقام طويلاً وفسكر كثيراً » .



## الضرب السابع من القسم الأول من النوع الرابع

وهو حذف الشرط وجوابه

فأما حذف الشرط فنحو قوله تعالى : « يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة ، فإياي فاعبدون »<sup>(١)</sup> . ألا ترى أن الفاء في قوله : فاعبدون ، جواب شرط محذوف : لأن المعنى : أن أرضي واسعة ، فإن لم تخلصوا لي العبادة في أرضي فأخلصوها في غيرها ، ثم حذف الشرط ، وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والاختصاص .  
ومن هذا الضرب قوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً ، أو به أذى من رأسه ففدية »<sup>(٢)</sup>  
أي فحسب فعلية فدية ، وكذلك قولهم : « الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً نخبيراً ، وإن شراً فشرأ » أي (إن)<sup>(٣)</sup> فعل المرء خيراً جزياً خيراً ، وإن فعل شرأ جزياً شرأ . ومن حذف الشرط قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم<sup>(٤)</sup> والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون »<sup>(٥)</sup> . اعلم أن هذه الفاء في قوله تعالى « فهذا يوم البعث » هي الفاء التي في قول الشاعر :

... فقد جئنا خراسانا<sup>(٦)</sup> . . . . .

(١) سورة « العنكبوت » الآية « ٥٦ » (٢) سورة « البقرة » الآية « ١٩٦ »

(٣) زيادة من المثل السائر « ج ٢ ص ١٠٤ » .

(٤) في الأصل « الكتاب » وهو من تحريف النسخ .

(٥) سورة « الروم » الآية « ٥٥ ، ٥٦ » .

(٦) في الأصل « فقد جئتم » والصحيح ما أثبتناه نقلًا من كتاب « دلائل الإعجاز » للجرجاني

ص ٧١ طبعة المنار سنة ١٣٦٧ وقد نسبة الجرجاني إلى العباس بن الأحنف وهو :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القبول . فقد جئنا خراسانا

وبعد في الديوان :

متى يكون الذي أرجو وأمله أما الذي كنت أخشاه فقد كانا

وهذه الأبيات قالها ابن الأحنف لما خرج مع الرشيد إلى خراسان انظر ص ٢٤٠ من « شرح ديوان

العباس بن الأحنف » تحقيق الاستاذ عبد المجيد الملا ، طبعة نعمان الأعظمي سنة ١٩٤٧ .

وحقيقتها أنها<sup>(١)</sup> جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام ، كأنه قال : « إن صح ما قلتم أن خراسان أقصى ما يراد بنا ، فقد جئنا خراسانَ وأن لنا أن نخلص » . وكذلك هذه الآية يقول تعالى : « إن كنتم منكربن البعث فهذا يوم البعث » أي قد تبين بطلان قولكم . وأمثال ذلك كثيرة ، فاعرفه .

وأما حذف جواب الشرط ، فكقوله تعالى : « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله<sup>(٢)</sup> ... » إلى قوله : « ... الظالمين » . فإن جواب الشرط هاهنا محذوف تقديره : إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ، أستم ظالمين . ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى : « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » وأمثال هذا كثيرة ، وهو ضرب من علم البيان ، تتوفر لطائفه ، فاعرفه .

### الضرب الثامن من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف القسم وجوابه

وأما حذف القسم ، فنحو قولك : « لأفعلن » ، أو غير ذلك من الأقسام<sup>(٣)</sup> المحلوف بها . وأما حذف جوابه ، فكقوله تعالى : « والفَجْرُ ليلالٍ عشر »<sup>(٤)</sup> إلى قوله « .. مثلها في البلاد » . فإن جواب القسم هاهنا محذوف ، تقديره : لنعدن ، أو نموه . ويدل على ذلك ما بعده من قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ... »<sup>(٥)</sup> إلى قوله : « سوطاً

(١) في الأصل « أن » والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ١٠٥ » .

(٢) سورة الاحقاف آية « ١٠ » وتكملة الآية : « وآمن واستكبرتم ، إن الله لا يهدي القوم

الظالمين ... »

(٣) الأقسام هاهنا : جمع القسم بمعنى الخلف .

(٤) سورة الفجر الآية الأولى ، وتكملة الآيات : « ... والشفع والوتر ، والليل اذا يسر ، هل

في ذلك قسم لذي حجر ، ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » الآيات

من ١ - ٨ .

(٥) سورة الفجر آية « ٦ » . وتكملة الآيات : « ... إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد

وعمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طفوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم

ربك سوط عذاب » الآيات من ٦ - ١٣ .

عذاب « . ومن هذا النحو قوله تعالى : « ق ، والقرآن المجيد » <sup>(١)</sup> ، ... « إلى قوله : « عجيب » . فان معناه : والقرآن المجيد لَتُبْعَثُنَّ ، والشاهد على ذلك ما جاء بعده ، من ذكر البعث في قوله : أئذا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجوع بعيد » <sup>(٢)</sup> . وقد ورد هذا الجنس في القرآن كثيراً .

### الضرب التاسع من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف « لو » وجوابها

وهو من اللفظ ضروب الایجاز وأحسنها ، فأما حذف « لو » فكقوله تعالى : « ما آتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذا لذهب كلُّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » <sup>(٣)</sup> .  
وأما حذف جوابها ( فكقوله تعالى ) <sup>(٤)</sup> : « ولو ترى إذ فزِعوا فلا فَوَّتَ وأُخِذُوا من مكان قريب » <sup>(٥)</sup> . فان جواب « لو » ههنا محذوف وتقديره « لرأيت <sup>(٦)</sup> أمراً عظيماً ، وحالاً هائلةً » أو غير ذلك مما جرى هذا الجرى .

ومن هذا الجنس قوله تعالى : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أو يعلم .. » <sup>(٧)</sup> إلى قوله « ولا هم ينصرون » . تقديره : لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه ؛ وهو وقت صعب ، شديد ، محيط بهم ، فيه النار من وراء وقدام ، فلا يقدرُونَ على دفعها عن أنفسهم ، ولا يجحدون ناصرًا ينصرهم ، لما كانوا بتلك الصفة ، من الكفر والاستهزاء والاستعجال ،

(١) سورة « ق » وتكملة الآية : « بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب » .

(٢) سورة « ق » آية ٣ .

(٣) سورة « المؤمنون » الآية « ٩١ » ، وزاد في المثل السائر « تقدير ذلك : إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق » ج ٢ ص ١٠٦ .

(٤) زيادة اقتضاها الابيضاح . (٥) سورة « سبأ » آية ٥١ .

(٦) في الأصل « لو رأيت » والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ١٠٧ » .

(٧) سورة « الأنبياء » آية ٣٨ وتتمة الآية « لو يعلم الذين كفروا ، حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون » .

ولكن جهلهم به هو الذي هوّنه عليهم .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « لو أنه لي بكم قوةٌ أو آوي إلى ركنٍ شديدٍ »<sup>(١)</sup> فجواب « لو » في هذا الموضع محذوف ، كما حذف في قوله تعالى : « ولو أن قرأنا سيرةً به الجبال »<sup>(٢)</sup> أي لو أن لي بكم قوة لدفعتكم أو منعتكم ، أو ما أشبهه . وكذلك ( قوله تعالى ) : « ولو أن قرأنا سيرةً به الجبال » أي : لكان هذا القرآن .

### الضرب العاشر من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف جواب « لما » وجواب « أمّا » وجواب « إذا »

فأما جواب « لما » فكقوله تعالى « فلما أسلما وتلّه للجبين ، ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا . إنا كذلك نجزي المحسنين »<sup>(٣)</sup> فان جواب « لما » ها هنا محذوف وتقديره « فلما أسلما وتلّه للجبين ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما<sup>(٤)</sup> تنطق به الحال ، ولا يحيط به الوصف ، من استبشارها واغتباطها ، وشكرها على ما أنعم به عليهما ، من دفع البلاء العظيم ، بعد حلوله ، وما أشبه ذلك مما اكتسبها بهذه المحنة ، من عظام الوصف ، دنيا وآخرة . وقوله « إنا كذلك نجزي المحسنين » . تعليل<sup>(٥)</sup> ما خولها من الفرح والسرور بعد تلك الشدة العظيمة .

وأما حذف جواب « أمّا » فنحو قوله تعالى : « فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم »<sup>(٦)</sup> .

وأما حذف جواب « إذا » فنثاله قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما

(١) سورة « هود » الآية « ٨٠ » .

(٢) سورة « الرعد » الآية « ٣١ » وتكلمة الآية « ... أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . »

(٣) سورة « الصافات » والآية « ١٠٣ » .

(٤) في الأصل « مما يضيّق به » والتصحيح من المثل السائر ج ٢ ص ١٠٩ .

(٥) في المثل السائر « تعليل لتخويل ما خولها ... » ج ٢ ص ١٠٩ .

(٦) سورة « آل عمران » الآية « ١٠٦ » .

خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيتهم من آيةٍ من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين<sup>(١)</sup> . ألا ترى كيف حذف الجواب عن « إذا » من الكلام ، وهو مدلول عليه بقوله تعالى « إلا كانوا عنها معرضين » . كأنه قال « إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون » . ثم قال : ودأبهم الإعراض عن كل آية وموعظة .

### الضرب الحادي عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف « لا » من الكلام وهي مرادة وذلك كقوله تعالى : « قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف<sup>(٢)</sup> حتى تكون حرصاً أو تكون من الهالكين » فقوله : « تفتأ » يريد : لا تفتأ فحذف « لا » من الكلام ، وهي مرادة . والمعنى : تأتئ لا تزال تذكر يوسف .

ومن هذا الضرب قول امرئ القيس :

فقلت : يعين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي<sup>(٣)</sup>  
تقديره : لا أبرح قاعداً ، فحذفت : « لا » من هذا الموضع ، وهي مرادة ، وقس عليه .

### الضرب الثاني عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في الاستئناف

وهو حذف السؤال المقدور ؛ وذلك ضرب من التأليف لطيف الأمر ، عجيب المغزى ، ولا تجد باباً من أبواب الحذف أحسن مأخذاً منه ، ولا أطرف<sup>(٤)</sup> خيراً ، وهو ينقسم قسمين : الأول : إعادة الأسماء والصفات .

(١) سورة « ياسين » الآية « ٤٥ » وما بعدها .

(٢) سورة « يوسف » الآية « ٨٥ » .

(٣) هذا البيت من قصيدة له مطلعها :

الاعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي !؟

أنظر ديوان امرئ القيس شرح حسن السندوني ، الطبعة الثالثة س ١٥٨ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(٤) في الأصل « أطرف » .

اعلم أن هذا القسم يجيء تارة باعادة اسم من تقدم الحديث عنه ، كقولك : « أحسنت الى زيد ، زيد <sup>(١)</sup> حقيق بالاحسان » وتارة يجيء باعادة صفة ، كقولك ( أحسنت الى زيد ) صديقك القديم أهل لذلك منك » وهو أحسن من الأول وأبلغ ، لانطوائه على بيان الموجب للاحسان وتخصيصه ، فما جاء من هذا الباب قوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين <sup>(٢)</sup> ... » الى قوله « ... المفلحون » .

اعلم أنه لما قيل « هدى للمتقين » بأن الكتاب لهم هدى فاتجه للسائل أن يقول : « ما بالهم خصوا بذلك ؟ » فوقع قوله : « الذين يؤمنون بالغيب » الى سياقه كالجواب ، وحيء بصفة « المتقين » المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله — عز وجل — اللطف والاختصاص على غيرهم ، أي الذين هذه عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله وأن يعطيهم الفلاح .

وإن جملت قوله تعالى : « ... الذين يؤمنون بالغيب ... » الى آخر قوله : « ... وبالأخرة هم يوقنون <sup>(٣)</sup> » تابعاً « للمتقين » ، وقع الاستئناف على « أولئك » كأنه قيل : « وما للمتقين » . بهذه الصفات قد اقتصوا بالهدى ؟ فأجبت : أن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس ، بالهدى عاجلاً ، وبالفلاح آجلاً ، فافهم ذلك وتدبر رموزه ودقائقه .

الثاني : الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات .

وذلك كقوله تعالى : « وما لي لا أعبدُ الذي فَطَرَنِي واليه تُرْجَعُونَ » الى قوله « ... المكرمين <sup>(٤)</sup> » .

(١) الزيادة من « المثل السائر » ج ٢ ص ٨٢ .

(٢) سورة « البقرة » الآية الأولى ، وتكملة الآية : « الذين يؤمنون بالغيب ويقومون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

(٣) سورة « البقرة » الآية « ٣ » .

(٤) سورة ياسين الآية : « ٢٢ » وتكملة الآية « أتأخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون . إني إذأ لفي ضلال مبين . إني آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين » .

اعلم أنّ مخرج هذا القول مخرج الاستئناف ، لأن ذلك من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه ، كأن<sup>(١)</sup> قائلاً قال له : « كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخّي لوجهه بروحه » ؟ فقيل : قيل ادخل الجنة ، ولم يقل : « قيل له » لانصباب الغرض الى القول وعظمه لا الى القول له<sup>(٢)</sup> مع كونه معلوماً .

وكذلك قوله تعالى ( يا ليت قومي<sup>(٣)</sup> ) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد .

ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى : « يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف ( تعامون ) الى قوله « معكم رقيب<sup>(٤)</sup> » .

اعلم أنّ مخرج الفرق بين إثبات الفاء في سوف كقوله تعالى : « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب « يجزيه » ويحلّ عليه عذاب مقيم » . وبين حذف الفاء ههنا في هذه الآية ( أنّ<sup>(٥)</sup> ) إثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ، وبحذفها<sup>(٦)</sup> وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر ، كأنهم قالوا : ماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا ، وعملت أنت ؟ فقال : « سوف تعلمون » فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف ، للتفنين في البلاغة على عادة بلغاء العرب . وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف . وهو قسم من أقسام علم البيان تتكاثر بحاسنه .

### الضرب الثالث عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في حذف الواو وإثباتها

اعلم أنّه حذفت الواو وأثبتت في مواضع ، فأما إثباتها فكقوله تعالى : « وما أهلكنا من

(١) كأن مكررة ، ولا نرى لزوماً لتكرارها .

(٢) أنظر المثل السائر « ج ٢ ص ٨٣ » .

(٣) سورة هود آية ( ٩٣ ) وتكملة الآية « ... من يأتيه عذاب يجزيه ، ومن هو كاذب ، وارتقبوا

إني معكم رقيب » .

(٤) سورة الزمر آية « ٤٠ » . (٥) زيادة من المثل السائر « ج ٢ ص ٨٣ » .

(٦) في المثل السائر : « وحذفها » ج ٢ ص ٨٣ .

قرية إلا لها منذرون<sup>(١)</sup> . وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو وإبائها في كل المواضع ، وإنما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين لا غير .

ولنبين<sup>(٢)</sup> في ذلك رسماً تتبعه فنقول : إعلم أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد « إلا » يجوز إثبات الواو في خبره وحذفها كقولك « ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثياب » وإن شئت (قلت<sup>(٣)</sup>) « إلا عليه ثياب » ، فإن كان الذي يقع على النكرة (ناقصاً<sup>(٤)</sup>) فلا يكون إلا بحذف الواو ، نحو قولك « ما أظن درهماً إلا هو » كافيك « ولا يجوز « إلا وهو كافيك » لأن الظن يحتاج إلى شيئين فلا يعرض<sup>(٥)</sup> فيه بالواو لأنه يصير<sup>(٦)</sup> كالسكتفي من الأفعال باسم واحد ، وكذلك أخوات<sup>(٧)</sup> « ظفنت » وكان وإنَّ وما أشبههما « نخطأ أن تقول : « إن رجلاً وهو قائم » و« أظن رجلاً وهو قائم » . أو « ما كان رجل إلا وهو قائم » ، ونحو ذلك ، ويجوز هذا في « ليس » خاصة ، تقول : « ليس أحد إلا وهو قائم » لأن الكلام يتوهم تمامه بليس وبحرف ونكرة<sup>(٨)</sup> ، ألا ترى أنك تقول « ليس أحد وما من أحد » ، فجاز فيها ولم يجوز في « أظن » لأنك لا تقول : « ما أظن أحداً » . فأمسا « أصبح وأمسى ورأيت » فإن الواو فيهن أسهل لأنها توأم<sup>(٩)</sup> في حال ، و« كان وأظن » ونحوها بنين على النقص إلا إذا كانت تامة ، وكذلك (لا)<sup>(١٠)</sup> التبرئة وغيرها نحو « لا رجل ، وما من رجل » فيجوز إثبات الواو فيها وحذفها . فاعرف ذلك وقس عليه .

(١) سورة « الشعراء » والآية « ٢٠٨ » .

(٢) في المثل السائر « ج ٢ ص ١١٢ » « ولنين لك في ذلك » .

(٣) زيادة من المثل السائر . (٤) زيادة من المثل السائر ج ٢ ص ١١٢ .

(٥) في الأصل « فلا تعرض » والتصحيح من المثل السائر .

(٦) في الأصل « لا يصير » والتصحيح من المثل السائر ج ٢ ص ١١٢ .

(٧) في المثل السائر « جواب » .

(٨) زيادة الواو من المثل السائر ، وانظر حاشيته هناك ج ٢ ص ١١٢ .

(٩) في المثل السائر « توأم في حال » ولا نراه مستقيماً فالتوأم بتشديد الميم جمع تامة .

(١٠) زيادة واجبة وفي المثل السائر « في التنزيه » ولا نرى له وجها . لأن « التبرئة » براد بها نفي

الجنس كما هو معروف في كثير من كتب النحو كشرح الكافية للرضي الأستراباذي « ج ١ ص ١١٨ - ٩ »

طبعة استانبول ، وبذلك سماها مفرس المفصل للزمخشري « ص ٤٠٦ بمطبعة التقدم بمصر » .



## الضرب الرابع عشر من القسم الأول من النوع الرابع

في الحذف الذي يوجب الاخلال في الكلام

وذلك ما يحذف من أصل اللفظ وهو إسقاط بعض حروفه . ولا يحسن استعماله في التأليف لكنه يجوز ؛ لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعملته في كلامها ، تحذفت بعض الالفاظ استخفافاً حذفاً يخل بالباقي ويعرض له بالشبهة . ألا ترى الى قول علقمة <sup>(١)</sup> :

كأن إبريقهم ظبي على شرف مفدّم بسبا <sup>(٢)</sup> السكتان ملثوم <sup>(٣)</sup>

فقوله « .. بسبا الكنانة » يريد « بسباب السكتان » وكذلك قول لبيد :

دَرَسَ المنا بمتالع فأبان <sup>(٤)</sup>

أراد « المنازل » وعلى نحو من هذا جاء قول أبي دؤاد <sup>(٥)</sup> :

يُذْرِبْنَ جَنْدَلَ حائِرٍ لجنوبها <sup>(٦)</sup> فكأتما تذكى سنا بكمها الحُبا <sup>(٧)</sup>

أراد « الحباحب » .

(١) هو علقمة بن عبدة شاعر جاهلي من بني تميم ، يقال له الفحل . كان يتنازع امرأ القيس الشعر ، وقد احتكما الى زوجة امرئ القيس ام جندب ، فاستنشدتها على قافية واحدة ، وروي واحد ، وحكمت لعلقمة أنظر ص ١٠٧ من كتاب « الشعر والشعراء » وبيته هذا من قصيدة أولها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ تأتاك اليوم مصروم ؟

(٢) في الأصل « مقدماً بسبا السكتان ملثوم » وهو من تحريف النسخ .

(٣) الشرف : المكان العالي ، والقدام وزان كتاب : خرقه تجعل في فم الابريق .

(٤) تمام البيت « فتقدمت بالحبس بالسويان » ومتالع : اسم جبل بنجد . وأبان اسم جبل أيضاً وهما أبانان : الأبيض والأسود . والسويان واد في بلاد العرب . « أنظر كتاب الضرائر وما يسوغ للشاعر روى الناثر ص ٦٠ طبعة المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١ » للسيد محمود شكري الألوسي .

(٥) هو أبو دؤاد الأيادي : شاعر جاهلي مشهور قال ابن قتيبة فيه : « ... اختلفوا في اسمه ، فقال بعضهم هو جارية بن الحجاج ، وقال الأصمعي هو حنظلة بن الشرقي ... وهو أحد نعات الحيل المجيدين » أنظر ص ١٢١ وما بعدها من كتاب : « طبقات الشعراء » طبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٠٢ ، وانظر « الموشح » ص ٧٣ للمرزباني .

(٦) في الأصل « بدرين جندل جائر بمخونها » .

(٧) يذرين مضارع « أذرى » مسنداً الى نون الاناث والمراد بها الحيل . والجندل : الصخر . والحباحب : رجل من بني محارب بن حذفة ضرب بناره المثل لأنه كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان وقيل الحباحب ذباب ذو ألوان يطير بالليل وفي ذنبه شعاع كالسراج ومنه نار الحباب المضروب بها المثل لضعفها « أنظر اللسان في مادة « حجب » وحاشية المثل السائر « ج ٢ ص ١١٣ » وغيرها .

وهذا وأمثاله قليل جداً فاعرفه . وإياك ، أيها المؤلف ، أن تستعمله في كلامك وإن كان  
كان جائزاً . وقد ورد في أشعار العرب مثله .

وأما القسم الثاني من النوع الرابع فهو الایجاز من غير حذف ؛ وذلك ضربان : الأول  
ما يساوي لفظه معناه ويسمى التقدير؛ فما جاء منه قوله تعالى : « قتل الانسان ما أ كفره ، من أي  
شيء خلقه <sup>(١)</sup> ... » الى « يقض ما أمره » . فقوله : « قتل الانسان » دعاء عليه . وقوله :  
« ما أ كفره » تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله - عز وجل - . ولا ترى أسلوباً أغلظ من  
هذا الدعاء والتعجب ، ولا أحسن متناولاً ، ولا أدل على سخط مع تقارب طرفيه ، ولا أجمع  
للآئمة على قصر ممتنه . ثم إنه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه ، فقال  
تعالى : « من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدّره » . إي هياؤه لما يصلح له « ثم السبيل  
يسّره » أي سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه ، والسبيل الذي يختار سلوكه من طريقي  
الخير والشر . والأول أولى ، لانه تال خلقتة وتقديره . ثم بعد ذلك تيسيره سبيله لما يختار من  
طريقي الخير والشر . « ثم أماته فأقبره » أي جعله ذا قبر يوارى فيه . « ثم إذا شاء أنشره »  
أي أحياءه . « كلا » : ردع للانسان عما هو عليه « لما يقض ما أمره » أي لم يقض ، مع تطاول  
زمانه ، ما أمره الله - عز وجل - يعني أن إنساناً لم يخلُ من تقصير قط .

الا ترى الى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف جزءاً من أجزائه لما قدرت على ذلك ؟  
لأنك كنت تذهب بجزء من معناه ، ويختل عليك نظمه ؛ فان أسقطت الجملة الأولى التي هي  
صدر الكلام زال معنى الدعاء عليه ، وإن أسقطت الجملة الثانية ، زال معنى التعجب من كفران  
نعمة ربه . وإن أسقطت الجملة الاستفهامية ، أو غيرها زال ما تضمنته من المعاني <sup>(٢)</sup> التي لولاها  
لما كان ، فاعرف ذلك .

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة <sup>(٣)</sup> :

(١) سورة « عبس » آية ١٧ وما بعدها ، وتكلمة الآية : « ... من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل  
يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ، كلا لما يقض ما أمره ... »  
(٢) في الأصل « المعنى » . والجمع هو الذي يقتضيه السياق .

(٣) علي بن جبلة : ويعرف بالعمكوك شاعر مشهور ، كان ضريراً دقيق الفطنة ، سهل النظم ، وصافاً  
مجيداً ، مدح المأمون وحيد بن عبد الحميد الطوسي والحسن بن سهل وإبا دلف القاسم بن عيسى ولد سنة  
١٦٠ وتوفي سنة ٢١٣ ، أنظر : « الشعر والشعراء » لابن قتيبة طبعة اوربا ص ٥٥٠ وما بعدها . =

وما لامرئى حاولته عنك مهرب<sup>١</sup> ولو حملته في السماء المطالع  
بلى هارب لا يهتدي لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

فهذا هو الكلام ، الذي ألفاهه وفاق معانيه . فانه قد اشتمل على مدح رجل ، ( في ) (١)  
شمول ملكه ، وعموم سلطانه ، وأن لا مهرب عنه لمن يحاوله وإن صعد السماء ، ثم ذكر جميع  
المهارب ، في المشارق والمغرب ، فأشار الى أنه يبلغ حيث يبلغ الضياء والظلام ، وذلك مما لم تزد  
عبارته على المعنى المندرج تحته ولا قصرت عنه .

ومن هذا النحو ما جاء في كتاب النوادر<sup>(٢)</sup> . قول بعضهم :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها فسل اللبيب تكن لبيباً مثله  
قدر وأبعدها إذا لم تقدر ! من يسع في علم بلب يمهر  
وتدبر الأمر الذي تعنى به لاخير في عمل بغير تدبر  
فلقد يجد المرء وهو مقصر ويخيب سعي المرء غير مقصر  
ذهب الرجال المقتدى بفعالهم<sup>(٣)</sup> والمنكرون لكل أمر منكر  
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور

فهذا النمط الرضي ، والكلام العلي ، والمنهج القويم ، والصرط المستقيم تروكك بهجته ،  
إذا قرع سمعك ، ويؤنسك اذا سكن قلبك ، قدرقي درجات الايجاز ، الى أن يكاد ينزل  
بساحة الایجاز ، وأمثال ذلك كثير في كلام البلغاء ، وفيما ذكرته كفاية ومقنع .

### الضرب الثاني من القسم الثاني من النوع الرابع

فيما زاد معناه<sup>(٤)</sup> على لفظه

ويسمى هذا الضرب « الایجاز بالقصر » ، والقرآن الكريم . لأن من ذلك ، كقوله

== وتاريخ الخطيب البغدادي « ج ١١ ص ٣٥٩ » وطبقات الشعراء لابن المعتز « ص ٧٦ » والوفيات  
« ج ١ ص ٣٨٣ » طبعة بلاد العجم ، ونكت الهميان في نكت العميان للصفدي « ص ٢٠٩ » .  
(١) زيادة اقتضاها السياق .

(٢) النوادر اسم عدة كتب منها « النوادر » في اللغة لأبي زيد الأنصاري وهو مطبوع ونوادر  
الأعراب للأصمعي .

(٣) في الأصل « بأفعالهم » ولا يستقيم به وزن الشعر .

(٤) في الأصل « فيما زاد معناه على معناه في لفظه » ولا وجه له .

تعالى « من كفر فعليه كفره »<sup>(١)</sup> كلمة جامعة لما لا غاية وراءه ولا أمد فوقه من المضار ، لأن من ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة ، وكذلك قوله تعالى « ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي ... »<sup>(٢)</sup> الى قوله « ... وما هدى » فقوله تعالى « فغشهم من اليم ما غشهم » من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة . أي غشهم من الأمور الهائلة ، والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى ، ولا يحيط به غيره ، وعلى نحو من ذلك قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان »<sup>(٣)</sup> الآية فان هذه الآية من أجمع آية في القرآن الكريم ، وقيل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأها على الوليد بن المغيرة<sup>(٤)</sup> فقال له : « يا ابن أخي أعد » فأعاد النبي - عليه السلام - قراءتها عليه . فقال له « إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما هو بقول بشر » . ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر »<sup>(٥)</sup> فانها ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء . وأما قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »<sup>(٦)</sup> فانه قد جمع في هذه جميع مكارم الأخلاق ، لأن في الأمر بالمعروف صلة الرحم ، ومنع اللسان عن الريبة ، وعن الكذب ، وغض الطرف عن المحرمات ، وغير ذلك من أشياء لا تحصى . وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرها . وقد قال بعض الأعراب في الدعاء : « اللهم هب لي حقتك وأرض عني خلقك » . ألا ترى الى هذه الكلمات ( و )<sup>(٧)</sup> ما حوت من المعاني

(١) سورة « الروم » والآية « ٤٤ » .

(٢) سورة « طه » والآية ٧٧ ، وتكملة الآية : « ... فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا لا تخاف

دركاً ولا تخشى ، فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشهم » وأصل فرعون قومه وما هدى ... .

(٣) سورة النحل الآية « ٩٠ » وتكملة الآية . « ... وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر

والبغي ، يعظكم لعالمكم تذكرون ... » .

(٤) الوليد بن المغيرة : هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسراً وكان له عشرة من البنين ، ناصب

الاسلام العداء ، وكان يقول لأبنائه وللمتة : « من أسلم منكم منعتك رفاذي » أنظر الكشاف لازمخشري

ج ٤ ص ٥٨٧ طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

(٥) السورة « الحجر » والآية « ٩٤ » وتكملة الآية « ... وأعرض عن المشركين ... » .

(٦) السورة « الأعراف » والآية « ١٩٩ » . (٧) زيادة يقتضها السياق .

الكثيرة من العفو عن الزلل ، والتجاوز عن الذنب ، وغير ذلك مما جرى هذا المجرى . وأما إرضاء الخلق فينطوي على أشياء طائفة لا يستغرقها الذكر .

ومن ذلك قوله تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون <sup>(١)</sup> » فانه أدخل تحت الأمن جميع المخوفات <sup>(٢)</sup> ، لأنه نفى به أن يخافوا شيئاً من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النعمة ، وأضاف ذلك من أضاف المكاره .

وسمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلاً يقول لآخر : كفك الله ما أهمك . فقال : هذه البلاغة . فاعرف ذلك .

وأعلم أن الأصل المعتبر في الإيجاز بالقصر أنك تذكر شيئاً يقع على احتمالات متعددة ، ألا ترى إلى قوله ( تعالى ) : « فغشيهم من اليمّ ما غشيهم » . وقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... » . الآية ، وقوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » . وقوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » ، وقوله تعالى : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . فان هذه الآيات جميعها جارية في المهاج الذي أشرنا اليه ، من أنك تذكر شيئاً يقع على احتمالات متعددة ، وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة .

ومن الإيجاز بالقصر بابٌ يسمى « باب أفعل » ، وهو التفضيل بين شيئين لا يشتركان في الصفة التي يفضل بها أحدهما على الآخر . فمن ذلك قوله تعالى : « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً <sup>(٣)</sup> » . الى قوله : « .. وخيرٌ مردّاً » فقوله ، « خير عند ربك ثواباً » من مفاخرات الكفار ، وإنما قال « خيرٌ ثواباً » وقد علم أن مفاخرات الكفار ليس لها

(١) السورة « الأنعام » والآية « ٨٢ » .

(٢) في المثل السائر « جميع المحبوبات » ج ٢ ص ١٢٤ .

(٣) السورة « مريم » والآية « ٧٥ » وتكملة الآية : « ... حتى اذا رأوا ما يوعدون ، اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً واضف جنداً ، ويزيد الله الذين اهدوا هدى ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً » .

ثواب حتى يجعل ثواب الصالحات خيراً منه ، لأن ذلك على طريقة قولهم :  
تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ

فكأنه قال : ثوابهم النار ثم بنى عليه « خيرٌ ثواباً » . وفي ذلك ضرب من التهكم الذي هو أغيب للمهدد من أن يقال له « عقابك النار » . فان قيل : فما وجه التفضيل في الخير بين مفاخرات الكفار وثواب الصالحات ؟ قلت : هذا من أوجز كلام العرب . ومثله قولهم « الصيف أحرّ من الشتاء » . أي أبلغ في حرّهِ من الشتاء في برده . وهذا جائز ، لأن الحر لا شك تتفاوت درجاته ، فيكون بعضها أشد من بعض ، وكذلك البرد أيضاً ، فتقول العرب « الصيف أحرّ من الشتاء » أي إن حر الصيف في بابه أبلغ من برد الشتاء في بابه ، مثال ذلك : أن حر الصيف قد بلغ أنهى درجاته ، بل يكون قد بقي بينه وبين نهاية البرد درجة أو درجتان ، فيكون حر الصيف بالنسبة إلى أصل الحر أبلغ من برد الشتاء بالنسبة إلى أصل البرد . وهذا مثل قولهم « العسل أحلى من الخلّ » وليس في الخلّ حلاوة حتى تفضّل حلاوة العسل عليها ، وإنما المعنى في ذلك كالمعنى في الآية الأولى .. وأمثال هذا كثيرة ، وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ، كقوله تعالى في سورة الفرقان : « وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مُقرّنين ، دعوا هنالك ثبورا <sup>(١)</sup> .. » إلى قوله « ... جزاء ومصيراً » وقد علم أن جهنم ليس فيها خير حتى يجعل الجنة خيراً منها ، بل هي شر محض ، وعذاب لاخير فيه .  
والأصل في هذه الآية ما أشرنا إليه أولاً .. فاعرفه انشاء الله - تعالى - .

### النوع الخامس

من الباب الأول من الفن الثاني في الاطناب

إعلم أن هذا النوع من أنواع علم البيان ، شديد الالتباس . كثير الاعتياص وذلك أن

(١) سورة الفرقان آية : ١٣ وتكملة الآية : « ... لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً » .

جماعة من الأئمة المشهورين في هذه الصناعة قد جعلوه بمنزلة التطويل الذي هو ضد الإيجاز .  
وهذا غلط فاحش .

فن جملة الأئمة الذين ذكروا ذلك ، أبو هلال العسكري<sup>(١)</sup> صاحب كتاب الصناعتين .  
فانه قال في كتابه : « الإطناب في الكلام إنما هو بيان ، والبيان لا يكون إلا للشباع ، وأفضل  
الكلام أبينه ، والإيجاز للخواص ، والاطناب يشترك فيه الخواص والعوام ، ولأمر ما أطنب  
في الكتب السلطانية في إفهام الرعايا . وكما أن الإيجاز له موضع ، فكذلك الاطناب له موضع ،  
والحاجة إلى الإيجاز في موضعه ، كالحاجة إلى الاطناب في موضعه<sup>(٢)</sup> » .

« وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » . ومن استعمل  
الإيجاز في موضع الاطناب أو الاطناب في موضع الإيجاز فقد أخطأ .

ولا شك أن الكتب الصادرة عن السلطان في الأمور العظيمة في الفتح والتفخيم (في)<sup>(٣)</sup>  
مواقع النعم المتجددة ، أو في الترغيب في الطاعة ، والتحذير من العصيان ، وغير ذلك ، ينبغي  
أن تكون مشبعة مستقصاة » ، ألا ترى أن كتاب المهلب إلى الحجاج في فتح الأزارقة :  
« الحمد لله الذي كفى الإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد متصلاً بنعمته ، وقضى أن لا ينقطع  
المزيد من فضله ، حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم إنا وعدونا على حالين مختلفتين ، نرى فيهم  
ما يسرنا أكثر مما يسوؤنا ويرون فينا ما يسـوؤهم أكثر مما يسرهم . فلم يزل ذلك دأبنا  
ودأبهم : ينصرنا الله ويخذلهم ، ويمحّصنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله  
فقطّع دابر اقوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين » .

(١) أنظر حاشية الصفحة الثانية من هذا الكتاب .

(٢) انظر كتاب الصناعتين ص ١٨٣ وما بعدها من الطبعة الثانية من طبعة محمد علي صبيح بالأزهر بمصر ،  
والكلام قد لحظه ابن الأثير تلخيصاً عن العسكري .

(٣) زيادة يقتضها السياق .

وإنما يحسن هذا الكتاب لكونه في موضعه ، فأما لو كتب الى العامة ، وقد تعلمت نفوسهم الى معرفة ذلك الفتح العظيم ، وتصرفت بهم ظنونهم في أمره ، لجاء في أفتح صورة عندهم وأهجنها .

« واعلم ، أن الإطناب بلاغة ، والتطويل عيٌّ ؛ فإن الإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة نزهة ، تحتوي على زيادة فائدة ، بما تأخذ النفس فيه من اللذة ، والتطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب . »

فهذا حكاية كلام أبي هلال العسكري<sup>(١)</sup> . ولنذكر نحن ما عندنا في ذلك ، فنقول :  
أما قول أبي هلال : « الإطناب في الكلام ، إنما هو بيان » فإن البيان في أصل اللغة : هو الظهور والوضوح ؛ فيكون الإطناب ، على قوله ، ظهوراً في الكلام ووضوحاً لاغير ، ويلزم على ذلك ؛ أن يكون كلُّ كلام ظاهرٍ واضحٍ إطناباً ، سواء كان ذلك الكلام ، إيجازاً أو غيره من أصناف علم البيان . وهذا مما لم يذهب اليه أحد ، لأن أبا هلال قد جعل الإطناب وصفاً من الأوصاف التي يشترك فيها جميعُ ضروب الكلام . وذلك أن البيان وصف يعمُّ كلَّ كلام ظاهر واضح ، عن إيجاز أو تطويل أو تكرير أو غير ذلك . وليس الأمر كما وقع له ، بل الإطناب نوع واحد من أنواع الكلام ، فإن أصله ( في )<sup>(٢)</sup> وضع اللغة من « أطنب في الكلام » إذا بالغ فيه . والمبالغة لها وجوه وطرق ، كالإخبار بالفعل الماضي عن المضارع ، وبالمضارع عن الماضي ، وتوكيد الضمير المتصل بالمنفصل ، وغير ذلك مما أشرنا اليه في كتابنا .

ومن جملة الوجوه والظرف التي للمبالغة الإطناب ، وسيأتي ذكره وتحقيق القول فيه ، عند الفراغ من الاعتراض على كلام أبي هلال . وأما قوله : « إن البيان لا يكون إلا بالإشباع » لأنه جعل الإطناب بياناً في القول الأول ، وهذا لا يخلو من حالين : إما أنه يعني بالإشباع أن يوصل المعنى الى حقه ، مأخوذاً ذلك من « الشَّبَع » يقال « شبع فلان » ، إذا وصل في أكله الى حقه ، وقدر كفايته ، فإن كان يعني بالإشباع ما ذكرناه فإنَّ ذلك أمر عام لجميع ضروب الكلام

(١) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب . (٢) زيادة اقتضاها السياق .



من الإيجاز ، والتكرير ، والمقابلة ، والتفسير ، وغيرها ، مما أشرنا اليه ، فإن كل ضرب من هذه الضروب المذكورة ، إذا وصل الكلام فيه الى حقه ، يكون إطناباً ، فذلك من أعجب الأشياء وأطرفها . وإن كان يعني بالإشباع الزيادة على قدر ما يستحقه الكلام ويحتاج اليه ، وذلك هو التطويل بعينه ، فانه يلزم من هذا القول ، أن التطويل في الكلام ، إذا كان واضحاً بيناً ، يكون من أفضل الكلام ، وذلك ما لا يوافق عليه ، بحال من الأحوال ، بل كان يحتاج في قوله : « إن أفضل الكلام أبينه » إلى قرينة أخرى ، وهو أن كان قال « أفضل الكلام أوجزه وأبينه » ، فانه لو قال ذلك ، لكان قوله صواباً لا يخالف فيه ، وأما قوله « وكما أن الإيجاز له موضع ، فكذلك الاطناب له موضع ، والحاجة الى الإيجاز في موضعه كالحاجة الى الاطناب في موضعه ، ومن استعمل الإيجاز في موضع الاطناب والاطناب في موضع الإيجاز فقد أخطأ » فكأنه توهم من هذا القول ، أن الاطناب ضد الإيجاز ، واذا كان الأمر كذلك فهو التطويل بعينه .

ومما يقوى هذا الوهم قوله أيضاً ( إن الإيجاز للخواص ، والاطناب يشترك فيه الخواص والعموم ) . وأما قوله إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » فان كان غرضه من قول النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة كل فريق من الناس بما يفهمونه فهذا لا يتعلق بصنف واحد من صنوف الكلام ، إطناباً كان ذلك أو إيجازاً أو غيرها ، إذ الإفهام يشتمل على انواع الكلام جميعها ، ومتى لم يكن الكلام مفهوماً واضح المعاني فليس عندنا محسوباً في جملة علم البيان ، ولا نعدده من صناعة التأليف بشيء . وقد يخاطب مؤلف الكلام العامة بأوحش الخطاب وأحقره ، ويفهمون من ذلك قوله ، ويعرفون خطابه . فان الأصل في الكلام : انما هو كشف معانيه للمخاطب وإيضاحها له ، وسواء عند ذلك خوطب به الخاصة أو العامة ، فاعرف هذا وقس عليه .

ومعنى قول النبي — صلى الله عليه وسلم — : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » أي كلوهم بما يعرفونه من الألفاظ ويعتادونه بينهم من الكلام ، كما كتب عليه السلام الى كسرى

أبرويز فقال : « من محمد رسول الله الى كسرى أبرويز عظيم فارس ، سلام الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله [ وشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله <sup>(١)</sup> ] ، وبعد ، فأني رسول الله الى الناس كافة . لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسليم تسلم وان أبيت فاتم المجوس عليك » <sup>(٢)</sup> وكتب — عليه السلام — أيضاً الى قوم من العرب فقال لوائل بن حجر : « من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة على التبعة شاة والتبعة لصاحبها وفي السيوب الخمس لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شنار ومن اجبي فقد أرني ، وكل مسكر حرام » <sup>(٣)</sup> . فسهل الألفاظ الى كسرى أبرويز غاية التسهيل بحيث إنها لا تخفى على من له تشبث باللغة <sup>(٤)</sup> العربية ، ولما كتب الى أولئك القوم من العرب خاطبهم بما تقوى عليه قدرتهم ، وهم معتادون لسماع مثله ، فهذا هو المقصود بقوله — صلى الله عليه وسلم — « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » ، وليس المقصود من ذلك ما ذهب اليه أبو هلال العسكري ( من مخاطبة قوم بالايجاز ، وقوم بالاطناب ) الذي هو على قياسه محض التطويل .

واذا كان الأصل في الكلام إنما هو بيانه ووضوحه فما الفائدة من تطويله ، مع القدرة على اختصاره وإيجازه ؟!

وأما قوله : « إن الإطناب البلاغة ، والتطويل عي » فهو لمعري كذلك ، الا أنه على أصله يكون قد جعل البيان بلاغة ؛ لأن الاطناب عنده إنما هو بيان ، ويلزم على ذلك أن التطويل في الكلام إذا كان ذا بيان ، يكون بليغاً . وهذا ما لم يذهب اليه أحد البتة ، لأنه بضد الصواب وأما قوله « إن الاطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة ، نزهة ، تحتوي على زيادة الفائدة ، بما تأخذ النفس فيه من اللذة . والتطويل بمنزلة سلوك ما يبعد ، جهلاً بما يقرب » فإن هذا تمثيل صحيح

(١) زيادة من تاريخ الطبري ، وقد سقطت من النسخ ، ج ٢ ص ٢٩٥ طبعة الاستقامة بمصر .

(٢) راجع حاشية ص ٢٤ من هذا الكتاب .

(٣) راجع حاشية ص ٢٤ وما بعدها ، وقد شرحت فيها ألفاظ الحديث الشريف .

(٤) في الأصل « بلغة العربية » .

مناسب لما مثل به الا أنه كان يحتاج الى زيادة إيضاح . وهو أن يجعل المعنى المراد في كلام ما بمنزلة المقصد الذي يتوجه إليه السائر ، ويجعل الى ذلك المقصد ثلاثة طرق : أحدها قريب إليه ، والآخران بعيدان عنه ، متساويان في البعد . ويجعل الدلالة على ذلك المعنى المراد بالايجاز بمنزلة الطريق القريب ، ويجعل الدلالة عليه بالاطناب بمنزلة أحد الطريقين البعيدين ، ويجعل الدلالة عليه بالأطناب بمنزلة الطريق الآخر المساوي له في البعد ، الا أنه نزه يحتوي على زيادة فائدة ، بما تأخذ النفس منه من اللذة . فهذه ثلاث تمثيلات مناسبة لما مثلت به فاعرفها .

وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضوع وفرغنا من الكلام على ما ذكره أبو هلال في باب الاطناب ، فلنورد نحن ما عندنا من ذلك فنقول :

اعلم أن الاطناب في أصل اللغة مأخوذ من « أطنب في الكلام : اذا بالغ فيه » .  
وقد ذكرنا ذلك أولاً في الاعتراض على كلام أبي هلال .

واعلم أن المبالغة تنقسم الى أقسام كثيرة ، وقد سبق ذكر شيء منها ، كالاخبار بالفعل الماضي عن المضارع ، وبالمضارع عن الماضي . وسيأتي ذكر الباقي في كتابنا هذا .

ومن جملة أقسام المبالغة الاطناب ، وفائدته زيادة التصوّر للمعنى المقصود وإما حقيقة وإما مجازاً . وهو على الحقيقة ضرب من ضروب التأكيد ، فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فقوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه <sup>(١)</sup> » فإن الفائدة في قوله تعالى « في جوفه » كالفائدة في قوله « القلوب التي في الصدور <sup>(٢)</sup> » وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور للمدلول عليه ، لأنه اذا سمع به صور نفسه جوفاً ( يحتوي ) على قلبين . فكان ذلك أسرع للانكار .

وأما الذي جاء منه على سبيل المجاز فقوله تعالى : « فأنها لا تسمى الأبصار ، ولكن تسمى القلوب التي في الصدور » ففائدة ذكر الصدور هنا أنه قد تعورف وعلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها ، واستعماله في القلب استعارة ومثل .

(١) سورة الأحزاب ، الآية « ٤ » . (٢) سورة الحج ، الآية « ٤٦ » .

فلما أريد إثبات ما هو بخلاف المتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ، ونفيه عن الأَبصار . احتاج هذا الأمر الى زيادة تصوير وتعريف ، ليتقرر أن مكان العمى إنما هو القلوب لا الأَبصار . وهذا نوع من أنواع علم البيان ، وافر اللطائف ، كثير المحاسن . فينبغي لمؤلف الكلام العناية به والمراعاة له ، فاعرفه .

### النوع السادس من الباب الأول من الفن الثاني

في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل

وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة

فما جاء منه قوله تعالى : « قالوا يا موسى إما أن تُلقِيَا وإما أن نكون نحن الملقين <sup>(١)</sup> » . فقولهم « يا موسى إما أن تلقي » تخيير منهم له ، وحسن أدب راعوه معه ، كما يفعل أرباب الصناعات اذا تلاقوا في تقديم بعضهم على بعض كالمتناظرين قبل أن يتخاضوا في الجدل . وإنما قالوا « وإما أن نكون نحن الملقين » ولم يقولوا « وإما أن نلقي » كما قالوا « يا موسى ، إما أن تلقي » لرغبتهم في أن يلقوا قبله وتشوقهم الى التقدم عليه وذلك لما فيه من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل .

ومما يجري على هذا النهج قوله عز وجل : « فأوجس في نفسه خيفةً موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى <sup>(٢)</sup> . » فتوكيد الضمير ههنا في قوله : « إنك أنت الأعلى » أنفي للخوف من قلب موسى ، وأثبت في نفسه للعلبة والقهر ، ولو قال : « لا تخف إنك الأعلى » أو « لا تخف فأنت الأعلى » لم يكن له من التقرير والاثبات لنفي الخوف من قلب موسى ، ما لقوله : « إنك أنت الأعلى » .

والدليل على ذلك ، أن في هذه الثلاث كلمات وهو قوله تعالى : « إنك أنت الأعلى » . ست فوائد : الأولة : « أن » المشددة التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها ، كقولك : « زيد

(١) سورة « الأعراف » والآية « ١١٥ » . (٢) سورة « طه » والآية « ٦٧ » .

قائمٌ» ، ثم يقول « إنَّ زِيداً قائمٌ » . ففي قولك : « إن زيدا قائمٌ » . من الاثبات لقيام زيد  
والتقرير له ، ما ليس في قولك : « زيد قائمٌ » .

الثانية : توكيد الضمير في قوله تعالى : « إنك أنت الأعلى » . ولو اقتصر على أحد  
الضميرين ، فقال : إنك الأعلى ، أو على : « فأنت الأعلى » ، لما كان بهذه المثابة من التقرير لغلبة  
موسى ، والاثبات لتهوره .

الثالثة : التعريف في قوله « الأعلى » ، ولم يقل : إنك أنت أعلى أو عال ؛ لأنه لو قال ذلك  
لكان قد نكَّره ، وكان صالحاً لكل واحد من جنسه ، كقولك : « رجل » فإنه يصلح أن يقع  
على كل واحد من الرجال . وإذا قلت : « الرجل » فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف ،  
وجعلته عدماً فيهم . وكذلك قولك : « إنك أنت الأعلى » : أي أنت الأعلى دون غيرك .  
الرابعة : لفظة « أفعَل » الذي من شأنه التفضيل ، ولم يقل العالي .

الخامسة : إثبات الغلبة له من العلو ، لأن الغرض من قوله « الأعلى » ، أي الأغلب ،  
إلا أن في الأعلى زيادة وهي الغلبة من « عال » .

السادسة : الاستئناف ، وهي قوله : « إنك أنت الأعلى » . ولم يقل : « لأنك أنت الأعلى »  
لأنه لم تجعل علة انتفاء الخوف عنه كونه غالباً ، وإنما نفي الخوف عنه أولاً بقوله : « لا تخف » ،  
ثم استأنف الكلام ، فقال : « إنك أنت الأعلى » فكان ذلك أبلغ في إيقان موسى — عليه  
السلام — بالغلبة والاستعلاء ، وأثبت لذلك في نفسه .

فهذه ست فوائد في هذه الكلمات <sup>(١)</sup> الثلاث . فانظر أيها المتأمل إلى هذه البلاغة العجيبة ،  
التي تحيّر العقول ، وتذهبُ بالألباب . ولا أمر ما أعجز هذا الكلام العزيز البلاء ، وأخف  
الفصحاء ، ورجل فرسان الكلام .

فان قيل : لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ من الاقتصار على أحدها ، لورد ذلك

(١) أشار الزمخشري في كشافه إلى هذه الفوائد الست وزاد ابن الأثير أن شرحها ووضحها انظر  
« الكشاف » ج ٣ ص ٧٤ طبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٦٥ هـ وسنة ١٩٤٦ م .

عند ذكر الله نفسه في كتابه ، (لأنه) <sup>(١)</sup> هو أحق بما هو أبلغ من الكلام . وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى ، وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر ، كقوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعزِّز من تشاء ، وتُدْزِل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير <sup>(٢)</sup> » . فما الموجب لذلك إن كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ في بابه من الاختصار على أحدهما دون الآخر ؟ فقد كان يجب أن يرد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه ، لأنه أحق بالأبلغ من الكلام . وإن كان الأمر بخلاف ذلك ، فكيف قلت : إن توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ ؟ .

الجواب عن ذلك أنا نقول : توكيد الضمير المتصل بالمنفصل إنما يرد في الكلام لتقرير المعنى المقصود ، وإثباته في النفس ، وما يختص بالله تعالى لا يفتقر إلى تقرير ولا إثبات ، لأنه إذا قيل عنه : « إنك على كل شيء قدير » ، لم يحتاج في ذلك إلى توكيد حتى يتحقق ويتبين أنه على كل شيء قدير ، بل قد عُلِمَ وعرف أن قدرته تتعلق بكل شيء ، وأنها جارية على كل مخلوق ، فصار هذا الأمر المعروف المشهور ، الذي لا شك يعتره ، ولا مَرِية تعترضه . وما هذا سبيله في الوضوح والبيان ، فما الحاجة فيه إلى التوكيد ؟ إذ التوكيد من شأنه تقرير المعنى المراد ، وإثباته في النفس ، وقوله تعالى : « إنك على كل شيء قدير » لا يحتاج فيه إلى تقرير ولا إثبات .

فإن قيل : فقد ورد في القرآن الكريم أيضاً ، عند ذكر الله تعالى نفسه ، كلا الضميرين : المنفصل والمتصل ، كقوله تعالى : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس ، اتخذوني وأمي آلِهين من دون الله <sup>(٣)</sup> ؟ » إلى « ... علام الغيوب <sup>(٤)</sup> » كما قال : « إنك على كل شيء قدير » فما السبب في هذا ؟ وهلا كان الجميع نوعاً واحداً ؟!

الجواب عن ذلك أنا نقول : توكيد الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا ينقض علينا

(١) زيادة يقتضيهما السياق . (٢) السورة آل عمران ، الآية ٢٦ .

(٣) السورة : المائدة ، الآية : ١١٦ ، وتكمل الآية : « ... قال : سبحانك ما يكون لي ان أقول

ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب » .

ما أشرنا إليه أولاً؛ لأنه إن وقع الافتصار على أحدهما دون الآخر، كان القول في ذلك ما تقدم في الآية، وإنما جيء بها معاً فلأن ذلك أبلغ في بابه وآكده، والله تعالى أحق بما هو أبلغ من الكلام وآكده.

ولنمثل لك في استعمال الضميرين معاً والافتصار على أحدهما دون الآخر، مثلاً تتبعه، فنقول: إذا كان المعنى المقصود ظاهراً معلوماً قد ثبت في النفوس، ورسخ في الأبواب فانت بالخيار: بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر. لأنك أن وكدت الكلام فيه فقد أعطيت المعنى حقه. وإن لم تؤكد الكلام فيه فلا أنه لا يحتاج إلى تأكيد لبيانه وظهوره، وإذا كان المعنى المقصود خافياً ليس بظاهر ولا معلوم. فالأولى تأكيد أحد الضميرين فيه بالآخر، ليقرره ويكسبه وضوحاً وبياناً. ألا ترى إلى قوله تعالى في حق موسى عليه السلام: «قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى<sup>(١)</sup>». فانه لما كان ظهور موسى على السحرة وقهره لهم أمراً مستتراً في ضمن الغيب، لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل - أن يخبره بذلك؛ ليذهب عنه الخوف والحذر، أتى بالأبلغ من الكلام، ليكون ذلك أثبت في نفس موسى، وأقوى دليلاً عليه في انتفاء الخوف عنه. فوكد الضمير المتصل بالمنفصل. فجاء المعنى كما ترى. ولو قال «إنك الأعلى» أو «فأنت الأعلى»، لكان ذلك أيضاً إخباراً لموسى بنفي الخوف عنه، واستظهاره على السحرة، ولكن ليس له من التقرير في نفس موسى ما لقوله: «إنك أنت الأعلى». فاعرف ذلك وقس عليه.

وعلى نحو من هذا قوله تعالى: «قالوا يا موسى إنا أن تلقى وإنا أن نكون نحن الملقين». فان إرادة السحرة الالتقاء قبل موسى - عليه السلام - لم تكن معلومة عنده. لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك، لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم لموسى بمثله إلى ما هو تأكيد مما هو لهم، بالضمير المتصل بالمنفصل، علم أنهم يريدون التقدم عليه والالتقاء قبله، لأن

(١) السورة: طه، الآية: ٦٨.

من شأن مقابلة خطابهم لموسى بمثله أن كان ، قالوا : إما أن تلقي وإما أن تلقى . لتكون الجملتان متقابلتين . فحيث قالوا عن أنفسهم « وإما ان نكون نحن الملقين » استدل بذلك على رغبتهم في الالقاء قبله .

وهذه معان لطيفة ورموز غامضة لا ينتبه لها إلا الفطن اللبيب ، فاعرفها .

### النوع السابع من الباب الأول من الفن الثاني

#### في الكناية والتعريض

اعلم أن لهذا النوع من الكلام موقعا شريفاً ، ومحلاً كريماً . وهو مقصور على الميل مع المعنى ، وترك اللفظ جانباً . وذلك نوع من علم البيان لطيف . وقد تكلم جماعة المؤلفين في هذا الفن فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض ، ولم يفرقوا<sup>(١)</sup> بينهما ، بل أوردوا لها [ أمثلة ]<sup>(٢)</sup> من النظم والنثر ، وأدخلوا أحد التسمين في الآخر ، فذكروا للكناية أمثلة من التعريض ، وللتعريض أمثلة من الكناية ، فمنهم أبو محمد بن سنان الخفاجي<sup>(٣)</sup> ، وأبو هلال العسكري<sup>(٤)</sup> ، والغامعي<sup>(٥)</sup> . فأما ابن سنان ، فانه ذكر في كتابه قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامها ورضتُ فذلتُ صعبة أي إذلال<sup>(٦)</sup>

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضة ، وهو مثال للتعريض . وسنورد لك أيها الناظر في كتابنا فرق ما بين الكناية والتعريض ، وتمييز أحدهما عن الآخر ، ونعرف كلا منهما على انفراده فنقول :

أما الكناية فهي : أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كنى الله تعالى عن الجماع :

(١) في الأصل تكرار للفظه « لم يفرقوا » وهو من تحريف النسخ .

(٢) زيادة لما يقتضيه السياق .

(٣) انظر حاشية ص ٣ من هذا الكتاب . (٤) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٥) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٦) هذا البيت من قصيدة له مطلعها :

الا عم صباحاً أيها الظلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي  
ديوان امرئ القيس طبعة « مطبعة الاستقامة بالقاهرة » ص ١٣٨ .



« بالمس » فإن حقيقة « اللبس » هي « الملامسة » يقال : لبست الشيء إذا لامسته (١) ، ولما كان الجماع « ملامسة بالأبدان وزيادة أمر آخر » أطلق عليه اسم : « اللبس » مجازاً . وضد الكناية التصريح .

وأما التعريض : فهو أن تذكر شيئاً يدل على شيء لم تذكره وأصله : التلويح من عرض الشيء ؛ أي من جانبه ، وأعلم أن ( بيت ) (٢) امرئ القيس الذي ذكره ابن سنان الخفاجي مثالا للكناية ، هو عين التعريض ، فإن غرضه من ذلك أن يذكر الجماع ، غير أنه لما استتبع ذكره لم يذكره بل ذكر كلاماً آخر ، ودل به عليه ؛ لأن المصير إلى الحسنى ورقة الكلام ، لا يفهم منها ما أرادته امرؤ القيس من المعنى ، وذلك مما لا يخفاء به ، فاعرفه .

وحيث فرقنا بين الكناية والتعريض ، وميزنا كلاً منهما عن الآخر ، فلنفصلهما ونذكر أقسامهما ، ولنبدأ أولاً بالكناية فنقول :

اعلم أن الكناية على ضربين : أحدهما ما يحسن استعماله ( والآخر ما يقبح استعماله ) (٣) ، وهو عيب في صناعة التأليف . فأما الضرب الأول الذي يحسن استعماله فإنه ينقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : التمثيل : وهو التشبيه على سبيل الكناية ، وذلك أن تراد الإشارة إلى معنى ، فتوضح ألفاظ ( تدل ) على معنى آخر ، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه كقولنا « فلان نقي الثوب » . أي منزّه عن العيوب .

وللكلام بها ، فائدة لا تكون لو قصدت المعنى بلفظه الخاص ، وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوّر للمدلول عليه ؛ لأنه إذا صورّ نفسه مثال ما خوطب به كان أسرع إلى الرغبة فيه أو الرغبة عنه . فمن بديع التمثيل قوله تعالى : « أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » (٤) . فأما تمثيله الاعتياب بأكل لحم إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأخ ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالهجة ،

(١) في الأصل « فإن حقيقة المس هي الملامسة يقال مسست الشيء .. »

(٢) زيادة اقتضاها السياق .

(٣) زيادة اقتضاها السياق . (٤) السورة « الحجرات » والآية « ١٢ » .

وهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له مطابقة المعنى الذي وردت لأجله (١) فشديد المناسبة جداً ، وذلك لأن الإغتياب ، إنما هو ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم ( وتمزيق العرض (٢) ) مماثل لأكل (الإنسان) (٣) لحم من يفتابه ، لأن أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة . وأما قوله « لحم أخيه » فلما في الإغتياب من الكراهة ، لأن العقل والشرع معاً قد أجمعا على استكراهه وأمرنا بتركه ، والبعد عنه . ولما كان كذلك جعل بمنزلة لحم الأخر في كراهته . ومن العلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر مثله ، إلا أنه لا يكون مثل كراهته (لحم) (٤) أخيه ، فهذا القول مبالغ في استكراه الغيبة ، لا أمد فوقها . وأما قوله « ميتاً » فلاجل أن القتاب لا يشعر بغيبته ، ولا يحسّ .

وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحببة ، فلما جبلت عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها . مع العلم بأنها من أدم الخلال ، ومكروه الأفعال ، عند الله تعالى والناس . فأنظر أيها المتأمل لهذا التمثيل كيف مطابقته لما مُثِّلَ به تجده من أبلغ التمثيلات وأندرهما (٥) مثالا ، لأنك متى نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع ، التي أوردناها رأيتها مناسبة لما قصدت له ؛ فتمزيق العرض مثل أكل الإنسان لحم من يفتابه ؛ لأن ذلك تمزيق على الحقيقة ، و ( جمعيل بمنزلة ) لحم الأخر لأجل المبالغة في الكراهة . و « الميت » لامتناع الإحساس به . واتصال ما هو مستكره بالحببة لما في طبع الألف من الشهوة للغيبة والميل اليها ، فاعرف ذلك .

ومن هذا القسم قوله - تعالى - « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط (٦) » فثل البخل بأحسن تمثيل لأن البخل ، لا يمد يده بالعطية ، كالمغلول الذي لا يستطيع أن يمد يده . وإنما قال : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » ولم يقل « ولا تجعل يدك مغلولة (٥) » من

(١) قدم الناسخ في قول المؤلف وأخر وكرر غذفنا المكرر وربنا الكلام .

(٢) زيادة من المثل السائر « ج ٢ ص ٢٠٣ » .

(٣) في الأصل « وأبدءها » وهو غير مستقيم .

(٤) السورة « الإسراء » والآية « ٢٩ » . (٥) زيادة اقتضاها السياق .

غير العنق ، لأنه قال « ولا تبسطها كل البسط » فكانه أراد ، ولا تجعل يدك مغلوطة كل الغلّ  
ولا تبسطها كل البسط ، فتاب ذكر العنق عن قوله « كل الغلّ » ، لأن غل اليد الى العنق ،  
هو أقصى الغايات التي جرت العادة بغل اليد اليها .

ومن أمثال العرب « إياك وعقيلة الملح » وذلك تمثيل للمرأة الحسنة ، في مثبت السوء ،  
لأن عقيلة الملح هي الدرّة <sup>(١)</sup> . ومن التمثيل قول ابن الدُمَيْنَة <sup>(٢)</sup> :

أبيني أفي يُمْنِي ' يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي  
فَأَفْرَحَ أُمَّ صَيْرْتَنِي فِي شِمَالِكِ ؟

فذكر اليمين ، وجعلها مثلاً لإكرام المنزلة ، وذكر الشمال وجعلها مثلاً لهوان المنزلة ؛ لأن  
اليمين أشرف منزلة من الشمال أو أكرم محلاً .

وفي القرآن العزيز ما يدل على ذلك ، وهو قوله تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في  
سدر مخضود ... » <sup>(٣)</sup> ( الآية فلما جاء الى ذكر الشمال قال تعالى : « وأصحاب الشمال ما أصحاب  
الشمال <sup>(٤)</sup> ) الآية ، فاعرف ذلك وقس عليه .

(١) في الأصل « الدرّة » وفي المثل السائر « فان عقيلة الملح هي اللؤلؤة تكون في البحر » .

(٢) هذا البيت من كلمة له مطلعها :

قفني يا أميم القلب نقض لبيانة  
ونشك الهوى ثم افعلي ما بدا لك

« راجع ديوان ابن الدمينه ص ١٥ طبعة مطبعة المنار بشرح محمد الهاشمي البغدادي » وانظر الكلام على  
هذا البيت في « دلائل الإعجاز » للجرجاني « ص ٧١ » الطبعة الرابعة بدار المنار بمصر سنة ١٣٦٧  
وبعد في دلائل الإعجاز :

أبيت كأتى بين شقين من عصاً  
تعالت كي اشجي ، وما بك علة  
حذار الردى او خيفة من زبالك  
تريدن قتلي قد ظفرت بذلك

(٣) السورة : الواقعة ، الآية ٢٨ ، وبعد هذه الآية قوله تعالى : « وطلح منضود ، وظل ممدود ،  
وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة .... » .

(٤) السورة الواقعة الآية ٤١ ، وبعدها قوله تعالى : « ... في سموم وحيم وظل من يحوم ، لا بارد  
ولا كريم ... » .

## القسم الثاني

من الكناية في الادراف (١)

وهو أسم سماه به قدامة بن جعفر الكاتب (٢).

اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا « الادراف » في التمثيل ، وفي الفرق بينهما إشكال ودقة .

فأما التمثيل فقد سبق الاعلام به وهو أن ترد الإشارة إلى معنى فتوضع الألفاظ (٣) على معنى آخر ، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والمعبارة عنه كقولنا « فلان نقي الثوب » أي منزعه عن العيوب .

وأما الادراف فهو أن تراد الإشارة إلى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ومرادف له كقولنا « فلان طويل النجاد » والمراد به طويل القامة ، إلا أنه لم يتلفظ بطول القامة الذي هو الغرض ، ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة ، وليس نقاء الثوب دليلاً على النزاهة عن العيوب ، وإنما هو تمثيل لها ، فاعرف ذلك .

واعلم أن الادراف يتفرع إلى خمسة فروع :

الأول : فعل المبادهة كقوله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه (٤) » فإن المراد بقوله تعالى « لما جاءه » أي أنه سفيه الرأي ، يعني : أنه لم يتوقف في تكذيب وقت ما سمعه ، ولم يفعل كما يفعل المراجع (٥) العقول ، المثبتون في الأشياء ؛ فإن من شأنهم إذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبراً أن يستعملوا فيه الروية والفكر ، ويتأنوا في تدبيره إلى

(١) في الأصل « في الأراف » وهو من تحريف الناسخ .

(٢) قدمنا ذكره في حواشي هذا الكتاب .

(٣) قال فيما تقدم « فتوضع ألفاظ » وهو أوضح .

(٤) السورة « العنكبوت » الآية « ٦٨ » .

(٥) المراجع جمع المرجح أي الكثير الاهتزاز ولعله أخذ من « نخل مراجيح » أي موقرة بكثرة التمر .

أن يصح لهم صدقه أو كذبه ، ألا ترى الى قوله تعالى « لما جاءه » أي أنه ضعيف العقل عازب الرأي فعدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه وأرُكِّفَ له و ( هو )<sup>(١)</sup> قوله تعالى « لما جاءه » وذلك أكد وأبلغ ومن هذا الباب أيضاً . « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ، إن هذا إلا سحر مبين<sup>(٢)</sup> » والسكلام على ذلك كالسكلام على الذي قبله فاعرفه .

### الفرع الثاني من الادراف

وهو باب « مثل » وذلك دقيق الصفة لطيف المعنى ، اعلم أن العرب تأتي « بمثل » في هذا الموضع تأكيداً للسكلام وتثبيتاً لأمره<sup>(٣)</sup> . يقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح : « مثلي لا يفعل هذا » أي أنا لا أفعله فنفي ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه ، قصداً للمبالغة ، فسلك به طريق الكناية ، لأنه اذا نفاه عن يمثاله أو يشابهه فقد نفاه عنه لا محالة .

وكذلك أيضاً قولهم « مثلك إذا سئل أعطى » أي أنت كذلك ، وهو كثير في الشعر القديم والمولد والسكلام المنشور . وسبب تأكيد هذه المواضع بـ « مثل » أنه يراد أن يجعل من جماعة هذه أوصافهم ، تثبيتاً للأمر ، وتمكيناً له ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ، ولم ترس فيه قدمه . ومثل ذلك قولهم في مدح الانسان : « أنت من القوم الكرام » أي لك في هذا الفعل سابقة ، وأنت حقيق به ، ولست دخيلاً فيه . وقد ورد هذا الباب في القرآن الكريم ، كقوله تعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير<sup>(٤)</sup> » . وهذا كقولهم « مثلك لا يبخل » فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصداً للمبالغة : لأنهم إذا نفوه عن يسد مسده ، وهو على أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه . ونظير ذلك قولك للعربي « العرب لا تخفر الذم » .

(١) زيادة اقتضاها السياق . (٢) السورة « سبأ » الآية « ٤٢ ، ٤٣ » .

(٣) في الأصل « وتشيداً من أمره » وفي المثل السائر « تثبيتاً للأمر وتوكيداً » .

(٤) السورة : « الشورى » الآية « ١١ » . قال ابن فارس في فقه اللغة — ص ٨٣ — وتكون

السكاف زائدة كقوله : ليس كمثله شيء .

وهذا أبلغ من قولك « أنت لا تخفر الذمم » . وليس فرق بين قوله تعالى « ليس كمثل شيء »  
وبين قوله « ليس كالله شيء » إلا من الجهة التي نهينا عليها فاعرفها .

### الفرع الثالث من الورداف

وهو ما يأتي في جواب الشرط ، وذلك من اللفظ الكنائيات وأحسنها ، فمن هذا قوله  
- تعالى - : « وقال الذين أوتوا العلم والايان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم  
البعث <sup>(١)</sup> » كأنه قال « إن كنتم منكرين يوم البعث فهذا يوم البعث » فكفى بقوله « فهذا يوم  
البعث » عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادعوه ، وذلك رادف له ونظيره قولك « تنكر حضور  
زيد فهاهو » أي فأنت كاذب . وهذا من دقائق الكناية ، فاعرفه .

### الفرع الرابع من الورداف

وهو الاستثناء من غير موجب : وذلك من غرائب الكناية كقوله - تعالى - : ليس لهم  
طعام إلا من ضريع <sup>(٢)</sup> « الآية ، والضريع نبت ذو شك تسميه قريش « الشبرق » في حالة  
خضرته وطراوته فإذا يبس سمته العرب « الضريع » والابل ترعاه طرباً ولا تقربه يابساً <sup>(٣)</sup> .  
والعنى ليس لهم طعام أصلاً ، لأن الضريع ليس بطعام البهائم فضلاً عن الانس . وهذا مثل  
قولك : « ليس لفلان ظل إلا الشمس » تريد ذلك نفي الظل عنه كما هو . وذكر الضريع ، رادف  
لانتفاء الطعام . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم :

وتفردوا بالمكرمات فلم يكن لسواهم منها سوى الحرمان

والمراد نفي المكرمات عن سواهم ، لأنه اذا كان لهم الحرمان من المكرمات فما لهم منها  
شيء البتة ، وأمثال ذلك كثير فاعرفها .

(١) السورة « الروم » الآية : « ٥٦ » . (٢) السورة « الفاشية » الآية « ٦ » .  
(٣) في القاموس : « الضريع كأمير . الشبرق أو يبيسه . لا تقربه دابة لحبته ، والسلاء والعوسج  
الرطب ، أو نبات في الماء الآجن له عروق لا تصل الى الأرض . . . » .

## الفرع الخامس من الرداف

ليس مما تقدم بشيء وذلك نحو قوله - تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم <sup>(١)</sup> » والمعنى المراد من هذا الكلام : أنك أخطأت وبئسما فعلت وقوله : « لم أذنت لهم » بيان لما كنى عنه بالعفو ، أي مالك أذنت لهم ، وهلا استأنيت ؟ فذكر العفو دليل على الذنب ورادف له وإن لم يذكره . وكذلك جاء قوله - تعالى - : « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس ، والحجارة أعدت للكافرين <sup>(٢)</sup> » قيل لهم : إن استبنتم العجز عن المعارضة فتركوا العناد . فوضع قوله « فاتقوا النار » موضعه ، لأن اتقاء النار لصيقه وصميمه من حيث إنه من نتائج وروادفه ، لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه : « إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي » يريد فأطيعوني واتبعوا أمري ، وافعلوا ما ينتج عنه حذر السخط و ( ذلك <sup>(٣)</sup> ) رادف له . ومن هذا الباب قوله - تعالى - : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا <sup>(٤)</sup> » . ألا ترى إلى لطافة هذه الكفاية ؛ فإنها أفادت تكذيب دعواهم ، ودفع ما انتحلوه . وفائدتها ها هنا : أنه روعي في تكذيبهم أدب حسن ، حيث لم يصرح بلفظه ، فلم يقل « كذبتم » لأن فيه نوع استقباح في الخطاب ، ووضع قوله - تعالى - « لم تؤمنوا » الذي هو نفي ما ادَّعوا بيانه موضعه ، لأن ذلك رادف له . ومما يجري هذا المجرى قوله - تعالى - : « قال <sup>(٥)</sup> الملائ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا من آمن منهم . . . » إلى قوله « ... مؤمنون » فان الغرض بقولهم « إنا بما أرسل به مؤمنون » جواباً عن سؤالهم : « أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربّه ؟ » إثبات العلم برسالة ، وأنه من الأمور الظاهرة المسلمة ، التي لا يدخلها ريب ، ولا يعترضها شك ، ولكن عدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه ، ورادف له ، وهو الايمان به : أعني بصالح ، وإنما صح منهم بعد ثبوت نبوته عندهم ،

(١) السورة : التوبة الآية : ٤٣ . (٢) السورة : البقرة الآية : ٢٤

(٣) زيادة اقتضاها السياق . (٤) السورة : الحجرات الآية : ١٤ .

(٥) السورة : الأعراف الآية : ٧٥ وتكملتها « .. اتعلمون أن صالحاً مرسل من ربّه ، قالوا : انا

بما أرسل به مؤمنون ... » .

والعلم بإرساله إليهم ، فالإيمان به إذن دليل على العلم بأنه نبي مرسل . وهذا من دقائق الازداف ولطائفه .

وأمثال ذلك كثيرة كقول الاعرابية في حديث أم زرع<sup>(١)</sup> : « له إبل قليلات المسارح ، كثيرات المبارك . إذا سمعت صوت المزهرة أيقن أنها هوالك » فان الظاهر من هذا القول أن إبله تنزل بفنائمه ، ولا تبرح ليقرب عليه نحرها للأضياف . فإذا ضرب المزهرة للقميا (ن) نحرها لضيوفه . لقد اعتادت هذه الحالة وألفتها . وغرض الأعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها بالجود والكرم ، ولكنها لم تذكر ذلك بلفظه الدال عليه وإنما أتت بعمان ، هي أدلة على ذلك من غير تصريح بمرادها . وكذلك قال بعضهم<sup>(٢)</sup> :

وددت - وما تفني الودادة - أنني  
فان كان خيراً سرّني وعلمته  
بما في ضمير الحاجبية عالم  
وإن كان شراً لم تلمني اللوائم  
فان المراد من قوله « لم تلمني اللوائم » أنني أهرها ، فأضرب عن ذلك جانباً ، ولم يذكر اللفظ المختص به ، ولكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له . وفيما أشرنا إليه من ذلك كفاية للتأمل .

والتسم الثالث من الكناية وهو المجاورة . وذلك أن يريد المؤلف ذكر شيء فيترك ذكره جانباً إلى ما جاوره ، فيقتصر عليه ، اكتفاءً بدلالته على المعنى المقصود ، كقول عنقرة :  
وشككت بالرمح الأصمّ ثيابه  
ليس الكريم على القفا بحجرّم  
أراد بالثياب هاهنا نفسه ؛ لأنه وصف المشكوك بالكرم ولا توصف الثياب به ، فنبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب ، وفي ذلك من الحسن ما لا ينكره العارف بهذه الصناعة ، وقال أيضاً :

(١) زاد في المثل السائر عبارة : « في وصف زوجها » ج ٢ ص ٢٠١ .  
(٢) الغائل هو كثير عزة الشاعر المشهور .



بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مفدّم (١)  
 الصفراء هاهنا الخمر والذكر للزجاجة حيث هي مجاورة لها ، ومشملة عليها . وذهب بعض  
 المفسرين في قوله تعالى : « وثيابك فطهر » (٢) أنه أراد بالثياب القلب والجسد أي  
 قلبك فطهر أو جسدك . وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

القسم الرابع في الكناية : ما ليس بتمثيل ولا إرداف ولا مجاورة كقوله - تعالى - :  
 « أو من يُنشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » (٣) فكنى عن النساء أنهم يتزينون في  
 الحلية أي الزينة والنعمة وهو إذا احتاج الى مجاورة (٤) الخصوم كان غير مبين ، أي ليس عنده بيان ،  
 ولا يأتي ببرهان يحاجّ به من يخصمه . وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة  
 الرجال . ومن هذا الباب قول أبي نواس :

تقول التي من بيتها خفّ محملي عزير علينا أن نراك تسير (٥)  
 ألا ترى إلى حسن هذه الكناية عن ذكر امرأته بقوله « التي من بيتها خف محملي » فانه  
 من أطفها مندهبا ، وكذلك قول نصيب (٦) :

فعاجوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق (٧)

(١) جاء هذا البيت مصحفاً على النحو الآتي :

بزجاجة صفراء رادت أسرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم

والبيت مشهور متداول .

(٢) السورة « المدثر » الآية : ٤ وانظر : باب « الحكم على المعاني » في المثل السائر « ج ١ ص ٣٢ » .

(٣) السورة « الزخرف » الآية « ١٨ » .

(٤) هذا التفسير نظر فيه ابن الأثير الى ما جاء به الزمخشري . وفي الكشاف « مجاثاة » بدلا من

« مجارة » وفي حاشية الكشاف : مجاثاة : مفاعلة من جثا يجثو : اذا برک على ركبته « ج ٤ ص ٢٤٣ »  
 طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٦ .

(٥) في الديوان « خف مركبي ... » ص ٤٨١ مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ .

(٦) نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، أمه أمة سوداء وأبوه من كنانة . كان شاعراً خلا

مقدماً في النسيب والمدبح ولم يكن له حظ في الهجاء . انظر الأغاني « ج ١ ص ١٢٥ » طبعة الساسي ،  
 مطبعة التقدم بمصر . وذكره البرد في الكامل « ١ : ١٢٥ » قال « وهذا في باب المدح حسن ومتجاوز  
 ومبتدع لم يسبق إليه » .

(٧) هذا البيت من أبيات يمدح بها سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي ، وقبل هذا البيت :

قال الجاحظ : « نحن قوم نسحر بالبيان ، ونمؤه بالقول ، والناس ينظرون الى الحال ويقضون بالعيان فأثر ذلك في أمرنا أثراً ينطق إذا سكتنا ، فان المدعي بغير بينة متعرض للتكذيب » . فهذا معنى قول نصيب فعل به ما ترى . وأمثال الكناية كثيرة ، فاعرفها .  
وأما الضرب الثاني من الكناية فهو الذي يقبح ذكره ولا يحسن استعماله كقول  
أبي الطيب :

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عمّا في سراويلاتها<sup>(١)</sup>  
فان هذه كناية عن النزاهة والعفة<sup>(٢)</sup> . وعلم الله - عز وجل - أن الفجور لأحسن منها .  
ولقد ذكر الشريف الرضي هذا المعنى فأبرزه في أجمل صورة فقال :  
أحنُّ الى ما تضمن الخمر والحلى وأصدف عما في ضمان المآزر<sup>(٣)</sup>  
ألا ترى الى هذه الكناية ما أطفها ، والمعنيان سواء . وبهذا تعلم فضل الشاعرين أحدهما على الآخر ؛ وذلك إذا أخذنا معنى واحداً فصاغه أحدهما في صياغة مفردة عن صياغة الآخر ، فاعرف ذلك .

وأما التعمير فقد جوّزه - الله تعالى - في خطبة النساء كقوله - تعالى - : « ولا جناح

= أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان إني لمعروفه من أهل ودان طالب  
الكمال » ج ١ ص ١٢٤ - ٥ « والأغاني » ج ١ ص ١٣٠ طبعة الساسي بمطبعة التقدم .

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها ابا أيوب احمد بن عمران مطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

« ج ١ ص ٢٢٥ شرح ديوانه المنسوب غلطاً الى العكبري ، طبعة الحلبي سنة ١٩٣٦ بمصر .

(٢) في المثل السائر : « وهذه كناية عن النزاهة والعفة ، الا أن الفجور أحسن منها » ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) من قصيدة يمدح فيها أباه ، أولها قوله :

بغير شفيع نال عفو المقادر أخو الجدد ، لا مستصراً بالمعاذر

ورواية الديوان للبيت هي :

ولله قلبي ما أرق على الهوى وأصبي الى ثم الحدود النواضر

يحن الى ما تضمن الخمر والحلى ويصدف عما في ضمان المآزر

عليكم فيما<sup>(١)</sup> عرّضتم به من خطبة النساء » ، فقال المفسرون : التعريض بالخطبة لها أن يقول لها ، وهي في عدة الوفاة « إنك لجيلة وإذك لحسنة » وما أشبه ذلك . ومما جاء من التعريض قوله - تعالى - : « أنت<sup>(٢)</sup> فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » يعني أن كبير الأصنام غضب أن تعبد هذه الأصنام الصغار ، فكسرها ، وغرض ابراهيم - صلوات الله عليه - من هذا الكلام إقامة الحججة عليهم لأنه قال : « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » وذلك على سبيل الاستهزاء بهم وهذا من رموز الكلام ، والقول فيه أن قصد ابراهيم لم يكن الفعل الصادر عنه ، الى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزام الحججة عليهم ، وتبكيهم والاستهزاء بهم .

ومن بديع التعريض قوله - تعالى - : « قال الملاّ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين<sup>(٣)</sup> » فقوله - تعالى - « ما نراك إلا بشراً مثلنا » تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم . فقالوا : هب أنك واحد من الملاّ وموازيهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ؟ ألا ترى الى قوله - تعالى - : « وما نرى لكم علينا من فضل » .

ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - قال : حكّت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبي - ص - خرج ذات يوم وهو محتضن أحد ابني بنته وهو يقول : « والله إنكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله وإن آخر وطأة وطئها الله بوج<sup>(٤)</sup> » واعلم أن « وج » واد بالطائف والمراد غزاة حنين . وحنين واد

(١) السورة : البقرة والآية : ٢٣٥ . (٢) السورة : الأنبياء والآية : ٦٢ .

(٣) السورة « هود » والآية « ٢٧ » .

(٤) ذكر هذا الحديث الشريف الرضي في كتاب « المجازات النبوية » - ص ٥٦ - من طبعة مصطفى البابي بمصر سنة ١٩٣٧ والزخمشري في « الفائق » ج ١ ص ١٦٦ من الطبعة المصرية ، قال الرضي « وج جبل بالطائف » . وفي مرصّد الاطلاع على الأمكنة والباق لابن عبد الحق البغدادي ص ٤١٣ « من طبعة إيران » وج : بالفتح ثم التشديد موضع بالطائف به كانت غزاة النبي - ص - .

قبل وج لأن غزاة حنين<sup>(١)</sup> آخر غزاة أوقع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على<sup>(٢)</sup> المشركين .  
وأما غزوات الطائف وتبوك ، اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيها وطأة أي قتال ، وإنما كانتا مجرد  
خروج إلى الغزاة حسب ومن غير ملاقات العدو ، أعني المشركين ، ولا قتال لهم .

ووجه عطف<sup>(٣)</sup> هذا الكلام ، وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : « وَإِنَّ آخِرَ وَطْأَةٍ  
وَطْأَهَا اللَّهُ بَوَجَّ » على ما قبله من الحديث ، هو التأسف على مفارقة أولاده ؛ لقرب وفاته ؛  
لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته - صلى الله عليه وسلم - كانت في ربيع  
الأول من سنة إحدى عشرة ، وبينهما سنتان ونصف ، فكأنه قال : « وَإِنْ كُنْتُمْ لِمَنْ رِيحَانُ اللَّهِ :  
أَي مِنْ رِزْقِهِ ، وَأَنَا مَفَارِقُكُمْ عَنْ قَرِيبٍ [ الأ أنه صانع عن قوله : « وَأَنَا مَفَارِقُكُمْ عَنْ قَرِيبٍ » ]<sup>(٤)</sup>  
بقوله : « وَإِنَّ آخِرَ وَطْأَةٍ وَطْأَهَا اللَّهُ بَوَجَّ » فكان ذلك تعريضاً بما أراد ، وقصد من قرب وفاته  
- صلى الله عليه وسلم - ومفارقتهم إياهم ، أعني أولاده . وهذا من أغرب التعريضات وأعجبها ،  
فأعرفه .

ومن هذا الباب قول الشَّمَيْذَرِ<sup>(٥)</sup> الحارثي :

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما  
دفنتم بصحراء الغُمير<sup>(٥)</sup> القوافيا

(١) قال الزمخشري : المراد غزاة حنين وحنين واد قبل وج لأنها آخر غزوة أوقع بها رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - على المشركين « إلى أن قال « لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته في شهر ربيع  
الأول من سنة إحدى عشرة » . « الفائق ج ١ ص ١٦٦ » .

(٢) في « المثل السائر » ج ٢ ص ٢١٤ « مع المشركين » ، وفي القاموس « أوقع بهم : بالغ في قتالهم »  
وقد تكلم الشريف الرضي على المجاز في « ریحان » و « وطئها » .

(٣) في الأصل « عاطف » والتصحيح من المثل السائر .

(٤) الزيادة من المثل السائر ج ٢ ص ١١٤ ، وبدوا أنها سقطت من قلم الناسخ .

(٥) في الأصل « الشميدر » والشميدر الحارثي : من شعراء الحماسة ، وقد اختار له أبو تمام في حماسته  
كلمته ، والبيت الذي أورده ابن الأثير هو أولها . وجاء في شرح التبريزي تعليق على هذا البيت نصه « وقيل  
اسم هذا الشاعر الشمندر » . ويقول : « وقال البرقي : هذا الشعر لسويد بن صميع المرثدي ، من بني الحرث  
وكان قتل أخوه غيلة .. » « شرح ديوان الحماسة » ج ١ ص ١١٨ مطبعة حجازي بالقاهرة . وفي المطبوع  
من كتاب « المؤلفات والمختلف للآمدي » « ص ٤٠ » أنه « الشميدر » بالدال من بني الحارث بن كعب  
وكان شاعراً فارساً .

(٥) في الأصل : « القمير » وفي الحماسة : الغمير : موضع ، وفي كتاب الآمدي « الغمير » وأحال  
شارحه على عيون الأخبار والبكري . وقد ذكر التبريزي وجهاً آخر لتفسير البيت انظره في ص ١١٩  
ج ٢ من « شرح ديوان الحماسة » المشار إليه .

فانه ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضوع من الغلبة لهم ، والتوقر عليهم إلا أنه لم يذكر ذلك ، بل ذكر الشعر وجعله تعريضاً عنه . أي : لا تفخروا بعد تلك الوقعة ، التي جرت لنا ولكم بذلك المكان .

ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن <sup>(١)</sup> مسعدة إلى المأمون ، في حق بعض أصحابه « اما بعد فقد استشفع بي فلان الى أمير المؤمنين ، ليتطوّل في الحاقه بنظرائه من الخاصة ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته » . [ فوقع المأمون في ظهر كتابه : قد عرفت تصريحك له ، وتعريضك لنفسك ] فأجبتك إليهما « وأمثال هذا كثيرة ، وفيما أشرنا اليه الكفاية .

### النوع الثامن من الباب الأول من الفن الثاني

في استعمال العام والخاص في الاثبات

وهو باب من علم البيان تتكاثر فوائده .

اعلم أنه اذا كان الشيطان أحدهما <sup>(٢)</sup> خاص والآخر عام فان استعمال العام في حالة النفي ، أبلغ من استعماله في حالة الاثبات ، وكذلك استعمال الخاص في حالة الاثبات أبلغ من استعماله في حالة النفي .

مثال ذلك الأنسانية والحيوانية <sup>(٣)</sup> . فان إثبات الأنسانية يوجب اثبات الحيوانية ، ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية . وكذلك نفي الحيوانية يوجب منه نفي الانسانية ولا يوجب من إثباتها إثبات الأنسانية .

(١) أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول التركي الأصل ، فان جده مسعدة من كتاب خالد بن برمك ثم كتب بعده لأبي أيوب المورياتي وزير المنصور على ديوان الرسائل ، وكان عمرو هذا من أكابر كتاب المأمون وأهل الفضل والبراعة في النثر والشعر وكان كاتباً بليغاً ، توفي سنة « ٢١٤ » وقيل سنة « ٢١٧ » في أيام المأمون « معجم الأدياء ج ٦ ص ٨٨ » من طبعة مرغليون والوزراء للجيشياري « ص ٢١٦ ، ٢٥٨ » من طبعة البابي ومعجم الشعراء للمرزباني « ص ٢١٩ » .

(٢) التكملة من « المثل السائر » ج ٢ ص ٢١٥ .

(٣) في المثل السائر « أحدهما خاصاً والآخر عاماً » ص ٣٢ ج ٢ .

(٤) في الأصل « والحيوانية ولا يوجب نفيها » وهي من سبق قلم النساخ .

ومما يدخل في هذا الباب الأسماء المفردة الواقعة على الجنس ، التي يكون بينها وبين واحدها تاء التأنيث ، فانه متى أريد النفي كان استعمال واحدها أبلغ ، ومتى أريد الاثبات ، كان استعمالها أبلغ .

فالأول وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم <sup>(١)</sup> ... » ولم يقل : « بضوئهم » ، لأن <sup>(٢)</sup> ذكر النور في حالة النفي أبلغ ، من حيث إن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة ، فلو قال : ذهب الله بضوئهم ، لكان المعنى يعطي ذهاب تلك الزيادة <sup>(٣)</sup> وبقاء ما يسمى نوراً ، لأن الاضاءة ، هي فرط الانارة دليل ( ذلك ) قوله تعالى : « وهو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً ، وقدره منازل ... » فكل ضوء نور ، وليس كل نور ضوءاً . فالغرض من قوله تعالى : « ذهب الله بنورهم » إنما هو إزالة النور عنهم رأساً <sup>(٤)</sup> ، فهو إذا أزاله فقد أزال الضوء . وكذلك أيضاً قوله : « ذهب الله بنورهم » ( ولم يقل : أذهب نورهم <sup>(٥)</sup> ) لأن كل من ذهب بشيء فقد أذهب ، وليس كل من أذهب شيئاً فقد ذهب به ، لأن الذهاب بالشيء هو استصحاب له ، ومضي به ، وفي ذلك نوع احتجار بالمذهوب به ، وإمساك له عن الرجوع إلى حالته ، والعود إلى مكانه <sup>(٦)</sup> وليس كذلك الإذهاب للشيء ، لزوال معنى الاحتجار منه .

- (١) سورة « البقرة » الآية « ١٧ » . وتام الآية « ... وتركهم في ظلمات لا يبصرون » .
- (٢) في الأصل : « لأن ذلك النور » والتصحيح من المثل السائر .
- (٣) زيادة يقتضيها السياق . (٤) في المثل السائر : « أصلاً » .
- (٥) التكملة من المثل السائر « ج ٢ ص ٣٣٠ » .
- (٦) قال ابن أبي الحديد في كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » — ص ١٢٦ — : « إن قوله : إن ذهب الله بنورهم ، يعني أنه استصعبه ومضى كما يقول القائل « مررت بزيد وعنده سيف » فذهبت به أي أخذته ومضيت وكما قال سبحانه « فلما ذهبوا به وأجمعوا » معناه أخذوا يوسف صحتهم ومضوا ، فات قال : نعم هكذا فسرت الآية فهذا كفر وتجسيم ، فأما قوله « كل من ذهب بشيء » فقد أذهب « فهو على اطلاقه غير صحيح لأن ليس كل من ذهب بشيء فقد أذهب بمعنى أعدمه عن الوجود أصلاً ، لكنه قد أذهب عن موضعه الأول الذي أخذه منه . واعلم أن الغلط دخل عليه من اشتراك لفظة « ذهب » فانها تستعمل في معنيين أحدهما قوله : ذهب فلان في الطريق الفلاني أي مضى فيه ونفذ فيه ومنه سمي السبيل مذهباً لأنه يذهب فيه أي يمضي فيه وسمي قول الشاعر وغيره مذهباً لأنه صار طريقاً فلسفة الفقهاء وغيرهم والمعنى الثاني =

وهذا كلام دقيق يحتاج إلى زيادة تأمل ومراجعة . ومما يحمل على ذلك الأوصاف الخاصة إذا وقعت على شيئين ، وكان يلزم وصف أحدهما وصف الآخر ، ولا يلزم عكس ذلك ؛ نحو الطول والعرض ؛ فإنه إذا قيل : مربع<sup>(١)</sup> عرضُه مائة ذراع ، لزم أن يكون طوله إما مثلها أو أكثر منها<sup>(٢)</sup> . قال الله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض »<sup>(٣)</sup> فإنه إنما خص العرض بالذكور دون الطول ؛ لأن الطول أكثر من العرض . والمعنى : أنه إذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها ؟ هذا في حالة الاثبات ، ولو أريد النفي لكان له أسلوب غير ما ذكرنا ؛ وهو أن كان يخص به الطول دون العرض ؛ وذلك موضع كثير الاشكال ؛ فينبغي أن يكون المؤلف بصيراً باستعماله ؛ على اختلاف حالاته وتشعب مذاهبه .

وأما الأسماء المفردة الواقعة على الجنس ، فنحو قوله تعالى في قصة نوح - عليه السلام - : « قال الملا من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال : يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين<sup>(٤)</sup> » فإنه إنما قال : « ليس بي ضلالة » ولم يقل : ضلال لأن (نفي) الضلالة أبلغ في نفي الضلال عنه ؛ كما لو قيل لك : « ألك تمر ؟ » فقلت في الجواب : ما لي تمر « كأن ذلك أنفي للتمر . ولو قلت : « ما لي تمر » لما كان مؤدياً من المعنى ما كان يؤديه القول

= (كذا) والصواب الآخر) : ذهب بمعنى عدم وفقد ، وقولهم ذهب الشباب وذهب العمر أي فني وعدم ولعل الاعتبار الثاني هو الحقيقة الأصلية ، والمحمل الأول هو المجاز لأنه لما مضى زيد في تلك الطريق فقد تقدم بالنسبة إلى غيرها فسمي مضيه ذهاباً ، وإذا بان لك اشتراك اللفظ ظهر غلطه لأنه توهم أن قوله تعالى « ذهب الله بنورهم » مثل قولنا « ذهب زيد بتياب عمرو » أي احتملها ومضى وقد صرح بتفسير الآية على هذا الوجه ، وهذا معنى لا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى لأنه لا تصح عليه الحركة ولا استصحاب الأشياء واحتمالها من مكان إلى مكان . وعلى أنه لو صح عليه ذلك لكان قوله « أذهب الله نورهم » أبلغ في المعنى من قوله « ذهب الله بنورهم » على هذا التفسير لأن اعدام النور بالكيفية أبلغ من قوله « وتركهم في ظلمات لا يبصرون » ومن أين يذهب بالنور ؟ بالتفسير الذي زعمه فيكون للنور وجود في الجملة ، وإنما نقل من موضع إلى موضع « إلى أن قال « كلا اللفظين يدل على معنى واحد » .

(١) أراد بالربيع ذا أربع أضلاع .

(٢) هذه العبارة مكررة في الأصل وذلك من سهو الناسخ .

(٣) « آل عمران » الآية « ١٣٣ » وتامها « ... أعدت للمتقين » .

(٤) « الأعراف » الآية « ٥٩ ، ٦٠ » .

(الأول) (١) ، فاعرف ذلك .

## النوع التاسع من الباب الأول من الفن الثاني

في التفسير بعد الإبهام

يفعل ذلك لتفخيم المبهم وإعظامه ؛ لأنه هو الذي يطرق السمع أولاً ، فيذهب السامع كل مذهب كقوله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » (٢) ففسر « ذلك الأمر » بقوله : « دابر هؤلاء مقطوع » . وفي إبهامه أولاً ، وتفسيره بعد ذلك تفخيم للأمر ، وتعظيم لشأنه ، فإنه لو قال تعالى : « وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع .. » لما كان بهذه المثابة من الفخامة ، فإن الإبهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكير ، واستعظام لما قرع سمعه ، وتشويق إلى معرفة كنهه ، والاطلاع على حقيقته .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « اهدنا السراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ... » فإنه إنما قال ذلك ، ولم يقل : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم (٣) لما في الأول من التنبيه ، والاشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمن ، فدل عليه بأبلغ وجه ، كما تقول : « هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ! ؟ » ثم تقول : « فلان » فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك : « هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل » لأنك تثبت (٤) ذكره مجملًا ومفصلاً ، فجعلته علماً في الكرم والفضل ، كأنك قلت : من أراد رجلاً جامعاً للخصلتين فعليه بفلان .

وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى : « وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد

(١) يقال له : إنما استشهدت باسم جنس جمعي وذلك أمر معروف أن تنفي مفردة فيشمل النفي جميع جنسه ، وأما « الضلال » فلم يقل أحد إنه اسم جنس جمعي لـ « ضلال » قال ابن فارس في المقاييس : « والضلالة والضلال بمعنى » . وكذلك القول في الجلال والجلالة والسماح والسماحة والسفالة والسفالة والظاهر لنا من استعمال القرآن الكريم « الضلال » و « الضلالة » أن الأول استعمال للجسم استعارة والثاني استعمال للنفس استعارة أيضاً . فهو كالحاجة ، تقول « مضيت في حاجة » عندما تريد السلوك ، و « في نفسي حاجة » إذا أردت النفس .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٧ . (٣) التكملة من المثل السائر ج ٢ ص ٢٧ .

(٤) في الأصل : « تبينت » وهو من تحريف النسخ .



يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب»<sup>(١)</sup> ألا ترى كيف قال : « أهدكم سبيل الرشاد » فأبهم : « سبيل الرشاد » ولم يبين أي سبيل هو ، ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بدم الدنيا ، وتصغير شأنها ، لأن الاخلاص إليها أصل الشر كله ، ثم ثنى ذلك بتمظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها ، وأنها هي الوطن والمستقر ، ثم ثلث بذكر الأعمال ، سيئها وحسنها ، وعاقبة كل منها ، ليثبسط<sup>(٢)</sup> عما يتلف ، وينشط لما يزلف ، فكأنه قال : سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، والامتناع من الأعمال السيئة ، خوف المقابلة عليها ، والمصارعة الى الأعمال الصالحة ، رجاء المجازاة عليها . وكذلك ( جاء ) قوله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت<sup>(٣)</sup> ... » ولم يقل : قواعد البيت ، لما في إبهام القواعد ، وتبينها بعد ذلك من الايضاح ، وتفخيم حال المبين<sup>(٤)</sup> مما ليس في الاضافة .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع الى آله موسى<sup>(٥)</sup> . . . » الآية ( فإنه ) لما أراد تفخيم ما أمّل فرعون من بلوغه أسباب السموات ، أبهمها أولاً ثم فسرهما ثانياً ، ولأنها لما كان بلوغها أمراً عجيباً ، أراد أن يورده على نفس متشوفة اليه ، ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق اليه نفس هامان ، ثم أوضحه بعد ذلك .

ومما يدخل في هذا الباب الابتداء بذكر الضمير ثم الافصاح بذكر صاحبه بعده ، كقوله

(١) سورة « غافر » الآية « ٤٠ » .

(٢) في الأصل التثبط ، والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ٢٨ » .

(٣) السورة « البقرة » والآية « ١٢٧ » وتمامها « ... واسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع

العليم » .

(٤) في الأصل « التبين » والتصحيح من المثل السائر .

(٥) السورة « غافر » والآية « ٣٦ ، ٣٧ » وتمامها « . . . وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون

سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب » .

تعالى : « وما تكون في شأنٍ وما تتلو منه من قرآنٍ »<sup>(١)</sup> فإنه لما أتى بالضمير ، الذي هو « منه » قبل صاحبه الذي هو القرآن ، كان ذلك تفضيلاً له ، وتعليقاً من أمره . ولو قال : وما تكون في شأنٍ وما تتلو من قرآن ، ولم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التي كانت له مع ذكر الضمير ، وهذا مثل قولهم « الكريم العالم الفاضل » ثم يقال : فلان وقد سبق الكلام عليه ، فأعرف ذلك وقس عليه .

وأما الإبهام من غير تفسير ، فكثير شائع في القرآن العزيز ، كقوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »<sup>(٢)</sup> فقوله : للتي هي أقوم أي الطريقة أو الحالة أو الملة هي أقومها وأسدّها ، وأي ذلك قدّرت لم تجده مع الافصاح ذوق البلاغة الذي تجده مع الإبهام ، وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب ، وإيقاعه على احتمالات كثيرة ، وهذا لا يخفى على العارفين بمرمز صناعة التأليف فأعرفه .

ومما يدخل في هذا الباب الاستثناء العددي وهو ضرب من التأليف لطيف المأخذ عجيب المغزى . وإنما يفعل ذلك طلباً للمبالغة ؛ لأن له تأثيراً شديداً في القلب ، وموقفاً عظيماً في النفس وفائدته [ أن ] أول ما يطرق سمع المخاطب ذكرُ العدد فيكبر موقع ذلك عنده ، وهو شبيه بما ذكرناه من الإبهام أولاً ثم التفسير بعده ثانياً ، فن ذلك قوله تعالى : « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً »<sup>(٣)</sup> فإنه إنما قيل « ألف سنة إلا خمسين عاماً » ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً لفائدة حسنة ، وهي ذكر ما ابتلي به نوح من أمته ، وما كابدته من طول المصايرة ، ليكون ذلك تسليّة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتثبيتاً له ، فإن ذلك رأس العدد الذي هو منتهى العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطرالة السامع

(١) السورة « يونس » والآية « ٦١ » وتامها « ... ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » .

(٢) السورة « الاسراء » والآية « ٩ » وتامها « ... ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » .

(٣) العنكبوت الآية « ١٤ » وتامها « ... فأخذهم الطوفان وهم ظالمون » .

مدة صبره وما لاقاه من قومه ، فاعرف ذلك وقس عليه .

## النوع العاشر من الباب الأول من الفن الثاني

في التعقيب المصدري

وإنما يعمد الى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه ، والاشعار بتعظيم شأنه أو بالصد من ذلك ، فمثال الأول قوله تعالى « ويوم ينفخ في الصور ، ففزع من في السموات ومن في الأرض <sup>(١)</sup> » الى قوله « ... وهم من فزع يومئذ آمنون » و « من جاء بالسيئة فكُتبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » . « فصنع الله » من المصادر المؤكدة لما قبلها ، كقوله « وعُد الله ، وصبغة الله » ، ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم ، الدال على القدرة الباهرة ، من النفخ في الصور ، وإحياء الأموات ، والفزع . وإحضار الناس للحساب ومسير الجبال كالسحاب في سرعتها ، وهي عند الرؤية لها والمشاهدة كأنها جامدة ، عقب ذلك أن قال « صنع الله » والمعنى أن هذا الأمر العجيب البديع صنع الله ، والمعنى « ويوم ينفخ في الصور ، وكان كيت وكيت من الأشياء الباهرة ، وأثناب الله المحسنين ، وعاقب المجرمين » فجعل هذا الصنع من جملة الأمور التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والثواب ، حيث قال : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » يعني أن مقابلة الحسنه بالثواب ، والسيئة بالعقاب من إحكامه للأشياء وإتقانه لها ، وإجرائه إياها على قضايا الحكمة ، أي إنه عالم بما تفعل العباد وبما يستوجبون عليه ، فيكافئهم على حسب أفعالهم ، ثم لخص ذلك بقوله تعالى : « من جاء بالحسنة ... » الى آخر الآيتين .

فانظر أيها المتأمل إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ، ومكانة إضماره ، وورصانة تفسيره ، وأخذ بعضه برفاق بعض ، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً . ولأمر ما أعجز القوي وأخرس

(١) النمل « ٨٧ ، ٩٠ » والتمام > . . . إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفلون ، من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون .

الشقاشق (١) .

ونحو هذا « المصدر » إذا جاء عقيب (٢) الكلام كان الشاهد بصحته ، والمفادى على سداه وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان . ألا ترى الى قوله : صنع الله وصبغة الله ، ووعد الله ، وفطرة الله ... بعدما وسمها باضافتها اليه ، بسمه التعظيم ، كيف تلاها بقوله : « الذي أتقن كل شيء » .

وأما الثاني ، وهو ضد الأول ، وذلك ما يراد به تصغير الشأن ، فكقولك إذا أخرجت ذكر إنسان تريد ذمه : « قد ركب هواه ، واستمر على غيئه ، وتمادى في جهله ، وسحب ذيل عجيبه ... » وما أشبه ذلك . ثم تقول : « صنع الشيطان : الذي يخلب النفوس ، ويسلب الألباب ... » وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

### النوع الحادي عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في التقديم والتأخير مما لا يتعلق بعلم النحو

كتقديم المفعول على الفاعل ، وتقديم الحال والظرف ، أو غير ذلك ، فان هذا قد أفردنا له باباً ، وجعلناه مقصوداً عليه ، ومرّ ذكره في باب « شجاعة العربية » .

وأما هذا الباب فانه يتعلق بتقديم الأشياء بعضها على بعض في الذكر ؛ لاختصاص أحدها بما يوجب له التقدم على الآخر ، وذلك مما لا يحصره حد ، ولا يأتي عليه شرح . وقد أشرنا نحن الى نبذة منه ، إذا تأملها الناظر في كتابنا هذا ، يستدل بها على غيرها .

فن ذلك تقديم السبب على المسبب ؛ كقوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين .. » فانه

(١) يقال للفصيح « هدرت شقشقتة » والجمع شقاشق وهي مستعارة من شقشقة البعير وهي كالرثة يخرجها اذا هاج وورغا .

(٢) جاء في المصباح المنير « وأما عقيب مثال كريم فاسم فاعل من قولهم : عاقبه معاقبة وعقبه تعقيباً فهو معاقب ومعقب وعقيب إذا جاء بعده ، قال الأزهري أيضاً : والليل والنهار يتعاقبان : كل واحد منهما عقيب صاحبه والسلام يعقب الشهيد أي يتلوه فهو عقيب له ، والعدة تعقب الصلوات أي تتلوه وتتبعه فهي عقيب له أيضاً ، فقول الفقهاء « يفعل ذلك عقيب الصلاة » ونحوه بالياء لا وجه له إلا على تقدير محذوف والمعنى « في وقت عقيب وقت الصلاة » فيكون عقيب صفة وقت ثم حذف من الكلام حتى صار : عقيب الصلاة » .

إنما قدم العبادة على الاستعانة ؛ لأن تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول المطاوب ، وأسرع لوقوع الاجابة . ولو قال : إياك نستعين ، وإياك نعبد ، لكان جائزاً ، إلا أنه لا يسد ذلك المسد ولا يقع ذلك الموقع ، وهذا لا يخفى على المنصف من أرباب هذه الصناعة . وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « وأنزلنا <sup>(١)</sup> من السماء ماء طهوراً لنحیی به بلدة ميتا ، ونسقیه مما خلقنا أنعاماً ، وأناسی كثيرا » .

ألا ترى كيف قدم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس ؟ وإن كان الناس أشرف محلاً وأعلى مكاناً . وسبب ذلك ما أذكره لك وهو أن حياة الأرض سبب لحياة الأنعام والناس . ولما كانت الأنعام أيضاً من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها على الناس في الذكر ، ولأن حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم ، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم . فهذه نكت القرآن العجيبة ورموز أسرارها اللطيفة التي إذا مرّ الانسان عليها من غير أن يتدبرها ، ويمطيها أفضل تأمل وتفكر لا يقع على خباياها ، ولا يظفر بفرائبها .

ومن هذا النوع تقديم الأقل على الأقل ، كقوله تعالى « تم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات » <sup>(٢)</sup> فإنه إنما قدم الظالم لنفسه للايدان بكثرتة وأن معظم الخلق عليه ثم أتى بعده بالمتصدقين ؛ لأنهم قليل بالاضافة اليه <sup>(٣)</sup> ، وأخر السابقين بالخيرات ، إذ كانوا أقل من القليل أعني من المقتصدین ، فقدم الاكثر ثم جاء بعده ؛ بالأوسط ثم ذكر الأقل أخيراً ، وذلك لائق في بابه . ولو عكست القضية لكان المعنى أيضاً واقعاً في موقعه لأنه يكون قدم الأفضل فالأفضل ؛ وذلك أن السابقين بالخيرات أفضل من المقتصدین ، والمقتصدین أفضل من الظالمين ؛ ولنوضح في ذلك طريقاً يعرفه مؤلف

(١) أول الآية « الفرقان : ٤٩ » هو « وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا ... » وقد سقطت هذه الآية من الفهرست القرآني المسمى نجوم الفرقان في أطراف القرآن الذي صنعه كستاف فلوجل الألماني في مادة « مات » فقط .

(٢) السورة « فاطر » والآية ٣٢ وتامها « ... باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » .

(٣) أي بالنسبة اليه ، وكثير من كتاب العصر الناشئين يستعملون « بالاضافة إليه » مكان « مضافاً إليه » و « يضاف اليه » و « زيادة عليه » و « يزداد عليه » وهو خطأ .

الكلام ، فنقول :

اعلم أنه متى كان الشيطان أحدهما كثير والآخر أقل منه ، وكان الأقل أفضل من الأكثر فأنت بالخيار في تقديم أيها شئت ، لأن في كل واحد منهما ما يوجب له التقدم ، فاعرف ذلك وقس عليه نظائره وأمثاله .

ومن هذا النحو قوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » (١) .

فانه إنما قدم الماشي على بطنه لأنه أدل على القدرة من الماشي على رجلين ؛ إذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة لهشي ، ثم ذكر الماشي على رجلين بعده ، وقدمه على الماشي على أربع ؛ لأنه أدل على القدرة أيضاً حيث كثرت آلات المشي في الأربع ، وهذا من باب تقديم الأعجب فالأعجب فاعرف ، ذلك .

ومن هذا النوع في التقديم والتأخير أنه إذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني ثم يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر ، وكان معنى الفضول مناسباً لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيها شئت ؛ لأنك إذا قدمت الأفضل فهو في موضع التقديم ، وإن قدمت الفضول فلأن مطلع الكلام يناسبه ، وذكر الشيء مع ما يناسبه أيضاً وارد في موضعه فمن هذا الأسلوب قوله تعالى : « وإنا إذا (٢) أذقنا الانسان منّا رحمة فرح بها وإن تُصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الانسان كفور » إلى قوله : « عليهم قدير » فأنه إنما قدم الإناث أولاً على الذكور ، مع تقدمهم عليهن ، ثم رجع فقدم الذكور وأخر الإناث بعد ما نكرهن وعرف الذكور ؛ لأنه ذكر البلاء في آخر الآية ، وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ، ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيئه ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإناث ؛

(١) السورة « النور » والآية ٥٥ .

(٢) السورة « الشورى » والآية « ٤٨ — ٥٠ » وأولها « فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا ... » وتامها « لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير » .

لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء ، لا ما يشاؤه الانسان ، وكان ذكر الاناث ، الآتي هن من جملة ما لا يشاؤه الانسان ولا يختار أهم ، فالأهم واجب التقديم ، ولبلاء الجنس الثاني [ الذي ] <sup>(١)</sup> كانت العرب تعدّه بلاءً ، ذكر البلاء ، ولما أخرج الذكور وهم أحق بالتقديم ثم تدارك ذلك بتعريفه إياهم ؛ لأنّ التعريف تنويه بالذكر ، [ كان ] <sup>(٢)</sup> كأنه قال « ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم » ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير ، وعرف أنّ تقديم الاناث لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتضى آخر ، فقال : [ أويروّجهم ] <sup>(٣)</sup> ذُكرانا وإناثاً ، وهذه دقائق لطيفة ، قلما يتنبه لها أو يعثر على رموزها .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن ولا ... » إلى قوله « ... وما يعزّبُ عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء » <sup>(٤)</sup> فانه إنما قدم الأرض في الذكر على السماء ، ومن حقها التأخير ؛ لأنه إنما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم ، ووصل ذلك بقوله : « لا يعزّب عنه » لأم بين ... وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

## النوع الثاني عشر من الباب الأول من الفن الثاني

في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده

وهذا إنما يعمد اليه لفائدة ؛ وهي إما تعظيم حال المعطوف عليه ، والتفخيم من شأنه ، وإما ضد ذلك ونقيضه ، مثال التعظيم قولك .. « ولما تلاقينا <sup>(٥)</sup> وبنو تميم ، أقبوا لنا يوفضون <sup>(٦)</sup> » وابتدروا نحونا يركضون . وجاؤوا كأنهم في تكاثفهم ليل ، وفي سرعتهم سليل . فرأينا منهم

(١) زيادة اقتضاها السياق .

(٢) راجع « م ١٧٤ س ١ » من هذا الكتاب .

(٣) كذا ورد تعبير المؤلف : بعطف الظاهر على الضمير المرفوع بلا ضمير ولا فاصل لفظي وهو ضعيف

في العربية . والفصح « تلاقينا نحن وبنو تميم » .

(٤) أوفضوا : أسرعوا وعدوا ومنه قوله تعالى « كأنهم الى نصب يوفضون » .

أسوداً في المقاتلة ، وثمالب في المخادعة والمخاتلة ، وتناجد<sup>(١)</sup> بنو تميم علينا بجملة ، فلذنا بالفرار ، واستبقنا الى تولية الأدبار « فانك إنما قلت : « وتناجد بنو تميم » مصرحاً بذكرهم ، ولم تقل : وتناجدوا ، كما قلت : « أقبلوا » و « ابتدروا » و « جاؤوا » للدلالة على التعجب من شجاعتهم والتعظيم لشدتهم وإقداهم . ولا سيما وقد أضفت الى ذلك قولك : « لذنا بالفرار » و « استبقنا الى تولية الأدبار » فكأنك قلت : وتناجد أوائك الفرسان المشاهير ، والسكاة المذكورون<sup>(٢)</sup> ، وحملوا علينا حملة واحدة ، فولينا مدبرين منهزمين .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « أولم يروا كيف يُبْدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئُ النشأة الآخرة<sup>(٣)</sup> ... » . ألا ترى كيف صرح باسمه تعالى في قوله : « ثم الله ينشئُ النشأة الآخرة » . مع إبهامه<sup>(٤)</sup> مبتدئاً في قوله « كيف بدأ الخلق ثم ينشئُ النشأة الآخرة » ؟ والفائدة في ذلك ما ذكرناه وبَنَّهنا عليه ؛ وهو أنه لما كانت الاعادة عندهم من الأمور العظيمة والأشياء المستصعبة ، وكان صدر الكلام واقعاً معهم في الابداء ، وقَرَّ رأيهم أن ذلك من الله — عز وجل — احتج عليهم بأن الاعادة إنشاء مثل الابداء ، وإذا كان الله لا يعجزه شيء<sup>(٥)</sup> هو الذي لا يعجزه الابداء فوجب أن لا تعجزه الإعادة ؛ فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الأمر الذي هو الاعادة أبرز اسمه — تعالى — الى [ العبارة ] وأوقعه مبتدأ ثانياً ، فاعرف ذلك وقس عليه .

وأما الثاني وهو ضد الأول فإنه يقصد به الذم كقوله تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجلٌ يريد أن يصُدَّكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفكٌ مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحرٌ مبين<sup>(٦)</sup> » فإنه إنما قال : « وقال الذين كفروا »

(١) تناجدوا : تعاونوا .

(٢) في المثل السائر « ج ٢ ص ٢٤ » « المناكير » جمع المنكر .

(٣) السورة « العنكبوت » والآية « ١٩ - ٢٠ » وتمامها « إن الله على كل شيء قدير » .

(٤) في المثل السائر « مع إيقاعه » .

(٥) كذا وردت وفي المثل السائر أيضاً . « ج ٢ ص ٢٥ » ولعل الأصل « وهو الذي » .

(٦) السورة « سبأ » والآية « ٤٣ » .



ولم يقل : « وقالوا » كالذي قبله ، للدلالة على صدور الكلام عن إنكار عظيم ، وغضب شديد ، وتعجب من كفرهم بليغ . ولا سيما <sup>(١)</sup> وقد انضاف الى ذلك قوله تعالى : « وقالوا للحق لما جاءهم ... » وما فيه من الإشارة إلى القائلين ، والمقول فيهم ، وما في ذلك من المبادهة ؛ كأنه قال تعالى « وقال أولئك الكفرة ، التمردون بجرأتهم على الله ، ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المنير <sup>(٢)</sup> ، قبل أن يدوقوه : إن هذا إلا سحرٌ مبين » . وأمثال هذا كثيرة ، فاعرفها .

### النوع الثالث عشر من الباب الأول من الفن الثاني

#### في التخلص والاقتضاب

ولهذا النوع من الكلام ، محل كريم ، وموقع لطيف .

فأما التخلص ، فهو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني ، فيبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض ، من غير أن يقطع المؤلف كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر ، بل يكون جميع كلامه ، كأنما أفرغ إفرغاً ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر ، وقوة تصرفه ، وطول باعه ، واتساع قدرته ، من أجل أن الشاعر يضيق عليه نطاق الكلام ، ويكون متبعاً للوزن والقافية ، فلا توافيه الألفاظ على حسب إرادته ، ولا تترن له .

وأما الناثر فإنه مطلق العنان ، يمضي حيث شاء فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر .

وأما الاقتضاب فهو ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك . ولا يكون للثاني علاقة بالأول ، ولا تلفيق بينه وبينه ، وهو مذهب القدماء من صنعة <sup>(٣)</sup> الشعر ، وسيأتي بيانه . وأما المحدثون فأنهم تصرفوا

(١) لا تدخل « قد » بين لا سيما وما يليها ، فضلاً عن أن يكون ما يليها فعلاً كما جاء في كلام المؤلف .

(٢) وفي المثل السائر « المبين » . (٣) الصنعة : بالتحريك جمع الصانم .

في التخلص وأبدعوا فيه فآظهوروا من ذلك المعجائب والغرائب كقول علي بن الجهم<sup>(١)</sup> :

وليلة كحلت بالنفس<sup>(٢)</sup> مقلتها ألفت قناع الدجى في كل أخدود

قد كاد يُفرقي أمواج ظلمتها لولا اقتباس سناً<sup>(٣)</sup> من وجه داود

ألا ترى ما أطف هذا التخلص وأحسنه ؛ فانه ذكر أولاً الليلة وسوادها ، وابتداء  
دجائها ، وأنه في غمرات من ظلمتها كالغريق . ثم أدرج في ضمن كلامه ، بعد ذلك ، ذكر  
المدح بما يناسب ما هو من الظلمة ، فذكر الانارة والاضاءة بقوله : « سنا من وجه داود »  
فصار الكلام كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ، ومن هذا النحو قول ابن نباتة :

كهن الشموع وقد أطلعت من النار في كل رأس لسانا

أنامل أعدائك الخائفين تَصْرَعُ تطلبُ منك الأمانا

فهذا هو التخلص البديع في الصنعة الذي استحوز على مجامع الحسن والرويق ، فاعرفه .

وقال أبو العلاء محمد<sup>(٤)</sup> بن غانم المعروف بالفناني : « إن كتاب الله العزيز خال من

الاقتضاب والتخلص » . وهذا القول فاسد ، لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام الى

كلام آخر غيره بلطفية تناسب بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه ، وفي

القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك ، كالخروج من الوعظ والتذكير بالانذار والبشارة بالجنة

(١) هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر القرشي السامي ، كان أحد الشعراء المشهورين في المدح والوصف

والغزل بألفاظ عذبة وأوزان منتخبة وهو أول من نظم في التاريخ من الشعراء ، مدح المتوكل على الله وغيره

وتوفي سنة « ٢٤٩ » جريحاً من وقعة بينه وبين أعراب بني كلب . وقد طبع الأستاذ الكبير خليل مرهم ديوانه

بالشام « في دمشق » « تاريخ بغداد للخطيب ج ١١ ص ٣٦٧ » و « معجم المرزباني ص ٢٨٦ » والأغاني

« ج ١ ص ٢٠٣ » وطبقات الشعراء لابن المعتز « ص ١٥١ » ووفيات الأعيان لابن خلكان « ج ١

ص ٣٨٤ » من طبعة بلاد العجم .

(٢) في الأصل « النفس » من تحريف النسخ ، والتصحيح من « ديوان علي بن الجهم » « ص ١٢٨ »

طبعة الأستاذ خليل مرهم .

(٣) في زهر الآداب « ٣ : ١٨ » عن كل « كما جاء في حاشية الديوان ، وفيه أيضاً « سنا

وجه داود » .

(٤) راجع حاشية « ص ٢ » من هذا الكتاب .

الى أمر ونهي ووعده ووعيد ومن محكم الى متشابه ، ومن صفة لتبي مرسل ومملك منزل الى ذم  
 لشيطان مرید ، وجبار عنيد بلطائف دقيقة ، ومعان آخذة بالقلب ؛ فما جاء من التخلص في  
 القرآن الكريم قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ إبراهيم نياً ابراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد  
 أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون » (١) . إلى قوله تعالى : « فلو أن لنا  
 كرة فنكون من المؤمنين » هذا كلام يذهل العقول ويحير الأبواب ، وفيه كفاية لطالب البلاغة  
 والمنتصب لهذه الصناعة ، فانه متى أنعم فيه النظر وتدبر أثناءه (٢) ، ومطاوي حكمته علم  
 أن في ذلك غنى عن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن ألا ترى أيها المتأمل ما أحسن  
 ما رتب ابراهيم - عليه السلام - كلامه مع الشركين حين سألمهم أولاً عما يعبدون سؤال  
 مقرر لا سؤال مستفهم ، ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ،  
 ولا تبصر ولا تسمع . وعلى تقليد آباءهم الأقدمين ، فكسره وأخرجه من أن يكون  
 شبهة فضلاً عن أن يكون حجة . ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله ، الذي  
 لا تجب العبادة لإلهه ، ولا ينبغي الرجوع والالابة لإلايه ، فصور المسألة في نفسه دونهم  
 بقوله « فإنهم عدو لي إلا رب العالمين » على معنى أنني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة  
 العدو وهو الشيطان ، فاجتنبتها ، وآثرت عبادة من الخير كله منه . وأراهم بذلك أنها نصيحة  
 ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحننا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ، فيكون ذلك أدعى لهم

(١) السورة « الشعراء » والآية « ٦٩-١٠٢ » وتامها « ... أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل  
 وجدنا عليه آباءنا كذلك يفعلون ، قل أفرايتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فانهم عدو لي إلا  
 رب العالمين ، الذي خلقتي فهو يهديني ، والذي يطعمني ويسقيني ، واذا مرضت فهو يشفيني ، والذي يميتني ثم  
 يحييني ، والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ، رب هب لي حكماً وألحقتني بالصالحين ، واجعل لي لسان  
 صدق في الآخرين ، واجعلني من ورثة جنة النعيم ، وأغفر لأبي لأنه كان من الضالين ، ولا تخزني يوم  
 يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأزلت الجنة للعتيقين ، وبرزت الجحيم  
 للغاوين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ، من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ، فككبوا فيها  
 والفاوون ، وجنود إبليس أجمعون ، قالوا وهم فيها يختصمون ، تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويك رب  
 العالمين ، وما أضلنا إلا الجرمون ، فإنا لنا من شافعين ، ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين » .  
 (٢) في الأصل « ابناؤه » وهو غير مستقيم .

الى القبول لقوله ، وأبعث على الاستماع منه . ولو قال : « فأنهم عدوكم » لم يكن بتلك المثابة ، فتخلص عند تصويره المسألة في نفسه الى ذكر الله عز وجل ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه ، وتعدد نعمه [عليه] من لدن خلقته وإنشائه الى حين وفاته مع ما رجى في الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته تحقيق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له ، والاستكانة لعظمته ، ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه ويناسبه فدعى بدعوات المخلصين ، وابتهل اليه ابتهاج الأوابين ، لأن الطالب ( إلى ) مولاه ، والراغب اليه إذا قدم قبل سؤاله وضراعتة الاعتراف بالنعمة والاقرار بالاحسان كان ذلك أسرع للإجابة ، وأنجح لحصول الطلبة ، ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ، ويوم القيامة ومجازاة الله لمن آمن به واتقاه بالجنة ، ولمن ضل عن عبادته بالنار ، فجمع الترغيب في طاعته والترهيب من معصيته ، ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون من الأصنام سؤال موبخ لهم ، مستهزئ بهم ، وذكر ما يُدفعون اليه عند ذلك من الندم والحسرة<sup>(١)</sup> على ما كانوا فيه من الضلال وتمني العود ليؤمنوا .

فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعرضه بوقاب بعض مع احتوائه على ضروب من المعاني فيتخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطفية دقيقة حتى كأنه معنى واحد ، فخرج من ذكر الأصنام وتقريره لأبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ما هي عليه من التعرّي عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، الى ذكر الله تعالى ، فوصفه بصفات الالهية ، فمعظم شأنه وعدد نعمه ، ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح إلا له . ثم خرج من هذا الى دعائه إياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة ، وثواب الله وعقابه ، فتدبر هذه التخلصات اللطيفة ، هذا الى غيره من تضمن هذا الكلام لأنواع من صناعة التأليف ، وهي الايجاز والسكناية والتقديم والتأخير وإنبابة الفعل الماضي عن الفعل المضارع .

فأما الايجاز فلا خفاء به على العارف بما أشرنا اليه في بابه الذي سبق ذكره إلا أن من جملته قوله تعالى : « وأزلف الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للغاوين » فإنه جمع الترغيب في طاعته

(١) كذا جاء في الأصل ولو قال « من الحسرة والندم على ... » لكان أحسن .

والترهيب من معصيته مع عظمها ، ونخامة شأنها في هذه الكلمات اليسيرة . وأما الكناية  
 فقوله تعالى « وبرزت الجحيم للغاوين » فالغاوون ها هنا كناية عن أبيه وقومه ، ويدل على ذلك  
 قوله « وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله » لأن كلامه في الأول كان معهم في عبادتهم  
 الأصنام .

وأما التقديم والتأخير فإن ذكر ابراهيم النعمة وتعميد الاحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة .  
 وأما إنابة الفعل الماضي عن المضارع فقوله تعالى : وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين  
 وقيل لهم أين ما كنتم تمبدون « بمد قوله « ولا تحزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون  
 إلا من أتى الله بقلب سليم » ، وفي ذلك من الفائدة ما أشرنا اليه في بابه ، وقد سبق ذكره ،  
 فاعرفه .

ومما استطرف من هذا النوع قول ابن <sup>(١)</sup> الزمكدم :

وليل كوجه البرقعدي ظلمة	وبرد أغانيه وطول قرونيه
سريت ونومي فيه نوم مشرد	كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق <sup>(٢)</sup> فيه التفات كأنه	أبو جابر في خبطه وجنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه	سنا وجهه قرواش وضوء جبينه

وهذه الأبيات لها حكاية وذلك أن هذا المدوح كان جالساً مع ندمائه في ليلة من ليالي  
 الشتاء ، وفي جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر ، وكان البرقعدي مغنياً وسليمان بن فهد وزيراً ،  
 وأبو جابر صاحباً ، فالتمس المدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه فأنشده هذه  
 الأبيات . وقد قال بعض أرباب هذه الصناعات إن هذا الشاعر لو تحدى بهذه الأبيات لأعجز

(١) لم تقف على ترجمته والظاهر أنه من أهل القرن الخامس للهجرة فقد ذكر ياقوت الحموي في رسم  
 « برقعدي » من معجم البلدان أنها « بفتح الباء وكسر العين وياء ساكنة ودال وأنها بليدة في طرف بقعاء  
 الموصل من جهة نصيبين وياشزى » وان شاعراً قال يهجو سليمان بن فهد الموصل مستطرداً ويمدح قرواش بن  
 المقلد أمير بني عقيل : « ليل كوجه البرقعدي ظلمة ... » . وفي المعجم :

على أولق فيه الهباب كأنه أبو جابر في خبطه وجنونه

(٢) الأولق : الجنون .

الشعراء أن يأتوا بمثلها ، لأنه مع إتيسانه بهذا النوع من علم البيان لم يقنع بذلك حتى رقي في معانيه المقصودة إلى أسمى المنازل ؛ فابتدأ في البيت الأول بهجو البرقعدي ، فجاء في ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها ، ولم يخل منها بشيء . وهي الظلمة والبرد والطول ، ثم إن هذه الأوصاف لليلة جاءت ملائمة لما وقعت عليه ، مطابقة له : وكذلك البيت الثاني والثالث . ثم خرج إلى المدح بألطف وجه وأرق صنعة ، فاعرف ذلك فإنه لم يقل في هذا الباب أبدع من هذه الأبيات .

ومما جاء على نحو ذلك قول إسحاق <sup>(١)</sup> بن ابراهيم الموصلي :

وصافية تغشى العيون بنورها      رهينة عامر في الدنان وعام  
أدركنا بها الكأس الروية بيننا      من الليل حتى انجباب كل ظلام  
فأ ذرَّ قَرْنُ الشمس حتى رأيتنا      من المي نحكي أحمد بن هشام <sup>(٢)</sup>

الأتري ما أحسن ما خرج هذا الشاعر في الهجاء ، فإنه أوهم في الأول الخوض في صفة الخمر ثم استدرج المعنى الذي قصده في صفة الخمر ، من حيث لا يعلم السامع لمطلع كلامه أنه يريد ذلك ؛ وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

وأما الاقتضاب فهو الذي أشرنا إليه في صدر هذا النوع ، وهو أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاماً آخر غيره ، من غير علاقة تكون بينه وبين ما قبله ، فمن ذلك ما هو أحسن من

(١) هو أبو محمد إسحاق بن ابراهيم بن ماهان بن بهمن بن بشك التميمي بالولاء الأرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي ، كان من كبار الغنمين والظرفاء والخلعاء ، زيادة على علمه باللغة والشعر وأخبار الشعراء وأيام العرب وبده الطولي في الفقه والحديث وعلم الكلام ، وكانت دائرة علومه وفنونه واسعة ، نادم الخلفاء كالرشيد والمأمون والمعتصم والأمين والهادي وكان المعتصم يقول : ما غناني إسحاق قط إلا خيل لي أنه زيد في ملكي « وله كتاب كبير في الغناء مذكور في كتب التاريخ توفي سنة « ٢٣٥ » هـ على أصح القولين ، راجع الأغاني ج ٥ ص ٢٥٨ — ٤٣٥ » طبعة دار الكتب المصرية ، وغيره من الأجزاء وتاريخ بغداد للخطيب « ج ٦ ص ٢٣٨ » ووفيات الأعيان « ج ١ ص ٦٩ » طبعة بلاد العجم .

(٢) أحمد بن هشام من قواد الخليفة المأمون وله ذكر في أخبار الدولة العباسية « أخبار بغداد لأحمد بن طاهر ص ١١٩، ٥٩ » والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي « ج ٢ ص ١٤٩، ٢١٣ » . وفي الأغاني « ج ٥ ص ٣٠١ » أنه أهدى إلى إسحاق الموصلي زعفراناً وكتب إليه شعراً فرد الجواب شعراً .

التخلص ، وهو فصل الخطاب ، ولينين في ذلك ما يوقفك عليه ، وبأخذ بمجامع قلبك فتقول : إن أريد فصل الخطاب ، الفاصل في الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد ، والحق والباطل ، والصواب والخطأ فهو « فَعْلٌ » بمعنى فاعل كالفوم والزور ، وقال بعضهم هو « أما بعد » لأن المتكلم يفتتح ، اذا تكلم في الأمر الذي له شأن ؛ بذكر الله عز وجل وتمجيده ، فاذا أراد أن يخرج المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله عز وجل « أما بعد » وهذا من ذهب المحققين من علماء البيان . قالوا في الفصل الذي هو أحسن من الوصل هذا ، وهي علامة وكيدة من الخروج من كلام الى كلام آخر غيره كقوله تعالى : « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ، إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار » <sup>(١)</sup> إلى قوله : « مفتحة لهم الأبواب » ألا ترى ما ذكر قبل « هذا ذكر » في الأنبياء ، وأراد أن يذكر على عقبه باباً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها فقال « هذا ذكر » ثم قال « وإن للمتقين لحسن مآب » . وبدل عليه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال « وإن للطاغين لشر مآب » وذلك من فصل الخطاب الذي هو أطف موقفاً من التخلص فاعرفه .

### النوع الرابع عشر من الباب الأول

من الفن الثاني في المبادئ والافتتاحات

وهو نوع من صناعة التأليف جمّة فوائده ، وذلك أن يجعل مطلع الكلام من الشعر والخطب والرسائل دالاً على المعنى المقصود بذلك الشعر أو تلك الخطبة أو تلك الرسائل . ومن أدب ذلك أن لا يذكر الشاعر في افتتاح القصيدة المديح بما يتطير به وقال بعض علماء البيان « أحسنوا معاشر الكتاب الابتداء آت فأنهن دلائل البيان » . وينبغي للشاعر أن يحتترز في المدح مما يتطير به من وصف إفقار الديار ، ودثور المنازل والأطلال ، وتشئت الآلاف ، وذم الزمان ،

(١) السورة « ص » والآية « ٤٥ ، ٥٠ » وتامها « وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ، واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ، هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ، جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » .

وأشبهه ذلك ، ولا سيما إذا كان في التهامي ، فإنه يكون أشد قبوحاً ، وإنما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة ، والنواب الحادثة ، ومتى كان الكلام في المديح مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه ، فإن رأس صناعة التأليف وضع كل شيء مكانه ، وإنما خصصت الابتدآت بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإنه متى كان الابتداء لائماً بالمعنى الوارد بعده توفرت (١) الدواعي على استماعه وتزايدت البواعث على الاصغاء إليه ، ومن أجبح الابتدآت قول ذي الرمة « ما بال عينيك منها الماء ينسكب » (٢)

لأن مقابلة المدوح بهذا الخطاب لاخفاء بقبحه ، وقد أنكر الفضل بن يحيى على أبي نواس قوله فيه :

« أربع البلى إن الخشوع لبادي »

فلما انتهى الى قوله :

سلام على الديننا إذا ما فقدتم  
بني بريك من رأمحين وغادي

استحك تطير الفضل بن يحيى ، وقيل إنه لم يمض على ذلك اسبوع واحد حتى نكبوا (٣) ، وحكي (٤) أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان (٥) جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمرهم أن

(١) أي تمت وكملت ، وقد أوقع الناس في الغلط مؤلف « تذكرة الكتائب » حين دعاهم أن يقولوا « توافر » مكان « توفّر » وشتان ما بينهما ، فتوافر معناه « تكاثر » وليس المراد التكاثر هاهنا .

(٢) قال ابن رشيق في العمدة « ج ١ ص ١٤٨ » : « ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فأستشده شيئاً من شعره فأشده قصيدته « ما بال عينيك منها الماء ينسكب » وكانت بعين عبد الملك رمشة وهي تدمع ابداً فتوهم أنه خاطبه أو عرض به فقال : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ! فقته وأمر بأخراجه . ولا نظن هذا من العيوب الأصلية في الشعر فقد قال جرير « الموشح ص ١٧١ » : لو خرس ذو الرمة بعد قوله : ما بال عينيك ... كان أشعر الناس .

(٣) ذكر ذلك ابن رشيق في العمدة « ج ١ ص ١٥٠ » .

(٤) الموشح للمرزباني « ص ٣٠١-٣٠٢ » والخبر فيه مبسوط بأكثر مما هاهنا .

(٥) الميدان قال ياقوت الحموي في معجم البلدان « شارع الميدان : من محال بغداد أيضاً بالجانب الشرقي خارج الرصافة وكان شارعاً ماداً من الشماسية الى سوق الثلاثاء وفيه قصر أم حبيب بنت الرشيد » .  
وسوق الثلاثاء هو سوق الحيدرخان الحالي وسوق باب الأغا . والشماسية هي الصليبخ الحالية ، فاليدان كانت بينهما ، وكان فيه قصر المعتصم . والقصة مذكورة في كتاب « الموشح » للمرزباني « ص ٣٠١ » .



يلبسوا أسنى الملابس ، ويظهروا محاسن الزينة ، وجلس على سرير مرصع بالجواهر والى جانبه أسرة ، فكلمها دخل عليه رجل من أكابر دولته أجلس في الموضع الذي يليق به فما<sup>(١)</sup> رأى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذن إسحق بن إبراهيم الموصلي في الانشاد فأذن له ، فانشد شعراً ما سمع بأحسن منه في صفته وصفة المجلس إلا أنه استفتح بذكر الديار القديمة وبقية آثارها فقال :

يا دار غيرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاكِ !

فتطير المعتصم من ذلك وتفاض الناس على إسحق بن إبراهيم ، ومجّبوا كيف ذهب عليه مثل ذلك مع علمه ومعرفته وطول خدمته للملوك ، ثم أقاموا يومهم وانصرفوا فما عاد منهم اثنان الى ذلك المجلس ، وخرج المعتصم إلى<sup>(٢)</sup> سر من ، رأى وخرب القصر ، فاذا أراد الشاعر أن يذكر داراً في مديحه فليذكر كما ذكر الحريري<sup>(٣)</sup> :

ألا يا دار دام لك السرور وساعدك النضارة والجبور  
وكما قال أشجع<sup>(٤)</sup> ...

قصر عليه تحية وسلام نشرت عليه جمالها الأيام

(١) في الأصل « فلما » والتصحيح من الموشح .

(٢) في الأصل « من » وهو خطأ في التأريخ لأن المعتصم ترك بغداد الى سامراء ولأن القصر المذكور

كان ببغداد .

(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قومي ، عرف بالحريري لأنه كان متصلاً بجرير بن عامر المري أو ابنه عثمان . وأصله من خراسان من أبناء السغد . كان شاعراً محسناً ، له مدائح في يحيى بن خالد بن برمك وغيره وكان أعور « تاريخ بغداد للخطيب » ج ٦ ص ٣٣٦ « والشعر والشعراء » ص ٣٥٣ « طبعة المكتبة التجارية بمصر سنة ١٩٣٢ وتاج العروس في « خرم » والأغاني » ج ٣ ص ١٩٦ ، ج ٦ ص ٨٣ ، ج ١١ ص ٣٤٤ ، ج ١٣ ص ١٥٠ « من طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) هو أشجع بن عمرو بن بني سليم ولذلك عرف بالسلمي ، كان من أهل الرقة وقدم البصرة فتأدب بها ثم ورد ببغداد . وكان شاعراً بارعاً ظريفاً جيد المعاني جزل المباني ، اتصل بالبرامكة وأكثر من مدحهم ومدح الرشيد ، وهذا البيت من قصيدة يمدحه فيها مطلعها :

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جمالها الأيام

« الشعر والشعراء » ص ٣٧٣ « من الطبعة المذكورة » وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ١١٧ « والأغاني

» ج ١٧ ص ٣٠-٥١ « طبعة ساسي و » تاريخ بغداد للخطيب ج ٧ ص ٤٥ .

وما أُجدر هذا البيت بمفتح شعر إسحاق بن إبراهيم الذي أنشده للمعتصم في ذلك القصر ،  
فانه لو ذكر هذا وما يجري مجراه لكان حسناً لايقاً .

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء ، فقال من أجاد الابتداء والمقطع ، ألا ترى أن قصيدة  
أبي نواس التي هي :

يا دار ما فعلت بك الأيام لم يبق فيك بشاشة تستام  
قد قيل إنها من أشرف شعره وأعلاه منزلة ، وأن أبا تمام مع تقدمه في صناعة الشعر أتعب  
نفسه في الاتيان بما يماثلها أو يشابهها فلم يقدر على ذلك ، وهي مع شرفها وعلو منزلتها في الشعر  
مستكرهه الابتداء من حيث النظر ، لأنها في مدح الخليفة الأمين . واقتراح المديح بذكر  
الديار ودروسها يتطير به ، ولا سيما في حق الخلفاء والملوك ، ولهذا يختار من ذكر الأماكن  
والمنازل ما راق لفظه ، وحسن التلفظ به كالغوير والعقيق وزرود<sup>(١)</sup> وأشباه ذلك ، ويختار أيضاً  
من أسماء النساء في الغزل نحو « سعاد وأمام وفوز » وما يجري هذا المجرى . ولقد عيب على  
الأخطل من أجل تغزله باسم « قدور<sup>(٢)</sup> » وهي امرأة كان يحبها فإنه مستقبح في الذكر ،  
وأمثال هذه الأشياء تجب مراعاتها والاعتناء بها فاعرف ذلك .  
ولما نظر أبو المميشل<sup>(٣)</sup> في قصيدة أبي تمام وهي :

(١) الغوير والعقيق وزرود أسماء مواضع في بلاد العرب .  
(٢) كذا ورد في الأصل وفي الأغاني « ج ٨ ص ٣٠٢ » من طبعة دار الكتب المصرية أنه كان ينسب  
بزعم وأمامة ابني سعيد بن إلياس بن هانيء بن قبيصة ، وكانت زعوم تعرف بأبم الأخماس .  
(٣) هو عبد الله بن خليل ، مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي . قيل إن  
أصله من الري ، وكان كاتب عبد الله بن طاهر الخزازي وشاعره ومؤدب أبنائه وكاتب أبيه من قبله ، وكان  
يفخم الكلام ويعربه ، ويكثر من نقل اللغة وله علم بها وصنف كتباً مفيدة منها « ما اتفق لفظه واختلف  
معنا » وقد طبعه المستشرق فريديس كرنكو بلندن سنة ١٩٢٥ باسم « الكتاب المأثور عن أبي العميشل  
الأعرابي » وله كتاب « النشابة » وكتاب « الأبيات السائرة » و « معاني الشعر » وغير ذلك . وتوفي  
سنة « ٢٤٠ » هـ الفهرست لابن النديم « ص ٧٢ من طبعة مصر » والوفيات « ج ١ ص ٢٨٤ » طبعة  
بلاد العجم ، والمجموع اللقيف « نسخة مصورة ، الورقة ٣ - ٤ » وله شعر جيد .

« أهن عوادي يوسفٍ وصواحيبه <sup>(١)</sup> »

استرذل ابتداءها فاسقط القصيدة كلها حتى عاد إليه أبو تمام ووقفه على موقع الاختيار منها

وهو :

إليك جزعنا مغرب الشمس كلما      أجزنا <sup>(٢)</sup> ملأً صلّت عليك سباسبه  
وغير ذلك مما ذكره أبو تمام في قصيدته ، فلما وقف أبو العميثل عليه راجع عبد الله بن  
طاهر فأجازها له . ولأبي تمام ابتداءت كثيرة تجري هذا المجرى كقوله :

« قدك أتد <sup>(٣)</sup> أربيت في الغلواء <sup>(٤)</sup> »

فإن الابتداء المستكره ليس من شرطه أن يكون مما يتطير به فقط وإنما يكون مستكرهاً كما  
أشرنا إليه من قول أبي تمام وما جانسه ، فاعرف ذلك .

واعلم أن الابتداء البديع البارع يكون داعياً إلى الاصغاء إلى ما بعده من الكلام ، ألا ترى  
أن الله تعالى قال : « حَم ، ألم ، وطسم ، وكهيعص » . فيقرع الأسماع شيءٌ بديع ، ليس لها  
بمثله عادة فيكون ذلك داعياً لها إلى الاستماع ، ولذلك استحسن من الابتداءات في الكتب  
« الحمد لله » لأن النفوس تتشوف إلى تمجيد الله — عز وجل — والثناء عليه ، وتميل إلى معرفة  
ما يأتي بعده من الكلام .

ومن أحسن الابتداءات ما ذكره مهيار فإنه أتى بالمعنى المقصود من أول كلامه فقال :

أما وهوأها عِذْرَةٌ وتَنْصُلًا      لقد نقل الواشي إليها فأحلا <sup>(٥)</sup>

سعى جُهدَه لكن تجاوز حدّه      وكثّر فارتابت ولو شاء قللاً

ألا ترى ما أطف هذا الاعتذار الذي قد أبرزه في عيئة القول ، وأخرجه في معرض النسيب ،

(١) من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين ، والشطر الثاني « فزماً فقد ما أدرك  
السؤل طالبه » (الديوان ص ٣٦) .

(٢) في الديوان « وسطنا » . (٣) في الأصل « قدكثد » مزوجة .

(٤) من قصيدة يمدح بها يحيى بن ثابت ، والشطر الثاني « كم تملون وأتم سجرائي ؟ ! »

(٥) أحل : قال المحال وهو فعل مشتق من مشتق غير الفعل مثل « تمسكن » من المسكين .

والمراد به الاعتذار الى المدوح ، وذلك من أبداع ما يكون في هذا الباب . ومما جاء على نحو منه قول بعض المتأخرين في أنوشروان <sup>(١)</sup> الوزير وقد خلع عليه :

خُلِّعْتَ مِنَ الْحَدَثَانِ أَحْصَنُ أَدْرَعِي      فَلَقَدْ سُوِّنَ عَلَى الْكَرِيمِ الْأُرُوعِ

وكذلك قوله وقد وشي في حقه الى المدوح :

وراءك أقوال الوشاة الفواجر      ودونك أحوال الغرام المُخْصَامِرِ

فلولا وُلُوعُ مَنْكَ بِالصِّدْقِ مَا وَشَرَا      ولولا الهوى لَمْ أَنْتَدِبْ لِلْمَعَاذِرِ

فسلك في هذا القول مذهب مهيار إلا أن في هذا زيادة على ما قاله مهيار ، وهي في المعاتبه على

الالتفات الى الوشاة ، والاستماع منهم وذلك من أعرب ما قيل في هذا المعنى ، فاعرفه .

ومن الابتداء آت في الكتب قول مؤلف الكتاب « الحمد لله رافع لواء الايمان ، وقامع

أولياء الشرك والبهتان ، الذي نصر الاسلام وأطلع نجومه ، وخذل الكفر وطمس رسومه » ،

فانه قد جيء بالمعنى المقصود وهو البشرى بهزيمة الكفار من أول الكتاب ، ومتى سمع الانسان

(١) هو معين الدين شرف الدولة أبو نصر أنوشروان بن خالد بن محمد الفيني القاشي الوزير ، ولد بالري سنة ٤٥٩ هـ « ونشأ نشأة الكتاب وتنقلت به الأحوال الى أن ولي الوزارة للسلطان مغيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في جمادى الآخرة سنة ٥١٧ هـ » وقدم معه بغداد واستوطنها وعزل عن الوزارة ثم أعيد اليها في رجب سنة ٥٢١ هـ « واستوزره الخليفة المسترشد بالله في أواخر رجب سنة ٥٢٦ هـ » وعزله في شهر ربيع الأول سنة ٥٢٨ هـ ثم استوزره السلطان مسعود أخو محمود المذكور ، ثم عزله سنة ٥٣٠ هـ فعاد الى بغداد وأقام معزولا مكرماً في داره بالحريم الطاهري بالجانب الغربي من بغداد الى أن توفي ثاني عشر صفر سنة ٥٣٢ هـ . وقيل في شهر رمضان قال ابن الجوزي « كان عاقلاً مهيباً عظيم الخلق دخلت عليه فرأيت من هيئته ما أدهشني وهو كان السبب في جمع المقامات التي أنشأها أبو محمد الحريري » وقال ابن الأثير « كان يستقيل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثم يخطب اليها فيجيب كارهاً » . وقال السمعاني « وكان قد جم الله فيه الفضل الوافر والعقل الكامل والتواضع والرعاية للحقوق » . وفي الحق أن سلامته من الأذى والقتل في ذلك العصر تدل وحدها على حسن سيرته وفضله ، وله كتاب « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » في تاريخ السلجوقيين ، بالفارسية ، أخذ منه العماد الأصفهاني في كتابه « نصره الفترة » ( تلخيص معجم الألقاب ) لابن القوطي ، والمنتظم لابن الجوزي « ج ١ ص ٧٧ » و « الكامل في سنة ٥٣٣ » وغيرها ، وأنساب السمعاني في « الفيني » و « نصره الفترة وعصرة الفترة » للعماد الأصفهاني « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس » ٢١٤٥ « والنجوم الزاهرة » ج ٥ ص ٢٦١ « و « شذرات الذهب » ج ٤ ص ١٠١ » . و « خريدة القصر وجريدة العصر » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ الورقة ٦٠ ، ٦٤ « و « الفخري » ص ٢٢٥ . وكشف الظنون في « فتور » .

هذا المطلع علم أنه يتضمن البشرى بإدالة المسلمين على المشركين من غير أن يحتاج إلى وقوف على حديث الواقعة . ومن ذلك قول بعض الكتاب في زمن المأمون وقد تَبَجَّتْ ناقةُ شخصٍ آدي ، فأمر أن يكتب بذلك الى البلاد فقال « الحمد لله خالق الأنام في بطون الأنام » ، فعبّر عن المراد في أول كلامه . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفها .

## النوع الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني

### في قوة اللفظ لقوة المعنى

وهو نوع من علم البيان شريف المحل ، لطيف المأخذ ، وإنما يعمد اليه لضرب من المبالغة . اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بد و<sup>(١)</sup> أن يتضمن من المعنى أكثر مما كان يتضمنه أولاً ، والدليل على ذلك أن الألفاظ هي أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها ، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني بقدر ما زيد في الألفاظ . وهذا لا نزاع فيه ، لبيانه ووضوحه . فن ذلك « خشن » و « اخشوشن » فعنى « خشن » دون معنى « اخشوشن » لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو . ونحو « فعل » و « افمعل » وكذلك قولهم « أعشب المكان » فإذا أرادوا كثرة العشب قالوا « اعشوشب » ومثله « فعل » و « افتمعل » نحو « قدر » و « اقتدر » فاقترأ أقوى معنى من قولهم « قدر » قال الله — تعالى — « أخذ عزيز مقتدر<sup>(٢)</sup> » فقتدر هنا أبلغ من « قادر » من حيث كان الموضوع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر الا عن وفور الغضب ، وكثرة السخط ، ومما ينتظم في هذه الأوزان من أسماء الفاعلين ، فإن بعضها أبلغ من بعض ، نحو « فاعل » و « فعيل » وما جرى مجراها .

ولقد سألتني بعض الأخوان عن « فاعل » و « فعيل » وأيهما أبلغ ؟ فقلت في الجواب

(١) زيادة الواو ها هنا ليست من الفصاحة في شيء ، وهي تفسد العبارة .

(٢) السورة « القمر » والآية « ٤٢ » وهي « كذبوا بآياتنا فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » .

ما أذكره ههنا وهو إن كانت العرب قد قالت إن « فاعلا » أبلغ من « فعيل » أو إن « فعيل » أبلغ من « فاعل » بغير علة أو جبت ذلك ولا سبب اقتضى تمييز أحدهما عن الآخر ، إلا تحكما محضا ، فذلك مُسَلَّم اليهم ، لأنه لغة القوم وكلامهم ، وهم المتحكمون فيه ، وإن كانت العرب لم تميز « فاعلا » على « فعيل » ولا « فعيلاً » على « فاعل » ولا قالت إن أحدهما أبلغ من الآخر فلنا نحن أن نبحت عن ذلك ، فإن وجدنا لأحدهما منزلة على الآخر ذكرناها ، وإن لم نجد كان لذلك أسوة بياقي لغتهم ، التي لا نعرف لها علة ، وإنما نأخذ عنهم بالنقل والتقليد ، ولما سألت ، أيها الأخ ، عن الفرق بين « فاعل » و « فعيل » وأيها أبلغ ؟ أنعمت النظر في ذلك مستعيناً بالله ، فسنح الفرق بينهما بما أذكره ، والله الموفق ، فأقول : أما الحكم على أن أحدهما أبلغ من الآخر فهو أن « فاعلا » أبلغ من « فعيل » . وأما علة الحكم فن وجهين :

الأول : أن « فاعلاً » لم يرد في كلام العرب إلا اسماً للفاعل فقط نحو « ضارب » اسم فاعل من « ضَرَبَ » و « قاتل » اسم فاعل من قَتَلَ ، وهذا مطَّرد في باب لم يأت غيره وأما « فعيل » فإنه يكون اسماً للفاعل وبمعنى « المفعول » فأما كونه اسماً للفاعل فنحو « ظريف » اسم فاعل من « ظرُفَ » و « كريم » اسم فاعل من « كرُمَ » وكذلك ما جرى هذا المجرى . وأما كونه بمعنى « المفعول » فهو نحو « قَتيل » و « جريح » اللذين هما بمعنى المقتول والمجروح . فلما كانت « فاعل » مختصاً باسم الفاعل لا يشاركه فيه غيره ، وفعيل يشترك فيه اسم الفاعل والمفعول كان ما هو مختص بالفاعل وحده أبلغ مما يشترك فيه الفاعل والمفعول ، وذلك لقوة الفاعل على المفعول وضعف المفعول عن الفاعل ، وما يختص بأمر قوي أبلغ مما يتردد بين أمرين قوي وضعيف . فإن قيل إن « فاعلاً » قد جاء بمعنى المفعول كما جاء « فعيل » بمعنى المفعول في قوله تعالى « ماءٍ دافقٍ » أي مدفوق قلننا : أما قولك إن « فاعلاً » قد جاء بمعنى المفعول واستدللك عليه بالآية فإنه ضعيف شاذ ، لأن ذلك لم ينقل جوازه عن العرب ولم يذهب إليه أحد من العلماء ، غير أن بعض<sup>(١)</sup> المفسرين قد ذكره وزيف قوله الجمهور ، وأجمعوا على مخالفته

(١) لم ينفرد بذلك واحد ففي الصحاح للجوهري « دفقت الماء أدفقه دفقاً أي صببته فهو ماء دافق أي =

وقالوا إن معنى قوله تعالى « ماء دافق » أي مندفق وذلك أيضاً اسم « فاعل » . من « اُنْفَعَلَ » نحو « اُنْطَلَقَ فهو منطلق » و « انمكف فهو منمكف » وما جرى هذا المجرى ، ثم لو نقل جواز هذا عن العرب وصح عنهم لما كان ناقضاً لدعوانا نحن في « فَعِيل » وأنه يجيء بمعنى « المفعول » شائعاً كثيراً في كلامهم ويصح عليه القياس . وما ذكرته أيها المعترض شاذ قليل لا يعتمد به ولا يقاس عليه ، لأنه لم يأت منه إلا لفظة واحدة أو لفظتان أو لفظات كماء دافق وعيشة راضية « والشائع الكثير في كلام العرب وغيره أرجح جانباً من الشاذ القليل ، وما يقاس عليه أبلغ مما ليس بمقيس ( عليه ) . وأما الوجه الثاني في إثبات أن « فاعلاً » أبلغ من « فعيل » فهو أن « فاعلاً » يكون اسماً للفاعل متعدياً كان أو قاصراً فهو إذا يعمها جميعاً نحو « غالب وجالس » ، وأما « فعيل » فانه لا يكون اسماً إلا للفاعل فعله قاصر غير متعد نحو « شريف ونبيه وغليظ » وهو مطرد في هذا الباب لم يأت في كلام العرب غيره ، فلما كان « فاعل » اسماً للفاعل المتعدي فعله والقاصر معاً ، و « فعيل » اسماً للفاعل القاصر فعله فقط كان « فاعل » أبلغ من « فعيل » المتعدي فعل فاعله إلى مفعوله ، وقصور فعل « فعيل » عن معموله فان قيل إن « فاعلاً » جاء اسماً للفاعل المتعدي فعله على غير وزن « فَعُلَ » نحو « خطبَ فهو خطيب » و « علم فهو عليم » وهذا يدل على أن « فاعلاً » مساو « لفاعل » في التعددي لأن « فاعلاً » قد جاء اسماً للفاعل متعدياً كان فعله أو قاصراً ، وكذلك قد جاء « فعيل » أيضاً كما رأينا .

قلنا هذا الذي أشرت إليه من أن فاعلاً قد جاء اسماً للفاعل المتعدي فعله على غير وزن « فَعُلَ » نحو « خطبَ فهو خطيب وعلم فهو عليم » مسلم اليك إلا أن ذلك لا يكون ناقضاً لما ذكرناه ولا اعتراضاً

== مدفوق كما قالوا سر كاتم أي مكتوم . لأنه من قولك : دفق الماء على ما لم يسم فاعله ، ولا يقال : دفق الماء . وفي المصباح المنير « دفق الماء دفقاً من باب قتل : انصب بشدة ، ودفقته أنا ، يتعدى ولا يتعدى فهو دافق مدفوق . وأنكر الأصمعي استعماله لازماً . قال : وأما قوله - تعالى - « من ماء دافق » فهو على اسلوب لأهل الحجاز وهو أنهم يحولون المفعول فاعلاً إذا كان في محل نعت والمعنى من ماء مدفوق . قال ابن القوطية : ما يوافق ، سر كاتم أي مكتوم وعارف أي معروف ودافق أي مدفوق وعاصم أي معصوم . وقال الزجاج : المعنى « من ماء ذى دفق » . قلنا : والصحيح قول الزجاج ، وهو الذي أثبتته المحققون .

عليه ، لأن الذي أوردته إنما كان يصح لك الاعتراض به على ما أشرنا إليه أن لو كان « خطيب » وحده اسم فاعل من « خطب » ولا يجوز فيه « خاطب » أو كان « عليم » اسم فاعل من عليم ولا يجوز فيه « عالم » وكذا الأصل في « خَطَبَ » أن يكون اسم فاعله « خاطب » ولهذا لا ترى وزن « فعيل » أبداً وهو اسم فاعل من « فَعَلَ أو فَعِلَ » الا وهو دخيل على « فاعل » لأنه الأصل وعليه القياس . والدليل على ذلك الاطراد والغلبة ، لأن من شروط القياس الاطراد والغالب عليه أن يكون كذلك . وهذا موجود في « فَعَلَ » و « فَعِلَ » فهو « فاعل » وأما « فعيل » منها فهو شاذ نادر والشاذ النادر لا ينقض القياس ، والدليل على أن « فعيلاً » شاذ في « فَعَلَ و فَعِلَ » فإنه قد جاء فيها ألفاظ معدودة لا غير ، وإنما اطراده وغلبته ( في ) « فَعَلَ » نحو « شَرَفَ فهو شريف » و « كَرَّمَ فهو كريم » و « نَبَهَ فهو نبيه » وكذلك ما جرى هذا المجرى ، على أنه قد شذ منه « فاعل » أيضاً نحو « طَهَّرَ » فهو طاهر ولا يقال فيه « طَهَّيرَ » فاعرفه .

فان قيل : إن « فعيلاً » هو اسم فاعل من الصفات الذوية <sup>(١)</sup> ، ولسنا نعني بذلك ما كان مقوماً للذات ، نحو الحياة التي لا تقوم الذات إلا بها ، وإنما نعني بذلك ما كان ملازماً للذات نحو « عليم وقدير وسميع وبصير » و « فاعل » هو اسم فاعل من الصفات العرضية نحو « ضارب وآكل وشارب » وما يكون مختصاً بصفة الذوات أبلغ مما يكون مختصاً بصفة الأعراض ، وأشرف محلاً ، الجواب عن ذلك : أننا نقول لو سلم لك يوماً المعترض ما ذكرته واطرد في بابه لكان ناقضاً لما ذكرناه نحن وادعيناه من أن « فاعلاً » أبلغ من « فعيل » وإنما قد جاء « فاعل » وهو أيضاً اسم الفاعل من صفات الذات نحو « عالم وقادر وسماع » وأشبه ذلك ، فقد عم « فاعل » إذن صفات الذوات وصفات الأعراض . وما

(١) نسبة إلى « الذات » ، وفي المصباح المنير « .. قال ابن برهان من النحاة : قول المتكلمين « ذات الله » جهل لأن أسماءه لا تلحقها ناء التأنيث فلا يقال علامة وان كان أعلم العالمين . قال : وقولهم « الصفات الذاتية » خطأ أيضاً فان النسبة الى ذات « ذوي » لأن النسبة ترد الاسم الى أصله . ثم نقل صاحب المصباح « وقد صار استعمالها بمعنى نفس الشيء عرفاً مشهوراً حتى قال الناس « ذات متميزة » و « ذات محدثة » ونسبوا اليها على لفظها من غير تغيير فقالوا « عيب ذاتي » بمعنى جبلي وخلقني .



كان عاماً للأمرين جميعاً كان أبلغ مما اختص بأحدهما دون الآخر .

فإن قيل قد قلت في كتابك : إن ما كان مختصاً بأمر قوي في بابه أبلغ مما تردد بين أمرين أحدهما قوي والآخر ضعيف ، وهذا الحكم قد وجدناه ههنا في « فَعِيلٌ وَفَاعِلٌ » ففَعِيلٌ مختص باسم الفاعل من الصفات الذويّة واسم الفاعل من الصفات العرضية ، فالذي يختص بالأشرف الأتقوى وحده أبلغ من الذي يترد بينه وبين ضده ، وهو الأدنى الأضعف . الجواب عن ذلك : أنا نقول قد سلمنا إليك أن « فاعلاً » الذي هو اسم الفاعل ها هنا متردد بين صفات الذوات والأعراض ولكن من أين لك ، أيها المعترض [الشاهد] ، بصحة ما ذكرته من أن « فَعِيلًا » الذي هو اسم الفاعل ها هنا يخصّ صفات الذوات دون صفات الأعراض ، فإن هذا شيء لم ينتظم لك سلسكته ، ولا رسا لك أصله ، لأنه قد جاء « فَعِيلٌ » أيضاً وهو « فاعلٌ » من صفات الأعراض نحو « نبيه ووجيه وبصير وفقير » وأشباه ( ذلك ) . فقد استوى إذن « فاعلٌ » و « فَعِيلٌ » في عمومهما لصفات الذوات والأعراض ، ولم يكن لأحدهما مزية على الآخر في هذا المعنى ، وتفرد « فاعلٌ » بالمزية على « فَعِيلٌ » فيما أشرنا إليه قبل هذا الموضع في هذا الباب من تعديده إلى معموله واختصاصه باسم الفاعل دون معنى المفعول ، وقد مرّ ذلك مستوفى في مكانه ، فاعرفه .

هذا ما صح لنا في الفرق ( بين ) « فاعلٌ وفَعِيلٌ » وأيهما أبلغ . والله الموفق (١) . ومما أشرنا إليه من ذلك كفاية للامراف بهذه الصناعة ، فإنه ينبغي أن يكون خبيراً بقياس هذه الأشياء على نظائرها وأشباهاها .

## النوع السادس عشر من الباب الأول من الفن الثاني

### في خذلان المخاطب

وهو الأمر بمعكس المراد ، ويدل ذلك على الاستهانة بالأمور ، وقلة المبالاة بأمره أي أي

(١) فات المؤلف الكلام على « فَعِيلٌ » المشتق من « فاعلٌ بفاعل » الرباعي وهو نحو « القربيع » من قارعه و « الشريك » من شاركه وهو لا يحصى كثرة .

مقابلك على فعلك ومجازيك بحسنه ، فمن ذلك قوله تعالى « واذا مسَّ الانسانُ ضرُّهُ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ، وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »<sup>(١)</sup> فقوله « تمتع بكفرك » من باب الخذلان ، كأنه قال له : إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حَقَّك أن لا تؤمر به بعد ذلك ، وتؤمرَ بتركه ، وهذا مبالغة في خذلانه لأن المبالغة في الخذلان أشد من أن يُبعث على ضدَّ ما أمر به .

ومن هذا الباب قوله تعالى « قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه »<sup>(٢)</sup> . الآية ، فان المراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان ، على ما سبق ذكره ، وفي هذا الكلام معنيان لطيفان : الأول رأى أن عبادتكم لله وعبادتكم لغيره إنما تنفع أوتضر لكم لا لسواكم<sup>(٣)</sup> والله - تعالى - لا يؤثر ذلك عنده شيئاً ، لأن مستغن عن عبادتكم له . الثاني توعدده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير إصرار بالوعيد ، وذلك أبلغ من الاصرار به ؛ لوقوع الموعود في حيرة من أمره ، وتراخي وهمه عند ذلك إلى كل خطبٍ عظيم من المجازاة والمقابلة ، كتكولك لمن عصى « افعل ما شئتُ إليّ مقابلك » وهذا نوع من علم البيان شريف<sup>(٤)</sup> .

## النوع السابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني

### في الاشتقاق

اعلم أن جماعة علماء هذه الصناعة يفضلون الاشتقاق على التجنيس ، وليس الأمر كما وقع لهم ، بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين من الكلام ؛ وذلك لأن التجانس<sup>(٥)</sup> في أصل الوضع

(١) السورة « الزمر » والآية « ٨ » .

(٢) السورة « الزمر » والآية « ١٤ - ١٥ » وتمامها « ... قل إن الخاسرين الذين خسروا

أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين » .

(٣) الفصيح « لا لمن سواكم » باضافة « من » الموصولة كقوله - ص - « وهم يد على من سواهم » .

(٤) في الأصل « الشريف » وهو لا يناسب سياق الكلام .

(٥) في المثل السائر « ج ٢ ص ٣٣٧ » التجنيس .

هو التماثل والتشابه ، يقال « جانس الشيء ( الشئ<sup>(١)</sup> ) إذا مائله وشابهه ، ولما كان الحال كذلك ، ورأينا من الألفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبيانه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم « التجانس » . وكذلك لما رأينا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم « التجانس » ، أيضاً ، فالتجانس ينقسم قسمين أحدهما تجانس في اللفظ والآخر تجانس في المعنى ، فأما التجانس في اللفظ فهو على بابه تجانس لم يجعل له اسم آخر كما جعل للتجانس في المعنى فإنه يسمى « الاشتقاق » أي أن أحد المعنيين مشتق من الآخر ، فهذا الموضع الذي كنا بصدد ذكره لا يليق أن نورد فيه إلا ما يختص بالمعاني ، لأنه من باب الصناعة المعنوية ، ولذلك أفردنا « الاشتقاق » وذكرناه هاهنا . وأما التجانس في الألفاظ . فسيأتي ذكره في باب الصناعة اللفظية .

واعلم أن الاشتقاق على ضربين : صغير وكبير ، فالصغير : أن يأخذ أصلاً من الأصول فيجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه ، كتركيب « س ل م » فانك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو « سلم وسالم وسلمان وسلمى والسليم » اللديغ : أطلق عليه ذلك تفاقولاً بسلامته ، وعلى هذا جاء غيره من الأصول كقولك « هشمك هاشم » و « حاربك محارب » و « سالمك سالم » و « أصاب الأرض صيب » لأن الصيب هو المطر الذي يشتد صوبه أي وقع على الأرض ، وأمثال ذلك كثيرة ، ولهذا الضرب من الكلام رونق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة ، فما جاء منه قول بعضهم<sup>(٢)</sup> :

« أحملتني سلمى لكاظمة اسلما »

وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية<sup>(٣)</sup> :

(١) زيادة ضرورية من المثل السائر .

(٢) هو البحري وهو مطلع قصيدة له يمدح بها أحمد وابراهيم ابني المدبر وتمة البيت :

« وتعلما أن الهوى ما هجتنا »

انظر الديوان « ج ٢ ص ٢٣٩ » طبعة مصر ، وانظر حاشية المثل السائر « ج ٢ ص ٣٣٩ » .

(٣) هذا البيت من كلمة لجرير يهجو بها الفرزدق أولها قوله :

وما ذات أرواق تصدى لجؤذر بحيث تسلقى عازب فالأواعس

وما زال معقولاً عقلاً عن الندى  
وقال غيره (١) :

لقد علم القبائل أن قومي  
لهم حدّ إذا لبس الحديد  
وأمثال هذه كثيرة ، فاعرفها .

وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل إليها ، كما يفعل الاشتقاقيون . ولنضرب لذلك مثلاً فنقول : إن لفظة « ق ر م » من الثلاثي لها ستة تراكيب وهي « ق ر م . ق م ر . م ر ق . م ق ر . م ر ق . ق ر م » فهذه التراكيب الستة يجمعها معنى واحد . وهو القوة والشدة ، فالقمر شدة شهوة اللحم وقمر الرجل « إذا غلب من يقامره » و « الرقم » الداهية وهي الشدة التي تلحق الانسان من أمره « وعيش مرهق » أي ضيق ، وذلك نوع من الشدة أيضاً « والمقر » شبه الصبر يقال « أمقر الشيء إذا أمر » وفي ذلك شدة على الدائق وكرهه « ومرق السهم » إذا نفر من الرمية ، وذلك لشدة مضائه وقوته . واعلم أنه إذا أسقط من تراكيب الكلمة شيء جائز ذلك في الاشتقاق ، لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها ، من تقديم حروفها أو تأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها . فنال ما سقط من تراكيب الثلاثي لفظه « و م ق » فإن لها خمسة تراكيب وهي : و م ق . م ق و . م و ق . ق م و . ق و م . وسقط من جملة التراكيب قسم واحد وهو « م ق و » وجميع هذه الكلمات المذكورة تدل على القوة والشدة أيضاً ، فالوسق (٢) من قولهم « استوسق الأمر » أي اجتمع وقوي . والوقس : ابتداء الجرب ، وفي ذلك شدة على من يصيب وبلاء . والسوق :

(١) هذا البيت للحيان بن ربيعة الطائي وهو من شعر الحماسة « التبريزي ج ١ ص ٢٧٩ » والصناعيين لأبي هلال « ٢٥٦ » وحاشية المثل السائر « ج ٢ ص ٣٣٩ » وفي رواية الحماسة « لهم جد » وذكر التبريزي أنه يروي « لهم حد » .

(٢) كذا ورد في الأصل المصور ولعله « منه » لأن المجرد أصل المزيد وهذا من بديهيات الاشتقاق .

متابعة السيرة وفي هذا عناء وشدة للسائق والمسوق . والقَسْوَة : شدة القلب وغلظه .  
والقَوْسُ : معروف ، وفيه نوع من الشدة والقوة لنزعه السهم وإخراجه الى ذلك الرمي  
المتباعد .

واعلم أنا لا ندعي أن هذا يطرد في جميع اللغة بل قد جاء شيء منها كذلك ، وهذا مما يدل  
على شرفها وحكمتها ، لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التقلبات ، وهي مع ذلك دالة  
على معنى واحد . وهذا من أعجب الأسرار التي توجد في لغة العرب وأغربها ، فاعرفه .

### النوع الثالث من الباب الأول من الفن الثاني

#### في الحروف العاطفة والجاراة

وهو نوع ينبغي لمؤلف الكلام مراعاته والعناية به ، لأن معانيه ودقائقه ، لا يتنبه لها إلا  
الفظن اللبيب ، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة تعرض له ولا ذكره ولا أقول إنهم لم  
يعرفوا ذلك أصلاً ، لأن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى ؛ لأنه مذكور في كتب  
العربية جميعها ، ولست أعني بإيرادها هنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع  
المعطوف ( المعطوف<sup>(١)</sup> ) عليه في الاعراب ، ولا أن الحروف الجارة تجر ما تدخل عليه بل أمراً  
وراء ذلك ، وإن كان المرجع فيه الى الأصل الذي ذكره علماء العربية في كتبهم فأقول :  
إن أكثر الناس يجعلون ما ينبغي أن يعطّف بالواو معطوفاً بالفاء ، وما ينبغي أن يعطف  
بالفاء معطوفاً بـثم ، وكذلك يجعلون ما ينبغي أن يكون « بعلى » « بفي » في حروف الجر . وفي  
هذه الأشياء دقائق ، أذكرها لك أيها المتأمل ، لتعلم السر فيها . فأمّا حرف العطف فنحو قوله  
تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نَظْفَةِ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ، ثُمَّ  
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ<sup>(٢)</sup> » ألا ترى أنه لما قال « من  
نظفة خلقه » كيف قال « فقدّره » ولم يقل « ثم قدره » لأن التقدير لما كان تابعاً للخلقة ،  
وملازماً لها ، عطفه عليها بالفاء ، وذلك بخلاف قوله « ثم السبيل يسره » لأن بين خلقته

(١) زيادة اقتضاها السياق . (٢) السورة « عبس » الآية « ١٧ — ٢٣ » .

وتقديره في بطن أمه وبين إخراجها منها وتسهيل سبيله مهلة وزماناً ، فلذلك عطفه « ثم » وعلى هذا جاء قوله تعالى « ثم أماته فأقبره » وقوله « ثم إذا شاء أنشره » لأن بين إخراجها من بطن أمه وبين موته تراخياً وفسحة ، وكذلك بين موته ونشوره أيضاً ، ولهذا عطفها « ثم » . ولما لم يكن بين موت الإنسان وإقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء ، وأمثال هذا كثيرة ، فينبغي لمؤلف الكلام تدبرها والاتبان بها في أمأكتها .

واعلم أن في حروف العطف موضعاً تلتبس فيه الفاء بالواو ، وهو موضع يحتاج إلى فضل تأمل لأنه شديد الاشتباه والالتباس ؛ وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطف عليه إلا بالفاء دون الواو ، وقد يجيء من الأفعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ويعطي ظاهراً أنه كذلك ، إلا أن معناه يكون مخالفاً لمعنى فعل المطاوعة ، فينعطف حينئذٍ بالواو لا بالفاء . وهذا موضع غامض يجب على المؤلف التحرز من الوقوع فيه ، فمن ذلك قوله تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً <sup>(١)</sup> » فقوله تعالى « أغفلنا قلبه » هنا بمعنى صادفناه (غافلاً <sup>(٢)</sup>) ، لأنه لو كان كذلك لكان معطوفاً عليه بالفاء وقيل <sup>(٣)</sup> « فاتبع هواه » وذلك أنه يكون مطاوعاً وفعل المطاوعة إنما يكون معطوفاً بالفاء دون الواو كقولك « أعطيتَه فأخذ ودعوته فأجاب » ولا تقول « أعطيتَه وأخذ ولادعوته وأجاب » كما لا تقول « كسرتَه وانكسر » وكذلك لو كان معنى « أغفلنا » في الآية « صددنا » و « منعنا » لكان معطوفاً بالفاء ، وكان يقال « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه » [ فلما لم يكن كذلك وكان العطف عليه بالواو ؛ فطريقه أنه لما قال : « أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه <sup>(٣)</sup> ] أن يكون معناه « وجدناه غافلاً » وإذا وجد غافلاً فقد غفل لا محالة ، وكأنه قال « ولا تطع من أغفلنا <sup>(٤)</sup> قلبه عن ذكرنا

(١) السورة « الكهف » والآية « ٢٨ » .

(٢) زيادة ضرورية من المثل السائر « ج ٢ ص ٥٣ » ويلي ذلك فيه « وإيس منقولاً عن « غفل » حتى يكون معناه : صددناه » .

(٣) زيادة من المثل السائر .

(٤) في المثل السائر « ولا تطع من غفل قلبه » وهو الموافق للمقام .

« واتبع هواه » أي لا تطع من فعل كذا وكذا . يُمدد أفعاله ، التي توجب ترك طاعته ، فأعرف ذلك وقس عليه .

وأما حرف الجر فنحو قوله تعالى : « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »<sup>(١)</sup> ألا ترى إلى بداعة هذا المعنى المقصود بمخالفة حرفي الجر هاهنا فانه إنما خولف بينها في الدخول على الحق والباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس جواد يركض<sup>(٢)</sup> حيث يشاء ، وصاحب الضلال كأنه منغمس في ضلاله مرتبك فيه فلا يدري أين يتوجه ، وهذا معنى دقيق قلما يراعى في الكلام وكثيراً ما سمعت إذا كان الرجل يلوم صديقه أو يُعاتب خليله على أمر من الأمور فيقول له « أنت على ضلالك القديم كما أعهدك » وهذا وإن كان جائزاً في الكلام إلا أن استعمال « في » هاهنا أولى لما أشرنا إليه ، ومن هذا النوع قوله تعالى : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ »<sup>(٣)</sup> فانه إنما عدل عن اللام إلى « في » في الثلاثة الأخيرة للايدان بأنهم أرسخ في الاستحقاق والتصدق عليهم ممن سبق ذكره ، لأن « في » للوعاء فنبه على أنهم أحقء بأن توضع فيهم الصدقات ويُجعلوا مظنة<sup>(٤)</sup> لها وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخلص وتكرير « في » في قوله تعالى « وفي السبيل » فيه فضل وترجيح له على الرقاب وعلى الغارمين ، وأمثال هذا مما يوجب مراعاته والاعتناء به [ كثيرة ] فاعرفه .

(١) السورة « سبأ » الآية « ٢٤ » وانظر المثل السائر « ج ٢ ص ٥٣ » فقد قدم لهذه الآية ما يوضح المراد من إيرادها .

(٢) في مختار الصحاح « الركض » تحريك الرجل ومنه قوله تعالى « اركض برجلك » ، وبابه نصر وركض الفرس برجله : استحثه ليعدو ثم كثر حتى قيل : ركض الفرس ، إذا عدا وليس بالأصل والصواب : ركض الفرس ، على ما لم يسم فاعله فهو مركوض .

(٣) السورة « التوبة » والآية « ٦٠ » وتامها « فريضة من الله والله عليم حكيم » .

(٤) في الأصل « وتجعل مظلة لها » ولا معنى له والصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ٥٤ » .

## النوع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني

### في التكرير

وهو قسمان : أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى ، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ  
فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه « أَسْرِعْ أَسْرِعْ » ومنه قول  
أبي الطيب المتنبي :

ولم أرَ مثلَ جِبراني ومِثلي لثلي عند مثلهم مقام<sup>(١)</sup>  
وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك « أطعني ولا تعصني » فإن الأمر بالطاعة  
نهي عن المعصية . وكل من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير ذلك . فالمفيد يأتي في الكلام  
تأكيداً له وتشبيهاً من أمره ، وإنما يفعل ذلك للدلالة على عظم محل الشيء ، الذي كررت فيه  
كلامك ، والإشعار بفخامته شأنه وعلو قدره ، أو الدلالة على حقارته والإعلام بهوانه واتضاعه<sup>(٢)</sup> .  
وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عَبَثًا وَخَطَلًا ، من غير حاجة اليه .

فأما الأول وهو الذي يوجد في اللفظ والمعنى ويدل على معنى فهو ضربان : مفيد وغير مفيد .  
فالضرب الأول وهو المفيد فرعان : الأول إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى  
واحد المقصود به غرضان مختلفان كقوله تعالى « وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ،  
وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ  
دَابِرَ الْكَافِرِينَ ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُسْطَلَّ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ »<sup>(٣)</sup> هذا تكرير في  
اللفظ والمعنى [ وهو قوله ]<sup>(٤)</sup> « يحق الحق وليحق الحق » وإنما جيء به هاهنا لاختلاف  
المراد ، وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين ، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة  
على غيرها لهم ، ونصرتهم عليها ، وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض .

(١) من كلمة له يمدح بها المغيب بي علي العجلي ومطلعها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللثام

(٢) في الأصل « وايضاعه » وهو من غلط الناسخ بعده عن المراد .

(٣) السورة « الأنفال » والآية « ٧-٨ » . (٤) زيادة واجبة من المثل السائر .



ومن هَذَا الباب قوله تعالى « قل إني أمرتُ أَنْ أعبد الله مخلصاً له الدين <sup>(١)</sup> .. إلى قوله « فاتقون » ألا ترى إلى هذا التكرير في قوله « قل إني أمرتُ أَنْ أعبد الله مخلصاً له الدين » وقوله « قل الله أعبد مخلصاً له ديني » والمراد به غرضان مختلفان وذلك أن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله عزَّ وجل بإحداث العبادة له والإخلاص في دينه . والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة ، مخلصاً له دينه ، ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني وأخبره في الأول ؛ لأن الكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانياً فيمن يُفَعَلُ الفعل لأجله ، ولذلك رتب عليه « فاعبدوا له شئتم من دونه » .

ومما أورد على نحو من ذلك قوله تعالى : « قل يا أيها الكافرون ... <sup>(٢)</sup> » إلى آخرها فقوله « لا أعبد » يعني في المستقبل لا تطلبوا مني عبادة إلهكم ، ولا أنتم فاعلمون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهين . « ولا أنا عابد ما عبدتم » أي « وما كنتُ قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه ، يعني أنه لم يُعْهَد في عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما ، فكيف يرجى ذلك في الإسلام ؟ ! ولا أنتم عابدون في الماضي في وقت ما ما أنا على عبادته الآن » . وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

ومن هذا الجنس قوله تعالى : « كَذَّبَتْ قومُ نوح المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعوني ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على ربِّ العالمين ، فاتقوا الله وأطيعوني <sup>(٣)</sup> » فإنه إنما كرر <sup>(٤)</sup> قوله « فاتقوا الله وأطيعوني » ليؤكدده عندهم وليقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعملة ؛ فجعل عملة الأول كونه أميناً فيما بينهم ، وجعل عملة الثاني حسم طمعه عنهم وخلوه من الأغراض فيما يدعوهم إليه .

(١) السورة « الزمر » والآية « ١١ ، ١٢ » وتامها « وأمرت لأكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه ، قل إن الحاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الحسران المبين ، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل . ذلك يخوف الله به عباده ، يا عبادي اتقوني » .

(٢) السورة « الكافرون » وهي « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي ديني » .

(٣) السورة « نوح » والآية « ١٠٥ - ١١٠ » .

(٤) في الأصل « قرر » وليس بمناسب للمراد .

من هذا النحو قوله تعالى « كذبت <sup>(١)</sup> قبلهم قومُ نوح و عادُ و فرعون ذو الأوتاد ، و ثمودُ و قومُ لوطٍ و أصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ، إن كُلُّ إلا كذبَ الرُّسلَ فحقَّ عقابي » وإنما كرر تكذيبهم ها هنا لأنه لم يأت به على أسلوب واحد ، بل تنوع فيه بضروب من الصنعة فذكره أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ، ثم جاء به بالجملة الاستثنائية ، فأوضحه بأن كلَّ واحد من الأحزاب كذبَ جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم . وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه ، والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً ، وما في الاستثناء من الوضع على جهة التأكيد والتخصيص من المبالغة المسجلة عليهم ، باستحقاق أشد العذاب في أبلغه [ من البيان ما لا خفاء فيه ] .

وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى غامض ، وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره ، فافهمه .

### الفرع الثاني من الضرب الأول

إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد كقوله تعالى : « والله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيسقطه في السماء كيف يشاء <sup>(٢)</sup> » إلى قوله : « ... لمبلسين <sup>(٣)</sup> » فقوله « من قبله » بعد قوله « من قبل » فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد وتناول فاستحكم بأسهم ، وتمادى إبلاسههم ، فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم .

ومثل هذا قوله تعالى : « فكان عاقبتهما أَنَّهُما في النار خالدن فيها <sup>(٤)</sup> » وكذلك قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا و يُحِبُّون أن يُحْمَدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم

(١) السورة « ص » والآية « ١٢ وما بعدها » .

(٢) السورة « الروم » والآية « ٤٨-٤٩ » وبعد ذلك « ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده لإذاهم يستبشرون ، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين » .

(٣) في الأصل « بمبتلين » وهو تصحيف .

(٤) السورة « الحشر » والآية « ١٧ » وتمامها « وذلك جزاء الظالمين » .

بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم <sup>(١)</sup> » ومن هذا الجنس قوله تعالى : « وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار <sup>(٢)</sup> » فإنه إنما كرر نداء قومه ها هنا لزيادة التنبيه لهم ، والايقاظ <sup>(٣)</sup> من سنة الغفلة ، ولأنهم قومه وعشيرته وهم فيما يورثهم من الضلال ، وهو يعلم وجه صلاحهم ، ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزّن لهم ، ويتلطف بهم ، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه ، فان سرورهم سروره ونعمتهم نعمه وإن لم ينزلوا على نصيحتهم لهم . وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الایجاز وأشدّ موقماً من الاختصار ، فأعرفه .

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر <sup>(٤)</sup> « فذوقوا عذابي ونذري » وقوله « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر <sup>(٥)</sup> » فانه تكرر ذلك في السورة كثيراً ، وفائدته أن يرددوا عند استماع كل نبي من أنباء الأولين اذكرا واتعاضا ، وأن يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً ، إذا سمعوا الحث على ذلك ، والبعث إليه <sup>(٦)</sup> وأن تُقرع لهم العصامات ، لئلا يغلبهم السهو ، وتستولي عليهم الغفلة .

وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن - جلّ وعلا - « فبأي آلاء ربكما تكذبان » وذلك عند ذكر كل نعمة عددها على عباده ، وأمثال هذا في القرآن الكريم كثيرة فأعرفها .

### الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى

وهو غير المفيد

وهو الذي يكون وجوده وعدمه سواءً لأنه لا يأتي ( إلا ) بمعنى واحد فقط ، فن ذلك

(١) السورة « آل عمران » والآية « ١٨٨ » .

(٢) السورة « غافر » والآية « ٣٨ - ٩ » .

(٣) في الأصل « عن سنة » وهو خلاف المسموع .

(٤) الآية « ١٦ » .

(٥) السورة « القمر » والآية « ١٧ » .

(٦) المشهور عند الفصحاء « بعثه عليه » أي حمّله عليه ، قال الزمخشري في أساس البلاغة « وبعثه على الأمر وتواصوا بالخير وتباعثوا عليه » .

ما أوردناه في صدر هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي :

ولم أرَ مثلَ جبراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مُقام  
إنه يقول : لم أرَ مثلَ جبراني في سوء الجوار وقلة المراعاة ، ولا مثلي في مصابرتهم ومقامي  
عندهم ، إلا أنه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين ، وعلى نحو ذلك جاء قوله :

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الْحِشَا      قَلَقَلَ عَيْسٍ كَلْهِنٍ قَلَاقِلٌ <sup>(١)</sup>

فإن صاحب اسماعيل <sup>(٢)</sup> بن عباد أنكر على أبي الطيب هذا البيت لأجل التكرير الذي  
فيه <sup>(٣)</sup> ورأيت الواحدي <sup>(٤)</sup> ذكر في شرحه لشعر أبي الطيب أنه لا يلزمه من هذا عيب وأنه  
قد جرت عادة الشعراء بمثل هذا كقول أبي منصور الثعالبي :

وإذا البَلَابِلُ أَطْرَبَتْ بِهِدِيلِهَا      فَأَنْفِ الْبَلَابِلِ بِاحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

ولقد أصاب صاحب بن عباد في استقباح بيت أبي الطيب ، وأخطأ الواحدي في الاعتذار  
عنه ، وتمثيل ذلك بقول الثعالبي . وبيانه أن بيت أبي الطيب قد ورد فيه ذكر القلقلة والقلقل  
أربع مرات ، وهن دلائل معنوية واحدة لا غير <sup>(٤)</sup> وهو الحركة يقول « وحركت بالهم الذي حرك

(١) من كلمة له فالها في صباه أولها :

فقاتريا ودقي فهانا المخايل      ولا تخشيا خلفاً لما أنا قائل

(٢) هو الوزير الأديب المشهور « ٣٢٦-٣٨٥ » .

(٣) لم نجد هذا في الرسالة التي وسماها بالكشف عن مساوي شعر المتنبي . وقد طبعها حسام الدين  
القدسسي بمصر سنة ١٣٤٩ هـ ووجدنا قول صاحب - ص ١٣ - وكان الناس يستبشعون قول مسلم « سلت  
وسلت ثم سل سليلها » حتى جاء هذا المبدع بقوله :

وأفجع من فقدنا من وجدنا      قبيل الفقد مفقود المثل

فالمصيبة في الرائي أعظم منها في المرثي . وقد نقل الثعالبي ذلك في اليتيمة « ج ١ ص ١٣٩ » طبعة  
الصاوي بمصر سنة ١٩٣٤ . ونقل غير ذلك ولم يذكر معه بيت القلقل . وقال عفيف الدين علي بن عدلان  
الموصلي تلميذ المؤلف في شرح ديوان المتنبي « المنسوب غلطاً إلى أبي البقاء العكبري » ج ١ ص ١٣١ « من  
طبعة الطبعة الشرفية بمصر سنة ١٣٠٨ هـ » وعاب صاحب اسماعيل بن عباد أبا الطيب بهذا البيت وقال :  
ماله قلقل الله أحشائه وهذه القافات الباردة ؟ ولا يلزمه من هذا عيب فقد جرت العادة بذلك .

(٤) قال ابن عدلان في شرحه « ٢ : ١٣١ » : « وقلقل عيس جمع قلقل وهي الناقاة الخفيفة ، وناقاة  
قلقل وفرس قلقل : إذا كانا سريعَي الحركة والقلقل الثانية : جمع قلقل وهي الحركة . قال أبو الفتح بن جني =

الحشا نوقاً سراع الحركة كلهن متحركات « وهذا من أقبح ما يكون من التكرير ، وأما بيت  
 الثعالبى الذي مثله الواحدى بيت أبى الطيب فليس مثالاً لأن لفظة « البلابل » قد وردت فيه  
 ثلاث مرات . وكل منها دال على معنى ، والبلابل الأولى جمع بلبل ، وهو طائر حسن الصوت ،  
 والبلابل الثانية جمع ببلبة ، وهي وسواس الصدر ، والبلابل الثالثة جمع ببلبة وهي مخرج الماء  
 من الأبريق ، فهو يقول : وإذا الأطيبار من البلابل هددتَ وغردتَ فانفِ البلابل من قلبك  
 باحتساء الخمر من بلابل الأباريق ، وهذا من أخف ما يكون من التجنيس . ومن ها هنا وقع  
 السهو للواحدى ، وهو أن « البلابل » فى شعر الثعالبى تدل على معانٍ مختلفة و « القلاقل » فى  
 شعر أبى الطيب تدل على معنى واحد ، فأعرف ذلك وقس عليه .

### القسم التالى من النوع الأول فى التكرير

وهو الذى يوجد فى المعنى دون اللفظ ، وهو ضربان : مفيد وغير مفيد

#### الضرب الأول المفيد وهو فرعاه :-

الأول إذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين مختلفين كدلالته على الجنس والعدد ، وهو  
 باب من التكرير مشكل ؛ لأنه يسبق الى الوهم أنه تكرير محض ، يدل على معنى واحد فقط ،  
 وليس كذلك . فما جاء منه قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إلهٌ  
 واحد<sup>(١)</sup> » ألا ترى أن العرب إنما جمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا  
 « عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة » لأن المعدود عارٍ من الدلالة على العدد المخصوص ، فأما  
 « رجل ورجلان وفرس وفرسان » فعدودان . فالفائدة إذن فى قوله تعالى : « إلهين اثنين  
 وإله واحد » وهو أن الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية [ يدل ] على الجنسية والعدد المخصوص ،

= الضمير فى « كلهن » لا يعس لالقلاقل ، يقول « قلاقل القلاقل » كما تقول « سراع السراع وخفاف الخفاف  
 وكقولك « أفضل الفضلاء » وهو أبلغ فى الوصف من أن يعود على القلاقل » . ثم ذكر بيت الثعالبى وقال  
 وفى هذا الذى ذكرناه ما يرد قول ابن عباد ، وبطله ما جاء عن رؤساء الشعراء .  
 (١) السورة « النحل » والآية « ٥١ » . وتامها « فإياي فارهبوني » .

فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد منها وكان الذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكد ، فدل به على التصدي إليه والعناية به . ألا ترى أنك لو قلت « إنما هو إله » ولم تؤكد به بواحد لم يحسن ، وخيّل إنك تثبت الإلهية لا الوجدانية . وهذا باب من تكرير المعاني وعر المسلك دقيق الغزى وبه محل مشكلات من التكرير فاعرفه .

ومن هذا النحو إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين : أحدهما خاص والآخر عام كقوله تعالى : « ولتكن منكم أمةٌ يَدْعُونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروف وَيَنْهَوْنَ عن المفكر <sup>(١)</sup> » الآية . فان الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير ، لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام . فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف ؛ لأن الخير أنواع كثيرة ، من جملتها الأمر بالمعروف ، ففائدة التكرير هنا أنه ذكر الخاص بعد ذكر العام ، للتنبيه على فضله كقوله تعالى « حافظوا على الصلواتِ والصلوة الوسطى <sup>(٢)</sup> » الآية . وأمثال ذلك كثيرة ، فاعرفها .

### الفرع الثاني من الضرب الأول من القسم الثاني

إذا كان التكرير في المعنى يدل معنى واحد . وقد سبق مثاله ، في أول هذا الباب ، كقولك « أظني ولا تعصي » لأن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية ، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب ، والتقرير لها في قلبه . والكلام في هذا الموضوع من التكرير كالسكلام في الموضوع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى ؛ إذ كان المراد به غرضاً واحداً .

### الضرب الثاني من القسم الثاني

في تكرير المعنى دون اللفظ

وهو غير المفيد فمن ذلك قول ابن هاني المغربي :

سارت به صيغ التصايد شرّاً  
فكأنما كانت صبياً <sup>(٣)</sup> وقبولاً

(١) السورة « آل عمران » والآية « ١٠٤ » . وتامها « وأولئك هم الفلحون » .

(٢) السورة « البقرة » والآية « ٢٣٨ » . وتامها « وقوموا قانتين » .

(٣) في مختار الصحاح « الصبا : ريح ومهبها المستوي أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها الدبور » . وفيه أيضاً « والقبول أيضاً : الصبا وهي ريح تقابل الدبور » .

فكأنه قد قال « فكأنما كانت صبياً وصبياً » لأن الصبأ هي القبول ، وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى » فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى . ولا مثل التكرير في قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف » فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ ؛ لأن كل واحدة من هاتين الآيتين تشتمل على معنيين : خاص وعام ، وقول ابن هاني « صبأً وقبولاً » لا يعطى إلا معنى واحداً لا غير ، وهذا لا يخفى على العارفين بصناعة التأليف .

ومن هذا النحو قول الصابي في كتاب : « وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء ، وانتظار له واستبطاء » فان التأخير والابطاء بمعنى واحد ، وقد يكون لهذا وجه في التجويز ، وهو التقرير في نفس المخاطب لبعده الأمد ، وتطاول المدة في انقطاع كتابته عنه ، وذلك مما لا بأس به في هذا الموضوع ، وأمثال ذلك كثيرة ، فاعرفها .

### النوع العشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في تناسب المعاني وهو ثلاثة أضرب :

#### الضرب الأول المطابقة وهي المقابلة :

اعلم أن جماعة العلماء من أرباب هذه الصناعة قد أجمعوا على أن المطابقة في الكلام : هي الجمع بين الشيء وضده ، كالسواد والبياض والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك أبو الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب فقال : « المطابقة إيراد لفظتين متساويتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى » . وهذا الذي ذكره قدامة هو ( التجنيس ) بعينه ، غير أن الأسماء لا مشاحة منها إلا إذا كانت مشتقة ، ولننظر نحن في مخالفة قدامة لجماعة العلماء في اسم المطابقة ليعلم الحق في أي الجهتين مقره ، وذلك أننا ننظر الى أصل المطابقة في وضع اللغة فان كانت مناسبة لما أجمع عليه العلماء تحققنا أن الحق معهم ، وإن كانت مناسبة لما ذكره قدامة تحققنا أن الحق في يده فرأينا : أصل الطباق في اللغة من « طابق البعير في سيره » إذا وضع رجله موضع يده ، وهذا يقوي

ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لا ضدها ، والموضع الذي يقعان منه واحد ، وكذلك العنبيان يكونان غير بن أي مختلفين ، واللفظ الذي يجمعهما واحد ، فقدمتة سمي هذا النوع من الكلام المطابقة ، حيث كان الاسم مشتقاً مما سمي به ، وذلك مناسب وواقع ( موقعه ) إلا أنه قد جعل للتجنيس اسماً آخر هو المطابقة ، ولا بأس به . وأما جماعة العلماء فكأنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقاً ، بغير اشتقاق ، ولا مناسبة بينه وبين مسماه . كذا هو الظاهر لنا من هذا الأمر ، إلا أن يكونوا قد عدوا لذلك مناسبة لطيفة ، لم نطلع نحن عليها ، ولزجج نحن إلى هذا النوع من التأليف ونحقق الكلام فيه فنقول :

اعلم أن الالتيق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع « المقابلة » لأنه لا يتخاو الحال في ذلك من ثلاثة أقسام : اما أن يقابل الشيء بضده أو بغيره ( أو يمثله ) <sup>(١)</sup> وليس لنا قسم رابع . فأما القسم الأول وهو مقابلة الشيء بضده ، كالسواد والبياض وما جرى مجراه فكقوله تعالى « فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَوَلْيَبْكُوا كَثِيراً » <sup>(٢)</sup> . ألا ترى الى صحة هذه المقابلة البديعة ؛ حيث قابل الضحك بالبكاء والقليل بالكثير ؟ . وكذلك قوله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » <sup>(٣)</sup> . وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » <sup>(٤)</sup> . ومن هذا قول بعضهم في السحاب :

وله بلا حزن ولا بمسرة ضحك يراوح بينه وبكاء

(١) زيادة يؤيدها ما جاء في تفصيل المؤلف للكلام .

(٢) السورة « التوبة » والآية « ٨١ »

(٣) السورة « الحديد » والآية « ٢٣ » وتعامها « والله لا يحب كل مختال فخور » . وقد جاء في الأصل « لكيلا تحزنوا » وهو تحريف . وانما جاء في الآية ١٥٣ من آل عمران « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون » .

(٤) ورد في المجازات النبوية « ٧٩ » والفائق « ج ١ ص ٦٢٨ » والنهاية « ج ٢ ص ١٩٦ » قال الشريف الرضي « وهذه استعارة لأن المراد بذلك عين الماء الجارية التي لا ينقطع جريها لئلا كما لا ينقطع نهراً ، فسماها ساهرة ، لهذا المعنى ، لأنها في ليها دائبة وعين صاحبها نائمة ، ولفظ السير في هذا الكلام أحسن ما حفل بهذا المعنى متلبساً ، وصب عليها ملبساً » .



فقابل الضحك بالبكاء ، والحزن بالسرور في بيت واحد إلا أن في ذلك نظراً ، من حيث ترتيب التفسير ، لا من حيث المقابلة ، لأن ترتيب التفسير يقتضي أن كان قال « فله بلا حزن ولا بمسرة » « بكاء يراوح بينه وضحك » . وهذا لا كبير عيب فيه ، وإنما الأولى والأليق ما أشرنا إليه ، فاعرفه ، وسيأتي بيانه ، وقال آخر :

فلا الجودُ يُفني المالَ والجُدُّ مُقبِلُ      ولا البخلُ يُبقي المالَ والجُدُّ مدبر

ألا ترى إلى هذه المقابلة البديعة التي قد أتى بها هذا الشاعر ؛ فانه قابل الجود بالبخل ويُفني يُبقي ومُقْبِلٌ بمدبر ؟ وهذا الكلام هو السهل الممتنع ، الذي هو كالنجم تراه قريباً على صفحات الماء وهو بأفق السماء . ومن هذا النوع أيضاً قول البحري :

وأمة كان قُبْحُ الجَورِ يُسْخِطُها      دهرأ فأصبح حُسْنُ العدلِ يُرضيها<sup>(١)</sup>

فقابل الحسن بالقبح ، والجور بالعدل ، والسخط بالرضى ، وذلك بديع في بابه ، فاعرفه . وأما القسم الثاني وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان أحدهما ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقابل ، كقول بعضهم .

يَحْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً      وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

فقابل الظلم بالمغفرة ، والظلم ليس ضدَّ المغفرة ، وإنما هو ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة بينها وبين الظلم ، وأمثال هذه كثيرة .

### الضرب الثاني من القسم الثاني :

في المقابلة وهو أن يقابل الشيء بما بينه وبينه بعد ولا مناسبة ( بينها ) بحال من الأحوال وذلك مما لا يحسن استعماله في التأليف ، مما جاء منه قول بعضهم :

أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بِالْعَلِيَاءِ رَافِعَةٌ      وَإِنْ تَكَامَلْ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

(١) الديوان « ص ٢٩ » طبعة رزق الله سركيس ببيروت سنة ١٩١١ ، وهذا البيت من قصيدة يصف فيها بركة للمتوكل على الله العباسي بإسحاراً أولها :

ميلوا الى الدار من ليلي نحيبها      نعم ونسأها عن بعض أهلها

فان ذلك غير مناسب ، لأنه إنما يكون يحسن الدل مع الفنج والشنب مع اللعس<sup>(١)</sup> أو ما يجري مجراه من أوصاف الثغر والغم .

وأما القسم الثالث من النوع العشرين فهو أن يقابل الشيء بمثله ، وهو ضربان : أحدهما التقابل في اللفظ والمعنى ، والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ ، فالضرب الأول كقوله تعالى : « نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ »<sup>(٢)</sup> . وكقوله تعالى « وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا وَمَكْرًا مَكْرًا<sup>(٣)</sup> » وأمثال هذا كثيرة ، والضرب الثاني فهو أن تقابل الجملة بمثلهما : إن كانت مستقبلة (بمستقبلة)<sup>(٤)</sup> وإن كانت ماضية قوبلت بماضية ، وربما قوبل الماضي بالمستقبل ، والمستقبل بالماضي ، وذلك إذا كان أحدهما في معنى الآخر : فمن ذلك قوله تعالى « قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فإِنَّمَا ضَلَلْتُ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي »<sup>(٥)</sup> فان هذا تقابل من جهة المعنى ، ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال « وان اهتديت فإنا اهتدي لها » . وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما هو عليها فهو بها ، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها ، لأنها الأمانة بالسوء ، وكل ما حولها مما ينفذها فبهداية ربها وتوفيقه إياها . وهذا حكم عام لكل مكلف ، وإنما أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يسنده الى نفسه ، لأن الرسول إذا دخل تحته مع علو محله وسداد طريقه كان غيره أولى به ، ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُومًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًّا إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّعِزِّ مَنْ يُؤْمِنُونَ »<sup>(٦)</sup> فإنه لم يراع التقابل في قوله « ليسكنوا فيه والنهار مبصراً » لأن القياس

(١) يشير المؤلف الى قول ذي الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثا وفي أنيابها شنب

قال مؤلف جهرة أشعار العرب — ص ٣٥٢ — « اللمي واللعي والحوة شيء واحد وهو سواد في الشفة . والشنب : رقة الأسنان . وقيل : حمرة تضرب الى السواد » .

(٢) السورة « التوبة » والآية « ٦٧ » . وتامها « إن المنافقين هم الفاسقون » .

(٣) السورة « النمل » والآية « ٥٠ » . وتامها « وهم لا يشعرون » .

(٤) زيادة اقتضاها السياق .

(٥) السورة « سبأ » والآية « ٥٠ » . وتامها « إنه سميع قريب » .

(٦) السورة « النمل » والآية « ٨٦ » .

يقتضي أن يكون « والنهار ليصروا فيه » وإنما هو مراعى من جهة المعنى ، لا من حيث اللفظ ، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف ، لأن معنى قوله « مبصراً » ليصروا فيه طُرُقَ التقلب في الحاجات .

ومن مقابلة الشيء بمثله أنه إذا ذكر المؤلف ألفاظاً تقتضي جواباً فالمرضي عندنا أن يأتي بتلك الألفاظ في الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها مما هو في معناها ، فمن ذلك قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئةً مثلها »<sup>(١)</sup> . ومما عيب في هذا الباب قول بعضهم « من افتري ذنباً عامداً أو اكتسب جرماً قاصداً لزمه ما جناه وحق به ما توخاه » . والأليق أن كان قال « لزمه ما اقترف وحق به ما اكتسب » ليكون أحسن طباقاً وإن كان ذلك جائزاً في الكلام من حيث إن معناه صواب ، لكنه عدول عن الأليق والأولى في هذا الباب . وأمثال هذا كثيرة فاعرفها .

واعلم أن في تقابل المعاني باباً عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل وزيادة نظر وتدبير ، وهو تخلص بالفواصل من الكلام المنثور ، وبالأعجاز من أبيات الشعر ، مما جاء من ذلك قوله تعالى في حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »<sup>(٣)</sup> ألا ترى كيف فصل الآية الأخيرة « بَيَعُمُون » والآية التي قبلها « بيشعرون » وإنما فعل ذلك لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتسب الناظر العلم والعرفة بذلك . وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دينوي مبني على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصاً عند العرب ، وما كان فيهم من التجارب والتعاود ، فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال فيه « يَشْعُرُونَ » وأيضاً فإنه لما ذكر السفه في الآية الأخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً ، فقال « لا يعلمون » .

(٢) السورة « الشورى » والآية « ٣٨ » .

(٣) السورة « البقرة » والآية « ١٢-١١ » . (٤) السورة « البقرة » والآية « ١٣ » .

وآيات القرآن الكريم جيمها فصلت هكذا ، كقوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » (١) . وكقوله « وَله ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد » (٢) وكقوله « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما في الأرض والفلكَ تجري في البحر بأمره » (٣) إلى قوله « ... لرؤوف رحيم » فإنه إنما فصلت الآية الأولى « بلطيف خبير » لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث ، وإخراج النبات من الأرض ، ولأنه خبير بمنفعتهم ومضرتهم ، في إنزال الغيث وغيره ، فأما الآية الثانية فأنما فصلت « بغي حميد » لأنه قال « ما في السموات وما في الأرض » فعرف الناس بأن جميع ما في السموات والأرض له لا حاجة بل هو غني عنها ، جوادها ، لأنه ليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان جواداً منعماً ، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه ، واستحق عليه الحمد ، فذكر الحمد ليدل على أنه الغني النافع بغناه خلقه . وأما الآية الثالثة فأنما فصلت « برؤوف رحيم » لأنه لما عدّد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر بهم ، وتسييرهم في ذلك الهول العظيم ، وجعله السماء فوقهم ، وإمساكها إياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله « رؤوف رحيم » أي إن هذا الفعل فعل رؤوف رحيم .

واعلم أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قدما توجد هذه الملائمة والمناسبة في كلام ناظم أو ناثر . وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر نفعاً منه ، ولا أعظم فائدة ، وهو مع ذلك دقيق المسلك ضيق المذهب ، فعليكم - معشر المنتصبين لهذه الصناعة - بتدبر مطاويه ، وإمعان النظر في مشكلاته . وكفى بما أشرنا إليه مثلاً لمن له لب .  
ومما جاء من هذا الباب في الشعر قول المتنبي :

(١) السورة « الحج » والآية « ٦٣ » . (٢) السورة « الحج » والآية « ٦٤ » .  
(٣) السورة « الحج » والآية « ٦٥ » . وتامها « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم » .

وَقَفَّتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شِكِّ لِرِوَاقِ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرِّدَى وَهُوَ نَائِمٌ (١)  
 تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى (٢) هَزِيمَةً وَوَجْهَكَ وَضَاحُ وَتَفْرُكُ بِاسْمٍ  
 ولقد أخذ عليه ذلك ، وقيل : لو جعل آخر البيت الثاني آخر الأول لكان أولى ؛ وحكاية  
 أخذه عليه أنه استنشده سيف الدولة يوماً قصيدته التي أولها :

« على قدر أهل العزم تأتي العزائم » . فلما بلغ إلى قوله : « وقفت وما في الموت شك لواقف »  
 البيتين قال له : وقد انتقدت عليك هذين البيتين كما أنتقد على امرئ القيس قوله :  
 كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جِوَادًا لِلذَّاةِ وَلَمْ أَتَبَسَّطَنَّ كَاعْبَاءَ ذَاتِ خَلْدِ خَالِ  
 وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّقَّ الرُّوِيَّ وَلَمْ أَقْلُ لُخْلِيَّ كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ  
 فبيتاك لم يلتئم شرطهما كما لم يلتئم بيتا امرئ القيس ، وكان ينبغي أن يقول :  
 كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جِوَادًا وَلَمْ أَقْلُ لُخْلِيَّ ...  
 وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّقَّ الرُّوِيَّ ...  
 وكذلك ينبغي أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وتفرك باسم  
 تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم  
 فقال المتنبي : إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا وهو أعلم بالشعر منه فقد  
 أخطأ امرؤ القيس وأخطأت ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الخائف ؛ لأن البزاز  
 يعلم جلته ، والخائف يعلم تفاصيله . وإنما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب للصيد وقرن  
 السباحة بسباء الخمر للاتصاف بالشجاعة في مُنازلة الأعداء ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر

(١) من كلمة له في مدح سيف الدولة الحمداني وقد سار نحو قلعة الحدث سنة « ٣٤٣ » هـ ومطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

« الديوان ، طبعته لجنة التأليف والترجمة بمصر ، ص ٣٧٤ — ٣٧٩ » .

(٢) كلمى : جمع كلم وهو الجريح .

البيت الأول أتبعته بذكر الردى في آخره ، ليكون أحسن طباقاً وتلازماً . ولما كان وجه الجرح المنهزم يكون عبوساً وعينه باكية قلت « وجهك وضاح وئفرك باسم » لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة كلامه . وأمثال ذلك كثيرة الا أنه يحتاج الناقد لها والميز بين جيدها وردئها إلى فكرة صافية ، وروية زائدة .

### الضرب الثاني من النوع العشرين

في صحّة التقسيم وفساده

اعلم أنا لم ترد بالتقسيم هاهنا ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون ؛ فان القسمة العقلية تقتضي أشياءً مستحيلة ، كما قالوا « الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة . أو لا مجتمعة ولا مفترقة . أو مجتمعة مفترقة معاً . أو بعضها مجتمعة ، وبعضها مفترقة » . ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الاقسام جميعها ، وإن كان من جملتها ما يستحيل وجوده ، فإنّ الشيء لا يكون مجتمعاً مفترقاً في حالة واحدة ، وإنما يزيد نحن بالتقسيم هاهنا ما يقتضيه المعنى ، مما يمكن وجوده ؛ وهو أن يأتي المؤلف إلى جميع أقسام الكلام المحتملة فيستوفينا ، غير تارك منها قسماً واحداً . فمن ذلك قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات »<sup>(١)</sup> فانه لا يخلو العالم من هذه الأقسام الثلاثة : إما عاص ظالم لنفسه وإما مطيع مبادر الى الخيرات وإما مقتصد بينها ، وهذا من أصحّ التقسيمات وأكملها ، فأعرفه .

ومن هذا النحو قوله تعالى « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون »<sup>(٢)</sup> الآية . واعلم أنّ هذه الآية مماثلة في

(١) السورة « فاطر » والآية « ٣٢ » وتامها « باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » .

(٢) السورة « الواقعة » والآية « ٩-١٢ » وتامها « أولئك المقربون ، في جنات النعيم » .

المعنى لما سبق ذكره ، فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم . وأصحاب الميمنة هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات . وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « هو الذي يرثكم البرق خوفاً وطمعا »<sup>(١)</sup> . ألا ترى الى بداعة هذه القسمة ؟ فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ، وليس لهم ثالث .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة المنتصبين في صدرها يعجبون بقول بعض الأعراب في هذا المعنى ، ويقولون إن ذلك من أصح التسميات وهو قوله « النعم ثلاث : نعمة في حال كونها نعمة ونعمة تُرجى مستقبله ، ونعمة تأتي غير محتسبه . فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجيه ، وتفضل عليك بما لم تحتسبه » . فقالوا إنه ليس في أقسام النعم التي يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الأعرابي . وهذا القول فاسد ؛ وهو أن في أقسام النعم التي قسمها هاهنا نقصاً لا بد منه ، وزيادة لا حاجة إليها ، فأما النقص فاغفاله ذكر النعمة الماضية ، وأما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلية : التي تأتي غير محتسبه ، وهذا خطأ لأن النعمة التي تأتي غير محتسبه هي داخله في قسم المستقبل ، وذلك أن النعمة المستقبلية تنقسم الى قسمين : أحدها يرجى حصوله ويتوقع بلوغه ، والآخر لا يحتسب ولا يشعر بوجوده ، فتواه « نعمة تأتي غير محتسبه » يوهم أن هذا القسم غير المستقبل ، وهو داخل في جملته ، ولو قال « نعمة مستقبلية » من غير أن يقول « نعمة تأتي غير محتسبه » لكان قوله كافياً ، إذ النعمة التي يرجى والنعمة التي لا تحتسب تدخلان تحت قسم المستقبل . وكان ينبغي أن يقول « النعم ثلاث نعمة ماضية ، ونعمة في حال كونها ، ونعمة تأتي مستقبلية ، فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ، ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها » . ألا ترى لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الصواب ، فافهم ما ذكرناه وقس عليه .

ووقف أعرابي على مجلس الحسن فقال : « رحم الله من أعطى من سعة أو واسى من كفاف أو آثر من قلة » . فقال الحسن : ما ترك لأحد عذراً ؛ فانصرف الأعرابي بخير كثير .

(١) السورة « الرعد » والآية « ١٢ » وتمامها « وينشئ السحاب الثقال » .

ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه (١) وذلك أنه أخذ على جميل (٢) قوله :  
 لو أن في قلبي كقدر قلامية حُباً وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَيْتُكَ رسائي  
 فقال أبو هلال : إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل . وليس الأمر كما وقع له ، فإن  
 « جيلاً » أراد به « وصلتك » أي أتيتك زائراً أو قاصداً أو « كفت راسلتك مراسلة » .  
 والوصل لا يخرج عن هذين التسمين إما رسالة وإما زيارة .

ومن أعجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي ، وهو  
 قول العباس بن الأحنف :

وَصَالُكُمْ هَجْرٌ وَهَجْرُكُمْ قَلْبٌ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلْمُكُمْ حَرْبٌ  
 ثم روى المشار إليه عن أبي القاسم الآمدي - رحمه الله - أنه قال إن بعض نقدة  
 الكلام من البلغاء لما سمع هذا البيت قال : « والله هذا أحسن من تسميات إقليدس (٣) » .

(١) يعني كتاب الصنائع .

(٢) قال حاجي خليفة في باب الهزة من كتاب « كشف الظنون » : « إقليدس في أصول الهندسة  
 والحساب وهو بضم الهزة وكسر الدال وبالعكس ، لفظ يوناني مركب من « اقلي » بمعنى المفتاح و « دس »  
 بمعنى المقدار وقيل الهندسة أي مفتاح الهندسة . وفي القاموس « إقليدس اسم رجل وضع كتاباً في هذا العلم  
 وقول ابن عباد : إقليدس اسم كتاب غلط ( انتهى ) . وفي شرح الأشكال للفاضل قاضي زاده الرومي :  
 حكى أن بعض ملوك اليونان مال إلى تحصيل ذلك الكتاب فاستعصى عليه حله فأخذ يتوسم أخبار الكتاب من  
 كل وارد عليه فأخبره بعضهم بأن في بلدة صور رجلاً مبرزاً في علمي الهندسة والحساب يقال له « إقليدس »  
 فتطلبه والتمس منه تهذيب الكتاب وترتيبه فرتبه وهذبه فاشتهر باسمه بحيث إذا قيل « كتاب إقليدس »  
 يفهم منه هذا الكتاب دون غيره من الكتب المنسوبة إليه » ( انتهى ) بل صار هذا اللفظ حقيقة عرضية  
 في الكتاب ... فيقال : كتبت إقليدس وطالعته ... » . وجاء في معجم الأدباء « ج ٢ ص ٤٤ » طبعة  
 مرغليوث نقلاً من كتاب « الوزيرين » لأبي حيان التوحيدي أن بعضهم قال « قرأت إقليدس » فقال له  
 أحمد بن نوبة الكاتب « وما كان إقليدس ؟ ومن هو ؟ » قال : رجل من علماء الروم . تسمى بهذا الاسم  
 وضع كتاباً فيه أشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الأشياء المألومة والغيبية ، يشحذ الذهن ويدقق الفهم ،  
 ويلطف المعرفة ويصفي الحاسة ويثبت الروية ومنه افتتح الخط ، وعرفت مقادير حروف المعجم » . وفي كشف  
 الظنون أن مؤلف الكتاب هو « ابولونيوس النجار » . وقد ترجم الففطلي « إقليدس المهندس النجار الصوري »  
 في تاريخ الحكماء « ص ٤٥ » طبعة مصر ، وأبولونيوس النجار « ص ٤٤ » .



ومن العجب كيف ذكر الفاسمي ذلك في كتابه وفاته النظر فيه مع تقدمه في هذه الصناعة .  
 وأعجب من ذلك قول أبي القاسم الأمدي ، وأعجب منها جميعاً استحسان ناقد الكلام لهذا  
 التقسيم ، ألا ترى أن هذا البيت قد بني عليه شيء آخر من جنسه فانه لو أضيف له بيت غيره  
 فقيل :

وَلَيْنَكُمْ عُنْفٌ وَقُرْبُكُمْ نَوَىٰ  
 وَإِعْطَاؤُكُمْ مَنَعٌ وَصِدْقُكُمْ كَذِبٌ

لجاز ذلك وربما يحتمل أن يزداد على هذا البيت الثاني بيت ثالث ورابع ، ولو كان ذلك  
 التقسيم في البيت الأول صحيحاً لما احتتمل أن يضاف إليه شيء آخر البتة ، لأن من شرط صحة  
 التقسيم أن لا يحتمل الزيادة .

ومما جاء على نحو من هذا قول بعضهم في حق مكسورين في الحرب ، « فن بين جريح  
 مضر ج بدمايه ، وهارب لا يلتفت إلى ورائه » . فان الجريح قد يكون هارباً ، والهارب قد  
 يكون جريحاً ، ولو قال « فن بين قتيل ومأسور وناج » لصح له التقسيم لأن المكسورين في  
 الحرب ، الذين دارت عليهم الدائرة ، لا يخرجون عن هذه الأقسام الثلاثة ، فاما قتيل أو مأسور  
 أو نازح ، وأما الجريح فانه يدخل في جملة الناجي ، والمأسور ، لأن كلاً منها يجوز أن يكون  
 جريحاً أو أن لا يكون ، فاعرف ذلك ، وقس عليه (١) .

### الضرب الثالث من النوع العشرين

وترتيبه في التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد

اعلم أن صحة ترتيب التفسير هي أن يذكر المؤلف في كلامه معاني مختلفة ، فاذا عاد إليها  
 بالذکر ليفسرهما ، قدم المقدم وأخر المؤخر ، وإذا لم يراع المؤلف ذلك كان مأخوذاً عليه ، لأنه  
 يخل بشطر من الصناعة ، فن ذلك قول بعضهم :

غَيْثٌ وَلَيْثٌ فَغَيْثٌ حِينَ تَسْأَلُهُ      عُرْفًا وَلَيْثٌ لَدَى الْهِجَاءِ ضَرْغَامُ  
 تَحْيَا الْأَنَامَ بِهِ فِي الْجَدْبِ إِنْ قُحْطُوا      جُودًا وَيَشْقَى بِهِ يَوْمَ الْوَعَى الْهَامُ

(١) كررها هنا شيئاً مما كتب نخذناه .

ومن هذا الباب قوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبصرة<sup>(١)</sup> » وكذلك قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله<sup>(٢)</sup> » . فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدر سبب الليل ، وهو السكون على سبب النهار ، وهو التعيش ، وذلك في غاية الحسن . ومن هذا النحو قول بعضهم :

يوم المُتيمِّمِ فيكَ حَولٌ كَاملٌ      يتعاقبُ الفَصلانِ فيهِ إذا أتى  
ما بينَ حَرَ جوىٍّ وماءِ مَدامعِ      إن حَنَّ صَافٍ وإن بَكَى وجداً شتا

وهذا من أصح التفسير فاعرفه ، ومن ذلك قول الآخر وهو غاية في بابه :

شَكَوتُ<sup>(٣)</sup> فَقالتِ كُلُّ هذا تَبرُّمٌ<sup>(٤)</sup>      بِحُبيِّ أراحَ اللهُ قَلبَكَ من حُبيِّ  
فَلما كَتمتُ الحَبَّ قالتِ لَشَدَّ ما      صَبرتَ وما هذا بِفعلِ شَجي القلبِ  
وأَدنو فَتَقصيني فَأبُعدُ طالِباً      رِضاها فَتَمَعَّدُ التَباعدُ من ذَبي  
فَشكوايَ تُؤذِها وَصَبري يَسوؤُها      وَتَجزَعُ من بُعدي وَتَفرُّ من قُربي  
فِيا قومُ هَل من حِيلةٍ تَعرِفونها      أَعينوا بِها<sup>(٥)</sup> وَاستوَجِبوا الأجرَ من رَبي

فما ترك هذا الشاعر شيئاً من المعاني التي ذكرها أولاً فيما يلاقيه من الحب والبلوى إلا فسرهما على هذا الترتيب ، فاعرف ذلك .

ومما أخذ على الفرزدق من هذا النحو قوله<sup>(٦)</sup> :

(١) السورة « الاسراء » والآية « ١٢ » وتمامها « لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلناه تفصيلا » .

(٢) السورة « القصص » والآية « ٧٣ » وتمامها « ولعلكم تشكرون » .

(٣) ذكر المبرد هذه الأبيات في الكامل لأحد الأعراب « ج ١ ص ٢٠٠ طبعة الدجوني بالقاهرة » وقد غنتها الغنية منيرة المهديّة المصرية .

(٤) رواية الكامل « كل هذا تبرماً » قال المبرد : قوله « كل هذا تبرماً » مردود على كلامه ، كأنها تقول له : أشكوتني كل هذا تبرماً « ولو رفع « كلا » لكان جيداً ، يكون « كل » هذا مبتدأ و « تبرم » خبره .

(٥) في الكامل « أشيروا بها » .

(٦) من كلمة له في قتل القعقاع بن عوف التيمي أولها « الديوان ص ٧٤٩ » .

وقالته والدمع يحدر كلهما      لبس المدى أجرى إليه ابن ضمضم

لقد خنتَ<sup>(١)</sup> قوماً لو لجأت إليهم طريدَ دم أو حاملاً ثقلَ مغرم

لألفيتَ منهم مُعطيّاً أو مُطاعنا وراءك شزرأ بالوشيح المقوم

لأنه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب ، وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول في البيت الأول ، ثانياً في البيت الثاني ، وهو قوله : « طريد دم » فقال : ( أو مطاعنا ) ، وكذلك أتى بتفسير ما هو ثان في البيت الأول أولاً في البيت الثاني ، وهو قوله : ( حاملاً ثقل مغرم ) فقال : ( لألفيت منهم معطيّاً ) والأولى أن كان أتى بتفسير ذلك مرتباً ؛ ففسر ما هو أول في البيت الأول بما هو ثان في البيت الثاني ، وما هو ثان في البيت الأول بما هو ثان في البيت الثاني ؛ وذلك لو سَلِمَ له الوزن . إلا أن هذا لا كبير عيب فيه . وإنما الأحسن ما أشرنا إليه .

واعلم أن الناظم إذ أتى بمثل ما أتى به الفرزدق لا ينكر عليه ذلك ، كما ينكر على الناثر ، وذلك أن الناظم يضطره الوزن والقافية الى اعتماد غير الواجب في تأليفه ، وترك الأولى في صناعته ، كما اضطر الوزن والقافية الفرزدق ، فانه لو أراد ان يأتي بمقتضى الصنعة لقال :

لقد خنتَ قوماً لو لجأت إليهم طريدَ دم أو حاملاً ثقلَ مغرم

« لألفيتَ منهم طاعناً بالوشيح المقوم أو معطيّاً »

وهذا ما يفسد به الوزن والقافية . وأما الناثر فانه لا يُضطرُّ الى مثل ذلك لتصرفه كيف شاء ، ولهذا كان الناثر مؤاخذاً بأداء هذه الصناعة أكثر مما يؤاخذ الشاعر ، فاعرف ذلك . ومما أخذ على الفرزدق قوله أيضاً :

كيف أسلو وأنتِ حِقْفُ وُغصْنُ وُغزالٍ لحظاً وردفاً وقدأ<sup>(٢)</sup>

والأصل في هذا أن قال : رِدْفًا وَقَدَاً وَلِحْظًا « وأمثال هذا كثيرة ، فاعرفها .

وأما فساد التفسير في هذا الباب فهو أن يأتي المؤلف بكلام يفسره تفسيراً لا يناسبه ، وذلك

عيب لا يسامح فيه بحال من الأحوال كقول بعضهم :

(١) في الأصل « جئت » وهو غير مستقيم والتصحيح من الديوان .

(٢) لم نجده في ديوان شعر الفرزدق جمع عبد الله اسماعيل الصاوي وأثر التوليد ظاهر عليه .

فيا أيها الحيران في ظلمة الدجى      ومَن خاف أن يلقاه بغي من العدا  
تعال إليه تلق من نور وجبهه      ضياءً ومن كفيه بحراً من الندى

وكان يجب لهذا الشاعر أن يجعل بازاء « بغي من العدا » ما يناسبه من النصرة أو الادالة أو الاعانة أو ما جرى هذا الجرى ، ليكون ذلك تفسيراً كما جعل بازاء الظلمة الضياء وفسرها به ، فأما أن وضع بازاء ما يتخوف منه « بحراً من الندى » [ فانه ] لا يكون تفسيراً له وأمثال هذا كثيرة ، فلتجتنب .

### النوع الحادي والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية المؤكدة بأن الشددة وتفضيل أحدهما على الآخر .

وذلك كقولنا « قام زيد » ، و « إن زيدا قائم » فقولنا : قام زيد . معناه ؛ الاخبار عن زيد بالقيام . وقولنا : إن زيدا قائم ، معناه ؛ الاخبار عن زيد بالقيام أيضاً . الا أن في الثاني زيادة كَيْسَتْ في الأول ، وهو توكيده بأن الشددة التي من شأنها الالتيان لما يأتي بعدها من الكلام ، فمن هذا النحو قوله تعالى : ( وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن <sup>(١)</sup> مستهزؤن ) . فانهم إنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ، وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بأن الشددة ، فقالوا : في خطاب المؤمنين ( آمنا ) ولأخوانهم ( إنا معكم ) لأنهم في مخاطبة أخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا على صدق ورغبة ووفور نشاط ، وكان ذلك متقبلاً منهم ورائجاً عند إخوانهم . وما قالوه للمؤمنين فانما قالوه تكلفاً وإظهاراً للإيمان ، خوفاً ومداجة ، وكانوا يملكون أنهم لو قالوه بأوكيد لفظ وأشدّه لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجاً ظاهراً لا باطنياً ، ولأنهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم ،

(١) السورة « البقرة » والآية « ١٤ » .

« إنا معكم » وهذه نكت دقيقة ولطائف خفية <sup>(١)</sup> لا توجد في نوع من الكلام العربي إلا في القرآن الكريم ، وما أكثر ذلك وأمثاله في أثنائه وأوفره ! مودعاً في <sup>(٢)</sup> غرضه ، فاعرفه وقس عليه .

## النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

### في ورود لام التأكيدي في الكلام

ولا يجيء ذلك إلا لضرب من المبالغة ، وفائدتها في التأليف أنه إذا عبر عن أمر يعز وجوده ، أو فعلٍ يعظم إحداثه ووقوعه ، جيء بها محفّمة لذلك ، وشاهدة ، فمن هذا الباب قوله عز وجل : « أفرايتم ما تحرّثون ، أنتم ترعون أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلنا من حطاماً فظلمتكم نفسيكم ، إنا كمنزّرون ، بل نحن محرومون ، أفرايتم الماء الذي تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلنا من أجله فلولاً تشكرون » <sup>(٣)</sup> . ألا ترى كيف أدخلت « اللام » في آية المطعوم دون آية المشروب ، وإنما جاءت كذلك لأنّ جعل الماء العذب ملحاً أسهل إمكاناً ، والوجود من الماء الملح أكثر من الوجود من الماء العذب ، وكثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة والمرارة ، فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحاً إلى زيادة تأكيد ، فلذلك لم تدخل عليه « لام التأكيدي » المفيدة زيادة للتحقيق ، وأما المطعوم فإن جعله حطاماً لما كان خارجاً عن المعتاد أو هو غير مألوف ، وإذا وقع فلا يكون إلا عن سخط شديد وغضب زائد ، لذلك قرن <sup>(٤)</sup> بلام التأكيدي زيادة في تحقيق أمره وتقرير إيجاده وكونه . وهكذا يفعل بكل أمر فيه خصوصية ، فاعرفه .

(١) في الأصل « خفيفة » وهي من أوهام النساخ .

(٢) يقال « أودعه الشيء » بنصبه المفعولين ، وفي مختار الصحاح « يقال : أودعه مالا أي دفعه اليه ليكون وديعة عنده ، وأودعه مالا أيضاً : قبله منه وديعة وهو من الأضداد » . وفي المصباح المنير « أودعت زيدا مالا : دفعته اليه ليكون عنده وديعة ... أو أخذته منه وديعة فيكون الفعل من الأضداد لكن الفعل في الدفع أشهر » . وقد استعير « أودع » لغير الوديعة فاستجاز المولدون استعمال « في » و « مع » في جلته ، كما استعمالوا « ورد فيه » .

(٣) السورة « الواقعة » والآية « ٦٣-٧٠ » . (٤) « لتلك » زائدة بعد قوله « لما كان » .

## النوع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في الاقتصاد والافراط والتفريط

فأما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى المضمن في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته .

وأما التفريط ، والافراط ، فهو أن يكون المعنى المضمن في العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه ، فأما انحطاطاً دونها وهو التفريط ، وإما تجاوزاً عنها <sup>(١)</sup> ، وهو الافراط ، لأن أصل التفريط في وضع اللغة من « فرط في الأمر إذا قصر فيه وضيّعه » ، وأصل الافراط في وضع اللغة من « أفرط في الأمر إذا تجاوز فيه الحد » فالتفريط عيب في الكلام فاحش ، وذلك كقول الأعشى : -

وما مُنْزِئِدٌ من خَليجِ الفِراتِ      جَوْنٌ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمْ <sup>(٢)</sup>  
بأجودَ منه بماعونه <sup>(٣)</sup>      إذا ما سماؤهم لم تغم

فإنه قد مدح ملكاً بأنه يجودُ بماعونه ، والماعون هو كل ما يستعان من قدومٍ أو قصعةٍ أو قدرٍ أو ما أشبه ذلك . وليس للملوك في بذله مدح البتة <sup>(٣)</sup> ، بل هو إلى الذي أقرب منه إلى المدح ، فهذا من أقبح التفريط .

(١) قال الجوهرى في الصحاح « وجاوزت الشيء إلى غيره وتجاوزته بمعنى أي جزته ، وتجاوز الله عنه أي عفا » وكذلك ما في المصباح المنير : « وجاوزت الشيء ، وتجاوزته : تعديته وتجاوزت عن الشيء : عفوت عنه وصفحته » ، ومنه يعلم أن المؤلف استعمل « التجاوز » الذي هو بمعنى العفو والصفح بمعنى الجواز وليس ذلك بصحيح .

(٢) من قصيدة يمدح بها قيس بن معدى كرب مطلعها :

أتهجر غانية أم تلم أم الجبل واه بها منجذم ! !

« ديوان الأعشى والأعشى الآخرين » ص ٢٨-٣٤ .

(٣) في الديوان ص ٣١ « بأجود منه بما عنده » . وفي الشرح « روى أبو عبيدة : بماعونه وقال الماعون في الجاهلية : كل عطية » . وعلى رواية الديوان لا يصح الانتقاد على المؤلف . وفي مختار الصحاح « الماعون : اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما . والماعون أيضاً : النساء ، والماعون أيضاً : الطاعة ، وقوله تعالى « ويمنون للماعون » قال أبو عبيدة : الماعون في الجاهلية كل منغسة وعطية ، وفي الإسلام : الطاعة والزكاة .

ومن هذا الباب قول أبي تمام :

ما زال يَهْزِي بالكارم والعلا حتى ظننا أنه مجوم<sup>(١)</sup>

فانه أراد أن يبالغ في ذكر المدوح باللهج بالكارم<sup>(٢)</sup> والعلا ، فقال « ما زال يهزدي »  
ولا أعلم ما كانت حال أبي تمام ، عند قوله هذا البيت ، ولا أعلم أي أمر اضطره اليه ، مع سعة  
جمال العربية ، وأنفساح مداها؟! ثم ما كفاه ذلك ، حتى قال : « ظننت أنه مجوم » وعلى نحو  
من ذلك ، قول بعضهم :

وتلحقه عند المكارم هزة كما انتفض المجهود من أم ملدم<sup>(٣)</sup>

ومن أقبح ما رأيناه في هذا الفن ، قول أبي تمام :

أنت دَلُو وذو السَّمَّاح أبو مو سى قلب ، وأنت دلو القَلَيْبِ<sup>(٤)</sup>

ومراد أبي تمام من ذلك ، أنه سبب لعطاء المشار اليه ، كما أن الدلو سبب في امتياح الماء من  
القليب . فهذا وأمثاله ، مما لا يجوز استعماله ، وإن كان المعنى المقصود به حسناً . ولهذا كانت  
لمدح ألفاظ ، لا يجوز استعمالها في الذم ، وللذم ألفاظ لا يجوز استعمالها في المدح ، ألا ترى أن  
من المعاني ما يعبر عنه بألفاظ متعددة ، ويكون المعنى المندرج تحتها واحداً ؛ فمن الألفاظ ،  
ما يحسن استعماله في المدح ، ومنها ما لا يحسن استعماله في الذم ، ولو كان هذا الأمر يرجع الى  
المعنى فقط لكانت جميع الألفاظ الدالة عليه شرعاً<sup>(٥)</sup> سواء في الاستعمال ، وإنما هذا يعود  
فيه الى العرف ، دون الأصل . ولنضرب لذلك مثلاً ، فنقول : هل يجوز أن يخاطب الملك ،

(١) من قصيدة له يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شيبانة أولها :

أسقى طولهم أجش هزيم وغدت عابهم نضرة ونعيم

الديوان ص ٢٢٦-٨ ، طبعة محمد علي صبيح و ج ١ ص ٢٩٩ ، طبعة محيي الدين الحياط .

(٢) في الأصل « باللهج والكارم » وهو غير متسق . (٣) أم ملدم : الحنى .

(٤) لم تقف على هذا البيت في الديوان ولعله استبدل به قوله :

لم أزل بارد الجوانح منذ خضت دلو في ماء ذاك القليب

« الديوان ص ٣٢ » .

(٥) أي أمثالا وأشباها .

فيقال له « وحق دماغك » . قياساً على أن يقال له « وحق رأسك » ؟ . فإن هذا مما لا يبيح  
أحد البتة . ألا ترى أن المؤلف ، إذا أراد المدح ، ذكر الرأس والهامة والكاهل وما جرى هذا  
المجرى ، وإذا أراد الهجو ، ذكر الدماغ والتفا والقذال ، وما جرى هذا المجرى ، وإن كانت  
معاني الجميع متقاربة . ولأجل ذلك حسنت الكناية في الموضع الذي يقبح فيه التصريح .  
وأمثال هذا الضرب من الكلام كثيرة ، فاعرفه .

وأما الإفراط ، فهو بمنزلة ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك أن رجلاً جاءه ،  
فكلمه فقال « ما شاء الله وشئت » . فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . أجمعتني لله  
نداً ؟ قل « ما شاء الله وحده » ، ومن هذا الباب قول عنتره :

وأنا المنية ، في المواطن كلها والطعن مني سابق الآجال  
فإن الطعن ، لا يسبق الأجل ، إذ الأجل لا يتقدم ولا يتأخر . وقد قيل « سابق » أقرب  
أمرأ من كونه تالياً ، غير أن كليهما إفراط في القول . ومما جاء على نحو من هذا قول بشار (١) .  
إذا ما غَضِبْنَا (٢) غَضِبَةً مُضَرَّبَةً

هتَكُنَّا حجاب الشمس أو قَطَرَتْ (٣) دَمَا  
وقال أبو عثمان الجاحظ في كتاب الحيوان (٤) « لم نعلم أحد أسرف (٥) في القول كالنابغة

(١) في الأغاني « ج ٣ ص ١٦٢ » طبعة دار الكتب المصرية .  
(٢) غضية ( بكسر العين ) مصدر هياة ، وهو على وزن « فعله » بكسر الفاء وتسكين العين . وقد  
ضبطته لجنة التصحيح في دار الكتب المصرية بفتح العين وذلك خطأ . وكذلك في « المختار من شعر  
بشار » ص ١٦٣ .

(٣) في الأغاني « أو تَطَرَّ الدما » وفي المختار « أو مطرت دما » .  
(٤) في « الحيوان » ج ٦ ص ٣٢٥ من طبعة عبد السلام هارون « ولا نعلم أحداً منهم ( من الشعراء )  
أسرف في هذا القول وقال قولاً يرغب عنه إلا النابغة فانه قال :

جوانح قد أيقن أن قبيله  
إذا ما التقى الجمعان أول غالب  
وهذا لا نثبته ، وليس عند الطير والسباع في اتباع الجوع إلا ما يسقط من ركبهم ودوابهم وتوقع القتل  
إذا كانوا قد رأوا من تلك الجوع مرة أو مراراً . فأما أن تقصد بالأمل أو اليقين إلى أحد الجمعين فهذا لم  
يقه أحد .

(٥) في الأصل « أسرق » والتصحيح من كتاب الحيوان .



حبث يقول :

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه  
عصائب طير تهتدي بعصائب  
جوانح قد أيقن أن قبيلة  
إذا ما التقى الجمعان أول غالب

لأنه ليس عند الطيور في اتباع الجموع والعساكر إلا ما يسقط من ركبهم ودوابهم إذ كانوا قد رأوا ذلك من تلك الجموع ، والفوه (١) منها ، فأما أن بقصدوا بالأمل واليقين لأحد (٢) الجمعين بالادالة والغلبة فهذا لم يقله أحد . وقيل إن بعض أفراد هذه الصناعة لما سمع قول قيس ابن الخطيم .

ملكته بها كفي فأنهت فتقها  
يرى قائم من دونها ما وراءها (٣)  
قال : هذا لم يطعنه وإنما فتح فيه بابا أو دربا .

واعلم أن علماء البيان في استعمال الافراط على ثلاثة أضرب :

(١) فمنهم من يكرهه ولا يراه صواباً كأبي عثمان الجاحظ فيما روي عنه .

(٢) ومنهم من يختاره ويؤثر كقدامة بن جعفر الكاتب فإنه كان يقول :

« الغلو عندي كان أجود المذهبين فإن أحسن الشعر أ كذبه (٤) » .

(٣) ومنهم من يذهب الى التوسط بين الغلو والتفريط ، وهو الاقتصاد ، وذلك أن

يجعل الغلو وهو الافراط مثلاً ثم يُستثنى فيه بـ ( لو ) أو بـ ( كاد ) أو ما جرى هذا المجرى ،

فيدرك مراده ويسلم من عيب عائب ، أو طعن طاعن ؛ وذلك كقول بعضهم :

يكاد يمسكه عرفان راحته  
ركن الخطيم إذا ما جاء يستلِم

(١) في الأصل « والقوة » والتصحيح من الحيوان .

(٢) في الأصل « لأجل » والتصحيح منه .

(٣) في صحاح الجوهري « وأنهرت الدم أي أسلته وأنهرت الطعنة أي وسعتها قال قيس بن الخطيم

« ملكته بها كفي فأنهت فتقها . . » .

(٤) قال ابن خلكان في ترجمة « أبي علي دعلج بن علي الخزازي » إنه قال « من فضل الشعر أنه لم

يكذب أحد قط إلا اجتواه الناس إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له ثم لا يقع بذلك حتى يقال له :

أحسنت والله . فلا يشهد له شادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى » . « ج ١ ص ١٩٨ » طبعة بلاد العجم .

وكمقول أبي عبادة البحرى :

ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما  
في وسمه لسمى اليك المنبر (١)  
وهذا المذهب المتوسط أبقى المذاهب الثلاثة ، وأدخلها في الصنعة ، فأعرفه .

### النوع الرابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

#### في المعازلة

وهو نوع من التأليف يجب اجتنابه ؛ لأنه عيب في الكلام فاحش . وأصل المعازلة في اللغة ؛ من تعاضلت الجرادتان : إذا ركبت إحداهما الأخرى ، فسمى [ تأليف ] الكلام الذي تداخلت معانيه ، وركب بعضها فوق بعض ، المعازلة ، مأخوذاً من ذلك وهو اسم لائق بسماءه . ووصف عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — زهير بن أبي سلمى فقال : « كان لا يعاقل بين الكلام » .

واعلم أن هذا الباب يجب تدبره لاختلاف أهل هذه الصناعة فيه ، فقال قدامة :

التعاقل (٢) : تداخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ، ولا أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة كقول أوس (٣) بن حجر :

وذات هدمٍ عارٍ نواشرها  
تصمت بالماءِ توكباً جدعاً (٤)

(١) الديوان « ج ١ ص ١٨ » طبعة رزق الله سرركيس بيروت .

(٢) أنظر كتاب « نقد الشعر » ص ٦٩ « مطبعة الجوانب ، وحاشية المثل السائر » ج ١ : ٢٩٣ .

(٣) البيت من قصيدة للشاعر يرثي بها فضالة بن كلدة ، انظر ذيل الأمالي ص ٣٤ طبعة دار الكتب المصرية . وأولها :

أيتمها النفس أجلي جزعاً  
إن الذي تحذرين قد وقعا

والهدم ( بكسر فسكون ) الخلق من الثياب . والنواشر : عروض ظاهر الكتب ، وتصمت تسكت ، والجدع بفتح الجيم وكسر الدال : السبيء الغداء .

(٤) قال الجوهري في الصحاح « وصي جدع : سبيء الغداء وقد جدع بالكسر جدعاً وأجدعته أنا : أسأت غداءه قال أوس بن حجر « وذات هوم عار نواشرها . . » .

فسمي الظبي<sup>(١)</sup> «تولباً» والتولب: ولد الحمار. هذا ما ذكره قدامة، وهو خطأ؛ لأنه لو كان ما ذهب إليه صحيحاً، لكان أصلُ المعازلة، في وضع اللغة دخول الشيء فيما ليس من جنسه. وليس أصلها في وضع اللغة كذلك، بل هو التداخل والتراكب. وهذا المثال الذي مثل به قدامة لا تداخل في معانيه ولا تراكب، وإنما هو استعارة فاحشة فقط، فوجب حينئذٍ أن لا تسمى معازلة «لأن حقيقة المعازلة ليست موجودة فيه. وأما جماعة الأصحاب من علماء البيان، فانهم خالفوا قدامة فيما ذهب إليه، والحق في أيديهم، لا تبعاعهم في ذلك حقيقة هذا الاسم، الذي وضع له في أصل اللغة. وقد مثله الغامبي بقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكا  
أبو أمه حي أبوه يقاربه<sup>(٢)</sup>

وهذا مثال حسن لوقوعه على ما مثل به، ألا ترى إلى تداخل معاني هذا البيت بتقديم ما كان يجب تأخيرهُ، وتأخير ما كان يجب تقديمه؟ لأن الأصل في معنى هذا البيت. «وما مثله في الناس حي يقاربه، إلا مملكا، أبو أمه أبوه». واعلم أن هذا الذي أشرنا إليه من المعازلة بأبه التقديم والتأخير، وقد سبق ذكره في كتابنا هذا. إلا أن المعازلة، قد جعل لها أهل هذه الصناعة؛ باباً مفرداً في كتبهم، فلم نر مخالفتهم في هذا القدر، لكننا بيننا حقيقتها في بابها وأشرنا إليها بأوضح إشارة وأحظها ليعرف موضعها من التأليف.

(٥) في الأصل «الصبي» والتصحيح من المراجع الأدبية.

(٢) من قصيدة للفرزدق مدح بها إبراهيم بن هشام بن اسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان، قال أبو العباس المبرد في الكامل «١ : ٢١ - ٢» «طبعة اللجوني» يعني بالملك هشاماً. أبو أم ذلك الملك: أبو هذا المدوح. ولو كان الكلام على وجهه لكان قبيحاً وكان يكون إذا وضع السلام في موضعه أن يقول «وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك، أبو أم هذا الملك أبو هذا المدوح» فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله:

تصرم مني ود بكر بن وائل  
وما كاد مني ود ثم يتصرم  
قوارس تأتيني فيحتقرونها  
وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

## النوع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

### في التضمين

وهو مما يزدادُ به الكلامُ حلاوةً ، ويكتسب به رونقاً وطلاوةً ، ولا سيما إذا كان التضمين بآيات من القرآن الكريم فإنها تكون في الكلام كاشاهدة له ، والمنادية على سداده .

واعلم أن التضمين على ضربين : أحدهما ، تضمين الاسناد وذلك يقع في بيتين من الشعر وفقرتين من الكلام المنثور ، على أن يكون الأول مسنداً الى الثاني ، فلا يقوم الأول بنفسه ، ولا يتم معناه إلا بالثاني . فما جاء من ذلك قول بعضهم :

وَمِنَ الْبَلْوَى الَّتِي لِي . . . س لَهَا فِي النَّاسِ كُنْهُ

أَنَّ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئاً يَدْعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

ألا ترى أن البيت الأول لم يقيم بنفسه ولا تم معناه إلا بالبيت الثاني ؟ ويجوز أن يكون

البيت الثاني لغير قائل البيت الأول كقول بعضهم :

وَلَا أَنَا نِي مِنْ حِمَاكَ تَحِيَّةٌ تَضَوَّعُ مِنْ أَثْنَائِهَا الْمَسْكُ وَالنَّدَى

وَوَقَفْتُ فَأَعْيَيْتُ الرَّسُولَ تَسَاؤُلًا وَأَنْشَدْتَهُ بَيْتًا لَهُ الْمَثَلُ الْفَرْدُ

« وَحَدَّثَنِي يَا سَعْدُ عَنْهُمْ فَرَدْتَنِي جَنُونًا فَرَدْتَنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ »

وأمثال هذا الضرب من الكلام كثيرة ، فاعرفها .

الضرب الآخر من التضمين : وهو أن يضمّن الشاعر شعره ، أو النثر نثره ، بكلام<sup>(١)</sup> لغيره قصداً للاستعانة<sup>(٢)</sup> على إتمام المراد ، وتأكيذاً لمعناه ، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى صحيحاً لا يحتاج إلى تمام . وربما ضمّن<sup>(١)</sup> الشاعر شعره بنصف بيت أو أقلّ منه كما قال

(١) في مختار الصحاح « وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمّنته لياه ، والمضمّن من الشعر ما ضمّنته بيتاً والمضمّن من البيت ما لا يتم معناه إلا بالذي يليه » وبهذا يعلم أن المؤلف قد جاوز الفصيح في تعدّيته « ضمن » الى مفعوله الثاني بالباء .

(٢) في الأصل « للاستعانة » والتصحيح من المثل السائر « ج ٢ ص ٣٤٤ » .

قم فاسقنيها يا غلامٌ وغنني  
« ذهب الذين يُعاش في أكنافهم » (٢)

ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت :  
« ذهب الذين يعاش في أكنافهم » . . . . .

لكان المعنى صحيحاً لا يفتقر إلى شيء آخر يتممه ؟ فإن قوله :

قم فاسقنيها يا غلامٌ وغنني  
. . . . .

فيه كفاية ، إذ لا حاجة إلى تعيين الغناء أي شيء هو ؛ لأن في ذلك زيادة على المعنى المفهوم  
لأعلى الغرض المقصود . وقد استعمل هذا الضرب كثيراً الخطيب عبد الرحيم بن نباتة  
كقوله في بعض خطبه : « فيا أيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون !؟ مالسكم  
منه لا تُشفقون؟! فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ » (٣) .

وكقوله في ذكر يوم القيامة : « فيومئذٍ تَفِدُّ الخلائق على الله بُهْمًا ، فيحاسِبُهُم على  
ما أحاط به علماً ، ويُنفذ في كل عاملٍ بعمله حُكْمًا ؛ وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ ، وقد خاب

(١) يفتح الجيم وسكون الهاء المهملة وفتح الظاء المعجمة وبعدها هاء ، وهي صفة من في عينيه تتوه كثير ،  
وهو لقب أبي الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي النديم الأديب الظريف الشاعر المنجم  
الراوية المعنى الطنبوري ، له عدة كتب في عدة فنون ، ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ أو ٣٢٦ هـ  
« تاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ٦٥ » ، ومعجم الأدباء « ج ١ ص ٣٨٣ » طبعة مرغليوث ، والوفيات  
« ج ١ ص ٤٣ » طبعة بلاد العجم .

(٢) أحد أبيات ثلاثة هي :

أصبحت بين معاشر هجروا الندى	وتقبلوا الأخلاق من أسلافهم
قوم أحاول نولهم فكأنما	حاولت تف الشعر من آنافهم
هات أسقنيها بالكبير وغنني	« ذهب الذين يعاش في أكنافهم »

والشطر الثاني للبيد بن ربيعة وهو صدر بيت له ، هو :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم  
وبقيت في خلف كجلد الأجر

« الوفيات ١ : ٤٣ » .

(٣) السورة « الذاريات » ، الآية « ٢٣ » .

من حمل ظمأً» (١). ألا ترى إلى براعة هذا التضمين ، الذي كأنه رَصِع (٢) في هذا الموضع رَصعاً؟! وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة . « هنالك يقع الحساب على ما أحصاه الله كتاباً ، وتكون الأعمال المشوبة بالنفاق سرايا . يوم يقوم الروح والملائكة صفاً . لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً » (٣) .

وعلى نحو من ذلك جاء قوله : « أسكتهم ، والله ، الذي أنطقهم ، وأبادهم الذي خلقهم ، وسبيجدهم كما أحلقهم ، ويجمعهم كما فرقهم ، يومَ يُعبد الله العالمين خلقاً جديداً ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً ، يوم تكونون شهداء على الناس » ويكون الرسول عليكم شهيداً (٤) .  
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وبينه أمدًا بعيداً (٥) . وكتوبه في صفة أهل الجنة : « قد أنسوا بجوار الجبار ، وكوشفوا بحقائق الأسرار ، وتبوؤوا منازل الشهداء والأبرار ، والملائكة يدخُلون (٦) عليهم من كلِّ بابٍ ، سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعمهم عُقبي الدار » (٧) .

وعلى هذا النهج ورد قوله في ذكر القيامة « هناك يرفع الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويجمع من وجب له الثواب ، ومن حق عليه العقاب ، فضُربَ بينهم بسُور له بابٌ باطنه فيه الرحمة وظاهره فيه من قبله العذاب » (٨) .

وأمثال هذه التضمينات في الخطب التي للشيخ عبد الرحيم (٩) كثيرة ، فاعرفها ، فهي من

(١) السورة « طه » والآية « ١١١ » .

(٢) في الأصل « وضع » ولا يفيد المراد ، يقال « رصم بالشيء كفرح ، رصعاً كفرح أي لصق به » .

(٣) السورة « النبا » والآية « ٣٨ » . (٤) السورة « البقرة » والآية « ١٤٣ » .

(٥) السورة « آل عمران » والآية « ٣٠ » .

(٦) في الأصل « يدخلونها » وفي الآية « يدخلون » .

(٧) السورة « الرعد » والآية « ٢٣ - ٢٤ » .

(٨) السورة « الحديد » والآية « ١٣ » .

(٩) لعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني كلام جيد في خطب ابن نباتة هذا تجده في : « شرح

نهج البلاغة » ج ١ ص ١٤٢ وج ٢ ص ٢٣٣ .

عجب ما يبجي ، في هذا الباب .

## النوع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني في الاستدراج

وهو التوصل إلى وصول الغرض من المخاطب ، والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود ، من حيث لا يشعر به ، وفي ذلك من الغرائب ، والدقائق ما يوثق السامع ، ويطر به <sup>(١)</sup> ؛ لأن مبنى صناعة التأليف عليه ، ومنشأها منه ، فما جاء من هذا الباب ، قوله تعالى : « واذكر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صديقاً نبيّاً ، إذ قال لأبيه : يا أبتِ لمَ تَعْبُدُ ما لا يسمَعُ ، ولا يُبصرُ ، ولا يُغني عنك شيئاً ، يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ، فأتبعني أهدك صراطاً سوياً ، يا أبتِ لا تَعْبُدِ الشيطان إنَّ الشيطان كان للرحمان عَصِيّاً ، يا أبتِ إني أخفُ أن يمسَّكَ عذابٌ من الرحمن ، فتكون للشيطان ولياً » <sup>(٢)</sup> . هذا كلام ، يهز أعطاف السامعين ، ويهيج نفوس المتأملين ، فمليك ، أيها المترشح لهذه الصناعة ، بامعان النظر في مطاويه ، وترداد الفكر في أمثاله ، واتخاذة قدوةً ونهجاً تقتفيه ، ألا ترى حين أراد إبراهيم ، أن ينصح <sup>(٣)</sup> أباه ، وبمظه مما كان متورطاً فيه ، من الخطأ العظيم ، الذي عصى به أمر العقل ، كيف رتب الكلام معه ، في أحسن اتساق وانتظام ، مع استعمال الجمالة ، واللفظ ، واللين ، والأدب الجميل ، والخلق الحسن ؟! مستنصحاً في ذلك بنصيحة ربه ؛ وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطيئته طلب مُنبّه على تمارده ، مُوقظ ( له ) لافراطه ( في غفلته ) وتناهيه ، لأن المعبود لو كان حياً ، متميزاً ، سميعاً بصيراً ، مقتدرّاً على الثواب ، والعقاب ، إلا أنه بعض الخلق ، لا يستخف <sup>(٤)</sup> عقل من أهله للعبادة ، ووصفه بالرَّبوبية ، ولو كان أشرف الخلق ، كاللائكة ، والنبیین فكيف لمن جعل المعبود جماداً ، لا يسمع ، ولا يبصر ، ! ثم ثنّى ذلك بدعوته الى الحق ، مترقياً به ، متطلعاً ، فلم يسمِ أباه بالجهل المطلق ، ولا نعتَه بالعلم الفائق ، ولكنه قال : « إن معي

(١) كذا ورد بالباء ومنه الاطراب وفيه بعد . (٢) السورة « مريم » والآية « ٤١ - ٥٥ » .  
(٣) في مختار الصحاح « نصحه ونصح له ينصح بالفتح فيها نصحاً ونصاحته بالفتح وهو باللام أفصح قال الله تعالى : وأنصح لكم » .  
(٤) في التل السائر « ج ٢ من ٧٠ » « لستخف » .

لطائف<sup>(١)</sup> من العلم ، وشيئاً منه . وذلك علم الدلالة على الطريق السوي . فلا تستنكف ، وهب  
 أني<sup>(٢)</sup> وإياك في مسير ، وعندني معرفة بالهداية دونك ، فاتبعني أنجحك من أن تضل وتتيه .  
 ثم ثلث ذلك بتثبيطه ونهيه عما كان عليه ، بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن ، الذي  
 جميع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوك وعدو أبيك آدم ، هو الذي ورطك في هذه  
 الورطة ، وألقاك في هذه الضلالة . إلا أن إبراهيم — عليه السلام — لامعانه في الاخلاص ،  
 لم يذكر من جناتي الشيطان ، إلا التي تختص منها بالله — عز وجل — : عصيانه  
 واستكباره<sup>(٣)</sup> . ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم — عليه السلام — وذريته . ثم رجع  
 ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما يُنتجُ عليه من الوبال . ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب ،  
 بحيث لم يصرح بأن العقاب لا يحق لأبيه ولكن قال « إني أخف أن يمسك عذاب » فذكر  
 الخوف والمس إغظاماً لها ، ونكر العذاب<sup>(٤)</sup> ، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة

- (١) المثل السائر « ج ٢ ص ٧٠ » لطائفه « والذي في المتن أولى منه لأنه جمع « لطيفة » وهي  
 الدقيقة التي تصدر عن ذهن وفاد وتفكير مستجاد .  
 (٢) قال الحريري في « درة الغواص في أوامير الخواص » .  
 « ويقولون : هب أني فعلت ، وهب أنه فعل . والصواب : هبني فعلت وهبه فعل . كما في قول عروة  
 ابن أذينة :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي      أقبلت نحو سقاء القوم أبترد  
 هبني بردت ببرد الماء ظاهره      فن نار على الأحشاء تنقد ؟

وهب : فعل غير متصرف بمعنى عد واحسب . قال شهاب الدين محمود الألوسي « فعبى « هبني » مثلاً  
 « عدني واحسبني » وفيه على ما قال ابن بري أنه إذا كان بمعنى « احسب » وهو مما يتعدى الى مفعولين  
 كسائر أفعال باب « علم » جاز أن يدخل على « أن » ومعمولها فيسدان مسد مفعوليه كما في أخواته ، على  
 أنه قد سمع ذلك فلا مانع مما أنكره قياساً واستعمالاً ، وفي المعنى : هب بمعنى ظن ، الغالب تعديبه الى صريح  
 المفعولين كقوله :

فقلت أجزني أبا خالد      وإلا فهبني امرءاً هالكاً

ووقوعه على « أن » وصلتها نادر حتى زعم الحريري أن قول الخواص « هب أن زيداً قائم » لحن .  
 وذهب عن قول الفائل أي لعمر — رض — في المسألة المشهورة بالمشركة وبالجمارية وبالجزرية « هب أن  
 أبانا كان سماراً » وفي رواية « كان حجراً » .

(٣) في المثل السائر « ومي عصيانه ... » .

(٤) في الأصل « العقاب » وهو من سبق قلم الناسخ .



أشياءه ، أكبر من العذاب ، وصدّر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله : « يا أبت »  
توسلاً إليه واستعطافاً ، فقال له في الجواب « قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم : لئن لم  
تنته لأرجمنك وأهجرني ملياً <sup>(١)</sup> » .

ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخُ بفظاظة الكفر وغلظ العناد ، فناداه باسمه ولم يقابل  
قوله « يا أبت » بابني ؟ وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله : « أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم »  
لأنه كان أهمّ عنده وفيه ضروب من التعجب والانكار ، لرغبة إبراهيم عن آلهته وأن آلهته  
لا ينبغي أن يرغب أحد عنها .

ومن هذا الباب ، قوله تعالى : « قال رجل مؤمنٌ من آل فرعون يكتمُ إيمانه : أتقتلون  
رُجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن  
يك صادقاً يُصّبكم بعض الذي يعدكم . إن الله لا يهدي من هو مُسرف كذاب <sup>(٢)</sup> » ألا ترى  
ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطف مغزاه ؟ فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال :  
لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً ، فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه ، أو يكون صادقاً  
فيصيبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب والانصاف  
ما أذكره لك ، أيها التأمّل ، فأقول : إنما قال « يُصّبكم بعض الذي يعدكم » وقد علم أنه نبي  
صادق وأن كل ما يعدهم به ، لا بدّ من أن يصببهم (كله) لابعضه ، لأنه احتاج في مقابلة خصوم  
موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول ، ويأتهم من جهة المناصحة ، فجاء بما  
علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله ، وأدخل في تصديقهم له ، وقبولهم منه ، فقال « وإن يك  
صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم » . وهو كلام المتصف في مقابلة غير المشتطّ فيه ؛ وذلك أنه حين  
فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعدُّ به ، ولكنه أردفه بقوله : « يصبكم بعض  
الذي يعدكم » ليَهضمَه بعض حقه في ظاهر الكلام ، فَيُرِيَهُمْ أنه ليس بكلام من أعطاه

(١) السورة « مريم » والآية « ٤٦ » .

(٢) السورة « غافر » والآية « ٢٨ » .

حقه وافياً ، فضلاً عن <sup>(١)</sup> أن يتمصّب له . وتقديم الكاذب على الصادق من ( هذا ) القبيل ، وكذلك قوله تعالى : « إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه للنبوة ولا عضده بالبينات .

فتدبر أيها المتأمل لهذه الدقائق اللطيفة تضح يدك على النقط في صناعة التأليف .

## النوع السابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

### في الإحصاء

وهو نوع من أنواع علم البيان ، لطيف المأخذ ، دقيق الصنعة ؛ وذلك أن يبني الشاعر البيت على قافية قد أُرصد لها أي أعدها في نفسه ، فإذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتي به في قافيته ؛ وذلك من محاسن التأليف ، لأن خير الكلام ما دلّ بعضه على بعض . وفي هذه الصناعة يقول ابن نباتة :

خذها إذا أنشِدتُ للقومِ من طَرَبِ صدورها عرفت منها قوافيها  
يَنسَى لها الرَّاكِبُ العَجْجَلان حاجتهُ ويُصبح الحاسدُ الغضبان يُطربها  
فن هذا الباب قول النابتة :

فداء لامرئٍ سارت إليه بمذرة ربها عمي وخالي <sup>(٢)</sup>

(١) في الأصل « فضلاً من » والصحيح من المثل السائر ومن كلام العرب المألوف ، قال الفيومي في المصباح المنير « وقولهم : لا يملك درهماً فضلاً عن دينار وشبيهه ، معناه : لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكه للدينار أولى بالانتفاء وكأنه قال : لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً . وانتصابه على المصدر ، والتقدير فقد ملك درهم تداً يفضل عن فقد ملك دينار . قال قطب الدين الشيرازي في شرح الفتح : اعلم أن فضلاً يستعمل في موضع يستبعد فيه الأدنى ويراد به استحالة ما فوقه ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى وأكثر استعماله أن يجيء بعد نفي . قال شيخنا أبو حيان الأندلسي نزيل مصر المحروسة — أبقاه الله تعالى — : ولم أظفر بنس على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب . وبسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم .

(٢) البيتان من كلمة للنابتة يمدح بها النعمان بن المنذر وأولها :

أمن ظلامه الدمع البوالي بمعرض الحبي إلى وعال

« الديوان ص ٩١ طبعه مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩١٠ » .

ولو كفي اليمين<sup>(١)</sup> ببتك خوفاً لأفردت اليمين من الشمال  
ألا ترى أنه يُعلم ، إذا عرفت التافية في البيت الأول ، أن في البيت الثاني يكون ذكرُ

الشمال .

وقال البحرني :

أحلتُ دي من غيرُ جرم وحرمتُ<sup>(٢)</sup> بلا سبب يوم اللقاء كلامي  
فليس الذي حَلَلْتِه بِمَحَلَّلٍ وليس الذي حرَّمْتِه بِمِجْرَامٍ

فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الأول ، والمصراع الأول من البيت الثاني منه

[ أن عجزه هو<sup>(٣)</sup> ما ] قاله البحرني ، فأعرف ذلك ، وقس عليه .

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : « وما كان الناسُ إلا أمةً واحدةً فاختلَفوا ، فلولا كلمةٌ  
سَبَقَتْ من ربك لَقُضِيَ بينهم فيما فيه يَخْتَلِفون<sup>(٤)</sup> » . فاذا وقف السامع على قوله « فيما فيه »  
عرف أن بعده « يَخْتَلِفون » لما تقدم من الدلالة عليه .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « ومنهم من خَسَفْنَا به الأرضَ ، ومنهم من أَعْرَقْنَا ،  
وما كان الله ليظلمَهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون<sup>(٥)</sup> » . وعلى نحو منه ورد قوله — عز  
من قائل — « كمثل العنكبوت اتَّخَذَتْ بيتاً ، وإنَّ أوهنَ البيوت كَبَيْتُ  
العنكبوت<sup>(٦)</sup> » فاذا وقف السامع على قوله : ( وإنَّ أوهنَ البيوت ) يعلم أن بعده « كَبَيْتُ  
العنكبوت » .

(١) في الأصل « اليمي » والتصحيح من الديوان .

(٢) في الأصل « وحلت » وهو من سبق قلم الناسخ .

(٣) زيادة من المثل السائر يقتضيه السياق .

(٤) السورة « يونس » والآية « ١٩ » .

(٥) السورة « العنكبوت » والآية « ٤٠ » .

(٦) السورة « العنكبوت » والآية « ٤١ » وهي : « مثل الذين اتَّخَذُوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت

اتَّخَذَتْ بيتاً وإنَّ أوهنَ البيوت لبيت العنكبوت » .

وأمثال هذا كثيرة فأعرفها ؛ إلا أن أبا هلال<sup>(١)</sup> العسكري قد سمي هذا النوع « التوشيح » ،  
وليس كذلك لأن تسميته : « الارصاد » أولى ، وذلك حيث ناسب الإسم مسماه ولاق به . وأما  
« التوشيح » فهو نوع آخر من التأليف وسيأتي ذكره في بابيه .

واعلم أنه قد اختلف أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان ، حتى إن أحدهم يضع  
لنوع واحد اسمين ، اعتقاداً منه ان ذلك النوع نوعان مختلفان ، وليس الأمر كما وقع له بل هما  
نوع واحد . فمن فعل ذلك « الغانمي<sup>(٢)</sup> » فإنه ذكر في كتابه باباً من أبواب علم البيان وسماه  
« التبليغ » وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكر صنع ،  
ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها حتى يتم وزنه ، فيبلغ بذلك الغاية القصوى<sup>(٣)</sup> [ في الجودة ] ،  
كقول امرئ القيس : -

كأن عيون الوحش حول خبائثنا وأرحلنا الجزع الذي لم يُثَقَّب<sup>(٤)</sup>

فانه قد أتى بالبيت كاملاً<sup>(٥)</sup> قبل القافية ثم لما جاء بها ، بلغ بها الأمد الأقصى في  
التأكيد . ثم إنه ذكر بعد هذا الباب باباً آخر وسماه « الاشباع » فقال : هو أن يأتي الشاعر  
بالبيت معلقاً بالقافية على آخر أجزائه ، ولا يكاد يفعل ذلك إلا حذاق الشعراء : وذلك أن  
الشاعر إذا كان بارعاً جلب بقدرته وذكائه وفطنته إلى البيت ، وقد تمت معانيه واستغنى<sup>(٦)</sup>  
عن الزيادة فيه ، قافية متممة لأعريضه ووزنه ، فجماها نعمتاً للذكور ، كقول ذي الرمة : -

قف العيس من أطلال مية فاسأل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل<sup>(٧)</sup>

(١) أنظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب . (٢) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٣) زيادة إيضاح من المثل السائر « ج ٢ ص ٣٥٠ » .

(٤) الجزع : بفتح الجيم وسكون الزاي : خرزيمان فيه سواد وبياض وتشبه به العيون .

(٥) في الأصل « كلاماً » وهو من وهم الناسخ .

(٦) في الأصل « ويستغني » والتصحيح من المثل السائر .

(٧) وفي كتاب الصناعتين « ٣٠١ » وفي « العمدة ج ٢ ص ٥٤ » رسوماً كتبديد الجمان

هذا كلام الغانمي بعينه ، والبابان المذكوران سواء ، لافرق بينهما بحال من الأحوال ،  
والدليل على ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل الايتان بقافيته . وكذلك بيت ذي الرمة .  
ألا ترى أن امرأ القيس لما قال :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع ..... »

أتى بالتشبيه قبل القافية ؟ ولما احتاج إليها جاء بزيادة حسنة وهو قوله : « لم يثقب » ؟ !  
وهكذا ذو الرمة فانه لما قال : —

قف العيس في أطلال مية فأسأل رسوماً كأخلاق الرءاء ...

أتى بالتشبيه أيضاً قبل الايتان بالقافية . ولما احتاج إليها أتى بزيادة حسنة ؛ وهو قوله :

« السلسل » .

واعلم أن أبا هلال العسكري قد سمي هذين القسمين بعينهما « الايتال » <sup>(١)</sup> .

وقال : هو أن يستوفي ( الشاعر <sup>(٢)</sup> ) معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ثم يأتي بالمقطع

فيزيد فيه معنى آخر .

وأصل « الايتال » من « أوغل في الأمر ، اذا أبعد في الذهاب فيه » .

ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذي الرمة :

« قف العيس . . . . . »

وهذا أقرب أمراً من الغانمي ، لأنه ذكره في باب واحد ، وسماه باسم واحد : ولم يذكره في

باب آخر ، كما فعل الغانمي — رحمه الله — وليس الأخذ على الغانمي في ذلك مناقشة على الأسماء

وانما المناقشة له على أن ينتصب لايراد علم البيان ، وتفصيل ابوابه . ويكون أحد الأبواب التي

ذكرها داخلاً في الآخر ، فيذهب عليه ذلك ، ويخفى عنه ، وهو أشهر من فلق الصبح .

(١) انظر كتاب الصناعتين — « ج ٣٠١ » وانظر العمدة « ج ٢ ص ٥٤ » وما بعدها . وحاشية

المثل السائر « ج ٢ ص ٣٥٢ » .

(٢) زيادة من المثل السائر « ج ٢ ص ٣٥٢ » .

## النوع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

### في التوشيح

وهو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفین . فإذا وقف من البيت على القافية الأولى ، كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض . وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى ، كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى كالوشاح ، فمن ذلك قول بعضهم :

أسلم ودمت على الحوادث مارسا      رُكْنَا تَبِيرٍ أَوْ هَضَابُ حِرَاءِ  
ونل المراد ممكناً منه على      رغم الدهور وفز بطول بقاء

وهذا من محاسن صناعة التأليف فأعرفه ، ألا ترى إلى هذين البيتين يذکران على قافية أخرى وبحر آخر ، نحو قولنا :

أسلم ودمت على الحوا      دث مارسا ركننا تبير  
ونل المراد ممكناً      منه على رغم الدهور

وأمثال هذا كثيرة ، فأعرفه ، إلا أن فيه نوع إشكال ، وصعوبة .

## النوع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

في الأخذ والسرقة والإشارة إلى الجيد من ذلك الذي لا بأس به . والرديء الذي

لا فسحة في استعماله . لأنه عيب في الكلام فاحش

اعلم أنه لا يخلو المؤلف السارق معنى من المعاني المسبوق هو إليها من أحد قسمين . إما أن يذكر ذلك المعنى بلفظه من غير تغيير له ، وهذا يسمى « النسخ » مأخوذاً من « نسخ الكتاب : إذا نقله على هيئته وصورته » . وإما أن يغير لفظه الأول ، ويبدله بغيره . وهو ضربان : أحدهما أن يخرج في معرض جميل وهيئة حسنة ، وذلك يسمى « السلخ » مأخوذاً من « سلخ جلد الشاة » : لأنه أخذ بعض الشيء المسلوخ . والآخر أن يخرج من معرض رديء وهيئة قبيحة ،

وذلك يسمى « المسخ » مأخوذاً من « مسخ الصورة صورة أخرى دونها » كما مسخ الله الأدميين  
قردة .

فأما القسم الأول وهو « النسخ » فإن أرباب هذه الصناعة يسمونه « وقوع الحافر على  
الحافر » كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيِّبهم  
يقولون لا تهلك أسيّ وتحمل

وقول طرفة بن العبد البكري :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيِّبهم  
يقولون لا تهلك أسيّ وتجلد

والأخذ إذا كان كذلك كان معيياً وإن ادعى الآخر ، أنه لم يسمع قول الأول ، بل وقع له كما  
وقع لذلك ؛ فإن صحّة ذلك لا يعلمها (١) إلا الله — عز وجل — والعيب لازم للآخر في ظاهر  
الأمر وإن كان فيها (٢) ادعاه صادقاً .

ولعمري إن القوم إذا كانوا من قبيلة واحدة فإنّ خواطرهم تقع متقاربة ، كما أن أخلاقهم  
وشمائلمهم تكون متقاربة ، إلا أن الظاهر ما قلناه فإنه ليس لنا ، إلا الظاهر ، والله يتولى السرائر .  
فاعرف ذلك .

واعلم أن من هذا القسم الذي هو « النسخ » ما يعمد المؤلف الآخر فيأخذ ما ذكره المؤلف  
الأول ، لفظاً ومعنى ، ولكنه يغير هيئة ذلك ؛ بتقديم بعض الألفاظ التي كانت مقدمة في  
الأول . وذلك أيضاً من قبيل الأخذ وفاحشه . أو أن المؤلف الآخر يأخذ المعنى من المؤلف  
الأول ويأتي على أكثر ألفاظه ، غير تارك منها إلا القليل . وهذا مما يبيح ذكره ولا يجوز  
استعماله .

وأما القسم الثاني وهو ضربان : الأول : « السليخ » ولا عيب فيه لأحد من أرباب التأليف  
[ فليس للمؤلف (٣) ] غنى عن تناول المعاني ممن تقدمه . ولكن يجب عليه أنه إذا أخذها أن

(١) في الأصل « لا يعلمه » وهو غير متسق . (٢) في الأصل « ما ادعاه » وهو غير مستقيم .

(٣) زيادة ضرورية اقتضاها السياق .

يكسوها ألفاظاً جميلة ويخرجها في معرض أنيق وصورة حسنة ، ويزيد في بداعة تركيبها وجودة تأليفها ، فانه إذا فعل ذلك صار أولى بها ممن تقدمه ، وأحق بها ممن سبقه اليها . قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « لو لا أن الكلام يماد لنفد » .

واعلم أن المعاني مشتركة بين أرباب هذه الصناعة وإنما يتفاضلون في تركيبها واختلاف صورها ، وقد قيل : « إن ابا عذر الكلام من سبك لفظه على معناه » . والمعنى الجيد جيد وإن كان مسبوقةً إليه ، وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم ، وليس على أحد منهم عيب في ذلك إلا اذا أخذ المعنى بلفظه [ أخذة ]<sup>(١)</sup> واحدة فأفسده ، وقصر فيه عن تقدمه . وأما إذا أخذه فأبرزه في لباس جميل وركبه تركيباً أنيقاً وأخرجه في معرض جميل حسن فإنه يكون أحق من مبتدعه ، فمن ذلك قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته      وفاز بالطيبات الفاتك<sup>(٢)</sup> اللهمج  
أخذه سلم الخاسر<sup>(٣)</sup> بعده فقال :

من راقب الناس مات همّاً      وفاز باللسذة الجسور

وهذا البيت أوجز من الأول وأخصر ، ولما سمع بذلك بشار قال : « ذهب به ابن الفاعلة » ومن هذا النحو قول بعضهم نثراً « أحق من أثبت لك العذر في حال شغلك من لم يحل ساعة من يرك وقت فراغك » أخذه آخر بعده فقال « شكر ما تقدم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه » فأتى بالمعنى الذي ذكره الأول ، وزاد عليه زيادة مع الابهجاز والاختصار ؛ فأما

(١) زيادة اقتضاها السياق .

(٢) هذا البيت من قصيدة له مطلعها : —

خشاب هل لحب عندكم فرج

أو لا فإني بحبيل الموت معتلج

ديوان بشار ج ٢ ص ٧٥ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، سنة ١٩٥٤ بتحقيق محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين .

(٣) هو سلم بن عمرو بن حماد ، شاعر بصري الأصل خليف ماجن ، له مدائح في المهدي والهادي والرشيد العباسيين واختص بالبرامكة وله اختراع في العروض . وأخباره مع بشار ابن برد وأبي العتاهية مشهورة . شعره رقيق رصين ، وسمي « الخاسر » لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً وقيل : دفتراً فيه شعر وقيل : لأنه أففق ما خلفه له أبوه على الأدب . توفي سنة ١٨٦ هـ انظر : الأغاني « ٢١ : ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٦ » وتاريخ بغداد للخطيب « ٩ : ١٣٦ » ومعجم الأدباء « ٤ : ٢٤٧ » طبعة مرغليوث . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٩٥ طبعة محمد محيي الدين سنة ١٩٤٨ والأعلام للزركلي .



الزيادة فهي الذكر والشكر لما أولاه من الجميل وأسداه إليه من الاحسان ؛ وذلك واجب ذكره لأنه من فروض الأعيان على المنعم عليه ، وأما الإيجاز فهو أن الكلام الثاني اثنتا عشرة كلمة ، والكلام الأول سَبْعَ عَشْرَةَ كلمة . ولما جاء أبو نواس صاغ هذا المعنى صياغة أخرى أكثر اختصاراً فقال : -

لا تُسدينَّ إليَّ عارفةً حتى أقومَ ببعض ما سلفا<sup>(١)</sup>

وذلك من بديع هذا الباب .

ومما ورد من هذا الأسلوب قول العرب : « القتل أنفى للقتل » فجاء القرآن الكريم بهذا المعنى وزاد عليه أشياء عجيبة فقال تعالى : « ولكم في القصاص حياة » . فما زادت به الآية على قول العرب : أنه ليس كل قتل ينفي القتل ، وإنما القتل الذي ينفي القتل ما كان على وجه القصاص والعدل . ففي ذكر الحياة من إيضاح المعنى المرغوب ما ليس في قول العرب : « القتل أنفى للقتل » . ومن ذلك أن قوله تعالى : « ..... القصاص حياة » نظير قولهم : القتل أنفى للقتل ، و « القصاص حياة » أوجز وأخصر لأن « القصاص حياة » عشرة أحرف ، و « القتل أنفى للقتل » أربعة عشر حرفاً ، ومن ذلك أن في قولهم « القتل أنفى للقتل » توكيداً ينقل النطق به على اللسان ؛ وليس في قوله تعالى : « القصاص حياة » تكرير<sup>(٢)</sup> . فهذه أربع زيادات تفضل بها الآية على قول العرب ؛ وكذلك أيضاً قول بعض الأعراب : -

فحيّ ذوي الأضغان تسب عقولهم تحية ذي الحسنى وقد يُرفع النفل<sup>(٣)</sup>  
وإن دَحَسُوا<sup>(٤)</sup> بالقول فاعفُ تكرماً وإن كتموا عنك الحديث فلا تسل

(١) في الديوان :

حتى أقوم بشكر ما سلفا

وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

حلت سعاد وأهلها سرفا قوماً عدى ومحلة قذا

أنظر ص ٤٣٢ ، من « ديوان أبي نواس » مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية القاهرة سنة ١٩٥٣ .

(٢) راجع شروح التلخيص ج ٣ ص ١٨٥ طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٤ هـ .

(٣) النفل والنافلة : ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه ( لسان العرب ) .

(٤) دحس بينهم : أفسد ، ودحس بالشر : دسه من حيث لا يعلم .

فإنَّ الذي يؤذيك منه سمأعه وإنَّ الذي قالوا وراءك لم يُقل  
 فورد في القرآن الكريم هذا المعنى المذكور في كلمات مختصرات ، وهي قوله تعالى : « ولا <sup>(١)</sup>  
 تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌ حميم » .  
 ألا ترى إلى هذه الآية ( فهي ) حاوية للمعنى المشار إليه في الأبيات مع الإيجاز ، فهو أن الشاعر  
 ذكر هذه المعاني في ثلاثة أبيات فيها ثلاث وثلاثون كلمة ، والقرآن العزيز أنى بالمعنى في آية  
 واحدة فيها ثلاث عشرة كلمة . وأما حسن التركيب فلا خفاء به . ومن جملته المقابلة بين الأضداد  
 نحو ذكر السيء والحسن ، والعدو والصديق .

ومن هذا الباب قول النابغة : -

إذا ما غزا بالجيش حَلَّقَ فَوْقَهُ      عصائبٌ طَيْرٌ تهتدي بعصائب <sup>(٢)</sup>  
 جوايح قد أيقنَ أنَّ قبيله      إذا ما التقى الجمعان أوَّلُ غالب  
 أخذ هذا المعنى الأفوه <sup>(٣)</sup> فقال : -

وترى الطير على آثارنا      رأيَ عينٍ ثقةً أن سَتَّار

فذكر المعاني المشار إليها في بيت واحد ، فجاز فضيلة الإيجاز ، التي هي أعلى درجات الكلام  
 وصار أحق بذلك المعنى من النابغة ، وإن سبقه إليه وتقدمه فيه .

(١) السورة : فصلت ، الآية : ٣٤ .

(٢) هذان البيتان من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر مطلعها :

كليني لهم يا أميمة ناصب      وليل أفاقيه بطيء الكواكب

أنظر ص ١٣ من ديوان النابغة طبعة مكتبة صادر بيروت .

(٣) الأفوه الأودي : صلاة بن عمرو من بني أود من صعب المدحجي ، والأفوه لقبه ، من كبار

الشعراء الجاهليين ، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ... ويعده العرب من حكمائهم . « الشعر والشعراء »  
 ص ١١١ و « شعراء النصرانية » ص ٧٠ . وأنظر ديوان الأفوه الأودي في مجموعة الطرائف الأدبية  
 لعبد العزيز الميني .

وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

لأن تری رأسي فيه قزع      وشوآني خلة فيها دوار

أنظر ص ١٣ من كتاب « الطرائف الأدبية » جمع عبد العزيز الميني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة  
 والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٧ .

ومما جرى هذا المجرى قول أبي العتاهية :-

كم نعمة لا تستقل بشكرها  
لله في طي المكاره كامنه  
أخذه أبو تمام فقال :

قد يُنعم الله بالباوى وإن عظمت  
وبيتلى الله بعض القوم بالنعمة<sup>(١)</sup>  
فذكر المعنى الذي ذكره أبو العتاهية ، وعكسه . وهذا من غرائب ما يوجد في باب الأخذ ،  
فأعرفه .

ومن هذا الباب قول أبي تمام أيضاً :-

فان لم يجد في قسمة العمر حيلة  
وإجاز له الاعطاء من حسناته<sup>(٢)</sup>  
لجاد بها من غير شرك بربه  
وأشركهم في صومه وصلاته  
أخذه المتنبي فقال :

فلو يمتهم في الحشر تجردوا  
لأعطوك الذي صموا وصاموا<sup>(٣)</sup>  
فأتى بالمعنى الذي ذكره أبو تمام ، وزاد عليه بقوله « في الحشر » لأن الانسان يكون في  
ذلك اليوم أشد احتياجاً الى صلاته وصيامه ، وأعظم افتقاراً . وأمثال هذا كثيرة فأعرفها .  
وفد يتساوى المؤلفان في إيراد المعنى باللفظ ، كقول بشار :

(١) هذا البيت من قصيدة قالها في مرش الياض بن أسد ، مطلعها :  
الياس كن في ضمان الله والنعم  
ذا مهجة عن ملات الردى حرم  
الديوان ص ٢٣٩ طبعة محمد علي صبيح بمصر سنة ١٣٦١ هـ ، سنة ١٩٤٢ م .  
(٢) هذان البيتان من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ، مطلعها :  
أقول لمرئاد الندى عند مالك  
تعوذ بجدوى مالك وصلاته  
ورواية الديوان :

ولو لم يجد في قسمة العمر حيلة  
وإواساهم من صومه وصلاته  
لجاد بها من غير كفر لربه  
س ٥٠ من الديوان نفسه ، والطبعة نفسها .

(٣) هذا البيت من قصيدة يمدح بها الغيث العجلي ، مطلعها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللثام

وفي الديوان : « ولو يمتهم » ج ٤ ص ٧٧ من شرح العكبري ، طبعة الحلبي سنة ١٩٣٦ بالقاهرة .

يسقط الطير حيث يلتقط الحبة  
أخذهُ غيره فقال ، ولم يزد عليه شيئاً :  
يزدحم الناس على بابهِ  
وعلى نحو من ذلك قول الآخر :  
وإنَّ يقوم سودّوكَ لحاجةً  
إلى سيد لو يظفرون بسيد

### الضرب الثاني من القسم الثاني

وهو « المسخ » وذلك عيب في الكلام فاحش ، فما جاء منه قول الشريف الرضي :  
أحن إلى ما تضمّن الخمرَ والحلى وأصدفِ عما في ضمان المآزر (٢)  
وقال المتنبي :

اني على شغفي بما في حُمّرها لأعفُ عما في سرراويلاتها (٣)

ألا ترى إلى هذا المسخ ما أقبحه ، وذلك لو تأخر زمان المتنبي عن زمان الشريف الرضي .  
وبمثل ذلك يعرف التفاضل بين الشعراء ، وبين الكلامين ؛ فقول الشريف على ما تراه من  
اللطافة والحسن ، وقول أبي الطيب على ما تراه من الرداءة والتبجح ، قال تعالى : « وفوق كلِّ  
ذي علم عليم (٤) » واعلم أنّ ما كان من هذا الباب على سبيل « المسخ » فإنه كان على نحو من  
قول أبي الطيب ، وفيما اشرنا إليه كفاية المتأمل .

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها عقبة بن سلم ، مطلعها :

حييا صاحبي أم العلاء واحذرا طرف عينها الحوراء  
ورواية البيت في الديوان :

يسقط الطير حيث ينتثر الحسب وتغشى منازل الكرماء  
الديوان ج ١ ص ١١١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠ بالقاهرة .  
(٢) البيت من قصيدة مطلعها :

بغير شفيق نال عفو المقادر اخو الجد لا مستنصراً بالمعازر  
ورواية الديوان : يحن الى ما ... البيت « ص ٣٤٣ طبعة بيروت سنة ١٣٠٧ .

(٣) ديوان المتنبي ، شرح علي بن عدلان الموصلي المنسوب غلطاً إلى العكبري ج ١ ص ٢٢٦ طبعة الحلبي  
سنة ١٩٣٦ بالقاهرة .

(٤) السورة « يوسف » والآية « ٧٦ » .

وهذا النوع خاتمة الأنواع من باب الصناعة المنوية ، وذلك مبلغ ما عرفناه من علم البيان ، فيما يختص بالمعاني . إلا أنني رأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر في كتابه نوعاً آخر فقال : « لا يستعمل في الشعر<sup>(١)</sup> المنظوم والكلام المنشور<sup>(٢)</sup> ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم ، والألفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم ، لأن الانسان اذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ ذلك العلم . و (كلام)<sup>(٣)</sup> أصحاب تلك الصناعة » ، ثم مثّل ذلك بقول أبي تمام :

مودةٌ ذهبٌ أثمارها شبهٌ وهمةٌ جوهرٌ معروفٌ فيها عراض<sup>(٤)</sup>

وبقوله أيضاً :

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلعبُ الأفعال بالأسماء<sup>(٥)</sup>

هذا ما ذكره الخفاجي في كتابه . ولنا عليه اعتراض وهو أنا نقول له : ما الموجب لجملك هذا القسم مما يرفض ولا يستعمل ؟ وما السبب في اجتنابه ؟ فان قال : إني إنما أنكرت استعماله وآثرت تركه واجتنابه ، لأنه غير مفهوم . قلنا له في الجواب :

لا يخلو الأمر في هذا من حالين : إما انه غير مفهوم للعامة أو للخاصة . فان كان غير مفهوم للعامة فقط ، فليس جهل العامة بهذا النوع من الكلام داعياً الى اجتنابه . ولو كان فهم العامة معتبراً في اختيار الكلام لكان ما تبتذله من ألفاظها مقدماً على غيره في الاختيار (لانهم)

(١) انظر كتاب « سر الفصاحة » ص ١٥٩ الطبعة الأولى بالطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٢ .

(٢) في سر الفصاحة « من الرسائل والخطب » .

(٣) زيادة من « سر الفصاحة » يقتضيها السياق .

(٤) هذا البيت من قصيدة مطلعها :

ذل السوآل شجى في الحلق معترض من دونه شرق من تحته جرض

ص ٣٤٤ طبعة محمد علي صبيح بالأزهر سنة ١٩٤٢ بالقاهرة ، و ص ٤٠٠ من الديوان طبعة محي الدين

الحياط ببيروت .

(٥) من قصيدة له في مدح خالد بن يزيد الشيباني ، مطلعها :

يا موضع الشدنية الوجناء ومصارع الإدلاج والإسراء

الديوان ص ٣ طبعة محي الدين الحياط ، ببيروت .

الى فهمه أقرب من فهم غيره ؛ وذلك شيء مدفوع لا يذهب إليه أحد البتة . وإن قال : إن هذا النوع غير مفهوم للخاصة ، قلنا له : فأنت أيها الشيخ الامام قد فهمته وعرفته ، ولولا فهمك له ومعرفتك به ( لما أنكرته ) وإلا فكيف<sup>(١)</sup> كنت تنكره وتبعث على اجتنابه ؟ ! وهذا يدل على أنك لست من العامة ولا من الخاصة ؛ لأنك قد فهمت ما لا يفهمه الفريقان ، وذلك من أعجب الأشياء .

فإن قال : إني ما انكرت هذا النوع الا لأن صناعة التأليف من المنظوم والنثور لا تستعمل فيها ما ليس من جنسها ، قلت له في الجواب : يبطل عليك ذلك باستعمال الفقه من الاحكام السلطانية في المكاتبات ، واستعمال الحساب مما يحتاج إليه في الكتابة الى العمال وأرباب الخراج ، واستعمال النجوم في كبس سني الخراج بعضها على بعض ، فيكون لما انكرته أيها الشيخ الامام من استعمال تلك العلوم أسوة بالفقه والحساب والنجوم . ثم ماذا تنكر من شيء يدل على فضل صاحبه وغازاة علمه ؟ أليس من الواجب في صناعة التأليف أن الناظم والناثر ينبغي له أن يستعمل في كل معنى يقصده ، ما يليق به وينخرط في سلسله ؛ فإن كان ذلك المعنى يحتاج الى النحو استعمل فيه النحو ، وإن كان شيئاً يحتاج الى الحساب استعمل فيه الحساب ، وكذلك باقي العلوم . فاذا أخذ المؤلف معنى يحتاج فيه إلى ذكر أحد هذه العلوم المذكورة ولم يذكره ، كان ذلك المعنى ناقصاً عما يحتاج اليه ، وهذا ليس بخافٍ على اللبيب النصف ، فاعرفه .

---

(١) في الأصل « وإلا كيف » وربط الجواب بالقاء واجب هاهنا .

## الباب الثاني

من الفن الثاني من القطب الثاني

في الصناعة اللفظية

وينقسم إلى سبعة أنواع :

النوع الأول في : السجع والازدواج

وهو تواطؤ الفواصل من الكلام المنشور على حرف واحد

إعلم ان السجع قد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة<sup>(١)</sup> ، ولا أرى لذلك وجهاً سوى مجزئهم عن الاتيان به وقصورهم عن سلوك مذهبه ، وإلا فلو كان مذموماً ، كما ذكر ، لما ورد في القرآن الكريم ؛ فانه قد أتى منه شيء كثير ، كقوله تعالى : « إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً ، خالدن فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً<sup>(٢)</sup> » وكقوله تعالى في سورة « ق » : « بل كذبوا بالحق لما جاءهم ، فهم في أمر مريج<sup>(٣)</sup> أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها كل زوج بهيج<sup>(٤)</sup> . » وكقوله تعالى : « والعاديات ضبحاً ، فاللوريات قدحاً<sup>(٥)</sup> » الى قوله : « ... جماعاً . » وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

وورد على هذا الاسلوب من كلام النبي — صلى الله عليه وسلم — شيء كثير أيضاً ؛ فمن

(١) جاء في « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجي « ... فأما قول الرماني إن السجع عيب والفواصل بلاغة على الاطلاق فغلط ... » ص ١٦٦ المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٠ هـ ، ١٩٣٢ م .  
(٢) السورة « الأحزاب » والآية « ٦٤ » . (٣) الآية « ٥ » وما بعدها .  
(٤) السورة « العاديات » والآية « ١ » وما بعدها .

ذلك ما رواه عبد الله بن سلام قال : لما ورد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المدينة أُجفل الناس قبله ، وقيل : قدم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فجئت في الناس لأنظر اليه ، فلما تبينت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء تكلم به أن قال : « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » فان قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكراً عليه ، وقد كلفه بكلام مسجوع<sup>(١)</sup> : « أسجعاً كسجع الكهان » ولولا أن السجع مكروه لما أنكره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الجواب عن ذلك أنا نقول : لو كره النبي — صلى الله عليه وسلم — السجع أصلاً لقال أسجعاً؟! ثم سكت ، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل لم كان ، فلما قال « أسجعاً كسجع الكهان ؟ » صار المعنى معلقاً على أمر آخر ؛ وهو إنكار الفعل لم كان على هذا الوجه ، فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان ، لا غير ، وأنه لم يذم السجع على الإطلاق . ومحال أن يذمه على الإطلاق ؛ لأن القرآن الكريم ، قد أتى به . وهو — صلى الله عليه وسلم — قد نطق به في كثير من كلامه ، حتى أنه غير الكلمة عن وجهها ، اتباعاً لها باخواتها لأجل السجع ؛ فقال لابن<sup>(٢)</sup> ابنته — عليها السلام — : « أعيذه من الهامة والسامة ، وكل عين لامة<sup>(٣)</sup> » وإنما أراد لامة ، لأن الأصل فيها من « ألم فهو ملم » ، وكذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — : « ليرجمن مأزورات<sup>(٤)</sup> غير مأجورات » طلباً للتوازن والسجع ، وهذا من أدل دليل على فضيلة السجع .

واعلم أن الأصل في هذا هو الاعتدال في مقاطع الكلام ، والطبع يميل الى الاعتدال في

(١) جاء في لسان العرب في مادة « سجع » روى عنه — صلى الله عليه وسلم — انه كره السجع في الكلام والدعاء لمشاكلته كلام الكهنة وسجعهم ...

(٢) في « سر الفصاحة » للخفاجي ... « وحدثني زيد بن علي بهذا الاسناد عن أبي عبيد القاسم بن سلام عن يزيد بن أبي سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين عليهما السلام فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » س ١٦٩ طبعة المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢ .

(٣) في سر الفصاحة : « ترجمن مأزورات غير مأجورات » س : ١٦٩ .



جميع الأشياء . وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع ، فلنتبعه بذكر أقسام السجع ، وما يحمد منه في الاستعمال ، وما يذم ، فنقول :

إعلم أولاً : أن السجع لا يحمد على كل حال ، ولا في كل موضع ، حتى يتوخاه المؤلف في كلامه ، بحيث يذهب بفضيلة المعاني لأجله ، وذلك ، أنه اذا صور في نفسه معنى من المعاني ، ثم أراد أن يصوغه بلفظ مسجوع ، ولم يؤاته ذلك إلا بزيادة على ذلك المعنى ، أو نقصان منه ، ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان ، وإنما يضطر الى ذلك اضطراراً ، لأن المعنى الذي يكون قد قصده يحتاج الى لفظ يدل عليه ، واذا دلّ عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً ، إلا أن يضيف اليه شيئاً آخر ، وينقص لأجل الفقرة المطلوبة ، فاذا فعل ذلك ، فلا يسد وأن يزداد الكلام الذي قصده ، زيادة لا حاجة اليها ، او ينقص نقصاً لا حاجة اليه : وهذا الذي يذم من السجع ويُستقبح ، لما فيه من التكلف والتعسف .

وأما اذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف ، فانه يجيء في غاية الحسن ، وهو أعلى درجات الكلام .

واعلم أن السجع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون الفصلان متساويين ، لا يزيد أحدهما على الآخر ، كقوله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر <sup>(١)</sup> » وقوله تعالى : « والعاديات ضبحاً ، فالغريبات قدحاً ، فالغريبات ضبحاً ، فأثرن به نغماً ، فوسطن به جمعاً <sup>(٢)</sup> » . ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء حتى كأنها خرطت في قالب واحد ؟ وأمثال ذلك في القرآن الكريم (كثيرة) ، وهو أشرف السجع منزلةً ، وأعلاه درجةً للاعتدال الذي فيه .

القسم الثاني : أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول ، لا طولاً يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فانه يقبح عند ذلك ويستكره ، ، فمن جيد هذا القسم قوله تعالى <sup>(٣)</sup> : « بل

(١) السورة « الضحى » ، الآية « ٩ » . (٢) السورة « العاديات » ، الآية « ١ » وما بعدها .

(٣) السورة « ق » الآية : « ٥ » .

كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمرٍ مريج ، أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج .  
 ألا ترى أن الفصل الأول تسع كلمات ، والفصل الثاني إثنتا عشرة لفظة ، والفصل الثالث إحدى عشرة لفظة ؟ ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة مريم : « وقالوا اتَّخَذَ (١) الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تكادُ السمواتُ يتفطرن منه وتنشقُ الأرضُ وتخرِجُ الجبالُ هداً ، أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذَ ولداً ... الى قوله : « ... وتُنذِرَ به قوماً لداً » وأمثالُ هذا في القرآن كثيرة ، فاعرفها :

القسم الثالث : أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو عيب عند أرباب هذه الصناعة فاحش . وسبب ذلك أن السمع يكون قد استوفى مدة من الفصل الأول بحكم طوله ، ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الأول ، فيكون كالشيء المبتور ، فيتمى الانسان عند سماعه كمن يريد المضي إلى غايةٍ فيعثر دونها . وإن شك أحدٌ فيما أشرنا إليه من هذا المثال ، فليصنع فصلين من الكلام وليكن الأول منها أطول من الثاني ، ثم يعرضها على نفسه ؛ فإنه يجد صحة ما ذكرناه .

واعلم أن التصريح (٢) في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور ، وقائده في الشعر أنه يفهم منه قبل كمال (٣) البيت الأول من القصيدة قافيتها ، وشبهه البيت المصراع بيباب له مصراعان متشاكلان ، وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة ، وفسحة المجال في أفانين الكلام .

فأما إذا كثرت التصريح في القصيدة فلست أراه مختاراً ، لأن هذه الاصناف من التصريح ،

(١) سورة « مريم » الآية ٨٩ وما بعدها ، وتكلمة الآية : « ... إن كل من في السموات والأرض ، إلا أنى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سيجعل لهم الرحمن وداً ، فإنما يسرناه بلسانك لتبشیر به المتقين وتنذر بهم قوماً لداً ... » .

(٢) في اللسان : « التصريح في الشعر : تقفية المصراع الأول ، مأخوذ من مصراع الباب .

(٣) في الأصل « كما أن » والتصحيح من المثل السائر « ج ١ ص ٢٤٢ » .

والترصيع ، والتجنيس ، وغيرها ، إنما يحسن منها في الكلام ما قلَّ وجرى مجرى اللمة وكان كالطراز في الثوب ، فأما إذا تواتر وكثر فإنه لا يكون مرضياً لما فيه من أمارات الكلفة . وقد استعمل التصريح كثيراً امرؤ القيس ، فما جاء منه في شعره قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل  
بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
ثم قال :

أفاطم مهلاً بعض هذا التمدل  
وإن كنت قد أزمعت هجري<sup>(١)</sup> فأجمل  
ثم قال :

ألا يا أيها الليل الطويل ألا أنجلي  
بصبح وما إلا صباح منك بأمثل  
وقال حاتم بن عبيد الله الطائي :

أتعرف أطلالاً ونؤياً مهدماً  
كخطك في رقي كتاباً منمنماً<sup>(٢)</sup>  
ألا تلوماني على ما تقدمت  
كفى بصروف الدهر للمرء محكماً

وهذا وأمثاله هو التصريح الحسن المشار إليه في هذا الباب ، لأنه بكلمتين غير بن ، وأما التصريح بكلمة واحدة فغير لائق وإن كان جائزاً كقول بعضهم<sup>(٣)</sup> :

فكل ذي غيبة يؤوب  
وغائب الموت لا يؤوب  
وأمثال هذا كثيرة فاعرفه .

(١) في المعلقات السبع شرح الزوزني : « وإن كنت قد أزمعت صرى فأجمل » ص ١٣ مطبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٩٥٢ .  
وفي المثل السائر « وإن كنت قد أزمعت هجراً فأجمل » .  
(٢) وبعد هذا البيت قوله :

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها  
شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً  
والنؤى : الحفير حول الحباء ، أو الحنيفة بمن السيل ( القاموس ) .  
والمنم : من قولهم : نغم الشيء أي رقصه وزخرفته ، وثوب منمنم أي موسى ( مختار الصحاح ) .  
وبين البيتين الذي أوردهما ابن الأثير عشرة أبيات .

(٣) القائل هو عبيد بن الأبرص ، الشاعر الجاهلي المعروف ، وأحد أصحاب المعلقات ، والبيت من معلقته التي أولها :

أفقر من أهله ملحوب  
فالقطييات فالذنوب  
انظر شرح المعلقات العشر ، للتبريزي ص ٣٢٥ طبعة محمد علي صبيح بالقاهرة سنة ١٣٦٧ .

## النوع الثاني من الباب الثاني

### في التجنيس

إعلم أن التجنيس غرة شادخة في وجه الكلام ، وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا ، ولا سيما المحدثين ، منهم من صنف للناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة ، واختلفوا في ذلك ( وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض فنيهم<sup>(١)</sup> ) عبد الله بن المعتز وأبو علي الحاتمي<sup>(٢)</sup> وأبو القاسم الآمدي<sup>(٣)</sup> والقاضي أبو الحسن<sup>(٤)</sup> الجرجاني ، وقدامة بن جعفر<sup>(٥)</sup> السكاتب وغيرهم ، وافاضوا فيه وأطالوا القول في شرحه .

وإنما سمي هذا النوع من الكلام مجانساً ، لأن الكلام يكون تركيبه من جنس واحد .

واعلم ان التجانس ينقسم إلى سبعة أقسام :

الأول — وهو أشرفها وأعلاها قدراً ، وذلك إذا تساوت ألفاظ الكلام في تركيبها ووزنها ويسمى « التجنيس المطلق » ، كقوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة<sup>(٦)</sup> » وليس في القرآن الكريم من هذا القسم من التجنيس سوى هذه الآية ، فاعرفها . ومن ذلك أيضاً قول بعضهم :

(١) الزيادة من المثل السائر ، ج ١ ص ٢٤٦ طبعة الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٣٩ .

(٢) الحاتمي : هو محمد بن المفطر الحاتمي جاء في بغية الوعاة عنه : « . . . كان من حذاق أهل اللغة والأدب ، له من التصانيف : « حلية المحاضرة في صناعة الشعر » و « الموضحة في مساويء المتنبي » و « سر الصناعة في الشعر » و « الحالي والعاقل » وغير ذلك من الكتب . انظر : « بغية الوعاة » للسيوطي ، ص ٣٥ طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦ وانظر : « وفيات الأعيان » و « ارشاد الأريب » .

(٣) انظر ص ٢ من هذا الكتاب .

(٤) أبو الحسن الجرجاني : هو علي بن عبد العزيز الجرجاني ، المشهور بالقاضي ولد بمرجان سنة ٢٩٠ هـ ونشأ بها ، واشتهر بالفقه وقد ترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء ، وله آثار في التفسير والتأريخ ، وهو شاعر كاتب ، وأشهر كتبه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .

(٥) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٦) السورة : الروم ، الآية : ٥٥ .

ومرى سوابق دمعها فتواكفت      ساق يجاذب فوق ساق ساقاً<sup>(١)</sup>  
وكذلك أيضاً قول أبي إسحاق بن عثمان المغربي<sup>(٢)</sup> :

لم يبق غيرك إنسان يلاذُ به      فلا برحتَ لعين الدهر إنسانا  
فهذا هو التجانس البديع الذي هو أعلى المراتب وأسمى المنازل .  
وقال الآخر :

وإذا البلابل أطربت بهديلها      فانف البلابل باحتساء بلابل<sup>(٣)</sup>  
وقال الآخر :

هل لما فات من تلافٍ تلافِي      أولشاكٍ من الصباية شاكِي<sup>(٤)</sup>  
وقال الآخر :

لقاؤك يسدني من المُرتجِي      ويفتح باب الهوى المُرتجا  
وأمثال هذا كثيرة كقول بعضهم :

قلت للقلب ما دهاك أجبني      قال لي بائع الفراني فراني<sup>(٥)</sup>  
ناظراه فيما جنى ناظراه      أودعاني أمتُ بما أودعاني

(١) ورد هذا البيت في المثل السائر « ج ١ ص ٢٥١ » على هذه الصورة .

وترى سوابق دمعها فتواكفت      ساق تجاوب فوق ساق ساقاً  
وأضاف المؤلف بعده : فالساق : ساق الشجرة . والساق : القمري من الطيور . وساق حر : هو ذكر القماري خاصة . كما في مختار الصحاح .

(٢) في المثل السائر المطبوع « ج ١ ص ٢٥١ » « وهو الشاعر المعروف بالمعري » ونرى الاسم مصحفاً وأن الأصل هو « الغزي » وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان وقيل إنه إبراهيم بن عثمان « راجع الوفيات ج ١ ص ١٧ » ، وما بعدها من طبعة مكتبة النهضة بمصر .  
(٣) انظر « ص ٢٠٨ » من هذا الكتاب .

(٤) « تلاف » الأول مصدر مولد « لتلف يتلف » بمعنى التلف و « تلافِي » الثانية بمعنى التدارك و « شاك » الأول من « الشكوى » و « شاك » الثاني من شاكِي السلاح أي مستلثم .

(٥) نسب البيتين صاحب يتيمة الدهر الى شمسويه البصري وقال : « قالها في غلام يبيع الفراني » « ج ٣ ص ٤١٥ » طبعة حجازي بالقاهرة ، وفي حاشية اسرار البلاغة « ص ١٢ » : « نسبة في زهر الآداب الى أبي الفتح البستي » طبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٦٧ . والفراني : جمع فرنية أو فرنيه ، وهو نوع من الحلوى تخبز في الأفران . ( حاشية اليتيمة ) .

وعلى هذا الإسلوب جاء قول بعضهم :

إلى حتفي مشى قـدي أرى قـدي أراق دمي  
ورأيت الغامبي<sup>(١)</sup> - رحمه الله - قد ذكر في كتابه باباً وسماه « ردّ الأعجاز على الصدور »  
خارجاً عن باب التجنيس ، وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذي نحن بصدد ذكره  
ها هنا . فما أورده الغامبي من الأمثلة في ذلك قول بعضهم :

ونشري بجميل الصند... مع ذكراً طيب النشر

ونفري بسيوف الهد... من أسرف في النفر<sup>(٢)</sup>

ونجري في شرا الحمد علي شاكلة النجر<sup>(٣)</sup>

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم في الشيب : -

يا بياضاً أذرى دموعي حتى عاد منها سوادُ عيني بياضاً

وكذلك قول البحري : -

وأغرَّ في الزَّمن البهيم مُججَلٍ قد رحت منه على أغرَّ مُججَلٍ<sup>(٤)</sup>

كالهيكَل<sup>(٥)</sup> البنيِّ إلا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكَل

وليس الأخذ على الغامبي<sup>(٦)</sup> في ذلك مناقشته<sup>(٧)</sup> على الأسماء وإنما المناقشة له على أنه

(١) انظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب .

(٢) كما في النسخة المطبوعة من المثل السائر وفي الأصل « قري ... والنقر » .

(٣) في الأصل « نجر » بغير ألف ولام وهو غير واضح المعنى . والنجر : الأصل . وفي المثل السائر النسخة المطبوعة « ج ١ ص ٢٥٢ » ،

ونجري في شري الحمد علي شاكلة البحر

ولا نراه يستقيم .

(٤) البتان من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى الفمي ، مطلعها :

أهلاً بذلكم الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل

انظر « ديوان البحري » ص ٧٣٠ من طبعة المطبعة الأدبية ببيروت ١٩١١ .

(٥) في الأصل « كالهيكَل » وهو من سبق قلم النساخ ، والتصويب من الديوان .

(٦) في المثل السائر « ج ١ ص ٢٥٢ » طبعة محمد محي الدين عبد الحميد « ... وليس الأخذ على

الغامي ... » ولا نراه يستقيم .

(٧) في الأصل « مناقشة » وهي غير مستقيمة .

يُنْتَصَب لا يراد علم البيان وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التي ذكرها (١) داخلاً في الآخر ؛ فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه ، وهو أشهر من فلق الصباح .

### القسم الثاني

#### من النوع الثاني في التجنيس

وهو أن تكون الألفاظ متساوية التراكيب ، مختلفة الوزن ، وذلك دون الأول في المنزلة كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - « اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي » .  
ألا ترى الى ( أن ) هاتين اللفظتين متساويتان في التراكيب مختلفتان في الوزن ، لأنه تركيب « الخلق » و « الخلق » من ثلاثة أحرف هي الخاء واللام والقاف إلا أنها قد اختلفا في الوزن إذ وزن الخلق ، « فَعْمَل » ووزن الخلق « فُعْمَل » ، ومن هذا التسم قول بعض الكتاب في صفة كتاب وصل اليه من صديق له : « فلزهر والزهر من نور بداعته ، ونور براعته إشراق » .

وكذلك قول بعضهم : « لا تُنال غرر (٢) المعالي إلا بركوب الغرر واهتبال الغرر (٣) »

وقال ابن العميد :

قد ذُبت غير (٤) حشاشة وذماء (٥) ما بين حر هوى وحر هواء

وأمثال هذا كثيرة ، فاعرفها .

(١) في المثل السائر : « التي ذكرناها » وهي غير مستقيمة . « ج ١ ص ٢٥٢ » طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) الغرر : جمع الغرة ، وهي من الشهر : ليلة استهلال القمر ومن الهلال طلعتة ، ومن القوم شريفهم ومن الرجل وجهه ومن كل شيء : أجله وأهباءه . والغرر : التعريض للهلاك . والغرر بكسر الغين جمع الغرة ، وهم الجماعة الذين لا خبرة لهم .

(٣) اهتبل الصيد : احتال عليه ، واهتبل لأهله : تكسب .

(٤) في الأصل ، وفي المثل السائر « ج ١ ص ٢٥٤ » : « قد ذبت بين حشاشة ... » وفي اليقظة

« ج ٣ ص ١٧٢ طبعة مكتبة الحسين التجارية قد ذبت غير حشاشة ... » .

(٥) في الأصل « الذماء » بضم الذال وهو من سبق قلم النساخ وفي القاموس « الذماء بفتح الذال :

بقية النفس » .

## القسم الثالث

### من النوع الثاني من التجنيس

وهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير . فان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس وهذا القسم دون الذي مثله في المنزلة . فمن ذلك قوله تعالى : « وجوه يومئذٍ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » (١) .

ألا ترى أن وزن هاتين اللفظتين واحد ، وأما تركيبها فانه مختلف ؛ لأن تركيب « ناضرة » من النون والضاد والراء ، وتركيب « ناظرة » من النون والطاء والراء : وكذلك قوله تعالى : « ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون » (٢) . وقال تعالى : « وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد » (٣) .

وعلى نحو من هذا ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو « الخليل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة » (٤) . وقال أبو تمام :

يعدون من أيدٍ عواصم عواصم      تصول بأسياف قواض قواض (٥)  
وقال البحرني :

من كل ساجي الطرف أغيد أجيدٍ      ومهفهِف الكشجين أحوى أحور (٦)  
وقال بعضهم « لا تنال المكارم إلا بالمكاره » . وأشبه ذلك كثيرة لا تحصى .

(١) السورة : القيامة ، الآية : ٢٢ . (٢) السورة : غافق ، الآية : ٧٥ .

(٣) السورة : العاديات ، الآية : ٧ ، ٨ .

(٤) راجع هذا الحديث والوجه البلاغي فيه ، في كتاب « المجازات النبوية » للشريف الرضي « ص ٤٩ »

طبعة مصر .

(٥) « البيت من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي ، مطلعها :

على مثلها من أربع وملعب      أذيت مصونات الدموع السواكب  
ديوان أبي تمام طبعة بيروت ص « ٤٢ » .

(٦) البيت من قصيدة مطلعها :

ان الظباء غداة سفح حجر      هيجن حر جوى وفرط تذكر  
ديوان البحرني ج ١ ص ٣١ طبعة المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٩١١ .



## القسم الرابع

من النوع الثاني من التجنيس

وهو أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن ، مختلفة في التركيب بحرف واحد كقوله تعالى : « والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق <sup>(١)</sup> » وقال — عز اسمه — « وهم يُحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنُونَ صنعا <sup>(٢)</sup> » . ومن هذا القسم قول البحري :

نسيم الروض في ريح شمال      و صوبُ المزنِ في راحِ شمولى <sup>(٣)</sup>  
وذم أعرابي رجلاً فقال : « كان إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سوّف ، يحسد على الفضل ،  
ويزهده في الأفضال » .

وقال بعض الشعراء : —

تقاصرت هم الأملاك عن ملك      أنحى الثناء عليه وهو مقصور  
فوفره بين أيدي العرف منهب      وعرضه عن لسانِ الدم موفور  
وأمثال هذا كثيرة في التأليف .

## القسم الخامس

من النوع الثاني من التجنيس وهو المعكوس

وهو ضربان : أحدهما عكس الألفاظ ، والآخر عكس الحروف . فالأول كقول بعضهم :  
« عادات السادات سادات العادات » . وكقول الآخر : « شيم الأحرار أحرار الشيم » وقيل  
للحسن بن سهل : « لا خيرَ في السرف » ، فقال : « لا سرف في الخير <sup>(٤)</sup> » فرد اللفظ  
واستوفى المعنى ، وفي هذا القسم قول عتاب بن ورقاء <sup>(٥)</sup> :

(١) السورة : القيامة ، الآية ، ٢٩ ، ٣٠ . (٢) السورة : الكهف ، الآية : ١٠٤ .

(٣) من قصيدة له يمدح بها الفتح بن خاقان ، مطلعها :

أ كنت معنفي يوم الرحيل      وقد لجت دموعي في الممول

(٤) في الأصل « لا خير في السرف » وهو من سبق قلم الناسخ .

(٥) عتاب بن ورقاء الرياحي : من أبطال العرب ، وأحد القادة الأمراء ولاء مصعب بن الزبير لإمارة  
اصبهان ، وندبه لقتال الخارجين عليه في الري — ففلبهم ومهد الأمر . وندبه الحجاج لقتال شبيب بن  
يزيد ، فقتل في وقعة له معه سنة ٧٧ هـ .

إنَّ الليالي للأنام مناهل      تُطوى وتُنشَرُ دونها الأعمار  
 فقصارهنّ مع الهموم طويلة      وطولهن مع الشرور قصار  
 وقال الآخر :

كم من حمار على جوادٍ      ومن جوادٍ على حمار  
 وهذا ضرب من التجانس له حلاوة ورونق ، فأعرفه ، وقد سماه قدامة<sup>(١)</sup> بن جعفر  
 الكاتب « التبديل » . وذلك اسم مناسب لسماءه لأن المؤلف يأتي بما كان مقدماً في جزء كلامه  
 الأول مؤخراً في الثاني ، وبما كان مؤخراً في الأول مقدماً في الثاني ومثله قدامة بقول بعضهم :  
 « أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك » ومن هذا القسم قوله تعالى : « يخرج الحيّ  
 من الميت ويخرج الميت من الحيّ »<sup>(٢)</sup> وقوله — تعالى — « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا  
 ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده »<sup>(٣)</sup> . وقال بعضهم :

تلك الثنايا من عقدها نُظمت      أم نظم العِقْدُ من ثناياها  
 وأشباه ذلك كثيرة فأعرفها .

وأما الضرب الثاني من القسم وهو « عكس »<sup>(٤)</sup> الحروف فكقول بعضهم :  
 أهديت شيئاً يقل لولا      أحذوثة الفسأل والتبرك  
 كرمسي تفاعلت فيه لما      رأيت مقلوبه « يسرُّك »  
 وكذلك قول الآخر :

كيف السرور باقبالٍ وآخِرُهُ      - إذا تأملته - مقلوب إقبال<sup>(٥)</sup>  
 وهذا الضرب نادر الاستعمال ؛ لأنه قلما تقع كلمة تقلب حروفها فيجبي معناها صواباً ،  
 فأعرف ذلك .

(١) أنظر حاشية ص ٢ من هذا الكتاب . (٢) السورة : الروم ، الآية : ١٩ .  
 (٣) السورة : فاطر . الآية : ٢ وما بعدها .  
 (٤) في الأصل « كعس » . وهو من خطأ النسخ .  
 (٥) مقلوب إقبال « لابقاء » .

## القسم السادس

من النوع الثاني في التجنيس وهو المنجذب

وذلك أن يجمع المؤلف بين كلمتين : احداها كالتبع للأخرى والجنبية ، كقول بعضهم :

أبا العباس لا تحسب لساني      لشيء من حلى الأشعار عاري<sup>(١)</sup>

فلي طبع كسلسالٍ معينٍ      زلال من ذرى الأحجار جاري

وهذا القسم له رونق وطلاوة ، فاعرفه .

## القسم السابع

من النوع الثاني من التجنيس

وهو ما تساوى وزنه وتركيبه ، غير أن حروفه تتقدم وتتأخر ، وذلك كقول أبي تمام :

بيض الصَّفَاح لا سودُ الصحائفِ في      مُتَوَنِّهِنَّ جلاء الشكِّ والرَّيبِ<sup>(٢)</sup>

وأمثال هذا كثيرة ، فاعرفه .

## النوع الثالث من الباب الثاني في الترصيع

وهو نوع من علم البيان وعر المسلك قلما يَحْتَمِلُ المؤلفُ بشرك فكره أو أبد ألفاظه ،

وأصله من « ترصيع العقد » وذلك أن يكون في إحدى جانبي العقد من اللآلئ والجواهر مثل

ما في الجانب الآخر ، ولذلك جعل هذا في الكلام ، وهو أن يكون كل لفظة من الفاظ الفصل

الأول مساوية لكل لفظة من الفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية ، وهذا هو أعلى درجات

الترصيع وأصعبها مرماً . واعلم أن علماء هذه الصناعة قد جعلوا الترصيع منقسماً إلى قسمين :

أحدهما ما ذكرناه ، والآخر أن يكون احد الفاظ الفصل الأول مخالفاً لما يوازنه من الفاظ

(١) في المثل السائر ج ١ ص ٢٦٣ طبعة الحلبي سنة ١٩٣٩ بمصر .

أبا العباس لا تحسب بأني . . . . .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الخليفة المعتصم ويذكر فيها فتح عمورية ، مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب      في حده الحدبين الجد واللعب

انظر ص ٧ من الديوان طبعة محي الدين الحياط .

فالقسم الأول كقول الحريري في مقاماته : « فهو يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بجواهر لفظه ، [ ويقرع الأسماع بزواجر وعظه ، فانه جعل أَلْفَاظَ الفصل الأول <sup>(١)</sup> ] مساوية لالفاظ الفصل الثاني وزناً وقافية ، فجعل « يطبع » بازاء « يقرع » و « الاسجاع » بازاء « الأسماع » و « جواهر » بازاء « زواجر » و « لفظه » بازاء « وعظه » ، وهذا هو الكلام السهل الممتنع الذي تخاله قريباً وهو بعيد المنال ، عسير الحصول . وقد ورد هذا القسم كثيراً في الخطب التي أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم <sup>(٢)</sup> ابن نباتة ، فمن ذلك قوله في أول خطبة : « الحمد لله ، عاقد أزيمة الأمور بعزائم ( أمره ) <sup>(٣)</sup> ، وحاصد أئمة الغرور بقواصم مكره ، وموفق عبیده لغنائم ذكره ، ومحقق مواعيده بلوازم شكره » . ومن ذلك قوله في ذكر الزمان وتقلبه بأهله : « أولئك الذين أفلوا فنجتم ، ورحلوا فاتم ، وأبادهم الموت ، كما علمتم ، وأنتم الطامعون في البقاء بمدم ، فيما <sup>(٤)</sup> زعمتم ، كلا والله ما أشخصوا لتقرؤا ، ولا نُفِصَّوْا لتسروا ، ولا بُدَّ أن تمروا <sup>(٥)</sup> حيث مروا ، فلا تتقوا بخدع الدنيا ، ولا تغتروا » . ومن ذلك ما جاءنا في بعض خطبه : « أيها الناس ، أسيموا القلوب في رياض الحكم ، وأديموا النحيب على ابيضاض اللِّمَم ، واطلبوا <sup>(٦)</sup> الاعتبار بانتقاض النعم ، وأجيئوا الأفكار في انقراض الامم » . وأمثال هذا في كلامه كثير ، وأما ما ورد على نحو ذلك نظماً ، فقول ذي الرُّمَّة :

كحلاء في بَرَجٍ صفراء في دَعَجٍ كأنها فضةٌ قد شابهها ذهب <sup>(٧)</sup>

- (١) الزيادة من المثل السائر ج ١ ص ٢٦٤ من طبعة الحلبي . وانظر « القامعة الصنعانية » من مقامات الحريري ج ١ ص ١٥ من طبعة باريس سنة ١٨٤٧ .  
 (٢) انظر حاشية ص ١٩ من هذا الكتاب . (٣) زيادة من المثل السائر « ج ١ ص ٢٦٥ » .  
 (٤) في المثل السائر « كما زعمتم » « ج ١ ص ٢٦٥ » . (٥) كذا في المثل السائر وفي الأصل « نمر » .  
 (٦) في المثل السائر « وأطيلوا » وهو أكثر مناسبة .  
 (٧) هذا البيت من قصيدته المشهورة :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كل مفرية سرب  
 ورواية الديوان :

كحلاء في دَعَجٍ صفراء في نَعَجٍ كأنها فضةٌ قد مسها ذهب

وهذا القسم قليل الاستعمال في الشعر جداً ، فاعرفه إن شاء الله .

## القسم الثاني

من النوع الثالث من التصنيع

وهو أن يكون أحد الفاظ الفصل الأول مخالفاً لما يوازيه من الفصل الثاني ، وذلك كقول  
تأبط شراً<sup>(١)</sup> :

حَمالُ أَلوية ، شَهَادُ أُنديّة      قَوَالُ مُحْكَمَة جَوَابُ آفاق<sup>(٢)</sup>

ألا ترى أن « أَلوية » مثل « أُنديّة » في الوزن والقافية ، ولكن حَمال لا يماثل « شَهَاد »  
قافية وإنما يماثله وزنًا ، وكذلك « قوال » موازن « لجواب » و « محكمة » لا يوازن « آفاق »  
ومن هذا القسم أيضاً قول الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليفة مـ ..      ديّ الطريقة نفاع وضرّار  
وكذلك قول الآخر :

سود ذوائبها بيض ترائبها      محض ضرائبها صيغت من الكرم  
وأمثال هذا كثيرة فاعرفها إن شاء الله تعالى .

## النوع الرابع من الباب الثاني

في لزوم ما لا يلزم

وهو نوع من أشق هذه الصناعات مذهباً ، وأوعرها طريقاً ، لأن المؤلف يلزم في تأليفه  
ما لا يجب عليه ليدل به على قوته في الصنعة ، واتساع باعه فيها ، وانطلاق عنانه .

وقد جمع أبو العلاء ( أحمد بن )<sup>(٣)</sup> عبد الله بن سليمان في ذلك كتاباً ، وذكر فيه الجيد

(١) تأبط شراً : هو ثابت بن جابر بن سفيان ، أحد لصوص العرب الغيبرين ، وأحد عدائهم المشهورين  
انظر لسان العرب ج ٧ ص ١٧٦ عنه .

(٢) في الأصل « قول محلمة » والتصحيح من المفضليات للضيبي ص ٢٩ طبعة دار المعارف بمصر سنة  
١٩٤٢ . وقد فسر المحكمة بالكلمة الفاصلة .

(٣) الزيادة من المثل السائر ، ج ١ ص ٢٦٧ طبعة الحلبي سنة ١٩٣٩ بمصر .

الذي لا مطلع فوقه ، والردي الذي لا مهوى تحته ، وسند كر من ذلك طرفاً .

واعلم أن حقيقة هذا النوع هي : أن تكون الحروف التي قبل روي الأبيات من الشعر حرفاً واحداً ، وهذا أيضاً موجود في فواصل الكلام المنشور . ومن أراد معرفة ذلك والاطلاع عليه ، فليطلبه من كتاب « اللزوم » لأبي العلاء ، وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن ، فإن كتابنا هذا ليس موضوعاً لشرح هذه الاسباب ، وإنما وضع لمن عرف الأصل فيها ، فنبين له نحن الجيد منها والرديء ونفرق بينهما ، ليعلم أين يضع يده في استعمال ذلك وأطراحه .

فما جاء في هذا الباب قولي في حصار قلعة : « فلما رأونا بساحتهم حاضرين ، ولهم في عقر دارهم حاضرين ، وهم من بأسنا حذرين ، تنادوا : الاساء صباح المنذرين » .

ألا ترى الى الفقرتين الآخرتين كيف قد لزم فيها « النال والراء » نحو « حذر ومنذر » ، وأما الفقرتان الأولىان فليستا من هذا القبيل ، لأنه يجب أن يكون بازاء « حاضر » كلمة أخرى في آخرها ضاد وراء ، إلا أن ذلك كأنه شبيه بما لا يلزم ، والسبب فيه ورود الياء والنون المختصة بالجمع بعد الراء ، ولو كان هذا معتبراً في لزوم ما لا يلزم ، لوجب أن يكون التأثير للياء والنون ، من غير نظر الى ما قبلها . وعلى هذا التقدير فلو قال القائل « فلما رأونا بساحتهم نازلين ، ولهم في عقر دارهم حاضرين » ، لكان ذلك من باب لزوم ما لا يلزم . وهذا مما لم يذهب اليه أحد . وإنما الأصل ما أشرنا اليه أولاً فأعرفه .

واعلم أنه متى صغرت الكلمة الأخيرة من الشعر والكلام المنشور ، وجب أن يصغر الباقي اتباعاً للوزن . فن ذلك قولُ بعضهم :

عزّ على ليلي بذي سُدير <sup>(١)</sup>	سوءُ مبيتي ليلة الغمير
مقبضاً <sup>(٢)</sup> نفسي في طمير	تنهض الرعدة في ظهيري
يهفو الي الزورُ من صديري	ظمانَ في ريح وفي مُطير

(١) في الأصل « بد سدير » والتصحيح من المثل السائر ج ١ ص ٢٧٦ وذو سدير قرية لبني العرب من جزيرة العرب والغمير عدة مواضع منها .

(٢) في الأصل « مقضاً » ولا معنى له هنا وفي المثل السائر « مقضباً » ونرى أن الصواب ما ذكرناه وهو من شواهد العيني .

وأرزقي ليس بالقدير<sup>(١)</sup> من لدُّ ما ظهر الى سحير<sup>(٢)</sup>  
 حتى بدت لي جبهة القمير لأربع خلون من شهير  
 ألا ترى الى هذا الشاعر ، كيف لزم التصغير في هذه الأبيات جميعها ؟ فان ذلك من  
 محاسن الصنعة فاعرفه .

واعلم أننا لا نبعث المؤلف على استعمال هذا القسم من الكلام حتى يجيء به متكلفاً وحشياً  
 فيكون قد قصد جودة الصنعة وإظهار القدرة عليها ، والقوة فيها ، فيلقبه ذلك فيما يستكره من  
 الألفاظ ، وتعافه الأسماع . وما مثل المتكلف لهذا الضرب من الكلام حتى يأتي به في صورة  
 قبيحة ، إلا مثل الصائغ الذي يأخذ مصوغاً ردياً فيجيد فيه عمله ، ويخرج فيه بديع صنعته  
 فيكون عند ذلك قد راعى الفرع ، وأهمل الأصل ، فتذهب جودة الصنعة في رداءة المصوغ .  
 وأما إذا أتى المؤلف بهذا الضرب من الكلام ، غير متكلف ولا وحشي كان له رونق  
 وطلاوة ، وقد استعمل ذلك أبو العلاء المعري في كتابه فأتى منه بشيء ينبو عنه الطبع كقوله  
 في قافية التاء مع الخاء :

بنتٌ عن الدنيا ولا بنت لي      فيها ولا عرسٌ ولا أختُ  
 وقد تحملتُ من الوزر ما      تعجز أن تحمله البُختُ  
 إن مدحوني ساءني مدحهم      وخلت أني في الثرى سُختُ<sup>(٣)</sup>

وقال في الخاء المضمومة مع الباء :

لا يفقدن خيركم مجانسكم<sup>(٤)</sup>      ولا تكونوا كأنكم سببخُ

- (١) في الأصل و « أرزقي » . و « القدير » لعلة تصغير ترخيم لأغر أي « غرير » .  
 (٢) وفي شواهد العيني « من لدن الظهر الى العصير . انظر حاشية المثل السائر » ج ١ ص ٢٧٧ .  
 وفي حاشية الألفية ، شرح ابن عقيل : « هذا الشاهد من الأبيات المجهولة نسبتها ، وكل ما قيل فيه إنه لراجز  
 من طيء » « ج ٢ ص ٥٧ طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٦٧ بمصر .  
 (٣) لزوم ما لا يلزم ج ١ ص ١٧٣ طبعة مطبعة الخروسة بمصر سنة ١٨٩١ .  
 (٤) في الأصل « مجالسكم » والتصحيح من اللزوميات ج ١ ص ٢٣٨ .

ولا كقوم حديث يومهم ما (أكلوا<sup>(١)</sup>) أمسهم وما طبخوا  
 وأمثال هذا كثيرة في كتابه ، وله من ذلك البديع النادر الذي تتقاصر دونه الفصحاء  
 كقوله :

ليل بلا نور أجن<sup>(٢)</sup> بمهمه  
 وهي الحياة ؛ فمفة أو فتنة  
 حبس الأدلة ليس فيه منار  
 ثم المات فجنة أو نار

وقال :

يلفك بالاء النمر الفتى  
 يعطيك لفظاً لينا مسه  
 وفي ضمير النفس نارٌ تقيد  
 ومثل حد السيف ما يعتقد<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً<sup>(٤)</sup> :

تنازع في الدنيا سواك وماله  
 ولكنها ملك لربٍ مقدر  
 ولم تحظ في ذاك النزاع بطائل  
 أيا نفس لا تعظم عليك خطوبها  
 تداعوا إلى النزر التليل فجالدوا  
 وما أمٌ صل أو حليلة ضيغم  
 تلاقي الوفود القادميها بفرحة  
 ولم يتوازن في القياس نعيمها  
 وما هي إلا شاكّة ليس عندها  
 ولا لك شيء في الحقيقة فيها<sup>(٥)</sup>  
 يعير جنوب الأرض مرتد فيها<sup>(٥)</sup>  
 من الأمر إلا أن تعد سفيها  
 فتفقوها مثل مختلفيها  
 عليه وخلّوها لغتريها  
 بأظلم من دنياك فأعترفيها  
 وتبكي على آثار منصرفيها  
 وسيئة أودت بمقتريها  
 وجدك أرطابٌ لمخترفيها

(١) الزيادة من اللزوميات ص ٢٣٨ ج ١ (٢) في الأصل : « اجر » .

(٣) في الأصل « تعتقد » والتصحيح من اللزوميات ج ١ ص ٣٠٠ .

(٤) في اللزوميات : « بالحقيقة » ج ٢ ص ٤١٠ .

(٥) في الأصل : « بغير جنوب الأرض » والتصحيح من اللزوميات ج ٢ ص ١١٠ .



كما نبذت للطير والوحش رازم (١)

تدأت عن الانصاف من ضيم لم يجد  
فأطبق فماً عنها وكففاً ومقلة  
كأن التي في الكأس يطفو حبابها

وله من جملة قصيدة :

أرى الدنيا وما وصفت ببراً  
إذا خشيت لشر عجلته  
حياة كالحبالة ذات مكر  
وأنظر سهمها قد أرسلته  
فلا يُخدع بحيلتها أديب  
أذاقته شهياً من جناها

فألت شروراً (٢) بين مختطفها

سبيلاً الى غايات منتصفها  
وقل لغوي الناس فاك لفيها  
سمام حباب عند مرثفها (٣)

إذا أغنت فقيراً أوهقته  
وإن رجيت لخير عوقته  
ونفس المرء صيداً أعلقته  
إلى بنكبة أو فوقته  
وإن هي سورتها ومنطقته (٤)  
وصرت (٥) فاه عما ذوقته

وأمثال هذه كثيرة في شعره ، فأعرفها فأنها من محاسن لزوم ما لا يلزم .

وعليك أيها المنتصب لاستعمال هذا النوع من الكلام أن تسلك هذا المذهب القويم  
وتنهج هذا اللقم (٦) الواضح ، غير متصيد له ولا مكتر منه حتى تخلُّ بالمعنى المندرج تحته ،  
وتذهب برونقه وطلاوته . وقد ورد من هذا الباب قول طرفة بن العبد :

ألم تر أن المسال يكسب أهله  
أرى كل مال لا محالة ذاهباً  
نضوحاً إذا لم تُعط منه نواصبه  
وأفضله ما ورث الحمد كاسبه

(١) في الديوان : كما نبذت للوحش والطير رازم .. اللزوميات ج ٢ س ٤١١ .

(٢) في الأصل « سروراً » والتصحيح من اللزوميات .

(٣) في اللزوميات : « بين مرثفها » .

(٤) رواية اللزوميات : « فلا يُخدع بحيلتها أديب وإن هي سورتها ونطقته »

(٥) في الأصل « وصرت » ونرى أن الصواب « وصرت » وفي القاموس « وصر . . . . . »

والناقة وبها يصرها صراً . شد ضرعها » .

(٦) اللقم ، محركة ، وكسر د : معظم الطريق أو وسطه ( القاموس ) .

ألا ترى ما أحسن هذا الاسلوب ، وألطف مأخذه ، وعلى متنه ينبغي أن يكون الاستعمال فاعرفه .

## النوع الخامس من الباب التالي

### في الموازنة

وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنشور متساوية في الوزن ، وذلك نوع من التأليف شريف المحل ، لطيف الموقع ، وللكلام به طلاوة ورونق ، وسبب ذلك الاعتدال ، لأنه مطلوب في جميع الأشياء . وحيث كانت مقاطع الكلام معتدلة في الوزن لذمها السمع ، ووقعت من القلب موقع الاستحسان ، وهذا لا مرأى فيه بحال من الأحوال لبيانه ووضوحه . فما جاء من ذلك قوله تعالى : « وآتيناهم الكتاب المستبين ، وهديناهم الصراط المستقيم <sup>(١)</sup> » وكذلك قوله تعالى : « قال <sup>(٢)</sup> يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعن ، أفعصيت أمري قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي » . وعلى نحو منه ورد قوله تعالى : « من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ، خالدن فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً <sup>(٣)</sup> » .

ومن هذا الاسلوب قوله تعالى : « يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخنسعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً <sup>(٤)</sup> » .

وعلى هذا المنهج جاء قوله تعالى : « وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحَدِّثْ لَهُمْ ذِكْرًا فَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا <sup>(٥)</sup> » . ومن ذلك قوله عز وجل : « فقلنا يا آدم

(١) السورة : الصافات الآية ١١٨ . (٢) السورة : طه الآية ٩٢ وما بعدها .

(٣) السورة « طه » الآية : ١٠٠ . (٤) السورة « طه » الآية : ١٠٧ وما بعدها .

(٥) السورة « طه » الآية : ١١٢ وما بعدها .

إنَّ هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى  
وأنت لا تظلم فيها ولا تضجى<sup>(١)</sup> . وأمثال هذا في القرآن كثيرة ، فأعرفه .

## النوع السادس من الباب الثاني

### في اختلاف صيغ الألفاظ

وهو من صناعة التأليف بمنزلة عليية ومكانة شريفة

اعلم أنَّ الألفاظ إذا نقلت من أسلوب الى أسلوب كتنقلها من الواحد الى الجمع أو الى  
التثنية ، أو الى التانيث أو الى غير ذلك انتقل حسنها وصار قبحاً ، أو قبحها وصار حسناً . دليل  
ذلك ؛ أن التاء التي تزداد في آخر الاسم للفرق في الصفة نحو : مقعد ومقعدة . ألا ترى إلى لفظة  
« مقعد » الدالة على مكان الجلوس تجمع على مقاعد ، ولفظة « مقعدة » الدالة على المحل المخصوص  
من الحيوان تجمع على « مقاعد » أيضاً ؛ فإذا وردت هذه اللفظة أعني « مقاعد » في الكلام ،  
والمراد جمع « مقعد » استقبلت لمثلها لجمع « مقعدة » وذلك مما يكره ذكره ؛ وإذا وردت  
منفردة برأسها لم تستقبل ولا تستكبره ، قال الله تعالى : « في مقعد صدق عند مليك  
مقتدر<sup>(٢)</sup> . ولأجل ذلك لما جاءت لفظة « مقاعد » في القرآن الكريم أضيفت الى ما لا يحتمل  
معه الاستقبال ، فقال جلّ وعلا : « واذ غدوت<sup>(٣)</sup> من أهلك تبوى المؤمنين مقاعد للقتال »  
ولولا إضافة مقاعد إلى القتال لاستقبلت إيرادها هاهنا . وهذا لا يخفى على من له أدنى معرفة  
بهذه الصناعة ، إلا أن هذا المثال الذي مثلناه لا يطرد فيما هذا سبيله ، وإنما يقع في بعض الألفاظ  
دون بعض ، وقد نهينا عليه في كتابنا ليعرف محله من التأليف .

ومن ذلك أيضاً ما أشرنا إليه في صدر الكتاب في باب الألفاظ المركبة<sup>(٤)</sup> وهو أنك ترى

(١) السورة « طه » الآية : ١١٦ وما بعدها .

(٢) السورة « القمر » ، الآية : ٥٥ . (٣) السورة « آل عمران » ، الآية : ١٢١ .

(٤) انظر ص ٦٤ وما بعدها من هذا الكتاب ، وانظر الحديث عن هذا في كتاب « دلائل الإجماع »

للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ص ٣٥ وما بعدها من طبعة مطبعة المنار سنة ١٣٣١ هـ .

بعض الألفاظ تروك في كلام ما ، وتزداد بها إعجاباً واستحساناً ، ثم تراها في كلام آخر فتثقل عليك وتستكرهها ؛ مثال ذلك : أن لفظه « الأُخْدَع » قد وردت في بيتين من الشعر ، وهي في أحدها لائحة حسنة ، وفي الآخر ثقيلة مستكرهة ، كقول الصمّة بن عبد (١) الله :

تلفت نحو الحيّ حتى كأنني (٢)  
وَجِعت من الاصفاء (ليتنا) وأخذعا

وكقول أبي تمام :

يادهر قوم من أخذعك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك  
ألا ترى أنه قد وجد لهذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على النفس والكراهة أضعاف ما وجد لها في بيت الصمّة بن عبد الله من الروح والخفة والايناس والبهجة !؟ وهذا ما لا يمكن النزاع فيه لظهوره ، وليس سبب ذلك إلا ما أشرنا اليه من اختلاف الصيغة ؛ ألا ترى أن لفظه « الأُخْدَع » قد جاءت ها هنا موحدة ومثناة ، وهي حسنة في حالة الانفراد ، مستكرهة في حالة التثنية .

وقد يكون ذلك لأمر يرجع الى التركيب لا الى الألفاظ ، وذلك أن يكون التركيب مختل النظام ، مضطرب الترتيب فتجسيء الفاظه عند ذلك مستكرهة ، مستثقلة ، لكونها واردة في غير أماكنها ، وان كانت من حيث انفرادها حسنة لائحة . وقد تقدم الكلام على ذلك في باب تركيب الألفاظ ، فاعرفه (٣) .

(١) هو الصمّة بن عبد الله بن الضيفل... شاعر بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية ، هوي امرأة من قومه ، فأبى أبوها ان يزوجه اياها... وله فيها شعر رقيق يعنى به . انظر أخباره في « الأغاني » الجزء الخامس ص : ١٢٤ وما بعدها من طبعة الساسي .

(٢) البيت من قصيدة أوردها أبو تمام في حماسته في باب النسيب ص ١٢١٥ القسم الثالث طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ ، ومطلعها :

حننت الى ريا ونفك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معاً  
وفي ديوان الحماسة : « وجدتي » بدلا من كأنني . والبيت : صفحة العنق ( القاموس ) والأخذع : عرق في صفحة العنق .

(٣) انظر ص ٦٤ : وما بعدها من هذا الكتاب .

## النوع السابع من الباب الثاني

### في تكرير الحروف

اعلم أن هذا النوع لا يتعلق بتكرير الألفاظ ولا تكرير المعاني مما سبق ذكره في باب التكرير ، لأن تكرار الحروف هو أن يأتي حرف واحد أو حرفان في كل لفظة من ألفاظ الكلام أو في أكثرها ، فيثقل على اللسان النطق بها ، فمن ذلك ما أنشده الجاحظ :

وقبر حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قُربَ قبرٍ حربٍ قبرٍ<sup>(١)</sup>

ألا ترى الى هذه الرأآت ، والقافات التي في هذا البيت من الشعر ؟ فإنها في تتابعها كلسلسلة ، ولا خفاء بما على الناطق بها من السكافة ، وليس الكلام العاري من ذلك بمعوز ولا بعزيز<sup>(٢)</sup> ، ولا هو بالذي لا يستطيعه إلا الشاعر المبرز أو الكاتب المفلح بل هو مما يصعب النطق به . ولذلك كان كلام الناس في محاوراتهم ، ومكاتباتهم ، خالياً من هذا القبيل ، وذلك لأنه لا يحصل إلا بالتكاف والقصد للإتيان به ، فأما إذا أرسل الانسان نفسه على سجيئتها ، وختل بينها وبين طبعها فانه لا يعرض له ذلك . فليت شعري أي أمر يضطر مؤلف الكلام حتى يأتي به مستكراً ثقيلاً على اللسان ، ويترك ما هو أسهل عليه .

ألم تعلم أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرار الحروف في كثير من كلامهم ؟ وذلك أنه إذا تكررت الحروف عندهم أدغموها استحساناً ، فقالوا : في جعل لك . « جعل لك » وفي تضر بوني « تضر بوني » . وكذلك « استعد فلان للأمر » اذا تأهب له والأصل فيه « استعد » ، « واستتب الأمر » إذا تهيأ وكمل ( وأصله استتب<sup>(٣)</sup> ) وأشبه هذا كثيرة في كلام العرب ، حتى إنهم لشدة كراهتهم لتكرار الحروف أبدلوا احد الحرفين ، لما تكرر ، حرفاً آخر غيره فقالوا : أملت الكتاب « والأصل من ذلك « أملت » فابدلوا

(١) البيت مجهول القائل . أنظر البيان والتبيين ج ١ ص ٦٥ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٨ بالقاهرة . وأنظر الحيوان ج ٦ ص ٢٠٧ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ١٢ .  
(٢) أنظر دلائل الاعجاز ص ٤٨ طبعة المنار بمصر سنة ١٣٦٧ هـ .  
(٣) زيادة استوجبها السياق والاتساق .

« اللام » ياء طلبا للخفة على اللسان ، وفراراً من الثقل والاستكراه .  
واعلم أن ورود الادغام في هذه اللفظة أقوى دليل على كراهة العرب لتكرار الحروف وفيما  
أشرنا اليه كفاية للمتأمل ، فاعرفه .

وحيث انتهى بنا الكلام الى هذا المقام ، وفرغنا من جميع الأنواع في علم البيان والأقسام ،  
فلنجدل خاتمة حمد الله على توفيقه ، والهداية الى أقوم طريقه ، ونزغب إليه في العصمة من  
الزلل ، والارشاد في القول والعمل ، فان عثر الناظر في كتابنا هذا على سقطه ، أو وقع في أثنائه  
على هفوة أو غلطة ، فليغض عنها إغضاء الصافح ، وليسترها ستر المتجاوز المسامح ، فان  
السكريم من ستر العورة ، وأقال العثرة .

تم الكتاب بممه تعالى

وقد كتب في آخره :

وكان الفراغ من تحريره نهار الثلاثاء عشرين ( كذا ) من شهر شوال  
سنة ألف وثلثمائة وأربعة عشر هجرية ( كذا ) ، على نبينا أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية  
ونقل هذا الكتاب على ذمة الكتبخانة الخديوية ، بخط الفقير الحقير محمود صالح ،  
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين ، والحمد لله رب  
العالمين ، آمين .

## فهارس الكتاب

- ١ - فهرست إجمالي لموضوعات الكتاب
- ٢ - فهرست تفصيلي لموضوعات الكتاب
- ٣ - فهرست الأعلام
- ٤ - فهرست المدن والأماكن
- ٥ - فهرست الكتب
- ٦ - فهرست الأشعار « الواردة في متن الكتاب »
- ٧ - فهرست الأشعار « الواردة في حواشي الكتاب »
- ٨ - فهرست الكلمات اللغوية المهمة الواردة في حواشي الكتاب
- ٩ - فهرست الخطأ والصواب





## فهرست اجمالی موضوعات الكتاب

الصفحة

١	...	...	...	...	مقدمة المؤلف
					القطب الأول « الفن الأول »
					الباب الأول من الفن الأول من القطب الأول
٦	...	...	...	...	آلات التأليف
٧	...	...			القسم الأول [ يشترك فيه النظم والنثر ]
٢٠	...	...			القسم الثاني [ وهو ما يخص الناظم دون النثر ]
					الباب الثاني من الفن الأول من القطب الأول
٢١					في أدوات التأليف
					الباب الثالث من الفن الأول من القطب الأول
٢٦					في الطريق الى صناعة النظم والنثر
					الباب الرابع من الفن الأول من القطب الأول
٢٨					في الحقيقة والمجاز
					الفن الثاني من القطب الأول
٣٣					في الألفاظ والمعاني وتفضيل الكلام المنشور على المنظوم
					الباب الأول
٣٣	...	...	...	...	في الألفاظ المفردة

- النوع الأول : تباعد مخارج الحروف ... ٣٤
- النوع الثاني : أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعدة ... ٤١
- النوع الثالث : أن لا تكون الكلمة مبتذلة بين العامة ... ٤٩
- النوع الرابع : أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى يكره ذكره ٥٢
- النوع الخامس : أن تكون الكلمة مصفرة ... ٥٤
- النوع السادس : أن تكون الكلمة مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً ٥٧
- النوع السابع : أن تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة ... ٥٩
- القسم الثاني من الباب الأول
- ٦٤ في صناعة تركيب الألفاظ
- الباب الثاني من الفن الثاني من القطب الأول
- ٦٨ في الكلام على المعاني
- الباب الثالث من الفن الثاني من القطب الأول
- ٧٣ في تفضيل الكلام المنشور على المنظوم
- القطب الثاني
- ٧٦ في الأشياء الخاصة وهو فنان
- ٧٦ الفن الأول في الفصاحة والبلاغة
- الفن الثاني من القطب الثاني
- ٨٢ في ذكر أصناف علم البيان وأقساماتها
- الباب الأول
- في الصناعة المعنوية —
- النوع الأول في الاستعارة ... ٨٢

٩٠	...	...	النوع الثاني من الفن الثاني : التشبيه
٩٢	...	...	١ - القسم الأول : تشبيه المفرد بالمفرد
٩٢	...	...	٢ - القسم الثاني : تشبيه المركب بالمركب
٩٦	...	...	٣ - القسم الثالث : تشبيه المفرد بالمركب
٩٨	...	...	النوع الثالث من الباب الأول : في شجاعة العربية
٩٨	...	...	القسم الأول : في الالتفات ...
١٠٢	...	...	القسم الثاني : في الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن المضارع بالماضي
١٠٥	...	...	القسم الثالث : في عكس الظاهر
١٠٦	...	...	القسم الرابع : في الحمل على المعنى
١٠٨	...	...	القسم الخامس : في التقديم والتأخير
١١٨	...	...	القسم السادس : في الاعتراض
١٢٢	...	...	النوع الرابع في الإيجاز ...
١٢٤	...	...	القسم الأول : الإيجاز بالحذف
			الضرب الأول من القسم الأول من النوع الرابع :
١٢٤	...	...	الاكتفاء بالسبب عن المسبب وبالمسبب عن السبب
			الضرب الثاني من القسم الأول من النوع الرابع :
١٢٥	...	...	الإضمار على شريطة التفسير
			الضرب الثالث من القسم الأول من النوع الرابع :
١٢٧	...	...	حذف الفعل وجوابه
			الضرب الخامس من القسم الأول من النوع الرابع :
١٣٠	...	...	حذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كل منهما مقام الآخر
٢٧٩			

- الضرب السادس من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٣١ ... .. حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر ...
- الضرب السابع من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٣٣ ... .. حذف الشرط وجوابه ...
- الضرب الثامن من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٣٤ ... .. حذف القسم وجوابه ...
- الضرب التاسع من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٣٥ ... .. حذف ( لو ) وجوابها ...
- الضرب العاشر من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٣٦ ... .. حذف جواب ( لَمَّا ) وجواب ( أَمَّا ) وجواب ( إِذَا ) ...
- الضرب الحادي عشر من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٣٧ ... .. حذف ( لا ) من الكلام وهي مرادة ...
- الضرب الثاني عشر من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٣٧ ... .. الاستئناف ...
- الضرب الثالث عشر من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٣٩ ... .. حذف الواو وإبائتها ...
- الضرب الرابع عشر من القسم الأول من النوع الرابع :  
 ١٤١ ... .. الحذف الذي يوجب الاخلال في الكلام ...
- القسم الثاني من النوع الرابع : الایجاز من غير حذف ...  
 ١٤٢ ... ..
- الضرب الأول من القسم الثاني من النوع الرابع :  
 ١٤٢ ... .. ما يساوي لفظه معناه ويسمى ( التقدير ) ...

				الضرب الثاني من القسم الثاني من النوع الرابع
١٤٣	...	...	...	فيما زاد معناه على لفظه
				النوع الخامس من الباب الأول من الفن الثاني
١٤٦				الأطناب
				النوع السادس من الباب الأول من الفن الثاني
١٥٢				في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل
				النوع السابع من الباب الأول من الفن الثاني
١٥٦				في الكناية والتعريض
١٥٧				الضرب الأول من الكناية ( الذي يحسن استعماله )
١٥٧	...	...	...	١ - القسم الأول : التمثيل
١٦٠	...	...	...	٢ - القسم الثاني من الكناية في الإرداف
١٦٠	...	...	...	الفرع الأول من الإرداف
١٦١	...	...	...	الفرع الثاني من الإرداف
١٦٢	...	...	...	الفرع الثالث من الإرداف
١٦٢	...	...	...	الفرع الرابع من الإرداف
١٦٣	...	...	...	الفرع الخامس من الإرداف
				النوع الثامن من الباب الأول من الصنف الثاني
١٦٩				في استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات
				النوع التاسع من الباب الأول من الفن الثاني
١٧٢				في التفسير بعد الإبهام
				النوع العاشر من الباب الأول من الفن الثاني
١٧٥				في التعميق المصدري

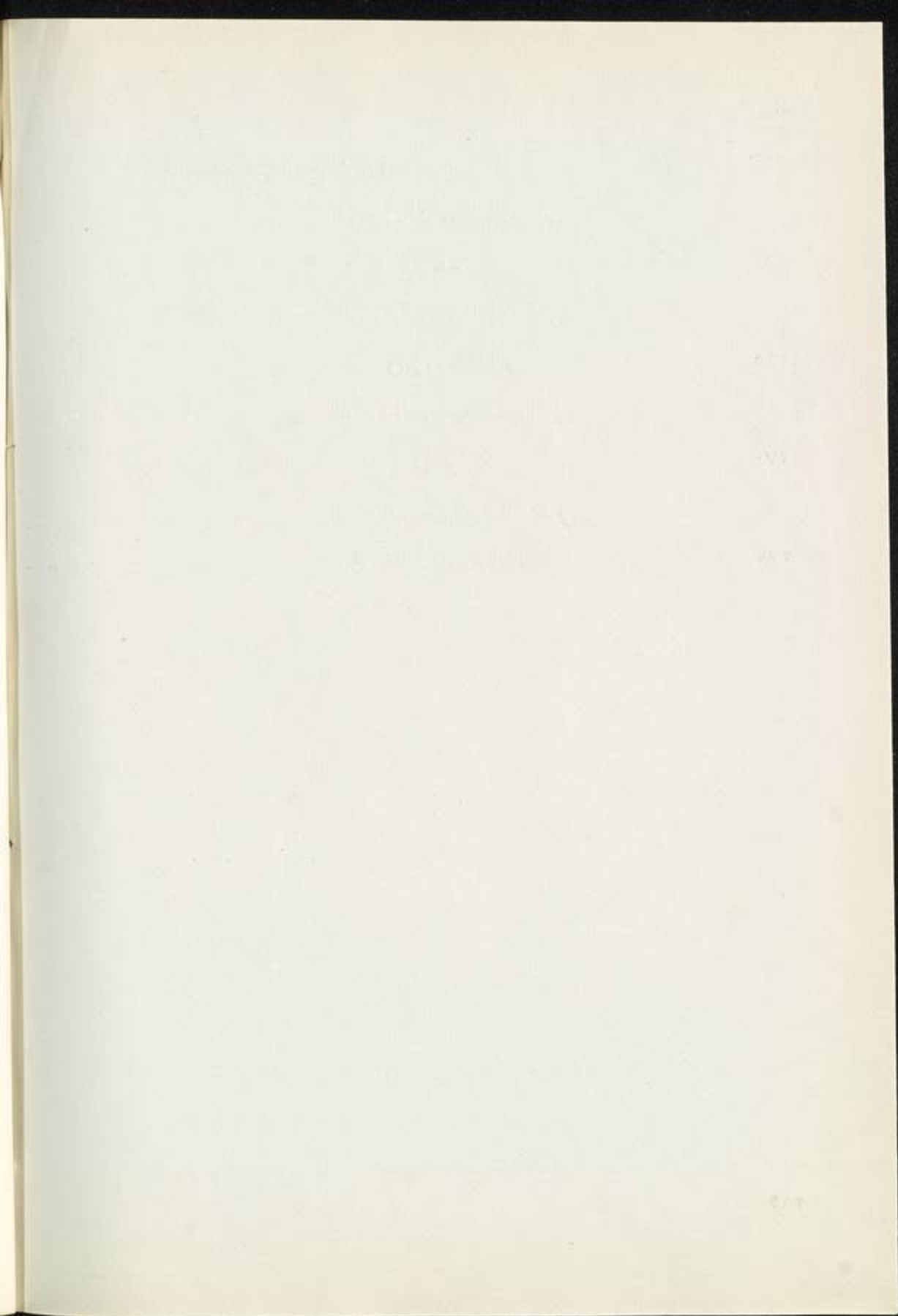
- النوع الحادي عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ١٧٦ في التقديم والتأخير مما لا يتعلق بعلم النحو
- النوع الثاني عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ١٧٩ في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده
- النوع الثالث عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ١٨١ في التخلص والاختصاص
- النوع الرابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ١٨٧ في المبادئ والافتتاحيات
- النوع الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ١٩٣ في قوة اللفظ لقوة المعنى
- النوع السادس عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ١٩٧ في خذلان المخاطب
- النوع السابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ١٩٨ في الاشتقاق
- النوع الثامن عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ٢٠١ في الحروف العاطفة والجاراة
- النوع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني  
 ٢٠٤ في التكرير
- القسم الأول : الذي يوجد في اللفظ والمعنى  
 ٢٠٤
- الضرب الأول : المفيد ... ..  
 ٢٠٤
- الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى ( غير المفيد )  
 ٢٠٧

٢٠٩	التسم الثاني من النوع الأول في التكرير : ( الذي يوجد في المعنى دون اللفظ )
٢٠٩	الضرب الأول المفيد ... ..
٢١٠	الضرب الثاني ( غير المفيد ) ... ..
	النوع العشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٣١١	في تناسب المعاني
٢١١	الضرب الأول : المطابقة وهي المقابلة ... ..
٣١٨	الضرب الثاني من النوع العشرين : في صحة التقسيم وفساده ...
٢٢١	الضرب الثالث من النوع العشرين : في التفسير وما يصح من ذلك ما يفسد
	النوع الحادي والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٢٤	في الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية
	النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٢٥	في ورود لام التأكيد في الكلام
	النوع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٢٦	في الاقتصاد والافراط والتفريط
	النوع الرابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٣٠	في المعاظة
	النوع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٣٢	في التضمن
	النوع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٣٥	في الاستدراج
	النوع السابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٣٨	في الارصاد
٢٨٣	

			النوع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٤٢			في التوشيح
			النوع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني
٢٤٢			في الأخذ والسرقه
٢٤٣	...	...	القسم الأول : النسخ ...
			القسم الثاني : وهو ضربان
٢٤٣	...	...	الضرب الأول : السلخ ...
٢٤٨	...	...	الضرب الثاني من القسم الثاني : المسخ ...
			الباب الثاني
			من الفن الثاني من القطب الثاني
			— في الصناعة اللفظية —
			النوع الأول من الباب الثاني
٢٥١			في السجع والازدواج
			النوع الثاني من الباب الثاني
			في التجنيس
٢٥٦	...	...	القسم الأول من النوع الثاني في التجنيس
٢٥٦	...	...	القسم الثاني من النوع الثاني في التجنيس
٢٥٩	...	...	القسم الثالث من النوع الثاني في التجنيس
٢٦٠	...	...	القسم الرابع من النوع الثاني في التجنيس
٢٦١	...	...	القسم الخامس من النوع الثاني في التجنيس
٢٦١	...	...	القسم السادس من النوع الثاني في التجنيس
٢٦٣	...	...	القسم السادس من النوع الثاني في التجنيس



٢٦٣	...	...	القسم السابع من النوع الثاني في التجنيس
			النوع الثالث من الباب الثاني
٢٦٣			في التصحيح
			النوع الرابع من الباب الثاني
٢٦٥			في لزوم ما لا يلزم
			النوع الخامس من الباب الثاني
٢٧٠			في الموازنة
			النوع السادس من الباب الثاني
٢٧١			في اختلاف صيغ الألفاظ



## فهرست تفصیلی موضوعات الكتاب

٥ - ١

مقدمة المؤلف :

منزلة علم البيان (١) . البحث عن تصانيفه وكتبه (١) . اطلاعه على معظم كتب  
البيان (١) . استخراج منه من القرآن ثلاثين ضرباً من علم البيان (٣) . شرحه جميع أنواع  
البيان (٤) . تسمية الكتاب (٤) . مدار الكتاب وأبوابه (٤) .

( القطب الأول )

« الفن الأول »

الباب الأول

من الفن الأول من القطب الأول

٢٠ - ٦

آلات التأليف

الحاجة الى وجود الطبع في الانسان (٦) . آلات التأليف قسمان (٦) . الأول يشترك  
فيه النظم والنثر (٧) . علم النحو (٧) . معرفة اللغة (١٣) . معرفة أمثال العرب وأيامهم  
(١٥) . الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور (١٧) . معرفة الأحكام السلطانية  
من الإمامة والإمارة (١٧) . حفظ القرآن الكريم (١٩) . حفظ أخبار الرسول (١٩) .  
القسم الثاني : وهو ما يخص الناظم دون النثر (٢٠) . معرفة العروض والزحافات  
(٢٠) . معرفة القوافي (٢٠) .

الباب الأول

٢٥ - ٢١

من الفن الأول من القطب الأول

في أدوات التأليف

تحذيره من التوسع (٢١) . المعنى هو عماد اللفظ واللفظ هو زينة المعنى (٢١) . عجز

المبرد عن التعبير بما يرتضيه ( ٢٢ ) . تجويد الألفاظ ( ٢٣ ) . مخاطبة كل فريق من الناس على قدر طبقتهم ( ٢٣ ) . كتاب الرسول لوائل بن حجر ( ٢٤ ) .

### الباب الثالث

من الفن الأول من القطب الأول

٢٦ - ٢٧

في الطريق الى صناعة النظم والنثر

ممارسة ابن الأثير لصناعة الكتابة ( ٢٦ ) . طريقة كتابة الرسائل ( ٢٦ ) معارضة الرسائل ( ٢٧ ) . ومعارضة القوائد ( ٢٧ ) .

### الباب الرابع

من الفن الأول من القطب الأول

٢٨ - ٣٢

في الحقيقة والمجاز

معنى الحقيقة ( ٢٨ ) . معنى المجاز ( ٢٨ ) . أقسام المجاز ( ٢٨ ) . كل مجاز له حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز ( ٣٠ ) . يُمدل عن الحقيقة إلى المجاز لمان ثلاثة : الاتساع والتشبيه والتوكيد ( ٣٠ ) . المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة ( ٣١ ) .

الفن الثاني في القطب الأول

في الألفاظ والمعاني وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم وهو ثلاثة أبواب

### الباب الأول

٣٣ - ٦٨

القسم الأول : في الألفاظ المفردة

أوصاف اللفظة المفردة التي تستحق بها ميزة الحسن والجودة وهي سبعة أنواع ( ٣٣ ) . النوع الأول : تباعد مخارج الحروف ( ٣٤ ) . ذكر الأصوات والحروف ( ٣٥ ) . خروج الصوت ( ٣٥ ) . تشبيه الحلق والقم بالمزمار ( ٣٥ ) . ترتيب الحروف على نسق المخارج ( ٣٦ ) . الحروف الستة المستحسنة ( ٣٧ ) . الحروف الثمانية غير المستحسنة ( ٣٧ ) . مخارج الحروف ( ٣٧ ) . تعريف ابن سنان للحروف ( ٣٨ ) . اعتراض ابن الأثير عليه ( ٣٨ ) .

النوع الثاني : وهو أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعرة ( ٤١ ) . معنى الوحشي ( ٤١ ) . حديث طهفة بن أبي زهير ( ٤٢ ) . جواب الرسول له ( ٤٤ ) . كتاب الرسول إلى بني نهد ( ٤٥ ) . تعليق ابن الأثير عليه ( ٤٥ ) . الحضري يلام على استعمال الوحشي ( ٤٦ ) الانكار على الفاعل في استعمال الوحشي من الكلام أكثر من الانكار على الناظم ( ٤٨ ) .

النوع الثالث : وهو أن لا تكون الكلمة مبتدلة بين العامة ( ٤٩ ) . ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع في أصل اللغة فغيرته العامة ( ٤٩ ) . ما يكره ذكره ( ٤٩ ) . مما ابتدلتها العامة ( ٥١ ) .

النوع الرابع : وهو أن لا تكون الكلمة قد عُيِّبَ بها عن معنى يكره ذكره ( ٥٢ ) .

النوع الخامس : وهو أن تكون الكلمة مُصَغَّرَةً في موضع يُعَيِّبُ بها عن شيء خفي أو لطيف أو ضعيف ( ٥٤ ) . معاني التصغير ( ٥٤ ) . أبنية التصغير ( ٥٥ ) .

النوع السادس : وهو أن تكون الكلمة مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً ( ٥٧ ) . سبب ذلك ( ٥٧ ) .

النوع السابع : وهو أن تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة ( ٥٩ ) . ابتكار له ( ٥٩ ) .

#### القسم الثاني من الباب الأول

٦٤ - ٦٧

#### في صناعة تركيب الألفاظ

حسن التأليف ( ٦٥ ) . القرآن يفوق جميع الكلام ( ٦٦ ) .

#### الباب الثاني

#### من الفن الثاني من القطب الأول

٦٨ - ٧٢

#### في الكلام على المعاني

ما يبتدعه صاحب الصناعة ( ٦٨ ) . ما يحتديه على مثال تقدم ( ٦٨ ) . المعنى هو الذي يستخرج بالفكرة دون اللفظ ( ٦٨ ) . شرف المعنى وعلوه وسقوطه واستفاله من نتائج علو الهمة وسقوطها ( ٦٩ ) .

### الباب الثالث

من الفن الثاني من القطب الأول

٧٣ - ٧٥

في تفضيلي الكلام المنشور على المنظوم

القرآن الكريم ورد نثراً (٧٣) . العرب كانوا أفصح الناس (٧٣) . جميع العرب كانوا يقولون النظم (٧٣) . النثر ينوب مناب النظم . ولا ينوب النظم مناب النثر (٧٥) . النثر لا ينال إلا بعد تحصيل آلاته (٧٥) . الناثر تملو درجته حتى ينال الوزارة وأما الشاعر فلا تملو درجته عن رتبة المستعطين (٧٥) .

### ( القطب الثاني )

في الأشياء الخاصة وهو فنان

٧٦ - ٨١

..... الفن الأول في الفصاحة والبلاغة

غموض هذا الباب (٧٦) . الفصاحة (٧٧) . البلاغة (٧٩) .

« الفن الثاني من القطب الأول »

.... في ذكر أصناف علم البيان وانقساماتها وهو بابان

« الباب الأول »

— في الصناعة المعنوية —

النوع الأول : في الاستعارة :

معنى الاستعارة (٨٢) . الاستعارة جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما (٨٣) . الاستعارة تنقسم قسمين : (٨٤) . الاستعارة البعيدة (٨٩) .

٩٠ - ٩٨

النوع الثاني : التشبيه

حد التشبيه (٩٠) . فائدة التشبيه (٩٠) تشبيه المفرد بالمفرد (٩٢) . تشبيه المركب بالمركب (٩٢) . تشبيه المفرد بالمركب (٩٦) .

٩٨ - ١٢٢

... ..

النوع الثالث : في شجاعة العربية

وهو ستة أقسام :

القسم الأول : في الالتفات ... .. ٩٨ - ١٠٢

معنى الالتفات ( ٩٨ ) . الرجوع من الخطاب الى الغيبة ( ١٠٠ ) الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الأمر ( ١٠١ ) . الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ( ١٠١ ) .

القسم الثاني : في الاخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي ١٠٢-١٠٥

القسم الثالث : في عكس الظاهر : ... .. ١٠٥ - ١٠٦

تفرّد ابن الأثير بذكره ( ١٠٥ ) .

القسم الرابع : في الجمل على المعنى : ... .. ١٠٦ - ١٠٨

دقة هذا النوع من التأليف ( ١٠٦ ) وروده في القرآن وفي فصيح الكلام ( ١٠٦ ) . تأنيث المذكر ( ١٠٦ ) تذكير المؤنث ( ١٠٧ ) . حمل الواحد على الجماعة ( ١٠٧ ) . حمل الجماعة على الواحد ( ١٠٨ ) .

القسم الخامس : في التقديم والتأخير ١٠٨-١١٨

ما كان التقديم هو الأولى به ( ١٠٩ ) . تقديم المفعول على الفعل ( ١٠٩ ) . تقديم خبر المبتدأ ( ١٠٩ ) تقديم الظرف في الإثبات ( ١١٠ ) . تأخير الظرف وتقديمه في النحو ( ١١١ ) تقديم الحال ( ١١٢ ) . تقديم ما الأولى به التأخير ( ١١٢ ) باب الاستفهام ( ١١٤ ) .

القسم السادس : في الاعتراض : ١١٨-١٢٢

ما يأتي في الكلام لفائدة ( ١١٨ ) . ما يأتي في الكلام لغير فائدة ( ١٢٠ ) .

النوع الرابع : في الإيجاز : ١٢٢-١٤٦

القسم الأول : الإيجاز بالحذف : وهو أربعة عشر باباً

الضرب الأول : الاكتفاء بالسبب عن المسبب ( ١٢٤ ) .

الضرب الثاني : الاضمار على شريطة التفسير : ( ١٢٥ ) .

الضرب الثالث : حذف الفعل وجوابه : ( ١٢٧ ) . إقامة المصدر مقام الفعل ( ١٢٨ )

حذف جواب الفعل ( ١٢٩ ) .

الضرب الخامس : حذف المضاف والمضاف اليه وإقامة كل منهما مقام الآخر : ( ١٣٠ ) .

الضرب السادس : حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر : ( ١٣١ ) .

الضرب السابع : حذف الشرط وجوابه ( ١٣٣ ) .

الضرب الثامن : في حذف القسم وجوابه : ( ١٣٤ ) .

الضرب التاسع : في حذف ( لو ) وجوابها : ( ١٣٥ ) .

الضرب العاشر : حذف جواب ( لَمَّا ) وجواب ( أَمَّا ) وجواب ( إِذَا ) ( ١٣٦ ) .

الضرب الحادي عشر : في حذف ( لا ) من الكلام . ( ١٣٧ ) .

الضرب الثاني عشر : في الاستثناء : ( ١٣٧ ) . إعادة الأسماء والصفات ( ١٣٧ ) .

الاستثناء بغير إعادة الأسماء والصفات ( ١٣٨ ) .

الضرب الثالث عشر : في حذف الواو وإثباتها . ( ١٣٩ ) .

الضرب الرابع عشر : في الحذف الذي يوجب الاخلال في الكلام ( ١٤١ ) .

القسم الثاني : الایجاز من غير حذف  
١٤٢-١٤٦

الضرب الأول : ما يساوي لفظه معناه : ويسمى التقدير . ( ١٤٢ ) .

الضرب الثاني : فيما زاد معناه على لفظه وهو الایجاز بالقصر ( ١٤٣ ) كثرته في القرآن

( ١٤٣ ) . باب أفعل ( ١٤٥ ) .

النوع الخامس من الباب الأول من الفن الثاني

١٤٦-١٥٢

في الاطناب

التباس هذا النوع ( ١٤٦ ) . قول أبي هلال العسكري فيه ( ١٤٧ ) . ردّ ابن الأثير

عليه ( ١٤٨ ) معنى الاطناب ( ١٥١ ) .

النوع السادس من الباب الأول من الفن الثاني

١٥٢-١٥٦

في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل



فوائد قوله تعالى « انك أنت الأعلى » ( ١٥٢ ) .

١٥٦-١٦٩

النوع السابع : في الكناية والتعريض

خلط القدماء بين الكناية والتعريض ( ١٥٦ ) . تعريف الكناية ( ١٥٦ ) . تعريف

التعريض ( ١٥٧ ) .

الضرب الأول من الكناية ( الذي يحسن استعماله ) ( ١٥٧ ) . وهو أربعة أقسام :

القسم الأول : التمثيل ( ١٥٧ ) . القسم الثاني : في الازداف ( ١٦٠ ) . والازداف

خمسة فروع :

الفرع الأول : فعل المبادهة ( ١٦٠ ) . الفرع الثاني : وهو باب مَثَل : ( ١٦١ ) .

الفرع الثالث من الازداف : وهو ما يأتي في جواب الشرط ( ١٦٢ ) . الفرع الرابع من

الأرداف وهو الاستثناء من غير موجب ( ١٦٢ ) . الفرع الخامس من الازداف : ( ١٦٣ ) .

القسم الثالث من الكناية : وهو المجاورة ( ١٦٤ ) . القسم الرابع من الكناية : ما ليس

بتمثيل ولا إرداف ولا مجاورة ( ١٦٥ ) .

التعريض : وجوازه في خطبة النساء ( ١٦٦ ) . من بديع التعريض ( ١٦٧ ) من

مشكلات التعريض ( ١٦٧ ) . من أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة ( ١٦٩ ) .

النوع الثامن من الباب الأول من الفن الثاني :

١٦٩-١٧٢

في استعمال العام في النفي والخاص في الإثبات

النوع التاسع : من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٢-١٧٥

في التفسير بعد الإبهام

الابتداء بذكر الضمير ( ١٧٣ ) . الإبهام من غير تفسير ( ١٧٤ ) . الاستثناء العددي ( ١٧٤ )

النوع العاشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٥-١٧٦

في التعقيب المصدر

النوع الحادي عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٦-١٧٩

في التقديم والتأخير مما لا يتعلق بعلم النحو

تقديم السبب على المسبب ( ١٧٦ ) . تقديم الأكثر على الأقل ( ١٧٧ ) .

النوع الثاني عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٧٩-١٨١

في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده

فائدته ( ١٧٩ ) . ما يقصد به الذم ( ١٨٠ ) .

النوع الثالث عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٨١-١٨٧

في التخلص والاقتضاب

معنى التخلص ( ١٨١ ) معنى الاقتضاب ( ١٨١ ) .

النوع الرابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٨٧-١٩٣

في المبادئ والافتتاحات :

فوائد هذا الباب ( ١٨٧ ) . إسحق بن ابراهيم وقصر المعتم ( ١٨٨ ) . الابتداءات في

القرآن ( ١٩١ ) الابتداء المستكره ( ١٩١ ) . الابتداء البديع البارع ( ١٩١ ) .

النوع الخامس عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٩٣-١٩٧

في قوة اللفظ لقوة المعنى

« فاعل » و « فاعيل » وأيهما أبلغ ( ١٩٣ ) .

النوع السادس عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٩٧-١٩٨

في خذلان المخاطب

النوع السابع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

١٩٨-٢٠١

في الاشتقاق

تفضيل بعضهم الاشتقاق على التجنيس ( ١٩٨ ) . الاشتقاق الصغير ( ١٩٩ ) — الاشتقاق

الكبير ( ٢٠٠ ) .

النوع الثامن عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٠١-٢٠٣

في الحروف العاطفة والجاراة

النوع التاسع عشر من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٠٤-٢١١

في التكرير

ما يوجد في اللفظ والمعنى ( المفيد ) ( ٢٠٤ ) . الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى  
( غير المفيد ) ( ٢٠٧ ) . التكرير الذي يوجد في المعنى دون اللفظ ( ٢٠٩ ) . الضرب الأول  
( المفيد ) ( ٢٠٩ ) . الضرب الثاني ( غير المفيد ) ( ٢١٠ ) .

النوع العشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢١١-٢٢٤

في تناسب المعاني : وهو ثلاثة أضرب :

الضرب الأول : المطابقة : وهي المقابلة ( ٢١١ ) . تسمية « قدامة » له بالتجنيس ( ٢٢١ ) .  
مقابلة الشيء بضده ( ٢١٢ ) . مقابلة الشيء بغيره ( ٢١٣ ) . وهو ضربان :  
الضرب الأول : ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقابل ( ٢١٣ ) .  
الضرب الثاني : أن يقابل الشيء بما بينه وبينه بعد ( ٢١٣ ) .  
الضرب الثاني من النوع العشرين : في صحة التقسيم وفساده ( ٢١٨ ) .  
الضرب الثالث من النوع العشرين : في التفسير وما يصح من ذلك ويفسد ( ٢٢١ ) .

النوع الحادي والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٤-٢٢٥

في الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية

النوع الثاني والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٥ -

في ورود ( لام التأكيد ) في الكلام

النوع الثالث والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٢٦-٢٣٠

في الاقتصاد والافراط والتفريط

التفريط ( ٢٢٦ ) . الافراط ( ٢٢٨ ) . الاقتصاد ( ٢٢٩ ) .

النوع الرابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني

٢٣٠-٢٣١

في المعازلة

٢٩٥

قول « قدامة » فيه ( ٢٣٠ ) . مخالفة علماء البيان لقدامة ( ٢٣١ ) . المعاطلة بابها التقديم والتأخير ( ٢٣١ ) .

النوع الخامس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٣٥ — ٢٣٣

في التضمين

تضمين الاسناد ( ٢٣٢ ) .

النوع السادس والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٣٨ — ٢٣٥

في الاستدراج

النوع السابع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٤١ — ٢٣٨

في الارصاد

النوع الثامن والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

— ٢٤٢

في التوشيح

النوع التاسع والعشرون من الباب الأول من الفن الثاني :

٢٥٠ — ٢٤٢

في الأخذ والسرقة

النسخ ( ٢٤٣ ) . السلخ ( ٢٤٣ ) . المسخ ( ٢٤٨ ) .

الباب الثاني

من الفن الثاني من القطب الثاني

« في الصناعة اللفظية »

النوع الأول من الباب الثاني

٢٥٥ — ٢٥١

في السجع والازدواج

ذم جماعة للسجع ( ٢٥١ ) . رد ابن الأثير عليهم ( ٢٥١ ) . أقسام السجع ( ٢٥٣ ) .

النوع الثاني من الباب الثاني

٢٦٣ — ٢٥٦

في التجنيس

تسميته بذلك ( ٢٥٦ ) . وهو سبعة أقسام :

القسم الأول من النوع الثاني من التجنيس ( ٢٥٦ ) وهو التجنيس المطلق .

القسم الثاني من النوع الثاني من التجنيس ( ٢٥٩ ) . وهو أن تكون الألفاظ متساوية

التركيب مختلفة الوزن .

القسم الثالث من النوع الثاني من التجنيس ( ٢٦٠ ) أن تكون الألفاظ متساوية في

الوزن مختلفة من التركيب .

القسم الرابع من النوع الثاني من التجنيس ( ٢٦١ ) أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن

مختلفة في التركيب بحرف واحد .

القسم الخامس من النوع الثاني من التجنيس ( ٢٦١ ) .

وهو المعكوس : وهو ضربان : الأول : عكس الألفاظ ( ٢٦١ ) . والضرب الثاني :

عكس الحروف ( ٢٦٢ ) .

القسم السادس من النوع الثاني من التجنيس : وهو المنجذب ( ٢٦٣ ) .

القسم السابع من النوع الثاني من التجنيس : وهو ما تساوي وزنه وتركيبه ( ٢٦٣ ) .

النوع الثالث من الباب الثاني :

٢٦٣-٢٦٥

في التصريح

أصله ( ٢٦٣ ) . أقسامه : القسم الأول : وهو أن تكون ألفاظ الفصل الأول مساوية

لألفاظ الفصل الثاني وزناً وقافية ( ٢٦٤ ) . القسم الثاني : ما كان أحد الألفاظ الفصل الأول

مخالفاً لما يوازيه من الفصل الثاني ( ٢٦٥ ) .

النوع الرابع من الباب الثاني

٢٦٥-٢٧٠

في لزوم ما لا يلزم

جمع أبي العلاء كتاباً في ذلك ( ٢٦٥ ) . حقيقة هذا النوع ( ٢٦٦ ) .

النوع الخامس من الباب الثاني :

٢٧٠ - ٢٧١

في الموازنة

النوع السادس من الباب الثاني :

٢٧١ -

في اختلاف صيغ الألفاظ

## فهرست الأعلام

- ابن جني - ٢٩ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٩ و ٩٨ و ٢٠٨
- ابن الجوزي - ١٢٨
- ابن الحاجب - ٩
- ابن حاجب - ١١
- ابن خريم بن عمرو - ١٢٧
- ابن خلصان - ١٨٢
- ابن الدمينة - ١٥٩
- ابن رشيق - ٢٣ و ٢٧ و ١٨٨
- ابن الرومي - ٤٧
- ابن ربيعة الطائي - ٢٠٠
- ابن الزمكدم - ١٨٥
- ابن السراج - ٢٩
- ابن سعد - ٢٤
- ابن سنان الخفاجي - ٣ و ٣٢ و ٣٥ و ٣٤
- ٣٨ و ٣٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٨ و ٧٧ و ٧٨
- ٧٩ و ٨٢ و ١٥٦ و ١٥٧
- ابن سينا - ٣٥
- ابن شاكر الکتبي - ٣
- حرف الألف
- ابراهيم ( السورة ) ٥٧ و ١٠٨ و ١١٤
- ١٣٦ و ١٦٧ و ١٧٣ و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٧
- ابراهيم النعمة - ١٨٥
- ابراهيم بن المدبر - ٩٧
- ابرويذ - ٢٤
- ابن بويه - ٢٩
- ابن الأثير - ٤٤ و ٥٨ و ٩٨ و ١٥٣
- ١٦٥ و ١٦٨
- ابن أبي الحديد المدائني - ١٤ و ١٥ و ٣٩
- ٤٠ و ١٧٠
- ابن أبي طالب ( علي ) - ٤٥
- ابن الأصبغ ( عرام ) - ٤٣
- ابن أبي عينية ( عبد الله بن محمد المهلب ) -
- ١١٦
- ابن برهان - ١٩٦
- ابن بري - ٤٨
- ابن تغري بردي - ١٨٦
- ابن جعفر - ١٦٠

أبو البقاء العكبري - ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ١٩٦  
أبو بكر الاسفزازي - ٢  
أبو تمام - ٢ و ٦٧ و ٨٥ و ٨٨ و ٩٥  
و ١٦٨ و ١٨٧ و ١٩٠  
أبو جابر - ١٨٥  
أبو جعفر المدني - ١١  
أبو الحارث ( غيلان بن عقبة ) - ٩٧  
أبو الحسن ( أبو القاسم ) - ٤٦  
أبو الحسن الأخفش - ٢٩ و ٣٧ و ١٣٠  
أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبدالله  
الرماني - ٢  
أبو الحسن الوراق - ٢  
أبو الحسن علي بن الجهم - ١٨٢  
أبو حيان التوحيدى - ٢٧  
أبو دلف القاسم بن عيسى - ١٤٢  
أبو دؤاد - ١٤١  
أبو دؤاد الايادي - ١٤١  
أبو زهير ( طهفة ) - ٤٢  
أبو زيد الأنصاري - ٨٩  
أبو سعيد الثغري - ٨٩  
أبو الطيب ( المتنبي ) - ١٩ و ٤٩ و ٥١  
و ٥٨ و ٩٤ و ١٦٦ و ٢٠٨ و ٢٠٩  
أبو العباس المبرد - ٣٦  
أبو عامر - ٩٦  
أبو العباس - ٢٢

ابن صميع المرثدي - ١٦٨  
ابن طباطبا - ٨٧  
ابن الطرية - ٧٠  
ابن عباد - ٢٠٩  
ابن عبد الحق - ١٦٧  
ابن عدلان - ٢٠٨  
ابن عصفور - ٤٨  
ابن فارس - ١١ و ٢٦ و ١٦١ و ١٧٢  
ابن قتيبة - ١٤٧ و ١٤١ و ١٤٢  
ابن القوطية - ١٩٥  
ابن كثير - ٢٢  
ابن كمال - ٢٦  
ابن مسعود - ٣٦  
ابن مظعون ( عثمان ) - ١٦٧  
ابن المعتز - ٢٢ و ٩٤ و ١٤٣ و ١٨٩  
١٩٠  
ابن نباتة - ١٨٢  
ابن النديم الموصلي - ٢٩ و ١٨٦ و ١٩٠  
ابن هانيء المغربي - ٤٦ و ٥٢ و ١٢٠  
و ٣١٠  
ابن هانيء الحكمي ( أبو نواس ) - ٤٦  
أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون  
الصابي - ١٨ و ٥٣  
أبو أيوب ( أحمد بن عمران ) - ١٦٦  
أبو أيوب المورياني - ١٦٩  
٣٠٠



أبو هلال العسكري - ٢ و ٤٧ و ٨٢ و ١٥٥  
و ٢٠٠

أبو الهيثم (بن عمار بن ضريم) - ١٢٧

أبو الوليد (ممن بن زائدة) - ٩٥

أبو يحيى عبد الرحيم - ١٩

أبو يعقوب اسحاق بن حسان - ١٢٧

أبي بن كعب - ٣٦ و ٢٨

أحمد - ٩٩

أحمد بن طاهر - ١٨٦ و ١٨٩

أحمد بن عمران - ١٦٦

أحمد بن المدبر - ٩٧

أحمد بن هشام - ١٨٦

أحمد مصطفي المراغي - ٦٦

الأخطل - ١٩٠

الأخفش - ٢٩

الأرجاني - ١٨٦

الأزدي - ٩٥

الأزهري - ١٧٦

إسحاق - ١٨٦ و ١٨٧

إسحاق بن ابراهيم الموصلي - ١٨٦ و ١٨٩

و ١٩٠

أسد - ١١٣

الأسدي (الحسين بن مطير) - ٩٥

إسماعيل - ١٩ و ٥٧ و ١٧٣ و ١٨٧

أشجع بن عمرو - ١٨٩

أبو عبدالله محمد بن الحسن المذحجي - ١٣

أبو عبيدة - ٤٤

أبو عثمان - ١٠

أبو عثمان المازني - ١٠

أبو عثمان الجاحظ = الجاحظ

أبو العلاء - ١٨٢

أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي - ٢

أبو علي الفارس - ٢٩ و ٤٨

أبو جعفر بن علي الأندلسي - ٤٦

أبو العميثل - ١٩٠

أبو الفتح بن جني = ابن جني

أبو الفرج (قدامة بن جعفر) - ٢١١

أبو الفرج الشيباني - ٥٢

أبو الفضل (عمرو بن مسعدة بن سعد بن

سول) - ١٦٩

أبو القاسم الأمدي - ٢ و ٤ و ٤٦ و ٨٧ و ٧٨

أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب - ٢٢

أبو المحاسن مسعود بن محمد بن غانم - ١

أبو محمد بن سنان الخفاجي = ابن سنان

أبو محمد (اسحاق بن ابراهيم بن ماهان)

- ١٨٦

أبو منصور الجواليقي - ٥١ و ٥٠

أبو منصور الثعالبي - ٢٠٨

أبو نواس - ٤٦ و ١٥٦ و ١٨٨ و ١٩٠

أبو نهشل (حميد) - ١٩٢

بنو العباس - ٤٥  
 بنو ثعلبة بن سعد بن ضبة - ١٥  
 بنو الحارث بن كعب - ١٦٨  
 بنو محارب بن حصفقة - ١٤١  
 بنو معقل - ١٨٥  
 بنو سعد - ٤٥  
 بنو مهد - ٤٥  
 بنو النجار - ١٢٨  
 حرف التاء  
 تأبط شراً - ٥٤ و ١٣٠  
 التبريزي - ٥٤ و ٨٥ و ٨٨ و ٩٥ و ١٢٧  
 و ١٦٨ و ٢٠٠  
 تميم - ١٤١  
 حرف التاء  
 ثمود - ٢٠٦  
 ثعلب - ٢٧ و ٢٩  
 الثعالبي - ٢٠٩  
 حرف الجيم  
 الجاحظ - ٢ و ٣٤ و ٨٢ و ١٦٦  
 جارية بن الحججاج - ١٤١  
 الجرجاني (عبد القاهر) - ٦٤ و ٧٠ و ٣٣  
 جرير بن عطية - ٩٩  
 الجزري - ٣٦  
 جعفر - ٤٦  
 جعفر بن سليمان الهاشمي - ٩٠

الأصمعي - ١٠ و ١٣١ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٩٥  
 الأعمرج - ١١  
 أم جندب - ١٤١  
 الأمدي - ٣٤ و ١٦٨  
 أم زرع - ٦٤  
 امرؤ القيس - ١٧ و ٨٧ و ٨٧ و ١٠٦  
 و ١١٥ و ١١٦ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٥٦ و ١٥٧  
 الأمين - ٩٢ و ١٨٦ و ١٩٠  
 الأندلسي (محمد بن هانيء) - ٤٦  
 أوس بن حجر - ١٠٦  
 حرف الباء  
 البابي (الجلي) - ٤٢ و ١٦٩  
 البحترى - ٩٧ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٩٠  
 و ١٩٩ و ٢١٣  
 الباخرزي - ٢٠  
 البرقعدي - ١٨٥ و ١٨٦  
 البرقي - ١٦٧  
 البرامكة - ١٨٩  
 البغدادي - صاعد بن الحسن - ٩٦  
 بكر بن محمد البصري - ١١٠  
 بكر بن الفطاح - ٩٢  
 بنت حكيم (خولة) - ١٦٧  
 بنو إسرائيل - ١١٩ و ١٣٤  
 بنو تميم - ١٨٠  
 ٣٠٢

خالد بن عبد الله القسري - ١١٣  
 خالد بن الوليد - ١١٣  
 خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني - ١١٦  
 الخريبي - ١٢٧ و ١٧٩  
 الخضر بن أحمد الثعلبي - ١٢٦  
 الخطيب - ٩٢ و ١٨٦ و ١٨٩  
 الخطيب البغدادي - ١٤٣  
 الخطيب التبريزي = التبريزي  
 الخطيب القزويني - ٦٩  
 الخفاجي - ٣  
 الخليل بن أحمد - ١١ و ٢٨ و ٣٦  
 خولة بنت حكيم - ١٦٧  
 حرف الدال  
 داود - ١٢٨  
 حرف الذال  
 ذو الرمة - ١ و ٩٧ و ١٠٧ و ١٨٨ و ٢١٤  
 ذو الكفل - ١٨٧  
 حرف الزاء  
 رزق الله سرقيس - ٢١٣  
 الرشيد - ١٣٣ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٩  
 الرضي - ٥٣ و ٥٦ و ١٦٩  
 الرضي الاسترابادي - ١١  
 رضي - ١٤٠

جعفر بن علي الأنداسي - ٤٦  
 الجهمشيارى - ١٦٩  
 الجوهرى - ١ و ١٠ و ١١ و ٢٦ و ٤٧  
 و ٦٢ و ٩٢ و ١٠٨ و ١٩٤  
 حرف الحاء  
 حاتم - ١٢٦  
 الحارثي - ١٦٨  
 حبيب النجار - ١٠٢  
 حجازي - ٢٣  
 الحريري - ٤٨  
 حسام الدين - ٢٠٨  
 الحسن بن بشر الأمدي - ٨٧  
 الحسن بن سهل - ١٤٢  
 الحسن بن عبد الله العسكري - ٢٠  
 حسن السندوبي - ١٣٧  
 الحسين بن إسحاق التنوخي - ٤٩ و ٥٠  
 الحسين بن مطير الأسدي - ٩٥  
 الحلبي - ٥٠ و ٥٣ و ١٦٦  
 حميد بن عبد الحميد الطوسي - ١٤٢  
 حميد أبو نهشل - ٩٢  
 حنظلة بن الشرقي - ١٤١  
 الحيان - ٢٠٠  
 حرف الخاء  
 خالد - ١١٣ و ١١٦ و ١٢٦ و ١٦٩

الرماني أبو الحسن علي - ٢  
رياً - ٦٧

حرف الزاي

الزجاج ٢٩ و ١٩٥

الزركلي - ٢٢ و ٢٩ و ٤٦ و ١٢٨

الزخشي - ٢٤ و ٦٥ و ٨٩ و ١٤٠ و ١٥٣

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢٠٧

الزركم - ١٨٥

زهير - ١٢٠

حرف السين

السامي - ١٢٧ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٨٩

سعاد - ١٩٠

سعد - ٧١

سعيد بن إياس بن هانيء - ١٩٠

السلمي - ١٨٩

سلى - ٩٧

سليمان - ١٦٦

سليمان بن فهد الموصلي - ١٨٥

سليمان بن عبد الملك - ١٦٥

السمعاني - ٢

سويد بن صميع - ١٦٨

سيبويه - ٢٨ و ٢٩ و ٣٧ و ١٣١

سيف الدولة - ٢٩

سيف الدولة بن حمدان ٥١ و ٩٤

السيوطي - ٢٨ و ١٠

حرف الشين

الشافعي - ١٩

الشريف الرضي ٣٢ و ٥٣ و ٥٤ و ١٦٦

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢١٢

شكيب أرسلان - ٨٨

الشميذر الحارثي - ١٦٨

شهاب الدين محمود الآلوسي - ٤٨

حرف الصاد

الصابي ١٨ و ١٩ و ٢١١

الصاحب - ٢٠٨

صاعد بن الحسن البغدادي - ٦٩

الصفدي - ١٤٣

الصمة بن عبد الله بن طفيل - ٦٦

حرف الطاء

الطائعي - ١٨

طرفة بن العبد البكري - ١٧

طه - ٦٣ و ١٣٠ و ١٤٤ و ١٥٥

طهفة بن زهير ٤٢

حرف العين

عاد - ١٣٤ و ٢٠٦

العباس بن الاحنف - ١٣٣

عبد الرحيم بن نبأته - ١٩

عبد العزيز بن مروان - ١٦٥

عبد القاهر الجرجاني - ٦٤ و ٧٦ و ٨٣

علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين  
 العالوي - ١١٧  
 علقمة - ١٤١  
 علقمة بن عبدة - ١٤١  
 علي بن أبي طالب - ٤٥ و ١٠٥  
 عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير - ١١٦  
 عمر بن أبي ربيعة - ١٠٨  
 عمر بن عبد العزيز - ١٦٧  
 عمرو بن عثمان - ٦٨  
 عمران - ٥٧ و ١٣٦  
 عمرو بن مسعدة - ١٦٩  
 عنقرة - ١٦٤  
 عيسى البابي - ٢٤ و ١٥٤  
 حرف الغين  
 الفاعمي - ٨٢ و ١٥٦ و ١٨٢  
 غيلان بن عقبة (أبو الحارث) - ٩٧  
 حرف الفاء  
 الفارسي - ٢٩  
 نخري - ٢٢  
 فرعون - ١٣٤ و ١٤٤ و ١٧٣ و ٢٠٦  
 الفرزدق - ١١٣ و ١١٤ و ١٩٩  
 فريتس كرنكو - ١٩٠  
 الفضل بن يحيى - ١٨٨  
 فوز - ١٩٠  
 الفيومي - ١١ و ١٠٦

عبد الله ٢٢  
 عبد الله بن خليل - ١٩٠  
 عبد الله بن طاهر - ١٢٠  
 عبد الله بن مسمود - ٣٦ و ٥٥ و ١٢٨  
 عبد المجيد الملا - ١٣٣  
 عبد الله بن طاهر الخزاعي - ١٩٠  
 عبد الوهاب عزام - ٩٤  
 عبد الله بن سليمان - ٢٢  
 عثمان بن جني = ابن جني  
 عثمان بن مضعون - ١٦٧  
 عرام بن الاصبغ - ٤٣  
 عروة بن الورد - ٧٨  
 عزة - ٧٠ و ١٦٤  
 عز الدين بن أبي الحديد = ابن أبي الحديد  
 عز الدين بن الأثير - ٢  
 عز الدولة - ١٨  
 عضد الدولة - ٢٩  
 عفيف الدين علي بن عدلان = ابن عدلان  
 عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى - ٧٠  
 العكبري = أبو البقاء العكبري  
 علي الأرمني - ١٢٤  
 علي بن جبلة - ١٤٢  
 علي بن عبد الله بن حمدان = سيف الدولة  
 ٩٤  
 علي بن الجهم - ١٨٢

### حرف القاف

- قدامة بن جعفر - ٢ و ٢٠ و ٣٤ و ٨٢  
و ٨٧ و ١٦٠ و ٢١١ و ٢١٢  
قدور - ١٩٠  
قرواش - ١٨٥  
قرواش بن المقلد ( امير بني عقيل ) - ١٨٥  
القزويني ( الخطيب ) - ٦٩  
قس بن ساعدة - ٧٣

### حرف الكاف

- كثير عزة - ٧٠ و ١٢٠ و ١٦٤  
الكسائي - ٢٨  
كستاف - ١٧٧  
كسرى - ٢٤

### حرف اللام

- لبيد - ٢٧ و ١٤١  
لقمان - ١١٩  
لوط - ٢٠٦

### حرف الميم

- المأمون - ١٤٢ و ١٦٩ و ١٨٦  
البارك ( ابن الأثير ) - ٤٣  
المبرد - ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٩ و ٣٧ و ١١٦  
المتنبي ( أبو الطيب ) - ٥٠ و ٥١ و ٥٨  
و ٩٤  
المتوكل ( على الله العباس ) - ٢١٣

محمد بن عبد الله النخعي - ٢٢

- محمد بن يزيد الأزدي ( المبرد ) - ٢٢  
محمد ( رسول الله ص ) - ٢٤ و ٤٥  
محمد محيي الدين عبد الحميد - ١٣  
محمد بن هانيء - ٤٦  
محمد بن الهيثم - ٦٧  
محمد علي صبيح - ٨٥  
محمد عبده عزام - ٨٥

محمود شكري الألوسي - ٤٨ و ١٤١

- المرزوقي - ٣٣  
مريم ( سورة ) - ٧٥ و ١٢٦ و ١٥٤  
المرزباني - ١٤١ و ١٦٩ و ١٨٨  
مرغليوث - ١٦٩

مسلم - ٢٠٨

مسعدة - ١٦٩

مصطفى الباسي ( الجليبي ) - ٤٩ و ١٣٠  
و ١٦٧

مصطفى جواد ( الدكتور ) - ١٨

المطيع - ١٨

معاوية - ٢٤

المعتصم ( الخليفة العباسي ) - ١٨٦ و ١٨٨  
و ١٨٩ و ١٩٠  
المعتمد - ٢٢  
معن بن زائدة - ٩٥

حرف الهاء

- الهادي - ١٨٦  
هارون الرشيد - ٩٢ و ١٠١ و ١٢٨ و ١٢٩  
هامان - ١٧٣  
هود (السورة) - ٢٨ و ١٠١ و ١٠٥  
و ١٣٦ و ١٣٩

حرف الواو

- وائل بن حجر - ٢٤  
وائل بن حجر بن ربيعة - ٢٤  
الواحدي - ٢٠٨ و ٢٠٩  
الوليد بن المغيرة المخزومي - ١٤٤

حرف الياء

- ياسين - ١٣٧ و ١٣٨  
ياقوت - ١٨ و ٢٩  
ياقوت الجموي - ٢٢ و ٨٧ و ٩٦ و ١٣٢  
و ١٨٥ و ١٨٨  
يحيى البرمكي - ٢٨  
يحيى بن خالد بن برمك - ١٨٩  
اليسع - ١٨٧  
يعقوب - ١٨٧  
يوسف - ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣٧ و ١٧٠  
يونس - ٩٣ و ١١٥ و ١٧٤

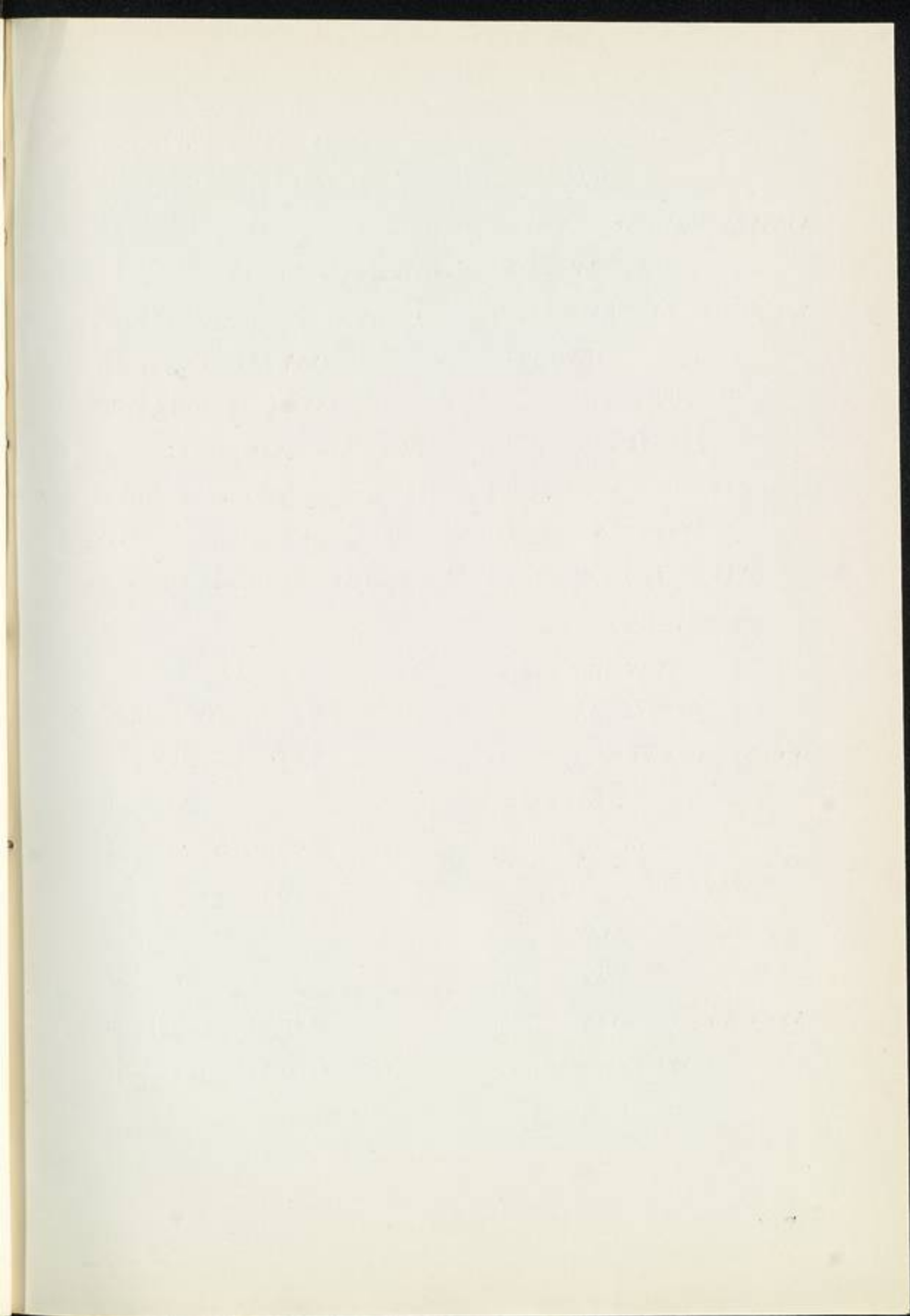
المغربي (ابن هانئ) - ٤٦

- المغيث بن علي المجلي - ٢٠٤  
المفضل بن محمد - ١٥  
المفضل الضبي (أبو عبد الرحمان) - ١٥  
المنصور (محمد بن أبي عامر) - ٨٦  
المنصور - ٤٧ و ٩٥ و ١٦٩  
المورياني (أبو أيوب) - ١٦٩  
موسى - ١٠١ و ١٠٢ و ١٢٥ و ١٢٥  
و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٥٣ و ١٥٥ و ١٥٩  
و ١٧٣  
موهوب بن أحمد ابن الجواليقي -

٥١

حرف النون

- النايفة - ١٢٠  
نافع بن أبي نعيم - ١٠  
نافع - ١١  
نصر الله بن الأثير - ٣٩  
نصيب بن رباح - ١٦٥  
نظام الملك - ٢  
نعمان - ٢  
نعمان (الأعظمي) - ١٣٣  
نوح - ١٧١ و ١٧٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦





## فهرست المدن والأماكن

حرف التاء	حرف الألف
تهامة - ٤٢	الأبلة - ١٣٢
حرف الحاء	أبو الخصب - ١٣٢
حلب - ٢٩	الأستانة - ١٥، ٤٧، ١٤٠
حنين - ١٦٧ و ١٦٨ و	إسقاطبول - ١٥، ٤٧، ١٤٠
حرف الخاء	إشبيلية - ٤٦
خراسان - ٩٥ و ١١٣ و ١٣٣ و ١٣٤ و	أفريقية - ٤٦
١٨٩ و	أندلس - ٩٦
حرف الدال	الأهواز - ٨٢
دمشق - ٥١ و ١٨٢	أوربا - ٢٢ و ١٤٢ و ١٦٧
حرف الراء	حرف الباء
الرقعة - ١٨٩	باريس - ١٨ و ١٩
الري - ١٩٠	باشزى - ١٨٥
حرف الزاي	البصرة - ٢٢ و ٢٨ و ٨٧ و ١٣٢ و ١٨٩
الزاب - ٤٦	بغداد - ٢٩ و ٤٧ و ٥٠ و ٥١ و ٨٢ و ٩٦
زرود - ١٩٠	و ١٦٧ و ١٨٦ و ١٨٩
حرف السين	بلخ - ١٣٢
سامرا = سر من رأى	بيروت - ٤٦
سبأ - ٢١٤	البيضاء - ٢٨

الكوفة — ٢٤  
حرف اللام  
لندن — ١٩٠  
ليدن — ١٢٧ و ١٤١  
حرف الميم  
المدينة — ٦٣  
مصر — ٢٢ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٣  
و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٨ و ٤٦ و ٥١ و ٥٢  
و ٦٧ و ٩٢ و ٩٤ و ١٠١ و ١١٤ و ١٤٠  
و ١٤١ و ١٤٧ و ١٩٠ و ١٨٩ و ١٩٩  
و ٢٠٨  
منى — ٧٠ و ٧١  
الموصل — ١٨٥  
ميافارقين — ١٩  
حرف النون  
نجد — ١٤١  
نصيبين — ١٨٥  
نيسابور — ٢٠  
حرف الواو  
وج — ١٦٧ و ١٦٨  
ودان — ١٦٦  
حرف الياء  
اليمين — ٢٤ و ٥٠ و ٥٢

سجستان — ٩٥  
سر من رأى — ١٨٩  
سلمى — ١٩٩  
ساووقه — ٥٢  
حرف الشين  
الشام — ١٨ و ٣٧  
شيراز — ٢٨  
حرف الطاء  
الطائف — ١٦٧  
طهران — ٣٥  
حرف العين  
العراق — ٥١ و ٥٢ و ٣٧  
العقيق — ١٩٠  
حرف النين  
غوطة دمشق — ١٣٢  
الغويز — ١٩٠  
حرف الفاء  
فارس — ٢٨ و ٢٩ و ١٥٠  
حرف القاف  
القاهرة — ١٨ و ٤٢ و ٩٨ و ١٣٠ و ١٣٧  
و ١٤٤ و ١٥٣ و ١٥٦ و ١٦٥ و ١٦٨  
القسطنطينية — ١٥ ، ٤٧ ، ١٤٠  
حرف الطاء  
كاظمة — ٩٧ و ١٩٩  
٣١٠

## فهرست الكتب

- حرف الألف
- الآيات السافرة - ١٩٠
- أخبار بغداد - ١٨٦
- أدب السكاتب - ٥١
- أساس البلاغة - ٢٦ و ٢٠٧
- أسباب حدوث الحروف - ٣٥
- أسد الغابة - ٣٦
- أسرار البلاغة - ٧٠ و ٧٦
- أسماء بقايا الأشياء - ٨٢
- الاصابة - ٢٤ و ٣٦ و ٤٢
- إعجاز القرآن - ٢
- إعراب القرآن - ٢٢
- الأعلام - ٢٢ و ٢٩ و ٤٦
- الأغاني - ٢٢ و ١٠٣ و ١٢٧ و ١٦٥ و ١٦٦
- و ١٨٢ و ١٨٦ و ١٨٩ و ١٩٠
- الامتاع والمؤانسة - ٢٧
- الأمثال - ١٥
- الأنساب - ٢
- الأنواء - ٢٩ و ٣٧
- الأوائل - ٨٢
- الايضاح - ٢٩ و ٦٩ و ١٠٦
- حرف الباء
- البداية والنهاية - ٢٢
- بغية الوعاة - ٢ و ٢٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٧ و ٥١ و ٨٢ و ٨٧
- حرف التاء
- تاج العروس - ١٨٩
- التاجي في أخبار بني بويه - ١٨
- تاريخ بغداد - ٩٢ و ١٨٦ و ١٨٩
- تأريخ الخطيب البغدادي - ١٤٣ و ١٨٢
- تأريخ الطبري - ٢٤ و ١٥٠
- تبيين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر - ٢
- التنبية والجمع - ٢٩ و ٣٧
- التفضيل بين بلاغتي العرب والمعجم - ٨٢
- تحفظ أخبار الرسل - ١٩
- تذكرة السكاتب - ١٨٨
- تراجم الصحابة - ٣٦
- التشابه - ١٩٠
- التصريف - ١٠

الرد على ابن المعتز - ٢

الرد على سيبويه - ٢٢

الروضة - ٢٢

حرف الزاي

الزنجشيري - ٤٤

زهر الآداب - ١٨٢

حرف السين

سر صناعة الاعراب - ٣٦ و ٣٧

سر الفصاحة - ٣ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٨

٥٣ و ٥٨ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٧

حرف الشين

الشافية - ٩

شرح الحماسة - ٣٣ و ٥٤ و ١٢٧

شرح سيبويه - ٢٩

الشعر والشعراء - ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٨٩

شرح الكافية - ١٤٠

حرف الصاد

الصحاح - ٦٧ و ١ و ١٠ و ١٩٤ و ٦٢

١٠٨ و ٢٠٣

صناعة الجدل - ٢

الصناعتين - ٢ و ٤٧ و ١٤٧ و ٢٠٠ و ٨٢

حرف الضاد

الضرائر - ١٤١

حرف الطاء

طبقات الجزري - ٣٦ و ٨٧

تفسير كتاب سيبويه - ٢٩

تفضيل شعر امرئ القيس على شعر

الجاهليين - ٢

التنبه على غلط الجاهل والنبه - ٢٦

حرف الجيم

جمهرة الأمثال - ٢ و ٨٢

جمهرة أشعار العرب - ٢١٤

حرف الحاء

الحماسة - ٦٦ و ٦٧ و ١٦٨ و ٢٠٠

حرف الخاء

الخاص والمشارك في معاني الشعر - ٨٧

الخراج وصناعة الكتابة - ٤

الخصائص - ٥٩ و ٩٨

حرف الدال

درة النواص - ٤٨

دلائل الإعجاز - ٦٤ و ٦٦ و ٦٧ و ٧٠

٧٣ و ٧٦ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧

١٢٤ و ١٣٣ و ١٦٦

الدمية - ٢

ديوان أبي تمام - ٨٥ و ٨٨ و ٨٩

ديوان امرئ القيس - ١١٦

ديوان الحماسة - ١٦١

ديوان المتنبي - ٥٠

ديوان المعاني - ٢ و ٨٢

حرف الزاء

القرآن الكريم - ٣

حرف الكاف

الكامل - ١ و ٢٢ و ١١٦ و ١٦٥ و ١٦٦

كتاب سبويه - ٣٧ و ٤٧ و ١٣١

الكتاب المأثور عن ابن العمير - ١٩٠

الكشاف - ١٥٣ و ١٦٥

كشف الطرة - ٤٨

الكشف عن مساوىء شعر المتنبي - ٢٠٨

حرف اللام

اللباب - ٢

لسان العرب - ١٠ و ٢٦ و ٣٥ و ٣٦ و ٤١

حرف الميم

ما في عيار الشعر من الخطأ - ٢

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ٢

٣ و ٧ و ٢٨ و ٣٥ و ٤٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٧

٥٨ و ٦٦ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٨٩ و ٩٥

٩٨ و ٩٩ و ١٠٣ و ١١٣ و ١٢٣ و ١١٤

١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١

١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٣٩

١٤٠ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦١ و ١١٤ و ١٦٥

١٦٦ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧٢ و ١٨٣ و ١٨٠

و ١٨١ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٢ و ٢٠٤ .

المجازات القرآنية - ٣١

المجازات النبوية - ١٦٧ و ٢١٢

المجموع اللغيف - ١٩٠

طبقات الشعراء - ٩٢ و ١٤١ و ١٤٣

و ١٨٩

حرف العين

عيون الأخبار - ٢٦٨

العمدة - ٢٣ و ٢٧ و ١٨٨

حرف الغين

غاية النهاية - ٣٦

غاية النهاية في طبقات القراء - ٣٦، ١٢٨

غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر - ٨٧

حرف الفاء

الفائق - ٢٤ و ٢٥ و ٤٢ و ٤٥ و ١٠٥

و ١٦٧ و ١٦٨ و ٢١٢

فرق ما بين الخاص والمشارك من معاني

الشعر - ٢

فقه اللغة - ١٦١

الفلك الدائر على المثل السائر - ١٤ و ١٥

و ٣٩ و ٤٠ و ١٧٠

الفهرست : - ٢٩ و ١٩٠

فهرس دار الكتب المصرية - ٨٢

فوات الوفيات - ٢ و ٣ و ٢٢ و ٩٥

حرف القاف

القاموس - ٣ و ٨ و ٢٦ و ٣٢ و ٤٣ و ٤٧

و ٤٨ و ٦٢ و ٨٥ و ١٦٢ و ٢٥٥

قاموس الأعلام - ١٢٨

المهذب - ٣٧ و ٣٩  
 الموازنة بين البحري وأبي تمام - ٨٧ و ٣ و ٢  
 المؤلف - ١٦٨  
 المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء - ٨٧  
 الموشح - ١٤١ و ١٨٨  
 حرف النون  
 نثر المنظوم - ٨٧  
 النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة -  
 ١٨٦  
 نزهة الألباء - ٢٩  
 نسب عدنان وقحطان - ٢٢  
 نقد الشعر - ٢ و ٨٧  
 نقد عيار الشعر - ٨٧  
 نكت الهميان في نكت العميان - ١٤٣  
 النهاية - ٢١٢  
 النوادر - ١٤٣  
 نوادر الأعراب - ١٤٣  
 حرف الواو  
 الوزراء والكتاب - ١٦٩  
 وفيات الاعيان - ١٨ و ١٩ و ٢٩ و ٥١  
 و ٨٦ و ٩٥ و ٩٧ و ١٤٣ و ١٨٢ و ١٩٠  
 حرف الياء  
 يتيمة الدهر - ٢٠٨

مختار الصحاح - ٦ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣  
 و ٤٣ و ٥٥ و ١١٠  
 مختصر الأنساب - ٢  
 مراصد الاطلاع - ١٦٧  
 مصارع العشاق - ١٣  
 المصباح المنير - ١١ و ١٨ و ١٠٦ و ١٧٦  
 و ١٩٥ و ١٩٦  
 معاني الحروف - ٢  
 معاني شعر البحري - ٨٧  
 معاني الشعر - ١٩٠  
 معاني القرآن - ١١  
 معجم البلدان - ١٣٢ و ١٨٥ و ١٨٨  
 المعجم - ١٨٥  
 المعجم في بقية الأشياء - ٢  
 معجم الأدباء - ٢ و ١٨ و ٢٢ و ٣٧ و ٨٢  
 و ٧٧ و ٩٦ و ١٦٩  
 معجم في اللغة - ٨٢  
 معجم الشعراء - ١٦٩  
 المفصل - ١٤٠  
 المفضليات - ١٥  
 مقاييس اللغة - ١٠ و ٢٦  
 المقاييس - ١٧٢  
 مناهل الآداب - ٢

# فهرست الأسماء

« الواردة في متن الكتاب »

الصفحة

## « حرف الهمزة » - أ -

٢٩	وتمر على رأس النخيل وماء	وما العيش الا نومة وتشرق
٨٥	رايات كل دجئة وطفاء	ومعرس للغيث يخفق بينه
٨٦	فتعلمت من حسن خلق الماء	صعبت فراض الماء سييء خلقها
٩٢	وكأنا فوق المتون إضاء	وكأنا فوق الأكف بوارق
٢١٢	ضحك يراوح بينه وبكاء	وله بلا حزن ولا بمسرة
٢٤٢	ركنا ثبير أو هضاب حراء	إسلم ودمت على الحوادث مارسا
٢٤٨	وتعشى منازل الكرماء	يسقط الطير حيث يلتقط الحب
٢٤٩	كتلعب الأفعال بالأسماء	خرقاء يلعب بالعقول حبابها
٢٥٩	ما بين حرهوى وحرهواء	قد ذبت غير حشاشة وذماء

## « حرف الباء » - ب -

٥٦	غزيراً مرّ على الركب	هل ناشدلي بعميق اللوى
٦٢	.....	لكل دهر قد لبست أثوباً
٨٤	لجنة الحسن عئابا	أثمرت أغصان راحته

- ٨٨ كُتِبَ الموت رائباً أو حليماً  
 ١٠٦ به الخوف والأعداء من كل جانب  
 ١١٣ سراقها المقادير والقبابا  
 ١٢٠ أهدى لرأسي ومفرقي شيبا  
 ١٤١ فكأنما تذكى سناكبها الجبا  
 ١٦٥ ولو سكتوا أمنت عليك الخقائب  
 ١٩١ أجزنا ملاً صلّت عليك سبابه  
 ١٩١ . . . . .  
 ٢١٣ وإن تكامل فيها الدّل والشنبُ  
 ٢٢٠ وعطفكم صدّ وسلمكم حرب  
 ٢٢١ وإعطاؤكم منع وصدقكم كذب  
 ٢٢٢ بحبي أراح الله قلبك من حبي  
 ٢٢٧ سيّ قلب وأنت دلو القلب  
 ٢٢٩-٢٤٦ عصاب طير تهتدي بعصاب  
 ٢٣١ أبو أمه حيّ أبوه يقاربه  
 ٢٤٠ وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب  
 ٢٥٥ وغائب الموت لا يؤوب  
 ٢٦٠ تصوّل بأسياف قواضٍ قواضب  
 ٢٦٣ متنوهن جلاء الشك والريب  
 ٢٦٤ كأنها فضة قد شابهها ذهب  
 ٢٦٩ نضوحاً إذا لم تعط منه نواصبه
- يوم فتح سقى أسود الضواحي  
 أمهجر بيتاً بالحجاز تلفعت  
 ملوك يبتنون توارثوها  
 صدودكم والديار دانية  
 يُذرين جندل حائر لجنوبها  
 فماجوا فأثنوا بالذي أنت أهله  
 إليك جزعنا مغرب الشمس كلما  
 أهن عوادي يوسف وصواحيبه  
 أم هل ضعائنُ بالعلياء رافعة  
 وصالكم هجرٌ وحجكم قلى  
 ولينكم عنف وقربكم نوى  
 شكوتُ فقالت : كل هذا تبرم  
 أنت دلو وذو السباح أبو مو  
 إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه  
 وما مثله في الناس إلا مملوكاً  
 كأن عيون الوحش : حول خبائنا  
 فكل ذي غيبة يؤوب  
 يمدون من أيدي عواصٍ عواصم  
 بيض الصفايح لا سود الصحائف  
 كحلاء في برج صفراء في دعيج  
 ألم تر أنّ المال يكسبُ أهله



« حرف التاء » - ت -

٢٢	به زينب في نسوة خفرات	تضوع مسكاً بطن نمان إذ مشت
٥٨	مثل القلوب بلا سويداواتها	إن الكرام بلا كرام منهم
٩٥	والحمد في حياته	لم يكتسب غير الثنا
١٠٦	سائل بني أسدٍ ما هذه الصوت	يا أيها الراكب المزجي مطيته
٢٤٨-١٦٦	لأعف عمّا في سراويلاتها	إني على شففي بما في نخرها
٢٢٢	يتعاقب الفصلان فيه إذا أتى	يوم التيمم فيك حولٌ كامل
٢٤٧	وجاز له الاعطاء من حسناته	فإن لم يجد في قسمة العمر حيلة
٢٦٧	فيها ولا عرسٌ ولا أختُ	بنتٌ عن الدنيا ولا بنتٌ لي

« حرف التاء » - ث -

٤٦	يحفُّ به أسدُ اللقاء الدلاهِث	وماراعهم إلا سرادق جعفر
----	-------------------------------	-------------------------

« حرف الجيم » - ج -

٩٤	عريان يمشي في الدجى بسراج	والصبح يتلو المشتري فكأنه
٢٤٤	وقاز بالطيبات الفاتك اللهج	من راقب الناس لم يظفر بحاجته
٢٥٧	ويفتح باب الهوى المرتجى	لقاؤك يُدني من المرتجى

« حرف الحاء » - ح -

٦٠	ومن ذم الرجال بمنزح	فأنت من الفوائل حين تُرى
٧٠	ومستح بالأركان من هو ماسح	ولما قضينا من منى كل حاجة
٧٨	عشية بنتنا عند ماوان رزح	وقلت لقومٍ في السكينف تروحو

ملا حاجبيك الشعر حتى كأنه      طبلاء جرت منها سنيح وبارح ٩٧  
 فقد والشك بين لي عناء      بوشك فراقهم صرد يصيح ١١٢-١٢١

« حرف الخاء » — خ —

لا يفقدن خيركم مجانسكم      ولا تكونوا كأنكم سبخ ٢٦٧

« حرف الدال » — د —

وقوفاً بها صجي على مطيهم      يقولون لا تهلك أمي وتجلد ١٧-٢٤٣  
 أعزز عليّ بأن أراك وقد خلا      عن جانبك مقاعد العواد ٥٣  
 وحدتني ياسعد عنها فزدتني      جنوناً فزدني من حديثك ياسعد ٧١  
 إلى ملكٍ في أيكّة المجد لم يزل      على كبد المعروف من نيله برد ٨٩  
 تبسم وقطوب في ندى ووغى      كالغيث والبرد تحت العارض البرد ٩٢  
 لو شئت لم تُفسد سماحة حاتم      كرماً ولم تهدم مآثر خالد ١٢٦  
 وليلة كحلت بالنقس مقلتها      ألفت قناع الدجى في كل أخذود ١٨٢  
 سلام على الدنيا إذا ما فقدتم      بني برمك من رأمين وغادي ١٨٨  
 أربع البلى إن الخشوع لبادي      . . . . . ١٨٨  
 لقد علم القبائل أن قومي      لهم حد إذا لبس الحديد ٢٠٠  
 كيف أسلو وأنت حقف وغصن      وغزال لحظاً وردفاً وقدأ ٢٢٣  
 فيا أيها الحيران في ظلمة الدجى      ومن خاف أن يلقاه بني من العدا ٢٢٤  
 ولما أتاني من حماك تحية      تضوع من أثنائها المسك والند ٢٣٢  
 وإن بقوم سودوك لحاجة      الى سيد لو يظفرون بسيد ٢٤٨  
 يلقاك بالماء النмир الفتى      وفي ضمير النفس نار تقيد ٢٦٨

## « حرف الراء » - ر -

- أقول للحيان : وقد صفرت لهم  
يا طـود حلم ظلت ممتصماً به  
يا طالباً عجائب الأمور  
فقلنا أسلموا إنا أخوكم  
الى ملك ما أمه من محارب  
وليست خراسان التي كان خالد  
فدع الوعيد فما وعيدك ضائري  
ولقد أجمع رجليّ بها  
عليّ نحت القوافي من معاذنها  
ما أقرب الأشياء حين يقودها  
تقول التي من بيتها خف محلي  
أحن الى ما تضرع الخمر والحليّ  
ألا يا ديار دام لك السرور  
وراءك أقوال الوشاة الفواجر  
فلا الجود يعني المال والجد مقبل  
ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما  
إسلم ودمت على الحوا  
من راقب الناس مات همماً  
وترى الطير على آثارنا  
ونشري بجميل الصنـ
- وطابي ويومي ضيق الحجر معور ٥٤  
يا بحر علم عمت في تياره ٨٦  
فمقرة في الدرع ذي التتير ٩٤  
فقد برئت من الإحن الصدور ١٠٧  
أبوه ولا كانت كليب تصاهره ١١٣  
بها أسد إذ كان سيفاً أميرها ١١٣  
أطنين أجنحة الدباب يضير ١١٦  
حذر الموت وإني لغرور ١٢١  
وما عليّ إذا لم تفهم البقر ١٢٤  
قدر وأبعدها إذا لم تقدر ٤٣  
عزيز علينا أن نراك تسير ١٦٥  
وأصدف عما في ضمان المآزر ١٦٦ و٢٤٧  
وساعدك النضارة والخبور ١٨٩  
ودونك أحوال الغرام الخامر ١٩٢  
ولا البخل يُبقي المال والجد مدبر ١١٣  
في وسعه لسمى اليك المنبر ٢٣٠  
دث مارسا ركنا ثبير ٢٤٢  
وفاز باللذة الجسور ٢٤٤  
رأي عين ثقة أن ستمار ١٤٦  
مع ذكراً طيب النشر ٢٥٨  
٣١٩

- من كل ساجي الطرف أغيد أجيد  
 تقاصرت همم الأملاك عن ملك  
 ٢٦٠ ومهفهف الكشجين أحوى أحور  
 ٢٦١ أضحى الثناء عليه وهو مقصور  
 إن الليالي للأنام مناهل  
 ٢٦٢ تطوى وتنشر دونها الأعمار  
 كم من حمار على جواد  
 ٢٦٢ ومن جوادٍ على حمار  
 أبا العباس لا تحسب لساني  
 ٢٦٣ لشيء من حلى الأشعار عاري  
 حامي الحقيقة محمود الخليفة مهـ  
 ١٦٥ دي الطريقة نفاع وضرار  
 عزّ على ليلي بندي سدير  
 ٢٦٦ سوءٌ مبيتى ليلة الغمير  
 ليلٌ بلا نور أجنّ بهممه  
 ٢٦٨ حبس الأدلة ليس فيه منار

« حرف الزاي » — ز —

- وحدثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز  
 ٧١

« حرف السين » — س —

- ورمل كأوراك العذارى قطعته إذا ألبسته المظلمات الحفاس  
 ٩٧  
 وما زال معقولاً عقال عن الندى وما زال محبوباً عن الخير خابس  
 ٢٠٠

« حرف الضاد » — ض —

- مودة ذهب أثمارها شبه وهمة جوهرٌ معروفها عرض  
 ٢٤٩  
 يا بياضاً أذرى دموعي حتى عاد منها سواد عيني بياضاً  
 ٢٥٨

« حرف العين » — ع —

- متنظمت غصب الوحوش مكانها تياره فالضب جار الضفدع  
 ٤٨

٢٧٢ و ٦٧	وَجَعْتُ مِنَ الإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأُخْدَعًا	تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي
٩٥	كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ بِمَجْرَاهِ سَمْرَتَا	فَتَى عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
١٢٠	لَقَدْ نَطَقْتُ بِبَطْلًا عَلَيَّ الأَقَارِعِ	لِعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّينَ
١٢٧	عَلَيْهِ وَلَسْكَنَ سَاحَةَ الصَّبْرِ أَوْسَعِ	وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًّا لَبَكَيْتِهِ
١٤٣	وَلَوْ حَمَلْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِعِ	وَمَا لِمَرِيءٍ حَاوَلْتَهُ عَنْكَ مَهْرَبُ
١٩٢	فَلَقَدْ سُنِنَ عَلَيَّ الْكَرِيمِ الأَرْوَعِ	خُلِعْتُ مِنَ الْحَدَثَانِ أَحْصَنَ أَدْرَعِي
٢٣٠	تَصَمْتُ بِأَلَاءِ ثَوْلِبَا جَدِيعَا	وَذَاتِ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرَهَا

« حرف الفاء » — ف —

٦٩	مِنَ الدَّمْعِ يَبْدُو كَمَا ذَرَفَتْ ذَرَفَا	كَأَنَّ السُّهْمَ إِنْ سَافَ عَيْنٍ غَرِيقَا
٢٤٥	حَتَّى أَقُومَ بِيَعِضِ مَا سَلَفَا	لَا تَسْدِينًا إِلَيَّ عَارِفَا

« حرف القاف » — ق —

٥٠	وَعَنْ ذِي الْمَهَارِيِّ أَيْنَ مِنْهَا النِّقَاقُ؟	سَلِي الْبَيْدِ أَيْنَ الْجَنُّ مِنْهَا بِجَوَزِهَا
٥١	يَصِيحُ الْحِصَا فِيهَا صِيَاحُ اللِّقَاقِ	وَمَلُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رُبْعِيَّةٌ
٩٦	قَدَاحٌ كَأَعْنَاقِ الطُّبَاءِ الْفَوَارِقِ	كَسَاهَا رَطِيبُ الْعَيْشِ فَاعْتَدَتْ لَهَا
٢٥٧	سَاقٌ يَجَازِبُ فَوْقَ سَاقٍ سَاقَا	وَمَرِيءٌ سَوَابِقُ دَمْعِهَا فَتَوَا كَفْتُ
٢٦٥	قَوَالٌ مَحْكَمَةٌ جَوَابُ آفَاقِ	حَمَالُ أَلْوِيَّةِ شَهَادِ أُنْدِيَّةِ

« حرف السكاف » — ك —

٦٧	أُضْحِجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خَرْفِكَ	يَادْهَرُ قَوْمٌ مِنْ أُخْدَعِيكَ فَمَدَّ
١٥٩	فَأَفْرَحَ أُمَّ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ	أَبِينِي أَفِي يَمِينِي بِدَيْكَ جَعَلْتَنِي

- يا دار غيرك البلى ومحاك  
 ١٨٩ يا ليت شعري ما الذي أبلاك؟!  
 هل لما فات من تلافٍ تلافٍ  
 ٢٥٧ أو لشاكٍ من الصبابة شاكٍ  
 أهديت شيئاً يقلّ لولا  
 ٢٦٢ أحدوثه الفأل والتبرك

« حرف اللام » — ل —

- وقوفاً بها هجي عليّ مطيئهم  
 ٢٤٣ و٢٧ يقولون لا تهلك أسيّ وتجمّل  
 فقلقت بلهم الذي قلقل الحشا  
 ٢٠٨ و٥١ قلاقل عيسى كسهن قلاقل  
 فقلت له لما تمطى بصلبه  
 ٨٧ وأردف أعجازاً وناء بكسكل  
 كأن الجفون على مقلي  
 ٩٤ ثياب شققن على ناكل  
 ومية أجل الثقلين وجهاً  
 ١٠٧ وسالفة وأحسنه قذالا  
 أيقلني والمشرقي مضاجمي  
 ١١٦ ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟  
 لو أن الباخلين وأنت منهم  
 ١٢٠ رأوك تعلموا منك الطالا  
 يقول رجال يجهلون خليقتي  
 ١٢٠ لعل زياداً لا أبا لك غافل  
 نظرتُ وشخصي مطلع الشمس ظلّه  
 ١٢١ الى الغرب حتى ظلّه الشمس قد غفل  
 فقلت يمين الله أبرح قاعداً  
 ١٣٧ ولوقطعوا رأسي لديك وأوصالي  
 فصرنا الى الحسنى ورقّ كلامها  
 ١٥٦ ورُضتُ فذلت صعبة أيّ إذلال  
 أما وهوها عذرة وتنصلاً  
 ١٩١ لقد نقل الواشي إليها فأحلا  
 وإذا البلابل أطربت بهديلمها  
 ٢٥ و٢٠٨ فأنف البلابل باحتساء بلابل  
 سارت به صيغ القصائد شرّدا  
 ٢١٠ فكأنما كانت صباً وقبولاً  
 كأنني لم أركب جواداً للذّة  
 ٢١٧ ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال  
 لو أن في قلبي كقدر قلامه  
 ٢٢٠ حباً وصلتك أو أتمك رسائي

- وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ۲۲۸  
 فِدَاءَ لِأَمْرِيءَ سَارَتِ إِلَيْهِ ۲۳۸  
 قَفَّ الْعَيْسُ مِنْ أَطْلَالِ مِيَةِ فَلَسَّأَلُ ۲۴۰  
 فِي ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ عَقُولِهِمْ ۲۴۵  
 قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ۲۵۵  
 وَأَعْرَجَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مَحْجَلِ ۲۵۸  
 نَسِيمِ الرُّوْضِ فِي رِيحِ شِمَالِ ۲۶۱  
 كَيْفَ السَّرُورِ بِإِقْبَالِ وَآخِرُهُ ۲۶۲

## « حرف الميم » - م -

- أَذَاقَ الْغَوَانِي حَسَنَهُ مَا أَذَقْنِي ٤٩  
 بِيضَاءَ تَسْحَبَ مِنْ قِيَامِ فِرْعَانَ ٩٢  
 أَيْنَ الْغَزَالِ الْمُسْتَعِيرِ مِنَ النِّقَا ٩٧  
 فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا ١١٢  
 أَتْرَكَ أَنْ قَلَّتْ دِرَاهِمُ خَالِدِ ١١٦  
 سَمِعْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُرُ ١٢٠  
 فَلَا مَهْجَةَ فِي الْأَرْضِ مِنْكَ مَنِيعَةَ ١٢٠  
 كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَلِي عَلَى شَرْفِ ١٤١  
 وَوَدِدْتُ - وَمَا تَفَنِّي الْوَدَادَةَ - أَنِّي ١٦٤  
 وَشَكَّكَتْ بِالرَّمْحِ الْأَصْمَ ثِيَابَهُ ١٦٤  
 بِزَجَاجَةِ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ ١٦٥  
 وَصَافِيَةَ تَعَشَى الْعَيُونَ بِنُورِهَا ١٨٦

- ١٨٩ نشرت عليه جمالها الأيام  
 ١٩٠ لم يبق فيك بشاشة تستام  
 ١٩٩ . . . . .  
 ٢٠٨ و٢٠٤ لثني عند مثاهم مقام  
 ٢١٧ كأنك في جفن الردى وهو نائم  
 ٢٢١ عرفاً وليث لدى الهيجاء ضرغام  
 ٢٢٣ طريد دمٍ أو حاملاً ثقل مفرم  
 ٢٢٦ جوف غواربه تلتطم  
 ٢٢٧ حتى ظننا أنه محموم  
 ٢٢٧ كما انتفض المجهود من أم ملدم  
 ٢٢٨ هتكنا حجاب الشمس أوقطرت دما  
 ٢٢٩ ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم  
 ٢٣٣ « ذهب الذين يعاش في أكنافهم »  
 ٢٣٩ — بلا سبب — يوم اللقاء كلامي  
 ٢٤٧ وبيتلي الله بمض القوم بالنعم  
 ٢٤٧ لأعطوك الذي صلّوا وصاموا  
 ٢٤٨ والمنهل العذب كثير الزحام  
 ٢٥٥ كخطك في رقّ كتاباً منمنا  
 ٢٥٨ أرى قدي أراق دي  
 ٢٦٥ محض ضرائبها ، صيغت من الكرم  
 فصر عليه تحية وسلام  
 يا دار ما فعلت بك الأيام  
 أحلّتي سلى بكازمة أسلما  
 ولم أر مثل جيرانى ومثلى  
 وقفت وما في الموت شك لواقف  
 غيث وليث فغيث حين تسأله  
 لقد خفت قوماً لو لجأت إليهم  
 وما مُزهد من خليج الفرات  
 ما زال يهنئ باللكارم والملا  
 وتلحقه عند اللكارم هزة  
 إذا ما غضبنا غضبة مُضربة  
 يكاد يمسكه عرفان راحته  
 قم فاسقنيها يا غلام وغنني  
 أحلّت دي من غير جرم وحرمت  
 قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت  
 فلو يمتهم في الحشر تجدو  
 يزدحم الناس على بابها  
 أتعرف أطلاقاً ونؤياً مهدّما  
 إلى حتفي مشى قدي  
 سودّ ذوائبها ، بيض ترائبها



« حرف النون » - ن -

١٢	أنت مني في ذمّة وأمان	اذهبي في كلاءة الرحمن
٤٧	جمضلفونيه	إسقني الأسكركة الصينة ... منبراً في
٥٦	بقلبي أم دانيت غير مُدان	وهل نخشيف بالمعيق علاقة
١٠٣	بسهب كالصحيفة صحصحان	فاني قد لقيت الغول تهوي
١٢٠	قد أحوجت سمعي إلى ترجمان	إن الثمانين - وبلغمها -
١٣٣	فقد جئنا خراسانا	. . . . .
١٤١	. . . . .	درّس المنا بمتالع فأبان
١٦٢	لسواهم منها سوى الحرمان	وتفرّدوا بالمكرمات فلم يكن
١٨٢	من النار في كل رأس لسانا	كأن الشموع وقد أطلعت
٢١٣	ومن إساءة أهل السوء إحسانا	يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
٢٤٧	لله في طي الكاره كامنه	كم نعمة لا تستعمل بشكرها
٢٥٧	فلا برحت لعين الدهر إنسانا	لم يبق غيرك إنسان يلاذ به
٢٥٧	قال لي بائع الفراني فراني	قلت للقلب ما دهاك أجيني

« حرف الهاء » - ه -

٨٩	وذهبت أنت برأسه وسنامه	وتفاسم الناس السخاء مجزأ
٩٦	تلذّ النفوس بأنفاسها ..	أتمك أبا حسن وردة
٩٨	وللقضيب نصيب من ثنيتها ..	في طلعة البدر شيء من ملاحظتها
١٨٥	وبرد أغانيه وطول قرونه	وليل كوجه البرقميدي ظلمة
٢١٤	دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها	وأمة كان قبح الجور يُسخطها

- ملكت بها كفي فأنهرتُ فنتهها  
 ٢٢٩ يرى قائمٌ من دونها ما وراءها  
 ومن البلوى التي ليد  
 ٢٣٢ سَ لها في الناس كُنُهُ  
 خذها إذا أنشدت للقوم من طرب  
 ٢٣٨ صدورها عرفت منها قوافيها  
 تلك الثنايا من عقدها نُظمت  
 ٢٦٢ أم نُظِمَ العقد من ثناياها !  
 تنازع في الدنيا سواك وماله  
 ٢٦٨ ولا لك شيء في الحقيقة فيها  
 أرى الدنيا وما وصفت ببر  
 ٢٦٩ إذا أغمت فقيراً أرهفته

« حرف الياء » — ي —

- وقد يجمع الله الشيتين بعدما  
 ٣١ يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا  
 من ليس يرقل إلا في سوابغه  
 ٥٢ من تبعمي مفاض أو سلوقي  
 بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما  
 ١٦٨ دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

## فهرست الأبحار

« الواردة في حواشي الكتاب »

### — حرف الهمزة —

الصفحة

٢٤٨	واحدرا طرف عينها الحوراء	حييا صاحبي أم العلاء
٢٤٨	بُ وتغشى منازل الكرماء	يسقط الطير حيث ينتثر الح
٢٤٩	ومصارع الادلاج والاسراء	يا موضع الشذنية الوجناء

### — حرف الباء —

٨٨	فصواب من مقلة أن تصوبا	من سجايا الطلول أن لا تجيبا
١٦٦	قفا ذات أوшал ومولاك قارب	أقول لركب صادرين لقيتهم
٢١٤	وفي اللثات وفي أنيابها شنب	لمياء في شفتيها حوة لس
٢٢٧	دلوي في ماء ذلك القليب	لم أزل بارد الجوانح مذ خضخضت
٢٢٨	إذا ما التقى الجمعان أول غالب	جوانح قد أيقن أن قبيله
٢٣٣	وبقيت في خلف كجلد الأجر	ذهب الذين يماش في أكنافهم
٢٤٦	وليل أقاسيه بطيء الكواكب	كليني لهم يا أميمة ناصب
٢٥٥	فالقطيبيات فالذنوب	أففر من أهله ملحوب
٢٦٠	أذيلت مصونات الذموع السواكب	على مثلها من أربع وملاعب
٢٦٣	في حده الحد بين الجد واللعب	السيف أصدق أنباء من الكتب

٢٦٤ ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلي مفريسة سرب

— حرف الناء —

١٦٦ سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

٢٤٧ أقول لمرتاد الندى عند مالك تعوذُ بجدي مالك وصلاته

— حرف الثاء —

٤٦ فجدهم عن صهوة الطرف راكب وأظعنهم عن جانب الطود ما كث

— حرف الجيم —

٢٤٤ خشاب هل لمحّب عندكم فرجُ أو لا فإني بجبل الموت معتلج

— حرف الحاء —

١ ذكرك أن مررت بنا أم شادن أمام المطايا تشربُ وتسمح

— حرف الدال —

٥٣ أعلمت من حملوا على الأعواد أرايت كيف خبا ضياء النادي

١٩ إني تركت الصبا عمداً ولم أكد من غير شيب ولا عدل ولا فند

١٢٦ عجباً لطيف خيالك المتعاهد ولوصلك المتقارب المتباعد

٢٣٦ إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترد

— حرف الراء —

١ ياما أميلح غزلاناً شدن لنا من هؤلئائكن الضال والسمر

١٠٦ لا يفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحجر

١١٧ أعلي إنك جاهل مفرور لا ظلمة لك لا ولا لك نور

١٢٤	وبالغ منه لو لا أنه حجر	في الشيب زجر له لو كان ينزجر
٢٤٨ و ١٢٤	وما علي لهم أن تفهم البقر	عليّ نحت القوافي من مقاطعها
١٦٦	أخو الجد لا مستنصراً بالمعاذر	بنغير شفيع نال عفو المقادر
١٦٦	وأصبي إلى ثم الحدود النواظر	ولله قلبي ما أرق على الهوى
٢٥٨	على شاكلة النجر	ونجري في شـرى الحمد
٢٦٠	هيجن حر جوى وفرط تذكر	إنّ الطيباء غداة سفح محجر

— حرف السين —

١٩٩	بحيث تلاقى عازب فالأواعس	وما ذات أرواقٍ تصدّى لجؤذر
-----	--------------------------	----------------------------

— حرف الضاد —

٢٤٩	من دونه شرق من تحته جرض	ذل السؤال شجى في الخلق معترض
-----	-------------------------	------------------------------

— حرف العين —

٢٧٢ و ٦٧	مزارك من ربا وشعبا كما معا	حنفت الى ربا ونفسك باعدت
٩٥	سقتك الغوادي مر بما ثم مر بما	ألمّا على معنٍ وقولا لقبره
١٢٨	وصانعت أعدائي عليك لموجع	وإني وإن أظهرت صبراً وحسبة
١٢٧	وحل الذي لا يستطاع فيدفعُ	قضى وطراً منك الحبيب المودع
٢٣٠	إن الذي تحذرين قد وقعاً	أيتها النفس أجلي جزعاً

— حرف الفاء —

٢٤٥	حتى أقوم بشكر ما سلفا	.....
٢٤٥	قوماً عدىّ ومحلة قذفا	حلت سعاد وأهلها سرفا

— حرف القاف —

- هو البين حتى ما تأتى الحزائق      وياقلب حتى أنت ممن أفارق ٥٠  
 نذكرت ما بين العذيب وبارق      مجرّ عوالينا ومجرى السوابق ٥١  
 وترى سوابق دمعها فتوا كفت      ساق تجاوب فوق ساقٍ ساقا ٢٥٧

— حرف الكاف —

- ضياء الشمس جزء من جبينك      وناصية الليالي في يمينك ١  
 قد مات محل الزمان من فرقك      وأكثن أهل الاعدام في ورقك ٦٧  
 قفي يا أميم القلب نقض لبانة      ونشكُ الهوى ثم أفعلي ما بدالك ١٥٩  
 أبيت كأنني بين شقين من عصا      حذار الردى أو خيفة من زيالك ١٥٩  
 فقلت أجزني أبا خالد      وإلا فهمني امرأ هالكا ٢٣٦

— حرف اللام —

- لا تعمر الدنيا فليد      س الى البقاء بها سبيل ٢٠  
 قفا تريا ودقي فهاتا الخايل      ولا تحشيا حلفا لما أنا قائلُ ٢٠٨ و ٥١  
 أم طهاعة العاذل      ولا رأي في الحب للعاقل ٩٤  
 ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي ١١٦ و ١٣٧ و ١٥٦

- وأفجع من فقدنا من وجدنا      قبيل الفقد مفقود المثال ٢٠٨  
 أمن ظلامه الدمن البوالي      بمرفض الحبي إلى وعال ٢٣٨  
 أهلاً بذلك الخيال المقبل      فعل الذي نهواه أو لم يفعل ٢٥٨  
 اكنت معنفي يوم الرحيل      وقد لجت دموعي في الممول ٢٦١

— حرف الميم —

٢٧	أو يرتبط بعض النفوس محامها	تراك أمكنة إذا لم أرضها
٤٩	لعل بها مثل الذي بي من السقم	ملام النوى في ظلمها غاية الظلم
٩٧	وتعلمنا أن الهوى ما هجتنا	أحمتي سلمى بكاطمة اسلمنا
١٤١	أم جبلها إذ نأتك اليوم مصروم	أما علمت وما استودعت مكتوم
١٨٩	خلعت عليه جمالها الأيام	قصر عليه تحية وسلام
٢٤٧ و ٢٠٤	وعمر مثل ما تهب اللثام	فؤاد ما تسليه المدام
٢١٧	وتأتي على قدر السكرام المكرام	على قدر أهل العزم تأتي العزائم
٢٢٢	لبئس المدى أجرى اليه ابن ضمضم	وقائلة والدمع يحدر كجلها
٢٢٦	أم الجبل واهٍ بها منجذم	أتهجر غانية أم تسل
٢٢٧	وغدت عليهم نضرة ونعيم	أسقى طولهم أجش هزيم
٢٣٢	وما كاد مني ودهم يتصرّم	تصرّم مني ود بكر بن وائل
٢٣٣	وتقبلوا الأخلاق من أسلافهم	أصبحت بين معاشر هجروا الندى
٢٤٧	ذا مهجة عن ملات الردى حرم	إلياس كن في ضمان الله والذمم
٢٥٥	شهوراً وأياماً وحولاً مجرّما	أذاعت به الأرواح بعد أنيسها

— حرف النون —

١٠٤	بما لاقيت عند رحي بطان	ألا من مبلغ فتیان فهم
١٣٣	ثم القبول فقد جئنا خراسانا	قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا

— حرف الهاء —

١٨٥	أبو جابر في ضبطه وجنونه	على أولق فيه الهباب كأنه
-----	-------------------------	--------------------------

میلوا الى الدار من لیلی نحييها  
نعم ونسألها عن بعض أهلها ٢١٣  
فلا يخدع بجيلتها أديب  
وإن هي سورته ونطقته ٢٦٩

— حرف الياء —

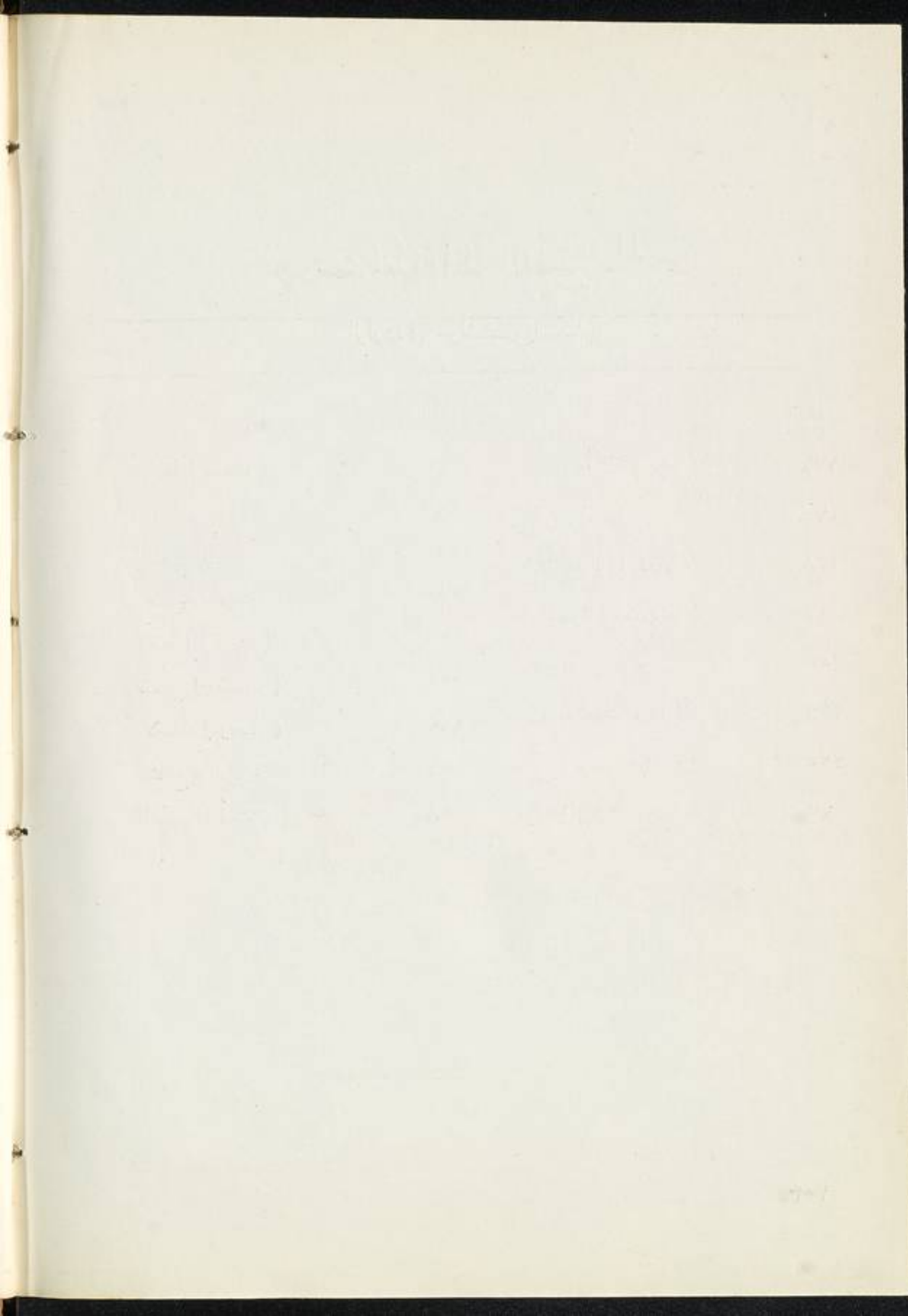
قولا لمعتل الرمح الرديني  
والمرتدي بالرداء الهندواني



# فهرست الألفاظ اللغوية المهرمة

الواردة في حواشي الكتاب

<u>الصفحة</u>		<u>الصفحة</u>	
١٧٦	عقيب ( وأستعماله ظرفاً )	٧	تحفظ ( ومعناه )
١١ - ١٠	العيش والمعيشة	٦٢	مدوف ومدووف
٢٣٨	فضلاً عن ( وأستعماله )	١٩٦	ذات وذاتي
١٧	ما الموصولة ( وضميرها )	١٨٠	ذهب به وأذهبه
٥٠	التناقض	٢٦	ارتبط ( وتمديته )
٢٣٦	هب أنه ( وأستعمالها )	٢٣٢	ضمن ( وتمديته )
٢٢٥ و ٢٣	أودع ( وتمديته )	١٧٧	بالإضافة ( ومعناه )
١٧٧	توفر وتوافر	٣٢	الشياع والشيوع
		٤٨	انضاف ( وأستعماله )



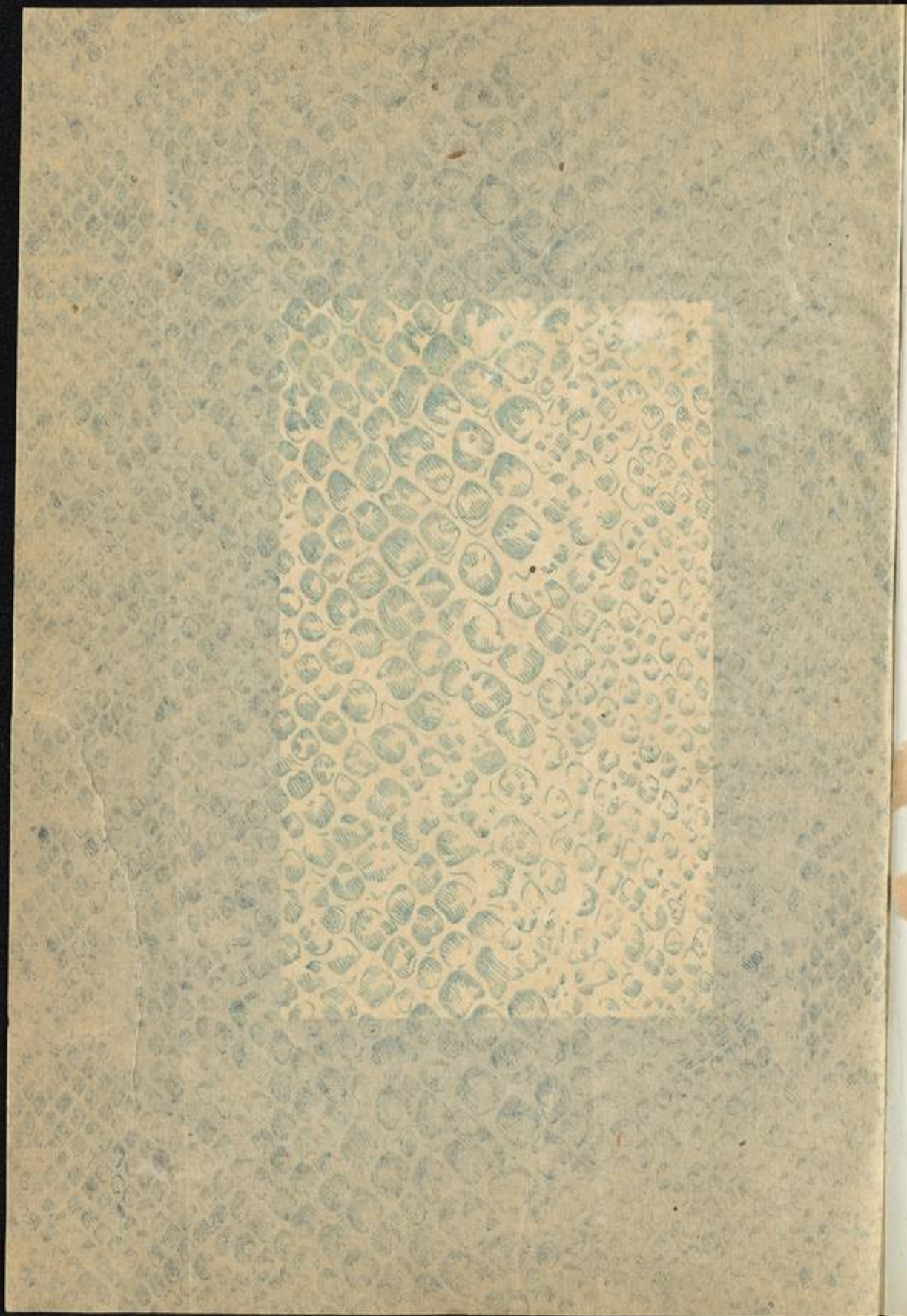
## فهرست الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
(٣) الآية ٣٦ والسورة يوسف	(لم يكتب شيء)	السطر الأخير	٢٩
اللقائق (١٠)	اللقائق	من الهامش	٥١
ويكون فيه الى الذم أقرب	ويكون فيه الى الى الذم أقرب	٩	٦٨
توفي	تون	١٦	٨١
بكم	بكم	١٥	٩٣
يديها	يدها	٥	٩٦
الى الجهة	من الجهة	١٨، ١٧	٩٧
تحمنا	تحسناً	١٤	٩٩
وبي	ربي	١٨	١٠٠
وبعداً	وبعد	١	١٠١
القسم الثاني	القسم الثالث	١٤	١٠١
وبالماضي عن المضارع	وبالمضارع عن الماضي	٧	١٠٤
لآية	الآية	٣	١٠٥
عنوا	عنوا	١٦	١٠٨
عنوا	عنوا	١٧	١٠٨
وأما تقديم خبر المبتدأ	وأما تقدير خبر المبتدأ	١٩	١٠٩
لفائدة	الفائدة	٣	١٠٩
إن	أنه	١٤	١١٠

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
وكلام	وكلام	١٦	١١٠
ثم إن علينا	وإن علينا	٢٠	١١٠
بغيره	لا بغيره	٨	
سواء أ كان بياناً أم نسقاً	سواء أ كان بياناً أو نسقاً	١٠	١١٢
كأن	كان	١	١١٣
بهجتها	مهمتها	١	١١٣
عجيب المأخذ	عجيباً المأخذ	١٠	١١٤
المؤلف للكلام	المؤلف الكلام	١١	١١٤
تريد	نزيد	١٥	١١٥
أأخذ غير الله	أأخذ غير غير الله	٥	١١٧
يأتي في الكلام لغير فائدة	يأتي في الكلام لفائدة	١٦	١١٨
السامع	السابع	٢	١١٩
وفضاله	وفضاله	١٠	١١٩
ومتناولاً	ومتناولها	١٤	١٢٣
من كل حذب ينسلون	من كل حرب	٧	١٣٠
لاصلاة	لاصلاة	١٥	٢٣٢
أن	أنه	٢	١٣٦
وجوهم	وجوهم	١٥	١٣٦
القدر .	المقدور	١٥	١٣٧
الكتان .	الكنانة	٧	١٤١
وما يسوغ .... دون الناثر	وما يسوغ .... روى الناثر	١٨	١٤١
وإن كان جائزاً	وان كان كان جائزاً	١	١٤٢
أصناف المسكاره	اضاف المسكاره	٥	١٤٥

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
بلاغة	البلاغة	١٥	١٥٠
إِما حقيقة	وإِما حقيقة	١٣	١٥١
إنَّ	أَنَّ	٢٠	١٥٢
فتوضع	فتوضَّح	١٥	١٥٧
ذو شك	ذو شك	١١	١٦٢
بزجاجة	برجاجة	١	١٦٥
في استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات	في استعمال العام والخاص في الاثبات	١٠	١٦٩
كان	فان	١٨	١٦٩
مرغليوث	مرغليون	٢١	١٧١
وكان يلزم من وصف	وكان يلزم وصف	٢	١٧١
كان	كأن	١٢	١٧٩
اللاتي	اللاتي	١	١٧٩
بينهما	بين	١٢	١٨٢
كأنَّ	كمن	٨	١٨٥
وجه	وجهه	١٤	١٨٦
حتى	حق	١	١٨٦
عام	عامر	٨	١٨٨
بني برمك	بني بربك	١١	١٩٧
يتردد	يترد	٥	١٩٨
تَمَتَّعَ	تَمَتَّعَ	٣	١٩٨
لأنه	لأن	١٠	٢٠١
بفخامته .	بفخامة	١٠	٢٠٤

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
المغيث بن علي العجلي	المغيث بي علي العجلي	٢٠	٢٠٤
النوع الثاني عشر من الباب الأول	النوع الثالث من الباب الأول	٧	٢٠١
أعبدُ	أعبدَ	٣	٢٠٥
ما شئتم	له شئتم	٧	٢٠٥
إلهي	إلهين	١٠	٢٠٥
واحدٍ	واحداً	١١	٢٠٨
يدل على معنى	يدل معنى	١٢	٢٠١
وحبكم	وهجركم	٨	٢٢٠
بإزاء	بآزاء	٥	٢٢٤
ومنها ما يحسن	ومنها ما لا يحسن	١٤	٢٢٧
ويؤثره	ويؤثر	١٢	٢٢٩
شهادة	شادة	٢٤	٢٢٩
أذينة	أذنية	١٥	٢٣٦
المذكور	المذكور	٢	٢٤٦
بينك	بينك	٣	١٤٦
أمدّه	مدة	٩	٢٥٤



DATE DUE

FEB 17 2011

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0043108563

06775519

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58884262

893.741 N18633 Jami al-kabir fi sin

P